سلسلة التراجم الأندلسية

VIII

البيان المغرب

في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب

لأبي العباس أحمد بن محمد بن عذاري

المتوفى بعد سنة ٧١٢ هـ

حققه، وضبط نصه، وعلق عليه

بشار عواد معروف

محمود بشار عواد



تونس



لأبي العباس أحمد بن محمد بن عذاري

المتوفى بعد سنة ٧١٢ هـ

المجلد الأول

حققه، وضبط نصه، وعلق عليه

بشار عواد معروف

محمود بشار عواد

دار الغرب الإسلامي

تونس

الطبعة الأولى

١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م

دار الغرب الإسلامي
ص.ب. 677 تونس 1035

البيان المغرب

في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب

المجلد الأول



بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمدُ لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحابته أجمعين، وبعد:

فهذا كتاب «**البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب**»[1] للمؤرخ المغربي المراكشي أبي العباس أحمد بن محمد بن عذاري المتوفى بعد سنة ٧١٢هـ، وهو التاريخ الذي ألف فيه هذا الكتاب[2]، والذي لم نقف على ترجمة له سوى ما ورد من معلومات نزرة عنه في هذا الكتاب[3].

وقد جعل ابن عذاري كتابه هذا في ثلاثة أجزاء، تناول في الجزء الأول تاريخ شمال إفريقية منذ الفتح العربي الإسلامي وحتى ظهور المرابطين والموحدين. وخصص الجزء الثاني لأخبار الأندلس منذ فتحها، وعصر الولاة، ثم العهد الأموي، وقيام الدولة العامرية، فظهور ملوك الطوائف وحتى دخول المرابطين إلى الأندلس سنة ٤٧٨هـ[4]. أما الجزء الثالث فهو عودة إلى تاريخ المغرب إذ أتى فيه على أخبار الدولة المرابطية اللمتونية وما كان من شأنها في المغرب والأندلس، ثم أخبار الدولة الموحدية وما عاصرها من أخبار الهوديين والحفصيين والنصريين، ثم الدولة المرينية وانتصارها واستيلائها على مراكش في أواخر سنة ٦٦٧هـ.

وقد وصل إلينا أكثر هذا الذي ذكره المؤلف من أجزاء الكتاب، فنشر المستشرق الهولندي رينهات دوزي الجزء الأول وقسمًا من الجزء الثاني الخاص بالأندلس إلى سنة ٣٨٧هـ وذلك في السنوات ١٨٤٨-١٨٥١م معتمدًا مخطوطة في ليدن محفوظة في الرقم (٦٧)، وطبعَ الـجُزءَين

---

(١) هذا هو العنوان الصحيح الذي نص عليه المؤلف في المقدمة التي كتبها لكتابه واتفقت عليها النسخ، ومن ثم فإن الاعتماد على ما ورد في عناوين المخطوطات لا قيمة له.

(٢) ينظر المجلد الثالث من نشرتنا هذه، ص٥٨٥ حيث نص على هذا التاريخ وهو يتكلّم على أولاد المرتضى الموحدي.

(٣) لصديقنا الفاضل الدكتور عبد الواحد ذنون طه الـمَوْصلي دراسة ماتعة عن ابن عذاري وكتابه «البيان المغرب» عنوانها: «ابن عذاري المراكشي شيخ مؤرخي المغرب العربي»، كان قد نشر أكثرها منجمةً في مجلة المجمع العلمي العراقي، ثم أعاد النظر فيها ونشرها بكتاب مستقل (بيروت، دار المدار الإسلامي ٢٠٠٤م)، تناول فيها عصره ومنهجه وموارده، أغنانا عن إعادة الكتابة فيها.

(٤) على أن الذي وصل إلينا منه إلى سنة ٤٦٠هـ فبقي القسم المتضمن للسنوات ٤٦٠-٤٧٨هـ.

بمدينة ليدن، وكتب له مقدمة مفصلة بالفرنسية، ولكنه خَلَط النص بنصوص كثيرة من كتاب «صلة تاريخ الطبري» لعريب بن سعيد القرطبي، فأساء إلى الكتاب إساءةً بالغة في الوقت الذي سعى فيه جاهدًا إلى تقديم مادة أكثر دسامة وتفصيلًا، ولكن هذا في علم تحقيق النصوص مما لا يجوز فعله[1].

ثم قام كل من كولان وليفي بروفنسال في إعادة نشر هذين الجزءين في ليدن في السنوات ١٩٤٨-١٩٥١م، ولكنهما من أسفٍ أبقيا على الزيادات التي أقحمها دوزي في النص من كتاب عريب القرطبي، ولا ندري كيف سوّغا هذا الصنيع المخالف لمناهج البحث العلمي وتحقيق النصوص.

ونشر ليفي بروفنسال النص الخاص بدول الطوائف في الأندلس في باريس سنة ١٩٣٠م على أنه الجزء الثالث من «البيان المغرب»، وزاد في آخره قطعة مجهولة المؤلف مبتورة الطرفين، فجاء الجزء في ٣٦٨ صفحة من ضمنها الفهارس.

وعثر ليفي بروفنسال على قطعة خاصة بعصر المرابطين في المغرب والأندلس في خزانة جامع القرويين بفاس تنتهي في أوائل سنة ٥٤١هـ ونشر منها القسم الخاص باستيلاء السيد الكبيوطور على بلنسية. ثم قام الأستاذ هويسي ميراندا بنشر سائرها في مجلة «هسبرس» Hesperes سنة ١٩٦٠م والمخطوطة التي وقف عليها بروفنسال قد احتجنها ولم يعدها ولا يُعلم اليوم أي خبر عنها. ثم أعاد نشر هذه القطعة صديقنا العلامة الأستاذ إحسان عباس يرحمه الله في دار الثقافة استنادًا إلى نشرة ميراندا وعَلّق عليها بعض تعليقات مفيدة أفدنا منها، كما أصلح بعض أخطائها، ولم يكن بوسعه غير ذلك بعد ضياع الأصل الذي نشر عليه ميراندا ما نشره. وكانت دار الثقافة في بيروت قد أعادت طبع الأجزاء الثلاثة التي نشرها كولان وبروفنسال في ثلاثة أجزاء بالتصوير.

وفي سنة ١٩٦٠م ظهر الجزء الخاص بالموحدين بتطوان بتحقيق هويسي ميراندا ومساهمة الأستاذين محمد بن تاويت ومحمد بن إبراهيم الكتاني[2].

واكتشف الأستاذ عبد القادر زمامة قطعة من تاريخ الموحدين تشتمل على (٢٦) صفحة لم ترد في طبعة تطوان سنة ١٩٦٠م نشرها في مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية بمدريد

---

(١) اعتمد دوزي مخطوطة الصلة لعريب المحفوظة في كوتا Gotha رقم (٢٦١). ولما نشر دي خويه كتاب عريب حذف منه القسم الذي نشره دوزي.

(٢) ثم كان الأستاذ محمد إبراهيم الكتاني قد نشر في العدد العاشر من مجلة تطوان (ص٢٣٧-٢٤٢) مقالة بعنوان: «العثور على الورقات الأخيرة من البيان المغرب لابن عذاري».

سنة ١٩٨٠م[1]، ثم أعاد نشرها في مجلة كلية الآداب والعلوم بفاس سنة ١٩٨٠-١٩٨١م (العددان: ٤ و٥).

وفي سنة ١٩٨٥م ظهر الجزء الكامل الخاص بالموحدين وقد أضيفت إليه القطع الجديدة التي عُثر عليها وكتب على غلافها أنها من تحقيق: محمد بن إبراهيم الكتاني، ومحمد بن تاويت، ومحمد زنيبر، وعبد القادر زمامة. وكان جل اعتمادهم على نشرة ميراندا.

وهكذا يتضح أن الكتاب يكاد أن يكون كاملًا لولا ما اعتوره من نقص يسير، الأول في الجزء الثاني حيث لم تصل إلينا السنوات ٤٦٠-٤٧٨ وهو القسم الخاص بالأندلس، والثاني أوائل القطعة المتعلقة بالمرابطين، وهي التي نشرها ميراندا ثم أعاد نشرها العلامة إحسان عباس يرحمه الله.

أما نحن فقد قَسّمنا الكتاب كما قسمه مؤلفه ابن عذاري إلى ثلاثة أجزاء، إذ لا معنى لكل التقسيمات السابقة، ولا سيما بعد وقوفنا على مخطوطات جديدة من الكتاب أتحفنا بها صديقنا العلامة الأستاذ بشير البكوش، وصديقنا الأستاذ المحقق العالم أحمد بنبين جزاهما الله خيرًا.

وقد أعدنا مقابلة النص بالمخطوطات الكثيرة التي توفرت عندنا، وأثبتنا الاختلافات ورَجّحنا القراءة الصحيحة التي رأيناها مناسبة، فضلًا عن الإحالة إلى الموارد التي اقتبس منها مؤلف الكتاب مما وقفنا عليه ومما استطعنا إلى ذلك سبيلا.

ثم كان من أهم وكدنا تخليص النص من الزيادات التي أقحمها دوزي في نص «البيان المغرب»، وقد قاسينا من أجل ذلك الكثير، ذلك أن دوزي كان يتصرف في النص تصرفًا عجيبًا، وكأنه يؤلف تاريخًا جديدًا.

وضبطنا ما يُشكل من النص بالشَّكْل ليقرأ قراءة سليمة، والضبط إنما يقوم على دعامتين رئيستين، أولاهما: حسن قراءة المخطوطات والإدمان على خطوطها وأساليب رسمها، وثانيهما: المعرفة بموضوع الكتاب. أما الأسماء فهي من أولى الأشياء بالضبط، فإنه شيء لا يدخله القياس ولا سيما في الأسماء الأعجمية؛ الإسبانية والأمازيغية التي ترسم بأشكال متنوعة، وقد استعنا بخبرتنا وبكل وسيلة لإتقان هذا الضبط؛ إيمانًا منا بأن نشر مثل هذه النصوص من غير ضبط مخالف لأصول التحقيق الدقيق الذي نسعى من أجل الوصول إليه.

ولا أراني بحاجة إلى ذكر منهجي في التحقيق، فهو مدوّن في كتبي المؤلفة في هذا الشأن، وفي المقدمات التي كتبتها لعشرات الكتب التي عنيت بتحقيقها.

---

(١) المجلد العشرون، ص٧٧-١٠٢.

وقد شاركني في تحقيق هذا الكتاب ولدي المؤرخ البارع الأستاذ محمود بشار عواد الذي تشرّب هذا العلم، فبرع فيه وأجاد، فكان أكثر الحمل عليه، في مقابلة النسخ الخطية التي صار من أميز المحققين في قراءة الخطوط المغربية والأندلسية العسيرة، وفي الإشارة إلى مناجم النصوص والمقابلة بينها.

ولست في هذه المقدمة الوجيزة في معرض انتقاد ما نُشر من هذا الكتاب، فقد أشرت إلى إساءة دوزي بإقحام نصوص من كتاب عريب القرطبي وإدخالها في نص «البيان المغرب» مما أربك النص الأصلي الذي كتبه ابن عذاري، ثم إبقاء كولان وبروفنسال هذه الإساءة على حالها، لعله ظنًا منهم أنهم يصنعون خيرًا للدراسات المغاربية والأندلسية، فضلًا عن قراءات معوجّة لكثير من النصوص، ولا سيما عند انعدام النسخ الخطية المتقنة، وقيامهم بالنشر يومئذٍ على نسخ فريدة، فضلًا عن عجمتهم التي أدت في كثير من الأحيان إلى قراءات غير دقيقة، استدرك بروفنسال بعضها مما يتصل بالجزء الثالث المنشور في باريس سنة ١٩٣٠م فاستدرك الكثير منها.

ومع ذلك فإنَّ مثل هؤلاء يستحقون كل تقدير وثناء لما قاموا به من جهود محمودة لنشر التراث العربي الإسلامي في وقت كانت فيه الأمة العربية في سبات عميق وجهل مدقع، إذ كانوا روّادًا لنشر أمهات الكتب التراثية في القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين.

إنما العتب على أبناء هذه الأمة التي كان أكثر تحقيقاتها لا يتعدى في كثير من الأحيان اجترار هذه الأعمال وإعادة نشرها من غير تحقيق دقيق ومقابلة صحيحة بأصول المخطوطات.

ومن ذلك القسم الخاص بالموحدين الذي وضعت على غلافه أسماء لامعة في الدراسات المغاربية فإنه لم يكن بالمنزلة التي عُرفت عن هذه الأسماء، فالقراءات غير دقيقة في كثير من الأحيان. وكنت حريصًا على بيان ما وقع من تصحيف وتحريف وسقط في هذا الجزء المهم من الكتاب، ثم توقفت عن ذلك بعد برهة لم تتجاوز المئة صفحة لعدم إحالة ذلك على سبب من الأسباب سوى متابعة نشرة هويسي ميراندا السقيمة، فالسقط كثير قد تجاوز الحد المعقول، والتحريف والتصحيف يكثر في كل صفحة، وربما غيروا بعض العبارات مما لا أصل له في النسخ الخطية ظنًا منهم أن هذا هو الصواب الذي ليس فيه ارتياب. وربما تركوا نص المخطوطات وراحوا ينقلون من المصدر الذي ينقل منه المؤلف، كما في كثير من النصوص المنقولة من كتاب «المن بالإمامة»، وهو أمر غريب عجيب في تحقيق النصوص لم نعهده عند أحد قبلهم.

ولا بد لي وقد أنهيت تحقيق هذا الكتاب أن أنوّه بفضل من كان السبب في ظهوره بهذه الهيئة العلمية التي نأمل أن تسر كل محب لتراث هذه الأمة حريص عليه، وفي مقدمتهم الصديق الصدوق الحاج الأستاذ حبيب اللمسي الذي أصر على هذا العمل ووفر له كل ما يحتاجه على أحسن موفر.

ثم إلى صديقنا العَلّامة الأستاذ بشير البكوش الذي صَوّر لنا بعض المخطوطات وأتحفنا بما طبع من الكتاب، ثم ما اقترحه من خطة لتحقيق الكتاب دلّلت على فهم عميق ودراية بالتراث المغاربي.

أما الصديق المحقق العلّامة الأستاذ أحمد بن بنبين فإن أفضاله علينا تترى بما وفره لنا من صور المخطوطات ليس لهذا الكتاب حسب، بل لكثير مما نشرنا في سلسلة التراجم الأندلسية فاستحق كل ثناء وتقدير على كرمه وأريحيته وتشوقه الدائم لخدمة التراث العربي الإسلامي والعاملين على تحقيقه ونشره.

وصف النسخ الخطية:

أولًا: مجلد الخزانة الملكية بالرباط رقم (٣٣٤).

ويتكون من ثلاثة أقسام في مجلد واحد، خالٍ من تاريخ النسخ ومن تسمية الناسخ، كتب بخط مغربي متأخر، وكتبت العناوين بالحمرة، ومسطرته (٢٩) سطرًا في كل صفحة.

القسم الأول: ويقع في (١١٥) صفحة، وهو موافق للجزء الأول من تقسيم المؤلف وقد رمزنا له «ر١».

القسم الثاني: يبدأ عند الصفحة (١١٦) وأوله: «الجزء الثاني من الكتاب في أخبار الأندلس» ويستمر إلى الصفحة (٢٥٤) وجاء في آخره: «كمل السفر الأول بحمد الله تعالى وحسن عونه وتوفيقه الجميل ويمنه، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا»، وقد رمزنا له «ر٢»، وهو القسم الأول من التاريخ الأندلسي.

القسم الثالث: وقد كتب في صفحة مستقلة منه: «السفر الثالث، وهو الأخير من البيان المغرب في أخبار ملوك الأندلس والمغرب، تأليف الشيخ الأجل الأثير الأفضل الراوية المطلع الحسيب الأكمل أبي العباس أحمد بن محمد بن عذاري رحمه الله بمَنّه آمين». ويبدأ في الصفحة (٢٥٥): «بسم الله الرحمن الرحيم، صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم» ثم بخط أحمر وسط الصفحة: «اختصار الخبر بحركة تاشفين إلى الجبل برسم قتال الموحدين» وينتهي بآخر الكتاب عند الصفحة (٤٨٨)، وقد رمزنا له «ر٣».

ثانيًا: مجلد المكتبة الوطنية للمملكة المغربية رقم (٣٣٣).

وهذا المجلد كان في خزانة العلامة المحدث الشريف السيد محمد عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني بمدينة فاس، ثم انتقل إلى المكتبة الوطنية بالرباط، ويتكون من (١٢٠) ورقة، في كل ورقة صفحتان، مسطرة الصفحة (٢١) سطرًا، كتب بخط عتيق جميل مشكول، لكن الأرضة والإصلاح غير الفني لكثير من أوراقه جعل النسخة صعبة القراءة، لكن الحَسّابات (الكومبيوترات) تسهل هذه

المهمة. وهذا المجلد هو الذي نشره بروفنسال باسم الجزء الثالث في باريس سنة ١٩٣٠م، ويبدأ بـ«ذكر ولاية عبد الملك بن أبي عامر الحجابة للخليفة هشام بن الحكم بن عبد الرحمن الناصر». وينتهي بقوله: «وقال الحميدي في كتابه: كان أبو عمرو عباد صاحب إشبيلية من أهل الأدب البارع والشعر الرائع، وقد رأيت له سفرًا صغيرًا في نحو ستين ورقة من شعر نفسه فمن قوله:

كأنها ياسميننا الغَضُّ كواكب في السماء تبيض»

وقد رمزنا له بـ«الأصل».

ثالثًا: مجلة الخزانة الملكية بالرباط رقم (٣٣٦).

وهو قسم من المجلد الثالث الذي يبدأ بـ«اختصار الخبر بحركة تاشفين إلى الجبل برسم قتال الموحدين»، وينتهي بآخر الكتاب، ويقع في (٤٥٩) صفحة مسطرتها (٢١) سطرًا، كتب بخط مغربي جميل، وكُتبت العناوين بالحمرة وتاريخ نسخه مثبت في آخره وهو: «وكان الفراغ منه بين صلاة الظهر من يوم الاثنين الموفي عشرين للشهر المبارك شعبان سنة خمس وستين ١١٠٠» فكأنه يريد ١١٦٥هـ. وقد رمزنا لهذا المجلد بالحرف (ك).

رابعًا: مجلد الخزانة الملكية بالرباط رقم (٧٧٧).

ومحتواه مثل محتوى المجلد (٣٣٦) إذ يبدأ باختصار الخبر بحركة تاشفين وينتهي بآخر الكتاب، ويتكون من (١٨٣) ورقة ذات وجهين مسطرتها (٣٢) سطرًا، وخطه مغربي جيد، وكتبت العناوين بالحمرة وبخط غليظ. وقد رمزنا له بالحرف (ق).

خامسًا: مجلد الخزانة الملكية بالرباط رقم (٢١٥٠).

ومحتواه مثل سابقه، ويقع في (٢٣٢) ورقة ذات وجهين مسطرتها (٢٣) سطرًا، كتب بخط مغربي جميل، وكتبت عناوينه باللون الأحمر، وليس فيه اسم الناسخ ولا تاريخ النسخ. وقد رمزنا له بالحرف (ب).

سادسًا: مجلد الخزانة الملكية بالرباط رقم (١٠٣٠١).

وهو قسم من أول الجزء الثاني الخاص بالأندلس ويقع في (٦٩) ورقة، ويبدأ في أثناء حوادث سنة ١٩٣هـ[1]، وينتهي في آخر الجزء الثاني الذي نشره بروفنسال، وهو آخر القسم الأول من الجزء الثاني. وقد رمزنا له بالحرف (ت).

أما رمز ما طُبع من الكتاب فهو (م).

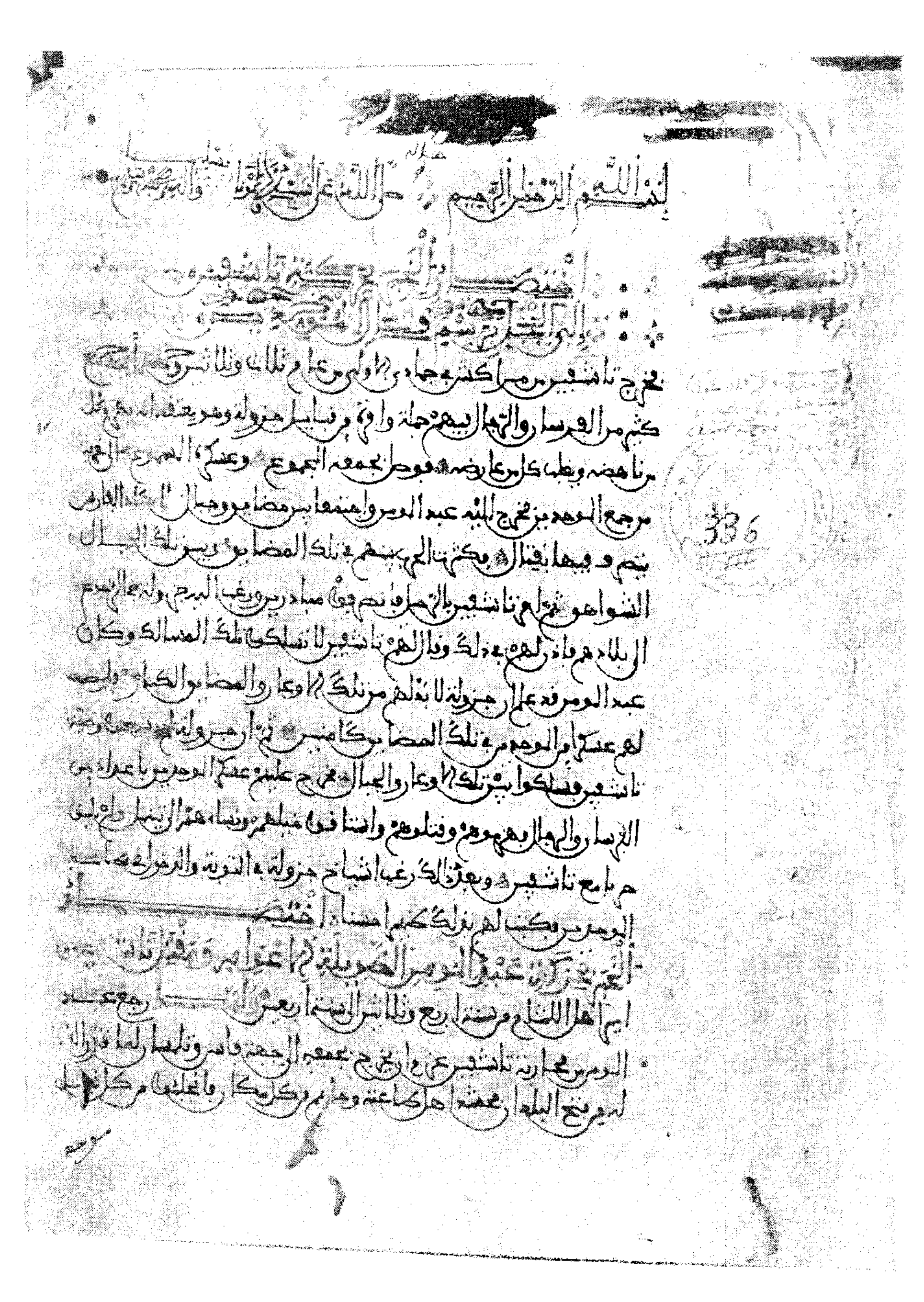
---

(١) تنظر الصفحة ٨٩ من المجلد الثاني.

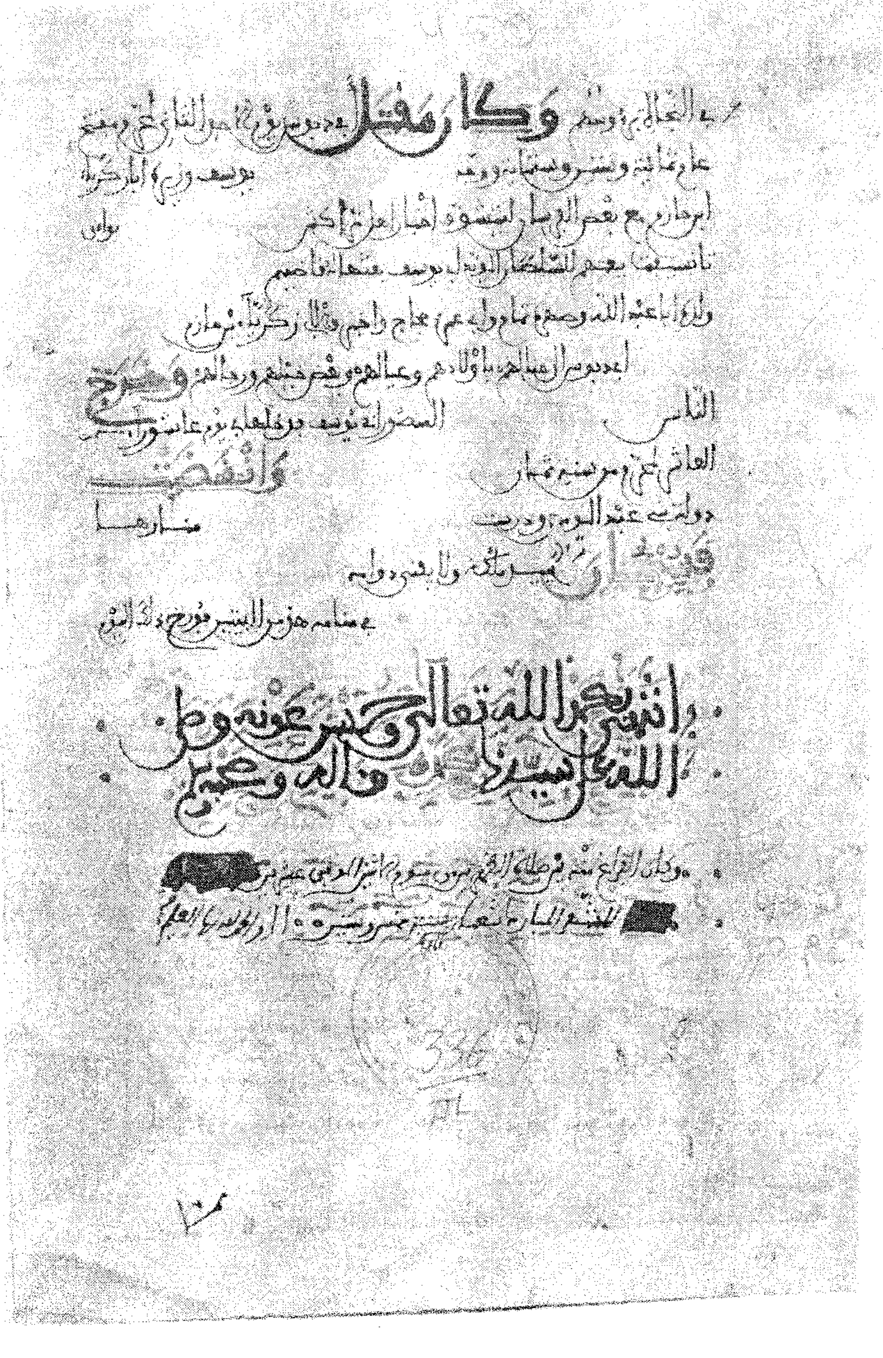
آخر المجلد المحفوظ في الخزانة الملكية بالرباط برقم (٣٣٤) وهو آخر القسم الثالث من الكتاب

راموز أول المجلد المحفوظ في الخزانة الملكية بالرباط برقم (٣٣٤)

راموز الورقة الأولى من نسخة الخزانة العامة بالرباط رقم (٣٣٣)

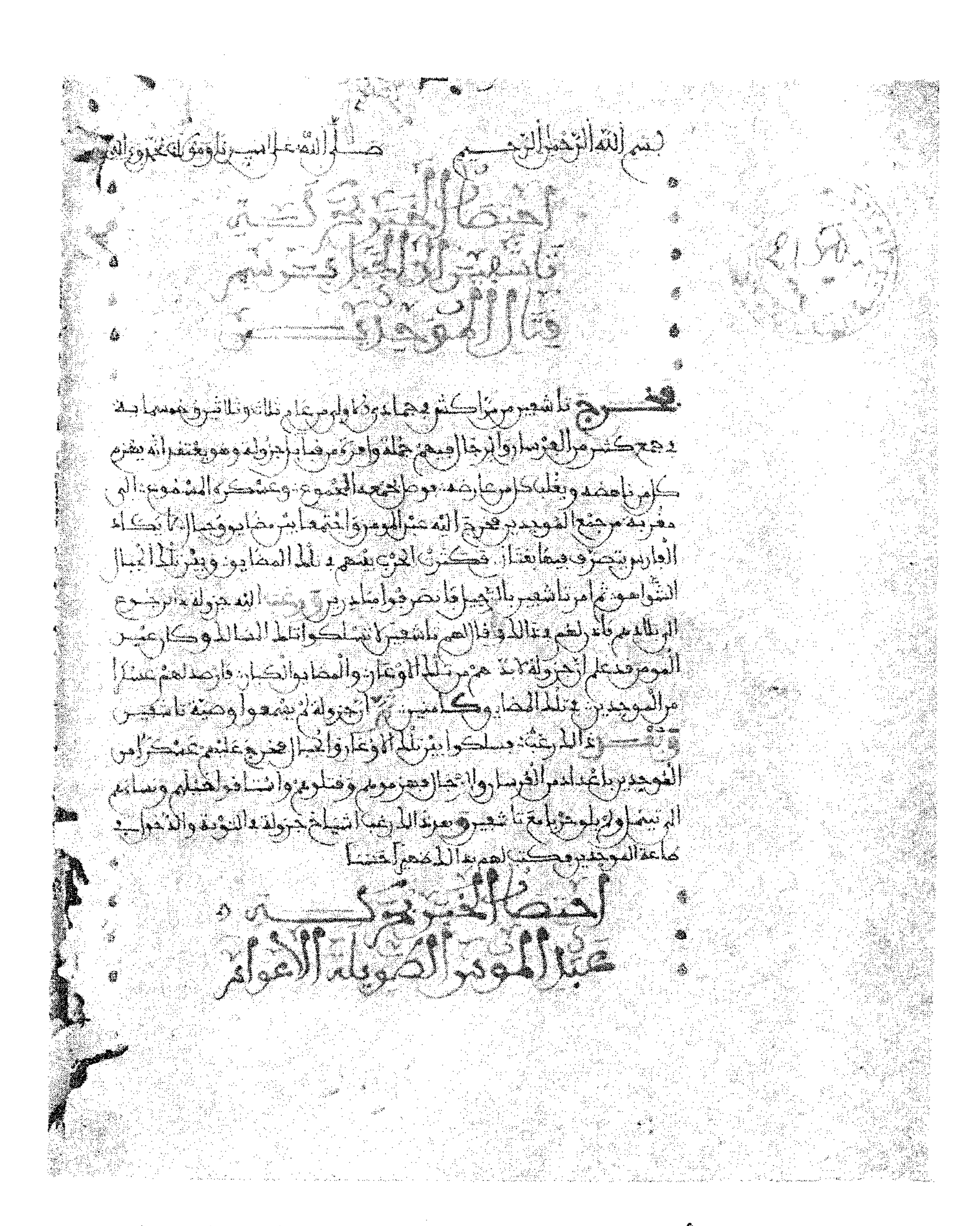


راموز الورقة الأولى من نسخة الخزانة الملكية بالرباط رقم (٣٣٦)


وانتهى بحمد الله تعالى وحسن عونه وصلى
الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

آخر نسخة الخزانة الملكية بالرباط رقم (٣٣٦)

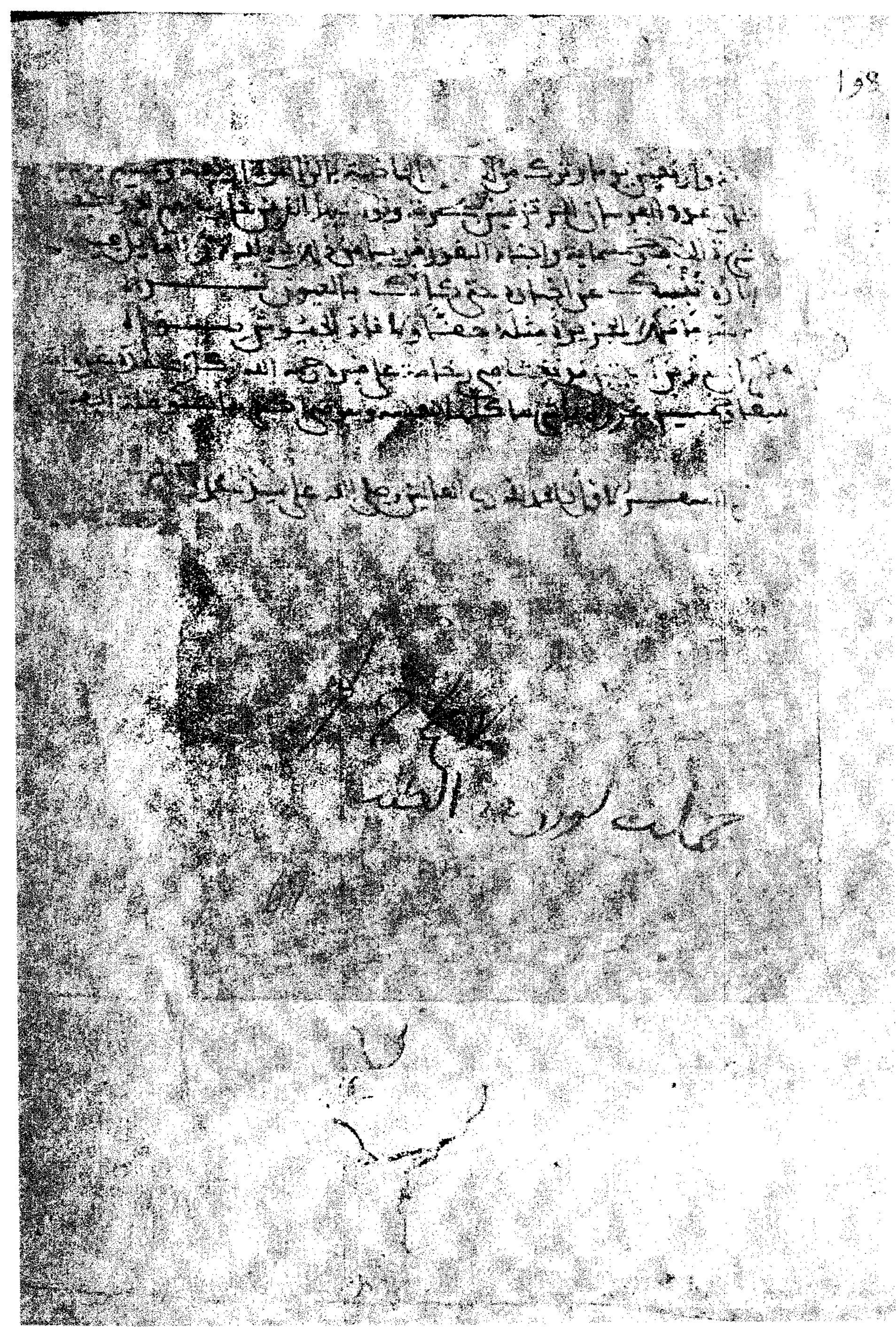
الورقة الأولى من مجلد الخزانة الملكية بالرباط رقم (٧٧٧)



راموز الورقة الأولى من المجلد المحفوظ بالخزانة الملكية بالرباط برقم (٢١٥٠)

آخر المجلد المحفوظ بالخزانة الملكية بالرباط رقم (٢١٥٠)

راموز الورقة الأولى من نسخة الخزانة الملكية بالرباط رقم (١٠٣٠١)



راموز الورقة الأخيرة من نسخة الخزانة الملكية بالرباط رقم (١٠٣٠١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وصلّى الله على سيّدنا محمّد وآله وصحبه[1]

الحمدُ لله مُصَرِّفُ الأقدار، ومُحْيي الآثار، الـمُتَعالِـي[2] عن الأشباه والأنظار، الـمُتَنَزِّهُ عن تمثيل الأوهام وتكييف الأفكار[3]؛ الذي احتجبَ بحجاب عِزَّته وقُدْرته، فلا تُدْرِكه الأبْصار، وهو يُدْرِكُ الأبْصار؛ الذي خَضَعت لهيبته وعَظَمته رقابُ الأكاسِرة والـجَبابِرة والأشرار؛ العالمُ بالكَوْنَيْن على اخْتِلافها، والحوادِث مع تشتيت أوْصافها، وكلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدار؛ مُكَوِّرُ الليل على النهار، والنهار على الليلِ ما جَرَى الفَلَكُ الدَّوَّار، وجعلهما آيتَين بيّنتَيْن للتفكُّر في العَظَمة[4] والاعتبار؛ وخَصَّ الإنسان بفَضْل النَّظر والاستبصار، فقال، جلَّ وتعالى: ﴿فَٱعْتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ﴾ [الحشر: ٢]؛ وعلَّمه ما لم يكن يَعْلم، وكرَّر عليه ما لم يَلْحقْ من أنباء القُرون الماضية في الأزمان والأعصار؛ وأراه مُتَقَلَّبَهم في هذه الدنيا الفانية التي جعلها لهم دارَ انتقال، ومَفَرٍّ من زوال[5]، وجعل الأيّام بينهم دُوَلًا، والأقوامَ بعضَهم من بعضٍ بَدَلًا، ذلك تقديرُ العزيز القهّار! نحمدُه على ما أنعم به علينا من الهداية للنظر في مَواقِع الأدِلَّة بأنّه هو اللهُ الـمَلِك الغفَّار! ونشهد أن لا إلهَ إلّا الله وَحْدَه لا شريك له، وأنّ مُـحَمّدًا عبدُه ورسولُه الـمُصْطَفى المختار، الذي اختارَهُ لرسالته وختمَ به الرُّسُلَ الكِرام الأبْرار، صلَّى الله عليه وعلى آله الطيِّبين وصَحْبه الأكْرَمين الأخيار، وسلَّم كثيرًا، وبعد:

جَعَلَنا اللهُ مـمّن نظر فاعْتَـبَر، ووُعِظَ فازْدَجر، فإنّ خَيْرَ ما شُغِلَتْ به الأذكار والأفكار، وتحدَّثَتْ معه بالليل والنهار، حِفْظُ ما أفادَ من العلوم والأخبار، وإنّ أولى

---

(١) بعد هذا في ر١: «قال الشيخ الأجل الأثير الأكمل الراوية المطلع الحسيب الأفضل أبو العباس أحمد بن محمد بن عذاري رحمه الله»، وهي من قول الناسخ بلا ريب.

(٢) في م: «والمتعالي».

(٣) في م: «الأذكار»، ولا معنى لها.

(٤) في م: «العظة»، وما هنا من النسخ.

(٥) في م: «وزوال».

ما رَيَّضْنا به النفوسَ البَشَرِيّة مُـجالسةُ العُلَماء والأخيار، ومُذاكَرةُ الأُدَباء ذَوِي الـهِمَم وعُلُوِّ الـمِقْدار، ففي مُـجالَستِهم ومُذاكَرتِهم ما يَسْحضرُ الذهْنَ وينوِّرُ الأفكار؛ فإن فُقِدَتْ مجالستُهم، فلا عِوَضَ منها غيرُ كتاب يتَّخذه جليسَه، ويَـجِدُه في كل وقت أنيسَه، ويتَنَسَّمه رَوْضًا يانِع الأزهار، وإذا نظر اللبيبُ بفطنته إلى أصْناف العِباد، ومُـخْتَلِف الآباد، أغْنَاهُ ذلك عن المشاهَدة، وقام له الاستماعُ مقَامَ المعايَنة والاسْتِخبار.

قال المؤلف: ولـمّا كُنْتُ كَلِفْتُ بأخبار الـخُلَفاء والأئمَّة والأمراء بالبلاد الـمَشْرِقيَّة والـمَغْرِبيَّة وما والاهما من الأقطار، ووَلعتُ بالـمُناظرة في ذلك مع الفُضَلاء والأخِلاء ذَوِي الأقدار والأخطار، طَلَبَ بَعْضُهم إليَّ، مـمّن يجب إكرامُه عليَّ، أن أجْمَع له كتابًا مُفْرَدًا في أخبار ملوك البلاد الغربيَّة على سبيل الإيجاز والاختصار، ولازَمَني في طلبه مِرارًا؛ فلم يُمْكِنّي التوقُّفُ في ذلك ولا الاعتذار، وحـمَلَني على جَمْعه وتأْليفه حَـمْلَ اضطرار لا اختيار، فجَمَعْتُ له في هذا الكتاب نُبَذًا ولُـمَعًا من عيون التواريخ والأخبار، مـمّا أجرى اللهُ به تصاريفَ الأقدار، فيما مرَّ من الأزْمِنة والأعصار، في بلاد الـمَغْرِب وما والاها من الأقطار: جَـمَعْتُ ذلك من الكُتُب الجليلة مُقْتَضَبًا من غير إسهاب ولا إكثار، فاقتطفْتُ عيونَها، واقتضبْتُ فنونَها، ووَصَلْتُ الحديثَ بالقديم، والقديمَ بالحديث؛ لأنّه إذا اتَّصل، يُسْتَطْرَفُ ويُسْتَحْلَى، كما قال بَعْضُهم(١) [من مجزوء الكامل]:

وسَـئِمْتُ كـلَّ مـآرِبي	فكـأنَّ أطْيَبَهـا خَبِيـثُ
إلّا الحـــديثَ فإنَّـــهُ	عند اسمه أبدًا حَـدِيثُ

فنقَلْتُ ـ واللهُ وليُّ التوفيق ـ من تأريخ: الطَّبَرِيّ، والبَكْرِيّ، والرَّقيق، والقُضاعيّ، ومن كتاب «الذَّيْل» لابن شَرَف، ومن كتاب ابن أبي الصَّلْت، ومن «المجموع الـمُفْتَرَق» ومن كتاب «بَهْجة النَّفْس ورَوْضة الأُنْس»، ومن كتاب «الـمِقْباس»، و«الـمُقْتَبَس»، و«القَبَس»، ومن مُـخْتَصَرَيْ عَرِيب وابن حَبِيب، ومن «دُرَر القلائد وغُرَر الفوائد»، ومن «القلائد» و«الـمَطْمَح» لابن خاقان، ومن كتاب ابن حَزْم، و«ذخيرة» ابن بَسَّام،

(١) هو ابن الرومي، كما في ديوانه ٩٣٤، والإمتاع والمؤانسة ٣٤، والبصائر والذخائر ١٩٨ وغيرها.

ومن «أخبار الدولة العامِريَّة» لابن حَيَّان، ومن كتاب «تَقَصِّي الأنْباء في سياسة الرؤساء»، ومن كتاب «الأنوار الـجَلِيَّة في الدولة الـمُرابِطيَّة»، ومن «نَظْم الـجُمان في أخبار الزمان» لابن القَطَّان، ومن كتابَي الأشيري والبَيْذَق، وكتاب يوسف الكاتب، وكتاب ابن صاحِب الصَّلاة أبي مروان، ومن كتاب ابن رَشِيق، ومن كتابٍ وجَدتُه أو تعليق، ومن شيوخ أخذتُ الأخبار الوقتيَّة عنهم بتحقيق، واللهُ الهادي إلى سواء الطريق[1].

ولـمّا كمل ما قيَّدتُه وجرَّدتُه، جَزَّأتُهُ على ثلاثة أجزاء: كلُّ جُزْء منها كتابٌ قائمٌ بنفسه، ليكون لـمُطالِعه أوضحَ بيان، وأسهلَ مرام لدى العِيان. وسمَّيتُه بـ«**البَيَان الـمُغْرِب في اخْتِصار أخْبار مُلوك الأندلُس والـمَغْرِب**». أما الـجُزْءُ الأوَّل: فاختصرتُ فيه أخبار إفريقية من حِين الفَتْح الأوَّل، في خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفَّان رضي الله عنه، ثمَّ أخبار أمرائها من وُلاة الـخُلفاء الأمَويّين، ومن دخل الغَرْب منهم، ومَن قام بإفْريقية من الصُّفْريَّة والإباضيَّة[2]، ثمَّ قام فيها بالدولة العبَّاسيَّة، ومَن مَلَكَها من بني الأغْلَب؛ وأخبار بني عُبَيْد الشيعة؛ وأخبار زناتة الصُّنْهاجيّين[3] وغيرهم، وكلّ ما اشتُهر من أمرهم، إلى حين انتقال العُبَيْدِيَّة إلى البلاد المصريَّة، واستخلافهم صُنْهاجة على إفريقية؛ ثمَّ خَلْع صُنْهاجة لهم، واستيلائهم على إفريقية. ونذكر فتنة العرب وأسبابها، ودخولهم إلى القَيْرَوان وخَرَابها، وتنقُّل أمراء صُنْهاجة إلى الـمَهْديَّة، ومَن مَلَكها منهم، وما اشتُهِر في ذلك من الأخبار عنهم من ملوك الـمَنادِيّين، والـحَمَّـاديّين، إلى حيـن ظهور الـمُوَحِّدين. ولَـخَّصْتُ في ذلك كلّه أخبـار أمـراء البلاد الغربيَّة، ومن دخلها، من أخبار الدولة العُبَيْدِيَّة؛ وذكرتُ أخبار الـمِدْراريّين السِّجِلْماسيِّين، والأمراء الإدريسيّين، وأخبار البَرْغَواطيّين، والزَّناتيّين، ومن ملكَ فاسًا من زناتة الـمَغْراويّين، ومن وُلاةِ الـخُلَفاء الأمَويّين الأنْدَلُسيّين، على أنّ أخبار المغرب الأقصى أكْثَـرُ مـن أن تُـحْصَى؛ لكنّي نَسَقْتُهـا نَسْقَ الأسلاك، وسُقْتُ من كان فيـه

---

(١) فَصّل الأستاذ الدكتور عبد الواحد ذنون طه موارد ابن عذاري في البيان فراجعه تجد فائدة.

(٢) الصُّفْرية والإباضية ـ نسبة إلى عبد الله بن إباض التميمي ـ فرقتان من فرق الخوارج.

(٣) قيدها ناشر (م) بفتح الصاد، والمحفوظ أنها بالضم والكسر، والضم أكثر.

على الـوَلاء من الأملاك، من حيـن فتحِهِ الأوَّل إلى حيـن ابتداء الدولة اللَّمْتُونيَّـة الـمُرابِطيَّة.

والجزء الثاني: اختصرتُ فيه أخبار جزيرة الأَنْدَلُس، وأملاكها الغابرين الدَّرْس، من حين الفتح الأوَّل؛ ثمَّ من وليَها من الأمراء للخُلَفاء الأمَويّين بالـمَشْرق؛ ثمَّ من قامَ بها من العَرَب الفِهْريين إلى حين دخول الخلفاء الأمَويّين في ابتداء أمرهم؛ ومن قامَ عليهم من الثوَّار الأَنْدَلُسيّين. وذكرتُ بعض أخبارهم وآثارهم في غَزواتهم وحَرَكاتهم، إلى انقضاء مدَّتهم بعد ذِكْر حُجَّابهم العامريّين ومآثرهم إلى حين انقضاء الدولة العامِريَّة، وقيام الفتنة البَرْبَريَّة. وذكرتُ فيه أخبار ملوك الطَّوائف، بعد انقضاء دُوَل الخلائف، من الـحَمُّوديّين، والـهُوديّين، والـجَهْوَريّين، والعَبَّاديّين، وفِتيان العامِريّين، والصُّمادِحيّين، والزَّناتيّين، والبَكْريّين، والأفْطَسيّين، والصُّنْهاجيّين، وغيرهم من الرؤساء الأندلسيّين؛ وكل ذلك إلى حين دخول لَـمْتُونة إلى الأَنْدَلُس سنة ثمانٍ وسبعين وأربع مئة.

والجزء الثالث: اختصرتُ فيه أخبار الدولة الـمُرابِطيَّة اللَّمْتُونيَّة، وخروجهم من صَحْرائهم في ابتداء أمرهم، واستيلائهم على مملكة أمَراء المغرب والأَنْدَلُس، وخلْعِهم لجميعهم، وتَغَلُّبهم على مملكة كلٍّ منهم، وما تسنَّى لهم فيها من الفُتوحات والـمُنوحات، إلى حين ابتداء دولة الـمُوَحِّدين وظهورهم، ونُـبَذٍ من أحوالهم وأمورهم، ثمَّ ما كان بين أمراء الدولتَيْن من مُقاتَلات ومُنازَلات، وحَصْرِ من حُصِر ونَصْرِ من نُصِر ـ سمح الله لهم ـ وذلك إلى حين انقراض الدولة الـمُرابِطيَّة، وابتداء الدَّولة الموحِّديَّة. ثمَّ ما تخلَّل بعد ذلك للموحِّدين من النصر والتأييد، ومن فُتوح ومُنوح، وصُنْعٍ عَجيب في البلاد الإفريقيَّة والأَنْدَلُسيَّة، إلى حين انقراض دولتهم، وذلك بسبب أحداثٍ حدثَتْ عليهم، وأحوال نُسِبَتْ إليهم؛ وذكرتُ الدولة الـحَفْصيَّة الـمُوَحِّديَّة الـهِنْتاتيَّة، في البلاد الإفريقيَّة، والدولة الـهُوديَّة الـمُتَوَكِّليَّة والنَّصْريَّة الأحْـمَريَّة في البلاد الأندلسيَّة، والدولة السعيدة الـمَرِينيَّة في البلاد[1] الغَرْبيَّة؛ اختصرتُ من ذلك كلِّه ما اشتهر أمرُه، وأمكَنَني ذكرُه. وذكرتُ بعض البَيْعات والرسائل السُّلْطانيَّات،

---

(١) سقطت من ر١.

وما تعلَّق بها، وكان بسببها من الوقائع المذكورات، والأمور المشهورات؛ وذلك إلى انقضاء الدولة الـمُوَحّديَّة، واستيلاء الإمارة اليوسُفيَّة الـمَرِينيَّة على حَضْرَتهم الـمَرَّاكُشيَّة؛ وذلك على مرور السِّنين إلى عام سبعة وستين وست مئة.

قال المؤلِّف ـ سمح الله له ـ: فإن كنتُ اقتصرتُ، فيما اختصرتُ، فعُذْرًا فيما ظهر من تَقصير، وباع قصير، فإنَّ الذِّهْنَ كليل، والقَلْبَ شَغِيل. وكنتُ قد قدَّمتُ نُسخةً من هذا الكتاب، ورُبَّما زِدتُ في هذه الثانية أو نقصت، إذ كان الأَوْلَى بي والأَحْرى، ألّا أقَدِّمَ الأولى ولا أوَخِّر الأخْرى؛ ولكنِّي لا أمْلِكُ لنفسي نفعًا ولا ضَرًّا؛ وحَسْبي الاعتراف، فهو سبيل الإنصاف، نسأل الله الإرشاد إلى سواء السبيل، فهو حَسْبي ونِعْمَ الوكيل.

ذكر حَدِّ الـمَغْرِب وإفريقية وما اتَّصل بهما وعُدَّ مَعَهُما

قال أبو مَرْوان في كتاب «الـمِقْباس»، وابن حَـمَادُه في كتاب «القَبَس» وغيرهما، من المؤرّخين لأخباره، الـمُعْتنين بآثاره: إن حَدَّ الـمَغْرب[1] هو من ضفَّة النيل بالإسْكَنْدريَّة، التي تَلِي بلاد المغرب، إلى آخر بلاد الـمَغْرِب؛ وحَدُّه مدينةُ سَلا[2]. ويَنْقَسِم أقسامًا: فقِسْمٌ من الإسْكَنْدَرِيَّة إلى أطْرابُلُس؛ وهو أكْبَرُها، وأقلُّها عمارةً؛ وقِسْمٌ من أطْرابُلُس وهي بلاد الـجَريد، ويُقال أيضًا: بلاد الزاب الأعلى[3]؛ ويلي هذه البلاد بلادُ الزاب الأسفل؛ وحَدُّها إلى مدينة تِيهَرْت[4]، ويَليها بلادُ المغرب؛ وهي بلاد طَنْجة؛ وحَدُّها مدينةُ سَلا، وهي آخر المغرب. وإذا جُزْتَ سَلا، وأخَذتَ إلى ناحية الجنوب، تَرَكْتَ مَغْرِبَ الشمس يَمْنةً، وأخَذتَ منها قافلًا إلى القِبْلة، فتُسَمَّى تلك البلاد بلادَ تامَسْنا[5]. ويُقال لها أيضًا: بلاد السُّوس الأدْنَى، وحَدُّها إلى جبل دَرَن[6]. وإذا جُزْتَ هذا الجبل، فعَنْ يمينك بلاد السُّوس الأقْصَى، ويُقال لها: بلاد ماسَّة؛ ويتَّصل السوس الأقصى ببلاد الصحراء إلى السودان، وهي بلاد الزَّنْج[7]. وبلاد الأنْدَلُس أيضًا من المغرب، وداخِلةٌ فيه، لاتِّصالها به. ويَلِيها المجاز الأعظم، الذي يسمَّى بحر الزُّقاق؛ وفيه مَصَبُّ البحر الكبير، الذي يُسمَّى الـمُحِيط؛ ويُقال له: بحر الظُّلُمات[8]. وهذا البحر لا يُعْلَم له ساحِلٌ غير الذي عليه بلاد السُّودان وبلاد الـمَجُوس، الذين يَلون بلاد الأنْدَلُس. ويَصُبُّ ماء الزُّقاق في البحر الروميّ؛

---

(١) ينظر عن المغرب وحدوده في نظر ياقوت وما نقله عن بعض الجغرافيين (معجم البلدان ٥/ ١٦١).

(٢) بلفظ الفعل الماضي، مدينة عامرة إلى اليوم (معجم البلدان ٣/ ٢٣١).

(٣) ينظر الروض المعطار ٢٨١-٢٨٢.

(٤) ويقال فيها: تاهرت (معجم البلدان ٢/ ٧).

(٥) ينظر الروض المعطار ١٢٩، وتاريخ ابن خلدون ٦/ ١٦٢.

(٦) بفتح الدال والراء (معجم البلدان ٢/ ٤٥٣).

(٧) في م: «الزنج» بكسر الزاي، خطأ.

(٨) هو المعروف بالمحيط الأطلسي.

ويُقال له أيضًا: البحر الشاميّ[1]؛ وهو يتّصِلُ إلى بلاد الشام وينعطف[2] إلى ناحية القُسْطَنْطِينة. وبينه وبين بحر الزُّقاق الخليجُ الذي منه. وذكر ابن حَمَّادُه أن حدَّ المغرب من بحر القُلزُم[3] وهو الـهابط[4] من اليَمَن إلى عَدَن إلى عَيْـذاب[5] إلى القُلـزُم ويأتي من مِصْرَ قبلة وشرقًا. وحدُّ الـمغرب من الـجَوْف: البحرُ الشاميّ، وهو بحر الإسْكَنْـدَرِيَّة، وهو الـمُتَفرِّغ في بحر الزُّقاق من جزيرة طَرِيف[6]؛ وعلامتُه صَنَمُ قادِس. وحدُّ المغرب من الغرب: البحر الـمُحِيط المسمَّى الأبْلايُه. وصار المغرب كالجزيرة؛ دخل فيه بعضُ أعمال مِصْرَ، وإفريقيةُ كلُّها، والزابُ، والقَيْرَوانُ، والسُّوس الأدْنَى، والسُّوس الأقْصَى، وبلاد الـحَبَشة، ومنه يتفرَّغ نيلُ مِصْرَ.

ذكر فَضل الـمَغرِب وما ورد [فيه][7] من الأخبار والآثار

رُوِيَ عن رسول الله ﷺ أنَّه قال: «لا تزال طائفةٌ من أمَّتي بالمغرب ظاهرينَ على الحقّ حتَّى تقوم الساعة»[8]، ومن ذلك ما أخرجه مُسْلِم في «صَحيحه»[9] عن سَعْد بن أبي وَقَّاص، أن رسول الله ﷺ قال: «لا يزال أهل المغرب[10] ظاهرين على الحقّ حتَّى تقوم الساعة»، وذكر البُخاريُّ، عن النبي ﷺ قال: «ستكونُ فتنةٌ، خَيْرُ

(١) هو البحر المتوسط.

(٢) سقطت من م.

(٣) كتبت في م: «القلزوم»، وهو البحر الأحمر.

(٤) في ر١: «الضابط»، ولا معنى لها.

(٥) معجم البلدان ٤/ ١٧١.

(٦) الروض المعطار ٣٩٢.

(٧) ما بين الحاصرتين زيادة متعينة للتوضيح.

(٨) هذا حديث عام من المؤلف، وسيأتي تفصيله فيما يأتي عنده من أحاديث.

(٩) صحيح مسلم (١٩٢٥).

(١٠) هكذا في النسخ، وفي صحيح مسلم: «الغرب»، وهو الصواب، وفي تفسيره اختلاف كما بينه الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم.

الناس فيها الـجُنْد الغَرْبيُّ»[1]. وعن أَنَس بن مالِك، قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «لا تزال عِصابةٌ من أمَّتي بالمغرب، يقاتلون على الحقّ، لا يَضُرّهم من خالَفَهم، حتَّى يرون[2] قيامًا فيقولون: غشِيتُم! فيغشون سَرْعانَ خيلِهم؛ فيرجعون إليهم، فيقولون: الجبال سُيِّرت! فيخِرُّون سُجَّدًا فتُقْبَضُ أرواحُهم»[3]. ورُوِيَ أن رسول الله ﷺ كان يقول: «خَيْرُ الأرض مَغَارِبُها؛ وأعوذُ بالله من فتنة الغَرب»[4]، وذكر خالِد بن سعيد أن محمَّد بن عُمَر بن لُبابة كان يَرْوِي عن عُبَيْد الله بن خالد، عمَّن حدَّثه عن أبي زيد الـمِصْريّ، يرفع الـحديث عن ابن عبَّاس رضي الله عنه، عن أبي أيُّوب الأنصاريّ، قال: بينما رسول الله ﷺ واقفٌ، إذ تَوَّجَه تِلْقاء المغرب؛ فسلَّم، وأشار بيده؛ فقلتُ: على من تسلِّم؟ يا رسول الله! قال: «على رجال من أمَّتي يكونون في هذا المغرب، بجزيرة يُقال لها: الأنْدَلُس؛ حَيُّهُم مُرابط، ومَيِّتُهُم شهيد! وهم مـمّن استثنى اللهُ تعالى في كتابه: ﴿فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾» [الزمر: ٦٨][5]، وصحّ وَعْدُ رسول الله ﷺ أن الإسلام سيَبْلُغ مشارِقَ الأرض ومغَارِبَها، فكان الأمر كما وعد.

وقال الـحُمَيْديُّ[6] في قول رسول الله ﷺ «لا يزالُ أهل الغَرْب ظاهرين على

---

(١) هذا خطأ فاضح فإن البخاري لم يخرج هذا الحديث، وأخرجه البزار ٦/ ٢٨٧ (٢٣١١)، والطبراني كما في مجمع الزوائد ٥/ ٢٨١، والحاكم في المستدرك ٤/ ٤٩٥، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٥/ ٤٩٢ من حديث عميرة بن عبد الله المعافري، عن أبيه، عن عمرو بن الحمق، وعميرة هذا مجهول، ولذلك ذكره الذهبي في الميزان ٣/ ٢٩٤ وقال: «لا يدرى من هو» وساق حديثه هذا. وأخرجه نعيم بن حماد في الفتن ١/ ٥٤ (٨٥) من طريق يزيد بن أبي حبيب بلاغًا، فهذا حديث لا يصح.

(٢) هكذا في النسخ، وهي صحيحة لأن «حتى» هنا غير عاملة لا تفيد الحال والاستقبال.

(٣) لا أصل له من حديث أنس ولا من حديث غيره!

(٤) لا أصل له في حديث النبي ﷺ.

(٥) هذا حديث ظاهر الوضع لا أصل له في حديث النبي ﷺ.

(٦) جذوة المقتبس، ص٢٦.

الحقّ حتّى تقوم الساعة»: هذا، وإن كان عامًّا فلِلأنْدَلُس منه حظٌّ وافرٌ بدخولها في الإسلام، وتحقُّقِها من المغرب[١]، وأنّها عن[٢] آخر المعمور فيه، وبعضُ ساحلها الغَرْبيّ والبحر مُحيطٌ بجميع جهاتها؛ فصارت بين البحر والرُّوم[٣].

وروى الرَّقيق عن عبد الله بن وَهْب، يرفع الحديث إلى النبيّ، أنّه بعث سَرِيَّةً في سبيل الله؛ فلمّا رجعوا، ذكروا شدَّة البَرْد الذي أصابهم؛ فقال رسول الله ﷺ: «لكنْ إفريقيةُ أشدُّ بَرْدًا وأعْظَمُ أجْرًا»[٤]، وعن سُفْيان بن عُيَيْنة، أن النبيَّ ﷺ قال: «الشرُّ عشرة أجزاء؛ فتِسعةٌ في المشرق، وواحدٌ في سائر البلدان»[٥].

ويُقال: إن بإفريقية ساحِلًا يُقال له: الـمُنَسْتِير[٦]؛ وهو بابٌ من أبواب الجنَّة، وبها جبلٌ يُقال له: الـمَمْطُور: بابٌ من أبواب جَهَنَّمَ[٧]. وفي الحديث أن إفريقية يُـحْشَر منها سبعون ألف شهيد، وجوهُهم كالقَمَر ليلة البَدْر[٨]. وعن سُفْيان بن عُيَيْنة، قال: يُروى أن بالمغرب بابًا للتَّوْبة، مفتوحًا مسيرةَ أربعين خريفًا، لا يغلقه الله حتّى تطلع منه الشمس[٩].

ودخل إفريقية من أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين الأوّلين[١٠] ناسٌ كثيرٌ. ودخل الأنْدَلُسَ من التابعين قومٌ. فأوّلُ من دخل إفريقية غازيًا، في زمن عُمَر

---

(١) في الجذوة: «الغرب».

(٢) في الجذوة: «من».

(٣) في الجذوة: «وبعض ساحلها الغربي على البحر المحيط، وليس بعده مسلك».

(٤) لا أصل له في حديث النبي ﷺ.

(٥) لا يُعرف مثل هذا من حديث سفيان بن عيينة، ولا من حديث النبي ﷺ، وفي تاريخ ابن عساكر من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: «الشر عشرة أعشار واحد بالشام وتسعة في سائر البلدان» أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ١/ ١٥٤ بإسناد ضعيف.

(٦) معجم البلدان ٥/ ٢٠٩ وهي قائمة إلى يوم الناس هذا بتونس.

(٧) هذا كذب لا يصح.

(٨) وهذا لا أصل له في حديث النبي ﷺ.

(٩) كذلك.

(١٠) قوله: «من المهاجرين الأولين» ليس في ر١.

ابن الخطَّاب رضي الله عنه عَمْرو بن العاص؛ وكان استفتح مِصْر في سنة عشرين من الهجرة، ووجَّه منها عُقْبَةَ[1] بن نافِع الفِهْريَّ إلى لُوبية[2] وإفريقية؛ فافتتحهما. ثمّ توجَّه عَمْرو بنفسه إلى بَرْقة؛ فصالح أهلها على الجزية: دينارٌ على كلّ حالم. وتوجَّه منها إلى أطْرابُلُس؛ فافتتحها بعد استغاثة أهلها بقبيلٍ من البربر يقال لهم نُفُوسة، إذ كانوا دخلوا معهم في دين النصرانيَّة.

(١) تاريخ الإسلام ٢/ ٦٨٢.

(٢) ومنها اشتق اسم ليبيا (وينظر معجم البلدان ٥/ ٢٥).

ابتداءُ التأريخ سنةَ إحدى وعشرين من الهجرة

فيها افتتح عَمْرو بن العاص مدينة الإسكندريَّة.

وفي سنة اثنتين وعشرين بعدها: افتتح بلاد أطْرابُلُس، وكتب إلى أمير المؤمنين عُمَر بن الخطّاب رضي الله عنه يُخبِره بما أفاء الله عليه من النَّصْر والفَتْح، وأن ليسَ أمامه إلّا بلاد إفريقية، وملوكُها كثيرٌ، وأهلُها في عدد عظيم؛ وأكْثَرُ رُكوبهم الخَيْل. فأمره بالانصراف عنها؛ فأمر عَمْرو العسكر بالرحيل قافلًا إلى مصْرَ. ثمَّ استُشْهِدَ عُمْر رضي الله عنه؛ فلمّا ولي عُثمان الخِلافةَ، عَزَل عَمْرو بن العاص عن مِصْرَ، وولّاها عبدَ الله[1] بن سَعْد بن أبي سَرْح سنة خمس وعشرين من الهجرة.

وفي سنة سَبْع وعشرين من الهجرة: أمر أمير المؤمنين عُثمان عبدَ الله بن سَعْد بن أبي سَرْح العامريَّ بغزو إفريقية.

فتحُ إفريقية للإسلام

ندب عثمان رضي الله عنه الناسَ إلى غَزْوها؛ فخرجَ المسلمون في جيش عظيم، فيهم مروان بن الحَكَم، وجَمْعٌ كبير من بني أمية، وبَشَرٌ كثير من بني أسد بن عبد العُزَّى، وعبد الله بن الزُّبَيْر بن العوَّام في عدَّة من قومه، وعبد الرحمن بن الأسود[2] وعبد الرحمن ابن أبي بكر رضي الله وعبد الله بن عمرو[3] بن العاص، والمُطَّلِب بن السائب، وبُسْر[4] بن أرطاة، وغيرُ هؤلاء من المهاجرين. وأعان عثمانُ المسلمينَ في هذه الغَزْوة بألف بَعيرٍ، يُحمل عليها ضُعفاء الناس؛ وفتحَ بيوت السلاح التي كانت للمسلمين. فلمّا توافى الناسُ، جدُّوا السير، وذلك في المحرَّم من هذه السنة، وأمرَ الناس فعسكروا، وقام فيها خطيبًا، فوعظهم، وذَكَّرهم وحَرَّضهم على الجهاد؛ ثم قال: وقد عهدتُ

---

(١) ترجمته في تاريخ الإسلام ٢/ ٢٩٧.

(٢) سقط هذا الاسم جملة من م، وهو عبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث بن وهب أبو محمد القرشي الزهري، وترجمته في تهذيب الكمال ١٦/ ٥٢٥، وتاريخ الإسلام ٢/ ٦٧١.

(٣) في م: «عمر» وهو تحريف ظاهر.

(٤) في م: «بشر»، وهو تصحيف ظاهر، ويقال فيه: ابن أبي أرطاة، وينظر تاريخ الإسلام ٢/ ٧٩٣.

إلى عبد الله بن سَعْد أن يُحسِن صحبتكم، ويرفق بكم؛ وقد استعملتُ عليكم الحارث بن الحَكَم، إلى أن تَقْدَموا على ابن أبي سَرْح، فيكون الأمر له.

بعضُ أخبار عبد الله بن سَعْد وإمْرته[1]

نسبُه[2]: هو عبد الله بن سَعْد بن أبي سرح العامريُّ. وكان[3] يكتب الوَحْيَ إلى رسول الله ﷺ ثم ارتدَّ عن الإسلام، ولحق بالمشركين بمكَّة. وكان معاوية بن أبي سُفيان بمكَّة قد أسْلَم، وحَسُن إسلامُه؛ فاتَّخذه رسولُ الله ﷺ كاتبًا للوحي، بعد ابن أبي سَرْح. فلمّا فتح النبيُّ ﷺ مكَّة، استجارَ ابن أبي سَرْح بعُثمان؛ فأخذَ له عُثمان الأمانَ من النبيّ ﷺ. وكان ابن أبي سرح أخًا لعثمان من الرَّضاعة؛ فحَسُن إسلامُه من ذلك الوقت. فلما أفضت الخِلافةُ إلى عثمان رضي الله عنه ولّاه مُلْكَ مِصْر وجُنْدَها. فكان يبعث الـمُسلمين في جرائد الـخَيْل، يُغيرونَ على أطراف إفريقية، فيُصيبون كثيرًا من الأنفس والأموال. فكتب إلى عثمان بذلك؛ فكان السبب في توجيه الـجَيْش إليه، وتقديمه عليه. وأمر له بالدخول لغزو إفريقية، فخرج عبد الله من مِصْر في عشرين ألفًا إلى إفريقية، وصاحِبُها بِطْرِيقٌ[4] يقال له: جِرْجِير؛ وكان سلطانُه من أطْرابُلُس إلى طَنْجة؛ فبعث عبد الله السرايا في آفاق إفريقية؛ فغنموا في كلّ وجه. والتقى عبد الله مع البِطْريق ضُحى النهار في[5] موضع يُعرف بسُبَيْطِلة[6]. وكان جِرْجير في مئة وعشرين ألفًا؛ فضاقَ الـمُسلمون في أمرهم واختلفوا على لين

---

(١) انظر: طبقات ابن سعد ٧/ ٤٩٦، ونسب قريش ٤٣٣، والاستيعاب لابن عبد البر ٢/ ٩١٨، والكامل لابن الأثير ٣/ ٨٨، وتاريخ الإسلام ٢/ ٢٩٧، وسير أعلام النبلاء ٣/ ٣٣-٣٥ وغيرها.

(٢) من هنا إلى قوله: «كان يكتب الوحي» ليس في ر١.

(٣) في ر١: «كان عبد الله يكتب... إلخ».

(٤) البطريق: القائد العسكري الكبير، وهو بكسر الباء، لا بفتحها كما هو مقيد في م.

(٥) سقط من ر١.

(٦) ينظر معجم البلدان ٣/ ١٨٧ وقيّدت في الأصل بضم الطاء المهملة، وما هنا هو تقييد ياقوت الحموي.

سَعْد في الرأي. فدخل فُسْطاطَه مُفَكِّرًا في الأمر، فلمّا رأى جِرْجير خَيْلَ العرب، اشتدَّ رُعبُه، وأهمَّتْه نفسُه، فأخرج دَيْدَبانَه، وصَعِد فيه يُشرف على العساكر ويرى القتال؛ وأمر ابنتَه؛ فصعدت الدَّيْدَبان[1]، وسَفَرت عن وَجْهِها. وكان عدَّةُ خَدَمها اللائي صَعِدْنَ الدَّيْدَبان أربعين جارية، في الـحِلَى والـحُلَل، من أجمل ما يكون. ثم قدَّم كَرَادِيسَه، كُرْدُوسًا كُرْدُوسًا، وهو تحت الدَّيْدَبان؛ ثم قال لهم: «أتعرفون هذه!» فقالوا: نعم! هذه سيّدتُنا، ابنةُ الملك، وهؤلاء خَدَمُها! فقال لهم: وحقِّ المسيح ودين النصرانيَّة! لَئِن قَـتَلَ رجلٌ منكم أميرَ العَرَب عبدَ الله بن سَعْد، لأزوجنَّهُ[2] ابنتي هذه، وأعطيتُهُ[3] ما معها من الجواري والنعمة، وأنزلتُهُ[4] المنزلة التي لا يطْمَعُ فيها أحدٌ عندي، وما زال ذلك من قوله، حتّى مرَّ على مَسامِع خَيْله ورَجْله؛ فحرَّضَ بذلك تحريضًا شديدًا.

وإن عبدَ الله بن سَعْد، لـمّا انتهى إليه ما فعل جِرْجير، وما كان من قوله، نادَى في عسكره؛ فاجتمعوا؛ فأخبرهم بالذي كان من جِرْجير؛ ثم قال: وحقِّ النبيِّ محمد ﷺ لا قَـتَلَ أحدٌ[5] منكم جِرَجيرًا إلّا نفَّلته ابنتَه ومن معها، ثم زحف بالمسلمين؛ فالتقى الـجَمْعان، واستحرّ القِتالُ، واشتعلت نارُ الحربِ، والمسلمون قليلٌ، والمشركون في عشرين ومئة ألف. فأشكل الأمر على ابن سَعْد، ودخل فُسْطاطَه مُفَكِّرًا في الأمر.

ذكرُ قَتْل عبد الله بن الزُّبَيْر رضي الله عنه لجرجير مَلِك إفريقية والمغرب كلِّه

قال عبد الله بن الزُّبَيْر: فرأيت عَوْرةً من جِرْجير، والناسُ على مصافِّهم؛ رأيتُه على بِرْذَوْن أشْهَب خَلْفَ أصحابِه، منقطعًا عنهم، معه جارِيتانِ له تُظِلانِهِ من الشَّمْس بريش

(١) في المعجم الوسيط: الديدبان: الحارس والرقيب والطليعة. قلنا: وهو تفسير قاصر، فالظاهر أن من معانيه: الشيءَ الذي يُعتلى به، وهو المرقب كما في كليات أبي البقاء، ص١٣٣٢.

(٢) في م: «لأزوجه».

(٣) في م: «وأعطيه».

(٤) في م: «وأنزله».

(٥) ليست في ر١.

الطواويس. فأتيتُ فُسطاطَ عبد الله بن سَعْد؛ فطلبتُ الإذن عليه. فقال لي حاجِبُه: دَعْه فإنّه يفكِّر في شأنكم، ولو اتّـجَهَ له رأيٌ لَدَعا بالناس، فقلتُ: أني محتاجٌ إلى مذكراته، فقال: إنّه أمَرَ في[1] أن أحبس الناس عنه، حتّى يدعوني. قال: فدُرْتُ حتّى كنتُ من وراء الفُسْطاط. فرأى وجهي، فأومأ إليَّ برأسِهِ[2] أن تَعالَ، فدخلتُ عليه وهو مُسْتَلْقٍ على فراشه، فقال: ما جاء بك يا ابن الزُّبَيْر؟ فقلتُ: رأيتُ عَوْرةً من عدوّنا، فرجوتُ أن تكون فُرْصةً هيَّأها الله لنا، وخشَيْتُ الفَوْتَ. فقام من فَوْره، وخرج حتّى رأى ما رأيتُ. فقال: أيّها الناس، انتدبوا مع ابن الزبير إلى عدوّكم. فتسرَّع إليَّ جماعةٌ اخترتُ منهم[3] ثلاثين فارسًا، ثم قلتُ[4]: «إنِّي حاملٌ فاصرفوا عن ظهري من أرادني، فأنّي سأكفيكم ما أمامي إن شاء الله. قال عبد الله: فحملتُ في الوجه الذي هو فيه؛ ودَبَّ عنّي الناسُ الذين انتدبوا معي واتَّبعوني، حتّى خرقتُ صُفُوفَهم إلى أرض خاليةٍ فضاء بيني وبينهم، فوالله ما حَسِبَ إلّا أنّي رسولٌ إليه حتّى رأى ما بي من أثَر السلاح؛ فقدَّر أنّي هاربٌ إليه. فلمّا أدركتُه، طعنتُه؛ فسقط: فرميتُ نفسي عليه، وألقَتْ جاريتاه عليه أنفُسَهما؛ فقطعتُ يد إحداهما، أجهزتُ عليه، ورفعتُ رأسَهُ على رُمحي، وحالَ أصحابُه، وحمَلَ الـمُسلمون في ناحيتي، وكَبَّروا؛ فانهزمَ الرُّوم، وقتلهُم المسلمون كيف شاءوا، وثارت الكمائن من كلّ جهة ومكان، وسَبقَتْ خيولُ المسلمين ورجالُـهم إلى حِصْن سُبَيْطِلة؛ فمنعوهم من دخوله، وركبهم الـمُسلمون يمينًا وشمالًا في السَّهْل والوَعْر؛ فقتلوا أنجادَهم وفُرسانَهم، وأكثروا فيهم الأساري، حتّى لقد كنتُ أرى في موضع واحد أكْثَرَ من ألف أسير.

وذكر أشياخٌ من أهل إفريقية أنّ ابنة جِرْجير، لـمّا قُتِل أبوها، تَنازَعَ الناسُ في قتله، وهي ناظرةٌ إليهم؛ فقالت: ما لي أرى العَرَبَ يَتَنازعون؟ فقيل لها: في قَتْل أبيك، فقالت: قد رأيتُ الذي أدرك أبي فقَتَلَهُ.

---

(١) في م: «فقال له: أمرني»، وهو تحريف.

(٢) سقطت من م.

(٣) في م: «منها».

(٤) في م: «فقلتُ».

فقال لها الأمير ابن أبي سَرْح: هل تَعْرِفينَهُ؟ فقالت: إذا رأيتُه عَرَفْتُه. قال: فمرَّ الناسُ بين يدَيْها، حتّى مرَّ عبد الله بن الزُّبير. فقالت: هذا، والمسيح قتل أبي. فقال له ابن أبي سَرْح: لِـمَ كَتَمْتَنا قَتْلَك إيّاه؟ فقال عبد الله: عَلِمَهُ الذي قَـتَلْتُه من أَجْلِه. فقال الأمير: إذًا والله أَنَفِّلك ابنته. فنفَّله ابن أبي سَرْح ابنةَ الـمَلِك جِرْجير، فيُقال: إنّه اتّـخَذَها أمَّ وَلَدٍ.

ولـمّا انهزمت جيوشُ جِرْجير، سارَ عبدُ الله بن أبي سَرْح حتّى نزلَ على[1] بابِ مدينته العُظْمَى: قَرْطاجَنَّة، فحصرها بمن[2] كان معه من المسلمين حصارًا شديدًا حتّى فتحها[3]، فأصاب فيها من السَّبْي والأموال ما لا يُحيط به الوَصْفُ. وكان أكثرُ أمواِلهم الذَّهَب والفضَّة، فكانت توضع بين يَدَيْه أكوامُ الذهب والفضَّة، لأنّه افترع إفريقية بِكْرًا، فعجب، هو والمسلمون، من كَثْرة ذلك، فقال للأفارِقة: من أين لكم هذا؟ فجعل الرجل منهم يَلْتَمس شيئًا من الأرض، حتّى جاء بنواةِ زيتون؛ فقال: من هذا أصبنا الأموال، لأنّ أهل البَحْر والـجُزُر ليس لهم زيتٌ؛ فكانوا يمتارونه من هنا، فكان سَهْمُ الفارس ثلاثة آلاف دينار عَيْنًا، وسَهْمُ الراجل ألف دينار. وقسم ابن أبي سَرْح السرايا والغارات من مدينة سُبَيْطِلة. فبلغت جيوشهُ بمِصْر[4] قَفْصة، فسبوا كثيرًا وغنموا. فأذلَّت هذه الوقعة الرُّومَ بإفريقية، ورُعِبوا رُعْبًا شديدًا. فلجأوا إلى الحصون والمعاقل. ثمّ طلبوا من عبد الله بن سَعْد أن يقبض منهم ثلاث مئة قنطار من الذهب في السنة، جِزْيةً على أن يكُفَّ عنهم، ويخرج من بلادهم، فقبل ذلك منهم، وقبض المال. وكان في شرط صلحهم أنّ ما أصابَ المسلمون قبل الصُّلْح فهو لهم، وما أصابوه بعد الصُّلْح ردُّوه عليهم.

ودعا الأمير عبدُ الله بن سَعْد عبدَ الله بن الزُّبَيْر؛ فقال له: ما أحدٌ أحقُّ بالبشارة منك فامْضِ، فبَشِّر أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه بالمدينة، بما أفاء اللهُ على المسلمين،

---

(١) سقطت من م.

(٢) في م: «من»، وهو تحريف.

(٣) في م: «فتحت».

(٤) في م: «بقصر»، وهو تحريف.

فتوجَّه عبد الله بن الزُّبَيْر من سُبَيْطِلة، فقيلَ: إنّه وافى المدينة في أربعة وعشرين يومًا، وكانت إقامتُه بإفريقية سنةً وشهرَيْن. ثمّ وصل فَيء إفريقية إلى المدينة؛ فبيع الـمَغْنَم. فطَفِقَ مروان بن الـحَكَم على الـخُمس، فأخَذَ منه خمسين ألف دينار؛ فسلَّم له من ذلك عثمان رضي الله عنه، فكان ذلك ممّا انتقد عليه.

وفيه، وفي رَدّ الـحَكَم أبيه بعد أن أنفاه رسولُ الله ﷺ يقول عبد الرحمن أخو كَنْدة [من المتقارب]:

سَأحْلِفُ بالله جَهْدَ اليَمِيـ ... ـنِ ما تَرَكَ اللهُ شَيْئًا سُدَى

ولكِنْ خُلِقْتَ لنا فِتْنَةً ... لِكَيْ نُبْتَلَى بِكَ أو تُبْتَلَى(١)

دَعَوْتَ اللعينَ فأدنَيْتَهُ ... خِلافًا لِسُنَّةِ مَنْ قد مَضَى

وأعطَيْتَ مَرْوانَ خُمْسَ العِبا ... دِ ظُلْمًا لَهُمْ وحَمَيْتَ الـحِمَى

وقال مَرْوان بن الـحَكَم يومًا، في مَجلسِ مُعاوِيَة: ثلاثٌ لم أدخُلْ فيهنَّ حرامًا قطُّ: دارِي بالمدينة، ومالي بِذِي خُشُب، وصَدَقاتُ نِسائي. فنظر مُعاوية إلى عبد الله بن الزُّبَيْر، وكان حاضرًا، فقال له: ما تقول؟ فإنَّك طَعَّانٌ ما علمتُ(٢)، فقال: مَهْلًا أبا عبد الـمَلِك! خرجنا مع ابن أبي سَرْح إلى غزو إفريقية، فوالله ما كان مروان أحْسَنَنا وَجْهًا، ولا أكْثَرَنا نَفَقةً، ولا أعْظَمَنا في العدوّ نكايةً، فطَفِقَ على خُـمُسِ إفريقية بِمَ تعلم، وتَـحابَى له من تَعْلم؛ فبنَى منه الدار، واتَّخذ منه المال، وتَزَوَّج منه النساء. فقال له مروان: أتطْعنُ على أمير المؤمنين عثمان؟ فقال له مُعاوية: دَعْهُ وخُذْ منّي غير هذا، فإنَّك صِحَّةُ ما أقول.

قال الطَّبَرِيُّ(٣): كان عثمان، رحمه الله، قال لعبد الله بن سَعْد: إن فتحَ اللهُ عليكَ إفريقيةَ، فلَكَ ممّا أفاء الله على المسلمين خُمُسُ الـخُمُسِ نَفْلًا. فلما فتح إفريقية في هذه

---

(١) في م: «وتبتلى»، وما أثبتناه من ر١ ولا يستقيم الوزن إلا به.

(٢) قوله: «ما علمتُ» سقط من م.

(٣) تاريخ الأمم والملوك ٤/ ٢٥٣ مع اختلاف في اللفظ.

السنة، وهي سنة سبع وعشرين، قَسَمَ عبدُ الله الفَيْء على المسلمين. فأبقى الـخُمُس لنفسه، وبعثَ بأربعة أخْماسه إلى عُثمان، وضربَ فُسطاطه في أرض القَيْرَوان؛ فوفد وَفْدٌ على عثمان، يشكون بابن أبي سَرْح فيما أخذَ من الـخُمُس؛ فقال لهم عثمان: أنا نفَّلْتُهُ إيَّاه، وذلك الآن إليكم؛ فإن رَضيتُمْ، فقد جاز، وإن غَضِبْتُم، فهو رَدٌّ. قالوا: فإنّا نَسْخَطُ. فكتب عثمان إلى ابن سَعْد بردِّ ذلك. قالوا: فاعزِلْه عنَّا، فإنّا لا نُريد أن يتأمَّرَ علينا، وقد وقع ما وقع. فكتب إليه أن استخلِفْ على إفريقية رجلًا ترضاه ويرضَوْنه، واقسِمْ خُمُسَ الـخُمُس الذي كنتُ نَفَّلْتُكَ في سبيل الأخماس، فإنّهم قد سَخِطوا النفل. ففعلَ ذلك عبدُ الله، ورجعَ إلى مِصْر وقد فتحَ الله إفريقية. فما زالوا من أسْمَعِ أهْلِ الأقاليم وأطْوَعِهم، إلى زمن هشام بن عبد الملك. ثمّ ورد الـخُمُس على أمير المؤمنين عُثمان؛ فكان من أمر مروان بن الـحَكَم فيه ما تقدَّم ذِكْرُه.

وفي سنة ثمانٍ وعشرين: غَزَا حَبِيبُ بن مَسْلَمة قُورية[1] من أرض الروم. ذكر ذلك الطَّبَرِيُّ[2] وغيرُه[3].

وفي سنة تسع وعشرين: افتتح عبد الله بن عامِر أرضَ فارِس[4].

وفي سنة ثلاثين: سقط الخاتَم من يد عثمان رضي الله عنه في بئر أريس؛ وقد ذكرنا خَبَرَ سقوطه في كتابنا المسمَّى بـ«البيان الـمُشْرِق في أخبار الـمَشْرِق».

وفي سنة إحدى وثلاثين: كانت غزوة ذات الصَّواري، وغزوة الأساوِرة، في قول الواقِدي[5].

---

(١) هكذا في النسخ، وهو وهم صوابهُ: «سورية» كما في تاريخ الطبري ٤/ ٢٦٣، وهو موضع بالشام بين خناصرة وسلمية كما في معجم البلدان لياقوت ٣٠/ ٢٨٠. أما قورية فمدينة من نواحي ماردة بالأندلس، كما في معجم البلدان ٤/ ٤١٢ فأين هي من فتح الأندلس؟!

(٢) تاريخ الطبري ٤/ ٢٦٣.

(٣) تاريخ خليفة ١٦١.

(٤) تاريخ الطبري ٤/ ٢٦٣.

(٥) نقله عنه الطبري في تاريخه ٤/ ٢٨٨.

وفي سنة اثنتين وثلاثين: توفّي عبد الرحمن بن عَوْف رضي الله عنه وهو ابن خمس وسبعين سنة. وفيها مات عبد الله بن زَيْد بن عَمْرو بن نُفَيْل. وفيها مات أبو طَلْحة، وأبو ذر رضي الله عنهما. وفيها توفّي عبد الله بن مسعود؛ فدُفِن بالبَقيع.

وفي سنة ثلاث وثلاثين: كانت غزوة عبد الله ابن أبي سَرْح إفريقية، مرَّةً ثانيةً، حين نقض أهلُها العَهْدَ؛ هكذا ذكره عَرِيب في مُـخْتَصَره. وقد تقدَّم خبر ابن أبي سَرْح على الـجُمْلة دون تعيين سنة.

وفي سنة أربع وثلاثين: مات عُبادة بن الصَّامِت في قول الواقِديّ[1] وهو ابن اثنتين وتسعين سنة؛ ودُفِن بالرَّمْلة[2]. وفيها غزا مُعاوية بن حُدَيْج[3] إفريقية، وهي أوّل غزواته إلى المغرب، ثمّ اشتغل الناس بعد ذلك بأمر عُثمان رضي الله عنه وبوقائع الـجَمَل وصِفّين وغيرهما، إلى أن اعتدلت الـخِلافة لـمُعاوية بن أبي سُفْيَان.

وفي سنة خمس وثلاثين: استُشْهِد عثمان رضي الله عنه واستخلفه أمير المؤمنين عليٌّ رضي الله عنه فنازعهُ مُعاوية ولم يبايعه.

وفي سنة ست وثلاثين: عزل عليٌّ رضي الله عنه ابن أبي سَرْح عن مِصْرَ، وقدّم[4] عليها قَيْس بن سَعْد[5] بن عُبادة الأنصاريَّ.

وفي سنة سبع وثلاثين: كان العامل على مِصْرَ محمَّد ابن أبي بكر الصِّدِّيق[6].

وفي سنة ثمان وثلاثين: قُتِل محمَّد ابن أبي بكر الصِّدِّيق بمِصْرَ، قتله مُعاوية بن حُدَيْج بأمر مُعاوية بن أبي سفيان[7]. وقد ذكرنا شرح مقتله في «[البيان الـمُشْرق][8] في أخبار الـمَشْرِق».

---

(١) طبقات ابن سعد ٣/ ٥٠٦ (ط. الخانجي).

(٢) معجم البلدان ٣/ ٦٩.

(٣) ترجمته في تاريخ الإسلام ٢/ ٥٣٩.

(٤) في م: «وأقام»، وما أثبتناه من ر١.

(٥) سقطت من م، وترجمته في تاريخ الإسلام ٢/ ٥٣٢.

(٦) ينظر تاريخ الإسلام ٢/ ٣٤٠.

(٧) تاريخ الطبري ٥/ ٩٤.

(٨) ما بين الحاصرتين زيادة متعينة للتوضيح.

وفي سنة أربعين: كانت مهادنةٌ بين عليّ رضي الله عنه وبين مُعاوية، إلى أن توفّي علي، وفيها دُعِيَ مُعاوية بأمير المؤمنين؛ وكان قبل ذلك يُدْعَى الأمير.

وفي سنة أربعين المذكورة: توفّي أمير المؤمنين أبو الحسن عليٌّ بن أبي طالب رضي الله عنه؛ وبويع بالخلافة ابنُه الـحَسَن رضي الله عنهما[1].

وفي سنة إحدى وأربعين: كان تسليمُ الـحَسَن رضي الله عنه الأمر لـمُعاوية، واستوسقت الـمَمْلكة له.

وفيها غزا مُعاوية بن حُدَيْج إفريقية المرّة الثانية؛ قال عَرِيب في مُـخْتَصَره: ذكر أهل العِلْم بأخبار إفريقية أن مُعاوية بن حُدَيْج نزل جَبَلًا فيها؛ فأصابه فيها مطرٌ شديدٌ، فقال: إن جَبَلَنا هذا لـمَمْطُورٌ فسُمِّيَ البلد مَـمْطُورًا إلى الآن[2]، وقال: اذهبوا بنا إلى ذلك القَرْن، فسُمِّيَ ذلك الموقع قَرْنًا[3]. وكانت لـمُعاوية هذا إلى إفريقية ثلاث غَزَوات.

وفي سنة اثنتين وأربعين: وُلِد الـحَجَّاج بن يوسف الثَّقَفيُّ[4]. وولَّى مُعاوية مروانَ بن الـحَكَم المدينة[5]. وفيها غزا عُقْبة بن نافِع إفريقية؛ قال عَرِيب في مُـخْتَصَره للطَّبَرِيّ: فيها غزا عُقْبة بن نافِع الـمَغْرِب، وافتتح غَدامِس[6]؛ فقَتَل فيها وسَبَى[7].

وفي سنة ثلاث وأربعين: مات عَمْرو بن العاص بمِصْرَ، يومَ الفطر. فذُكِر أنّه عَمَلَ فيها لعُمَر بن الخطاب رضي الله عنه أربعَ سنين، ولعثمان رضي الله عنه أربعَ سنين إلا شَهْرين[8]، ولـمُعاوية سنتَيْن إلّا شَهْرًا.

---

(١) انظر: تاريخ خليفة ١٩٨، وتاريخ الطبري ٥/ ١٤٣.

(٢) ذكر خليفة هذا الخبر في حوادث سنة خمس وأربعين (تاريخه، ص٢٠٧).

(٣) ينظر نهاية الأرب للنويري ٢٤/ ١٠.

(٤) هذا قول الطبري في تاريخه ٥/ ١٧٢، أما خليفة فذكر أن مولده سنة إحدى وأربعين (تاريخه ٢٠٥).

(٥) هذا قول الطبري في تاريخه ٥/ ١٧٢، وذكر خليفة ذلك في حوادث سنة إحدى وأربعين (تاريخه ٢٠٤).

(٦) بفتح الغين المعجمة وتُضم (معجم البلدان ٤/ ١٨٧).

(٧) تاريخ خليفة ٢٠٥.

(٨) قوله: «إلا شهرين» سقط من م، وأثبتناه من ر١ ويعضده ما في تاريخ الطبري ٥/ ١٨١، وينظر تاريخ خليفة.

وفي سنة أربع وأربعين: عَمِلَ مروان بن الـحَكَم الـمَقْصُورة بمسجد المدينة، كرَّمها الله، وعملها أيضًا مُعاوية بالشام[1].

وفي سنة خمس وأربعين: غزا مُعاوية بن حُدَيْج الكِنْديُّ إفريقية، وكانت حَرْبًا كلَّها؛ قال الطَّبَريُّ[2]: وذلك أنّ حُباجِبة الروميَّ قَدِمَ على مُعاوية بن أبي سفيان، فسأله أن يبعث معه جيشًا إلى إفريقية؛ فوجَّه مُعاوية بن حُدَيْج في عشرة آلاف مُقاتل، فسار[3] حتّى انتهى إلى الإسْكَنْدَرِيّة؛ فاستعمل عليها حُباجِبة الروميَّ. ومضى ابن حُدَيْج حتّى دخل إفريقية. وكان معه عبد الله بن عمر بن الخطاب، رضي الله عنه وعن أبيه، وعبد الله بن الزُّبَيْر، رضي الله عنه وعن أبيه، وعبد الملك بن مروان، ويحيى بن الـحَكَم بن العاص، وغيرُهم من أشراف قُرَيْش. فبعث مَلِك الرُّوم إلى إفريقية بِطْرِيقًا يُقال له: نجفور[4] في ثلاثين ألف مقاتِل، فنزل الساحل فأخرج إليه مُعاوية بن حُدَيْج عبدَ الله بن الزُّبَيْر في خيل كثيفة، فسار حتّى نزل على شَرَفٍ عالٍ، يُنْظَر منه إلى البحر، بينه وبين مدينة سُوسة اثنا عشر ميلًا، فلمّا بلغ ذلك نجفورًا، أقلعَ في البحر منهزمًا من غير قتال. فأقبل ابن الزُّبَيْر حتّى نزل على باب سوسة؛ فوقف على البحر، وصلَّى بالمسلمين صلاة العَصر، والرومُ يتعجَّبون من جُرْأته، فأخرجوا إليه خَيْلًا، وابن الزُّبَيْر مُقْبلٌ على صلاته، لا يهولُه خَبَرُها، حتّى قَضَى الصلاةَ. ثمّ ركب، وحمل على الروم بمن معه، فانكشفوا منهزمين. ورجع ابن الزُّبَيْر إلى مُعاوية بن حُدَيْج، وهو بجبل القَرْن.

ثمّ وجَّه ابن حُدَيْج عبدَ الملك بن مروان في ألف فارس إلى مدينة جَلُولا؛ فحاصرها، وقتل من أهلها عددًا كثيرًا، حتّى فتحها عَنْوَةً؛ فقتل المقاتلة، وسَبَى الذُّرِّيَّة،

---

(١) تاريخ الطبري ٥/ ٢١٥.

(٢) لم نقف على هذا الخبر في المطبوع من تاريخ الطبري، ومعلوم أن المؤلف ينقل من مختصر عريب بن سعيد لتاريخ الطبري فلعل هذا من زياداته على تاريخ الطبري فظنه المؤلف منه، وهي موجودة في نهاية الأرب للنويري ٢٤/ ١٠.

(٣) في ر١: «فصار».

(٤) في ر١: «عفور» ولعله تحريف.

وأخذَ جميع ما كان في المدينة، وحمل ذلك كلَّه إلى مُعاوية بن حُدَيْج؛ فقَسَمَهُ على المسلمين، فيُقال: إنّه أصابَ كلَّ رجل منهم مئتي مثقال.

وأغزى مُعاوية بن حُدَيج جيشًا في البحر إلى صِقِلِّيَّة في مئتي مركب؛ فسبوا وغنموا وأقاموا شَهْرًا؛ ثمّ انصرفوا إلى إفريقية بغنائم كثيرة، ورقيق، وأصنام منظومة بالـجَوْهر؛ فاقتسموا فَيْهَم. وبعث ابن حُدَيْج بالـخُمُس إلى مُعاوية ابن أبي سفيان. هكذا نصَّ عريب في مُـخْتَصَره للطَّبَرِيّ.

ومن أخبار مُعاوية بن حُدَيْج الكِنْديّ[1] بإفريقيّة[2]

ذكر الرَّقِيق في كتابه قال: كان هِرَقْل مَلِك القُسْطَنْطِينة العُظمى ورُومة[3] يؤدّي إليه كلُّ نصرانّي، في برٍّ وبَحْرٍ، جِزْيَتَه؛ منهم الـمُقَوْقِس، صاحب الإسكندريَّة وبَرْقة، ومنهم صاحب أطرابُلُس وصَبْرة[4]؛ ومنهم صاحب صِقِلّيَّة، ورُوم إفريقية والأنْدَلُس. فلمّا بلغه ما صالح عليه أهلُ إفريقية عبدَ الله ابن أبي سَرْح، بعثَ إلى إفريقية بِطْرِيقًا يُقال له: وليمة[5]، وأمره أن يأخذ ثلاث مئة قنطار من الذَّهَب، كما أخذ ابن أبي سَرْح. فنزل قَرْطاجَنَّة، وأخبرهم بذلك. فأبوا عليه، وقالوا: إنّ الذي كان بأيدينا من الأموال، فَدَيْنا به أنْفُسَنا من العَرَب! وأمّا الـمَلِك، فهو سيّدُنا؛ فيأخُذُ عادتَه منّا. وكان القائم بأمرهم رجلًا يُقال له حُباحِبة؛ فطردوا وليمة الواصل إليهم، واجتمع رأيهم على تقديم الأطريون[6]. وصار حُباحِبة إلى الشام، فقدم على معاوية، فوصف له

---

(١) عن معاوية بن حديج الكندي ينظر: تاريخ خليفة ١٦٨، ١٩٢، ٢٠٧، ٢١٠-٢١٢، وطبقاته ٧١، ٢٩٢، وتاريخ البخاري الكبير ٧/ الترجمة ١٤٠٧، والجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٨/ الترجمة ١٧٢٤، والاستيعاب ٣/ ١٤١٣، وسير أعلام النبلاء ٣/ ٣٧، وتهذيب الكمال ٢٨/ ١٦٣ وفيه مزيد مصادر عنه.

(٢) ليست في ر١.

(٣) قوله: «العظمى وورومة» ليس في ر١.

(٤) ينظر عن صبرة معجم البلدان ٣/ ٣٩١ وهي قريبة من القيروان.

(٥) في م: «أوليمة»، وما هنا من النسخ، وسيأتي بعد قليل على الصواب.

(٦) في ر١: «الأطرمون».

حال إفريقية، وسأله أن يبعث معه جيشًا من العَرَب، فوجَّه معه مُعاوية بن حُدَيْج، في جيش كثيف، وذلك سنة خمس وأربعين. فسار ابن حُدَيْج حتّى وصل إفريقية وقد صارت نارًا. وكان معه جماعةٌ من قُرَيش، قد تقدّم ذكرُهم. وبعث ملكُ الروم البِطْريقَ المتقدّم ذكرُه في ثلاثين ألفًا؛ فبعث ابن حُدَيْج إليه عبدَ الله بن الزُّبَيْر؛ فقاتَلَه. فأقلعَ مُنهزِمًا في البحر. وحاصر ابن حُدَيْج جَلُولا، فكان يقاتلهم وسَطَ النهار، وينصرف إلى عسكره.

فلمّا انصرف ذاتَ يوم، نسي عبدُ الملك بن مروان قوسًا له معلَّقةً بشجرة؛ فانصرفَ إليها؛ فإذا بجانب من [سور] [١] المدينة قد انهدم، فصاح في أثر الناس، فرجعوا، فكان بينهم قتالٌ شديدٌ، حتّى دُخِلت المدينة عَنْوةً، واحتوى المسلمون على جميع ما فيها، كما تقدَّم ذِكْرُه. وكان بين مُعاوية بن حُدَيْج وعبد الملك بن مروان تنازُعٌ في ذلك، لأنّ عبد الملك أراد مُـحاباةَ إخوانه وأصحابه، لأنّه كان سَبَبَ فتح المدينة، فقال حَنَش الصّنْعانيُّ [٢] يومًا لعبد الملك: ما شأنُك؟ فوالله، لَـتَلِيَنَّ الخلافة، ويصير ذلك الأمرُ إليك فلا تَغْتَمَّ. فلمّا أفضت الخلافة إلى عبد الملك، بعث الحجّاجَ بن يوسف لقتال عبد الله بن الزُّبَيْر، فأخذ حنَشًا الصَّنْعانيَّ أسيرًا، وبُعِثَ إلى عبد الملك ابن مروان، فلمّا وقف بين يدَيْه، قال له: أَلَسْتَ أنْتَ الذي بشَّرتني بالخلافة يوم جَلُولا؟ قال: نعم. قال: فلِمَ مِلْتَ عنّي إلى ابن الزُبَيْر؟ فقال: رأيتُه يُريدُ اللهَ، ورأيتُك تريدُ الدُّنيا فلذلك مِلْتُ إليه، فقال: قد عفَوْتُ عنك.

وفي سنة ست وأربعين: قال البَلاذُريُّ [٣]: أوَّلُ من غزا صِقِلّيَّةَ مُعاوية بن حُدَيْج، بعث إليها عبدَ الله بن قَيْس، ففتحها، وأصاب فيها أصنامًا من ذهب وفضّة مكَلَّلةً بجَوْهَر؛ فحُملت إلى مُعاوية ابن أبي سفيان [٤]، فبعث بها إلى الـهِنْد؛ فأخذ ثَمَنَها. فأنكر الناسُ عليه ذلك إنكارًا كُلِّـيًا. وكان العاملُ على بلاد إفريقية من قِبَل مُعاوية ابن أبي سفيان مُعاويةَ بن حُدَيْج الكِنْديَّ.

---

(١) زيادة متعينة ليست في النسخ.

(٢) أحد التابعين المعروفين (تاريخ الإسلام ٢/ ١٠٨٦).

(٣) فتوح البلدان ٢٣٣ (بيروت ١٩٨٨م).

(٤) قوله: «ابن أبي سفيان» ليس في ر١.

وفي سنة سبع وأربعين: عَزل مُعاوية بن أبي سفيان عبدَ الله بن عَمْرو بن العاص عن مِصْرَ، وولّاها مُعاويةَ بن حُدَيْج الكِنْديَّ[1]، وكان عثمانيًّا، فسار متوجِّهًا إليها[2] من إفريقية. وكان قد قتل محمَّد ابن أبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه؛ فلقيه عبد الرحمن[3] ابن أبي بكر، فقال له: يا مُعاوية، قد أخذتَ أجْرَك من مُعاوية بن أبي سُفيان، حين قتلتَ محمد بن أبي بكر، ليُوَلِّيك مصر، فقد وَلاكَها. فقال: ما قتلتُ محمَّد بن أبي بكر لولايةٍ، وإنّما قتلتُه لِـمَا فعل بعثمان رضي الله عنه.

وفي سنة ثمان وأربعين: كان العاملَ على مِصْرَ وإفريقية لـمُعاوية بن أبي سُفيان معاويةُ بن حُدَيْج.

وفي سنة تسع وأربعين: غزا عُقْبة بن نافِع الفِهْريُّ الرُّومَ في البحر بأهل مِصْرَ[4]. وفيها عزل مُعاويةُ مروانَ بن الـحَكَم عن المدينة[5]، وأمَّرَ عليها سعيد بن العاص. وكانت ولايةُ مروان المدينةَ لـمُعاوية ثماني سنين وشهرَيْن.

وفي سنة خمسين من الهجرة: عزلَ مُعاويةُ بن أبي سُفيان مُعاويةَ بن حُدَيْج عن إفريقية، وأقرَّه على ولاية مِصرَ، ووجَّه إلى إفريقية عُقْبة بن نافِع الفِهْريَّ.

ذكر ولاية عُقْبة بن نافِع[6] إفريقية وغَزَواته فيها واخْتِطاطه مدينة القَيْرَوان

نَسَبُه: هو عُقْبة بن نافِع بن عبد قَيْس بن لَقِيط بن عامِر بن أميَّة بن طرف بن الحارث بن فِهر[7]، ومن فِهْر بن مالك تفرّقت القبائل.

---

(١) ينظر تاريخ الطبري ٥/ ٢٢٩.
(٢) ليست في ر١.
(٣) في ر١: «محمد» وهو تحريف ظاهر.
(٤) تاريخ الطبري ٥/ ٢٣٢.
(٥) تاريخ الطبري ٥/ ٢٣٢. أما خليفة فذكر أن العزل كان في سنة ثمان وأربعين (تاريخه ٢٠٨).
(٦) عن عقبة بن نافع ينظر: فتوح مصر لابن عبد الحكم ١٩٤، ١٩٧، والاستيعاب ٣/ ١٠٧٥، وتاريخ دمشق لابن عساكر ٤٠/ ٥٢٥، والكامل لابن الأثير ٤/ ١٠٥، وتاريخ الإسلام ٢/ ٦٨٢، وسير أعلام النبلاء ٣/ ٥٣٢، والإصابة ٢/ ٤٩٢.
(٧) بعد هذا في ر١: «وقريش لقب»، ولا معنى لها هنا.

وقال ابن أبي الفَيَّاض: إنّ عُقْبة وُلِد قبل وفاة رسول الله ﷺ بسنةٍ واحدة.

قال إبراهيم بن القاسم: ووصل عُقْبة بن نافِع الفِهْريُّ إلى إفريقية في عشَرة آلاف من المسلمين، فافتتحها، ودخلها، ووضع السيف في أهلها، فأفْنَى مَن[1] بها من النصارى. ثمّ قال: إنّ إفريقية، إذا دخلها إمامٌ، أجابوه إلى الإسلام؛ فإذا خرجَ منها، رجعَ مَن كان أجاب منهم لدين الله إلى الكُفر، فأرى لكم، يا مَعْشَرَ المسلمين أن تتَّخِذوا بها مدينةً تكون عِزًّا للإسلام إلى آخر الدهر. فاتَّفق الناسُ على ذلك، وأن يكون أهلها مُرابِطين؛ وقالوا: نَقْرُب من البحر ليتمَّ لنا الجهاد والرباط. فقال عُقْبة[2]: إنّي أخاف أن يَطْرُقَها صاحبُ القُسْطَنْطينة بَغْتةً، فيملكَها. ولكن اجعلوا بينها وبين البحر ما لا يُدْرِكها صاحبُ البحر، إلّا وقد عُلِّم به، وإذا كان بينها وبين البحر ما لا يُوجب فيه التقصيرَ للصلاة، فهم مُرابِطون. فلمّا اتَّفق رأيُهم على ذلك، قال: قَرِّبوها من السَّبْخة، فإنّ دوابَّكم الإبل، وهي التي تحمل أثقالكم؛ فإذا فَرَغْنَا منها، لم يكن لنا بُدٌّ من الغزو والجهاد، حتّى يفتح الله لنا منها الأوَّل فالأوَّل، وتكون إبِلُنا على باب قصرنا في مَراعيها، آمِنةً من عادية البربر والنصارى.

قال الإشْبِيليُّ في مَسالِكه: إنّ البَرْبَر حين دخلوا الـمَغْرِب، وجدوا الإفْرَنْج قد سبقوهم إليه، فأخلوهم حتّى اصطلحوا، على أن يسكن البَرْبَرُ الجبالَ، وتسكن الإفرنج الأوطئة، فبنوا المدائن بها.

رَجْع الـخَبَر:

وفي سنة إحدى وخمسين: شرع عُقْبة رضي الله عنه في ابتداء بناء مدينة القَيْرَوان، وأجابه العَرَب إلى ذلك[3]. ثمّ قالوا: إنّك أمَرْتَنا بالبناء في شَعَارَى وغياض لا تُرام، ونحن نخافُ من السِّباع والحيَّات وغير ذلك. وكان في عسكره ثمانية عَشَر رجلًا من أصحاب رسول الله ﷺ، وسائرُهم من التابعين. فدعا الله سبحانه وأصحابُه يؤمِّنون على دُعائه، ومضى إلى السبخة وواديها، ونادى: أيَّتُها الحيَّات والسباع، نحن أصحابُ

(١) سقطت من ر١.

(٢) ليست في ر١.

(٣) ذكر خليفة أن ذلك كان في سنة خمسين (تاريخه ٢١٠)، وكذلك جاء في نسخة أ.

رسول الله ﷺ فارحلوا عنَّا فإنّا نازلون ومَن وجدناه بعد هذا قتلناهُ. فنظرَ الناسُ بعد ذلك إلى أمر مُعْجِب، من أنّ السباع تخرج من الشَّعْرَى، وهي تحمل أشبالها سمعًا وطاعةً، والذئب يحمل جِرْوَه، والحيَّة تحملُ أولادَها. ونادَى في الناس: كُفُّوا عنهم، حتّى يرحلوا عنها. فلمّا خرج ما فيها من الوَحْش والسِّباع والهوامِّ[1]، والناسُ ينظرون إليها، حتّى أوجعهم حرُّ الشمس، فلمّا لم يروا منها شيئًا، دخلوا، فأمرهم أن يقطعوا الشجر. فأقام أهل إفريقية بعد ذلك أربعين عامًا لا يرون بها حيَّةً، ولا عَقْرَبًا، ولا سَبُعًا.

فاختطَّ عُقْبة أوَّلًا دار الإمارة، ثمّ أتى إلى موضع المسجد الأعظم، فاختطَّه، ولم يُحْدِث فيه بناءً[2] وكان يصلِّي فيه وهو كذلك، فاختلفَ الناسُ عليه في القبلة، وقالوا: إنّ جميعَ أهل المغرب يَضَعون قِبْلَتَهم على قِبْلة هذا المسجد، فاجهَدْ نفسك في تقويمها[3]، فأقاموا أيّامًا ينظرون إلى مطَالِع الشتاء والصيف من النجوم ومشارق الشمس. فلمّا رأى أمرَهم قد اختلفَ، باتَ مغمومًا، فدعا الله عزَّ وجلَّ أن يُفَرِّج عنه، فأتاه آتٍ في منامه، فقال له: إذا أصبحتَ، فخُذ اللواء في يدك، واجعله على عُنُقك، فإنَّك تسمع بين يديك تكبيرًا ولا يسمعه أحدٌ من المُسلمين غيرُك. فانظُر الموضع الذي ينقطع عنك فيه التكبير: فهو قِبْلتُك ومِحْرابُك، وقد رَضِيَ اللهُ لك أمْرَ هذا العسكر وهذا المسجد وهذه المدينة، وسوف يُعِزُّ الله بها دينَه، ويُذِلُّ بها من كَفَر به. فاستيقظ من منامه، وهو جَزِعٌ، فتوضَّأ للصلاة، وأخذ يُصَلِّي، وهو في المسجد ومعه أشرافُ الناس. فلما انفجر الصُّبْح، وصَلَّى رَكْعتَي الصُّبْح بالمُسلمين، إذا بالتكبير بين يدَيْه. فقال لمن حَوْلَه: أتسمعون ما أسمع؟ فقالوا: لا، فعلم أنّ الأمر من عند الله. فأخذَ اللواء، فوضعَهُ على عُنُقه، وأقبلَ يتبع التكبير، حتّى وصل إلى موضع المحراب، فانقطعَ التكبيرُ. فركزَ لواءه، وقال: هذا مِحْرابُكم. فاقتدى به سائر مساجد المدينة. ثمّ أخذَ الناسُ في بناء الدُّور والمساكن والمساجد، وعمرت، وشَدَّ الناسُ إليها المطايا من كلّ أفُق، وعَظُم قدرُها. وكان دَوْرُها ثلاثةَ عشَرَ ألفَ ذراع وستَّ مئة ذراع[4]، حتّى كمُل أمرُها.

---

(١) ليست في ر١.

(٢) في ر١: «أمرًا».

(٣) في ر١: «فأجهدَ نفسَهُ في تقويمها».

(٤) قوله: «وست مئة ذراع» ليس في ر١.

وكان عُقْبة خَيْرَ والٍ وخَيْرَ أميرٍ، مُسْتَجابَ الدعوة.

وفي سنة خمس وخمسين: استعمل مُعاوية ابن أبي سفيان على مصر وإفريقية مَسْلَمة بن مُـخَلَّد الأنصاريّ[1]، وعزلَ مُعاويةَ بن حُدَيْج عن مِصْر، وعزلَ عُقْبة بن نافِع عن إفريقية، فكانت ولايتُه عليها أربعة أعوام. وكان مُعاوية قد ولَّى مَسْلَمة مِصْرَ، فلما ولَّى مَسْلَمة الآن إفريقية، عزل عنها عُقْبة، وولَّى عليها مولاه أبا الـمُهاجِر دينارًا، وبقي هو صاحب مِصْر؛ جمع ذلك كلَّه مُعاوية له، من أطراف إقليم مِصْر إلى طَنْجة. وهو أوَّلُ مَن جُـمِعَ له الـمَغْرِبُ كلُّه؛ فلم يزل واليًا عليه حتّى هلك مُعاوية.

ولاية أبي الـمُهاجِر إفريقية وعَزْل عُقْبة

لـمّا جمعَ مُعاوية ولاية الـمَغْرِب لـمَسْلَمة بن مُـخَلَّد، استعمل عليه مولاه دينارًا، ويُكْنَى أبا الـمُهاجِر، وعزلَ عُقْبة عن إفريقية. فقيل لـمَسْلَمة بن مُـخَلَّد والي مِصْر: لو استعملْتَ عُقْبة[2]، وأقْرَرْتَه على إفريقية، فإنّ له فضلًا وسابِقةً وهو الذي بنَى القَيْرَوان ومسجدها[3]. فقال مَسْلَمة: إنّ أبا الـمُهاجِر، كأحدِنا، صبر علينا في غير ولاية، ولا كبير نَيْل، فنحن نحبُّ أن نكافيه ونصطنعه. فقدم أبو الـمُهاجِر إفريقية، فأساء عَزْلَ عُقْبة، ونزل خارجًا عن المدينة، وكره أن ينزل الموضعَ الذي اختطَّه عُقْبة، ومضى حتّى خلفه بميلَيْن، مـمّا يَلي طريق تُونُس، فاختطَّ بها مدينةً، وأرادَ أن يكون له ذِكْرُها، ويُفْسِدَ عَمَلَ عُقْبة، فبنى مدينةً، وأخذ في عمرانها، وأمرَ الناسَ أن يخربوا[4] القَيْروان ويَعْمُروا مدينته. فخرج عُقْبة منصرفًا، وأدركه الخبرُ في الطريق، فتوجَّه إلى المشرق، آسِفًا على أبي الـمُهاجِر، ودعا الله عليه أن يُمَكِّنَه منه. فبلغت أبا الـمُهاجِر دعوتُه، فقال: هو عَبْدٌ لا تُرَدُّ دعوتُه. ولم يزل أبو الـمُهاجِر خائفًا منه، نادِمًا على ما فعل معه.

---

(١) ترجمته ومصادرها في تهذيب الكمال ٢٧/ ٥٧٤-٥٧٦، وتاريخ الإسلام ٢/ ٧١٦.

(٢) سقطت من ر١.

(٣) من ر١.

(٤) في م: «تحرق»، وهو تحريف.

ولـمّا قدم عُقْبة على مُعاوية، قال له: إني[١] فتحتُ البلاد، ودانَتْ لي، وبنيتُ المنازِل، واتخذتُّ مسجدًا للجماعة، وسكَّنتُ الناسَ، ثمّ أرسلتَ عَبْدَ الأنصار، فأساء عَزْلي. فاعتذر له مُعاوية، وقال له: قد عرفتَ مكانَ مَسْلَمة بن مُـخَلَّد من الإمام عثمان، وبَذْلَه مُهْجَتَه، صابرًا مُـحْتَسِبًا مع[٢] مَنْ أطاعه من قومه ومواليه، وأنا أردِّدك إلى عملك. وتراخى الأمر حتّى توفّي مُعاوية وأفضَى الأمرُ إلى يزيد ابنِه. فلمّا علم حال عُقْبة، قال: أدركْها قبل أن تفسد، فردَّه واليًا على إفريقية، وقَطَعَها عن[٣] مَسْلَمة بن مُـخلد والي مِصْرَ.

وفي سنة ست وخمسين من الهجرة: دعا مُعاوية بن أبي سُفيان إلى بيعة يزيد، وجعله وليَّ عهده من بعده، فانقادَ له الناسُ كلُّهم، إلّا خمس نَفَر: الـحُسَيْن بن عليّ، وعبد الله بن الزُّبَيْر، وعبد الله بن عُمر، وعبد الرحمن بن أبي بكر الصِّدِّيق، وعبد الله بن عباس رضي الله عنهم[٤].

وفي سنة سبع وخمسين: عزل مُعاويةُ مروانَ عن المدينة، واستعمل الوليد بن عُقْبة[٥] وكان العامل على مِصْرَ وإفريقية مَسْلمة بن مُـخلَّد، ووالي[٦] مَسْلَمة على إفريقية أبو الـمُهاجِر، وبقي الحال على ذلك، إلى وفاة مُعاوية.

وفي سنة ستين: توفّي مُعاوية بن أبي سفيان، يومَ الجمعة مُنْـتَصِفَ رَجَب، وهو ابن اثنتَيْن وثمانين سنة[٧]، وتولَّى الخلافة من بعده يزيد ابنُه، وتلقَّب بالـمُسْتَنْصِر بالله في بعض الأقوال، وكُنْيَتُه أبو خالِد، وقد ذكرنا أخباره في تأليفٍ.

---

(١) ليست في م.

(٢) في م: «طع» ولا معنى لها.

(٣) في م: «على»، وهو تحريف.

(٤) تاريخ الطبري ٥/ ٣٠١.

(٥) تاريخ خليفة ٢٢٤، وتاريخ الطبري ٥/ ٣٠٨.

(٦) في م: «ووليُّ»، وهو تحريف.

(٧) تاريخ الطبري ٥/ ٣٢٣.

وفي سنة إحدى وستين: كان مقتل الـحُسَيْن بن عليّ رضي الله عنهما[1]، وفيها أظهر عبد الله بن الزُّبَيْر الـخِلافَ بمَكَّة، وخلع طاعة يزيد بن مُعاوية، وخَبَرُهما [مشهورٌ][2].

وفي سنة اثنتين وستين ولَّى يزيد بن مُعاوية على بلاد إفريقية والـمَغْرِب كلِّه عُقْبَةَ بن نافِع الفهريَّ، وهي ولايتُه الثانية على إفريقية.

ذكر فَتْح الـمَغْرِب الأقْصى على يد عُقْبة الـمُجاب[3] رضي الله عنه وغزواته

فرحل عُقْبة من الشام، ومعه خمسة وعشرون رجلًا من أصحاب رسول الله ﷺ، فلمّا مرَّ على مَسْلَمة بن مُـخَلَّد صاحب مِصْرَ، خرج إليه، واعتذرَ من فِعْل أبي الـمُهاجِر، وأقسمَ له أنّه خالَفَه فيما صنعَ، وأنّه كان قد أوصاه بتقوى الله وحُسْن السيرة، وأن يُـحْسِن عِشْرَةَ عُقْبة. فقبل منه عُقْبةُ، ومضى حَنِقًا[4] على أبي الـمُهاجِر، حتّى قدم إفريقية. فأوثق أبا الـمُهاجِر في الحديد، وأمر بتخريب مدينته التي بناها، وردَّ الناسَ إلى القَيْرَوان، وركب في وجوه العسكر ومن معه من الصحابة والتابعين، فدارَ بهم حَوْلَ مدينة القَيْرَوان، وهو يدعو لها، ويقول: يا ربِّ امْلأها عِلْمًا وفِقْهًا، واملأها بالـمُطيعين لكَ، واجعلْها عِزًّا لدينك، وذُلًّا على من كَفَر بكَ. ثمّ عزم رضي الله عنه، على الغزو في سبيل الله، وتركَ بها جُنْدًا من المسلمين، واستخلفَ عليهم زُهَيْرَ بن قَيْس البَلَويَّ[5]، وكان رجلًا صالحًا. ودعا عُقْبة أولاده، فقال لهم: إنّي قد بِعْتُ نَفْسي من الله عزَّ وجلَّ وعزمتُ على مَن كَفَر به، حتّى أُقْتَلَ فيه، وأُلْـحَقَ به، ولَسْتُ أدري أتَرَوْني بعد يَوْمي هذا أم لا، لأنَّ أمَلي الموتُ في سبيل الله. وأوصاهم بما أحبَّ، ثمّ قال: عليكم سلامُ الله، اللَّهُمَّ تَقَبَّلْ نفسي في رِضاك. ثمّ مضى بعسكره، فكانت النصارى تهرب من طريقه يمينًا وشمالًا، وهو يستفتحُ البُلْدان، ويغزو في سبيل الله.

---

(١) تاريخ خليفة ٢٣٤، وتاريخ الطبري ٥/ ٤٠٠.

(٢) بياض في النسخ، وما بين الحاصرتين للسياق.

(٣) من ر١.

(٤) في م: «خَنقًا» وهو تصحيف.

(٥) ترجمته في تاريخ الإسلام ٢/ ٨١٣.

وشرعَ عُقْبة في هذه الغزوات المذكورة بَعْدُ، فلا أعْلَمُ هل كانت مُتَّصِلةً في هذا العام وحده، أو فيه وفيما بعده من بقيَّة أيَّام يزيد بن مُعاوية، فرأيتُ إيرادَ غزواته هنا مجموعةً مختصرةً. لئلّا ينقطعَ خبرُها. إذ مَبْدأها كان[1] في هذه السنة وفي ولاية يزيد، فهو منسوبٌ إليه.

فخرج رحمة الله عليه غازيًا للرُّوم والبربر، وهم إذ ذاك مَـجُوسٌ ونَصارى، وذلك بمدينتي باغاية[2] وقَرْطاجَنَّة وما والاهما. فهزمهم، وقَتَّلَهم تقتيلًا، وأخذ المسلمون من سَبْيِهم وخَيْلهم شيئًا كثيرًا.

وغَزْوتُه إلى مدينة باغاية، وذلك أنَّه لجأ إليها الرومُ واجتمعوا بها. فنزل بجمعه[3] عليهم، وحاصرهم. فخرجوا إليه في جمع كبير، فقاتلهم قتلًا ذَرِيعًا، وأخذ لهم خَيلًا كثيرة. فلم يَرَ المسلمون في مغازيهم أصْلَبَ منها. وكانت من نِتاج جَبَل أوْراس الـمُطِلّ عليها. ودخل على الروم حصنهم، فكَرِهَ أن يُقيم عليهم. وكان قد حَصَر صاحِبَ قلعة بجَاية[4]، فمضى إلى مدينة الـمُنَسْتِير، وكانت في ذلك الزمان من أعظم مدائن الرُّوم. فلجأ إليها من كان حَوْلَـها منهم، وخرجوا إليه في عُدَّة وقوَّة. فقاتلهم قتالًا شديدًا، حتّى ظَنَّ الناسُ[5] أنّه الفناءُ، إلى أن هزمهم الله إلى باب حصنهم. فأصاب المسلمون غنائم كثيرة، ورحل عنهم.

وغَزْوَتُه أيضًا للروم بمدينة الـمُنَسْتِير ثانيةً، وكانت من أعظم مدائن الروم، فخرجوا إليها، واجتمع جميعُهم بها، وخرجوا لحربه، فهزمهم الله، وقُتِّلوا تقتيلًا، وأُصيب من غنائمهم ما لم يُعْهَد مثلُه.

وغَزْوَتُه لهم أيضًا بالزاب وقتالُه إيَّاهم على وادي الـمَسِيلة[6]، فهزمهم، وقتلهم. وذهب عِزُّ الروم ومُلكُهم من الزاب إلى آخر الدهر.

(١) سقطت من م.

(٢) ينظر عنها معجم البلدان ١/ ٣٢٥.

(٣) في ر١: «بجمعهم»، وهو تحريف.

(٤) في أ: «باغاية»، وما أثبتناه من ر١ وهو الصواب.

(٥) سقطت من م.

(٦) ينظر عن الـمَسِيلة معجم البلدان ٥/ ١٣٠.

وغَزْوَتُه لهم أيضًا بتيهَرْت[1]، وقد اجتمع الروم والبربر في إقليم تِيهَرْت اجتماعًا عظيمًا. فخطب عُقْبةُ الناسَ، ووعظَهُم، ثمّ زحفَ إلى الكفَّار، فالتحم الـجَمْعانِ، فولَّى الكفَّارُ منهزمين، فأباد فُرسانَهم، وقتل حُماتهم، وفرَّق جَمْعهم. وسبقَتْهم خيلُ المسلمينَ إلى باب مدينتهم، فأفنَوْهم وقطعوا آثارهم.

صِفةُ مدينة تِيهَرْت، على ما ذكره ابن القطَّان، قال: هي مدينتانِ: القديمةُ منهما هي المذكورة في هذه الغزاة، على خمسة أميال من الحديثة، وفي شرقيّها قَصْرٌ لبعض القبائل. والحديثةُ مشهورةٌ، ولها أربعة أبواب: باب الصَّفّ، وباب الـمَنازِل، وباب الأَنْدَلُس، وباب المواجن. وهي في سفح جبل يُقال له: جُزُول. ولها قَصَبةٌ مُشْرِفة على السوق، يُقال لها: الـمَعْصُومة. وهي على نَهْر يأتيها من القبلة. وهي كثيرة البَرْد والثلج والأمطار، حتّى قيل لبعضهم: كم زمان الشتاء عندكم؟ قال: ثلاثة عشر شهرًا، وقال بَعْضُهم [من السريع]:

مــــا أطْـــوَلَ الــــبَرْدَ ورَيْعانَــــهُ ... وأطْـــرَفَ الـــشَّمْسَ بتِيهَـــرْتِ

تَبْـدُو مِــن الغَـيْمِ إذا مــا بَــدَتْ ... كــأنَّما تُنْـــشَرُ مِـــن طَخْـــتِ[2]

فــنحنُ في بَـــحْرٍ بِـــلا لُــــجَّةٍ ... تَجْـرِي بنـا الـرِّيحُ عـلى الـسَّكتِ[3]

نَفْــرَحُ بالــشَّمْسِ إذا مــا بَــدَتْ[4] ... كَفَرْحَـــةِ الـــذِّمِّيِّ بالـــسَّبْتِ

وبقِبْليّها من القبائل: لُوَاته، وهُوَّارة، وبغَرْبيّها: زُواغة، وبجوفيّها: مَطْماطة وزَناتة. وكان إحداث تِيهَرْت الحديثة بعد سنة أربعين ومئة من الهجرة، والقديمة قبل ذلك بها لا يُعرف أوَّلُه. وللحديثة أسواقٌ كثيرةٌ عامرةٌ واثنا عشر حَـمَّامًا، وحَواليها من قبائل الغَرْب[5] أُمَمٌ كثيرةٌ، وهي من آخر إفريقية.

---

(١) ويقال فيها «تاهرت» كما في ر١.

(٢) في م: «تحت» وهو تحريف، والطخت: شدة الظلام.

(٣) في م: «السمت» محرفة.

(٤) في ر١: «بدا» خطأ.

(٥) في م: «المغرب».

وغَزْوَتُه أيضًا إلى طَنْجة. وذلك أنَّه لـمّا توالَت الهزائم على نصارى إفريقية وبَرْبَرِها، وكَثُر القتلُ فيهم حتّى كاد يستأصلهم، لجأ من بقي منهم إلى الحصون والـمَعاقِل، فلم يبرحوها. فكَرِهَ الـمُقام على مُـحاصرتهم، فيفوتَه الغزوُ وقَتْلُ غيرهم من طوائف الكفَّار، إذ كانت أُمَمُ المغرب من نصارى وبَرابِر لا يُـحْصَوْنَ كثرةً وانتشارًا، ولا يُكاثَرون بالرمل والحصا. فترك أهْلَ إفريقية مُتَحَصِّنين بحصونهم، وأوغل في الغَرْب، يقتل ويأسر أُمَّةً بعد أُمَّة، وطائفةً بعد طائفة، بائعًا نفسَه من مولاه، لا تَرُوعه كثرةٌ، ولا تَعْتَرِيهِ هو ومن معه سآمةٌ ولا فَتْرةٌ، حتّى صار بأحواز طَنْجة. وكان بها مَلِكٌ اسمُه يُلْيان، يملك منها إلى ساحل الـمَجاز بسَبْتة. وكان من أشراف ملوك الروم وأعاظِمِهم، وذَوي العقل والدهاء فيهم. فلمّا قاربه، وجَّه إليه أرساله، مستعْطِفًا ومستلْطِفًا، وبعث له هديَّةً عظيمةً، وسأل منه الـمُسالَمَة، وأن ينزل على حُكمه. فقبل منه، واجتمع به، وسأله عن الأنْدَلُس، فعظَّم عليه أمرها، وقال له: قد تركتَ الرومَ وراء ظهرك، وما أمامَكَ إلّا البربر، وهم مثل البهائم، لم يدخلوا في دين نَصرَانيَّة ولا غيرها، وهم يأكلون الـجِيَف، ويأكلون مَواشيهم، ويشربون دماءها من أعناقها، فقد كفروا بالله العظيم، فلا يعرفونه، ومُعْظَمُهم الـمَصامِدة. قال: فسار عُقْبة نحو الـمَصامِدة بعد فَتْحه طَنْجة، على ما ذكرنا من الصُّلْح والمسالَمَة بسياسة يُلْيان. وهي طَنْجة القديمة في التواريخ، وفيها آثارٌ كثيرة للأُوَل.

صِفَةُ طَنْجة[1]: قيل: عَمَلُها مسيرةُ شَهْر في شَهْر، وإنّها كانت دارَ مملكة ملوك المغرب، وإنّ ملكًا من ملوكها كان في عسكره إذا اجتمع ثمانون ألفًا. ومسافةُ ما بين القَيْرَوان وطَنْجة مسيرة ألفَي ميل. وهي قديمة أزَليَّةٌ، ليس بالمغرب أقدم منها، لكنَّها غلب عليهـا الرَّملُ، والعمارةُ اليوم فَوْقَها. وهي طَنْجة المذكورة في هذه الغزاة، ويُـحْفَرُ خَرابُها، فيوجَدُ فيه أصنافُ الجواهر؛ هكذا ذكر البَكْريُّ في كتابه.

---

(١) ينظر معجم البلدان ٤/ ٤٣.

وقال الوَرَّاق: إن كُورةَ طَنْجة هي مَساكِن صُنْهاجة الهَبْط بطريق الساحل مـمّا يَلي سَبْتة. وبُطونُ صُنْهاجة كثيرةٌ، تَفْتَرِق من قبيلتَيْن، وبُطونُ مَصْمودة تتشعَّبُ من أربع قبائل: دُغاغ، وآصاد، وبني سَمْغرة، وكُتامة.

رَجْع الـخَبَرَ إلى ذكر عُقْبة الـمُجاب، وغَزْوَتُه أيضًا للبربر بالسُّوس الأدْنَى، وهي بلاد تامَسْنا، وهي بلاد الـمَصامِدة، فهزمهم، وأفناهم، وبثَّ الخيل في بلادهم، فافترقت في طلبهم إلى كلّ موضع هربوا إليه، لا يدفعهم أحَد.

وغزْوَتُه أيضًا للسُّوس الأقْصَى، فاجتمعَ به البربرُ في أُمَم لا تُـحْصَى، ولا تُكاثَر بالـحَصا، فقاتلهم[1] قتالًا ما سَمِعَ أهلُ المغرب بمثله قط، ثم[2] هزمهم، وقتل منهم خلقًا عظيمًا، وأصاب منهم نساء لم يَرَ الناسُ في الدنيا مثلهُنَّ؛ قيل: إنّ الجارية منهنّ كانت تبلغ بالمشرق ألف دينار أو نحوَها. وهربَ الناسُ أمامه، لا يُدافِعه أحَدٌ، ولا يقوم له، تأييدًا من الله لأوليائه. وسارَ حتّى بلغ البَحْر الـمُحيط، فدخل فيه، حتّى بلغ الماءُ بطنَ فَرَسه، ثمّ رفع يديه إلى السماء، وقال: يا رَبِّ لولا أنّ البحر منعني، لمضيتُ في البلاد إلى مَسْلَك ذي القَرْنَيْن، مدافعًا عن دينك، مقاتلًا من كَفَر بك. ثمّ قال لأصحابه: انصرفوا على بركة الله، فجلا الناسَ أمامَه بكلّ ناحية هاربين، وخافت الـمُشركون أشدَّ مخافة، حتى أنّ قلوبهم تنخَلِع لذكره. وانصرف قافلًا من السوس الأقصَى؛ قال ذلك ابن أبي الفَيَّاض وغيرُه.

وقال غيرُه: ونزل من دَرْعة[3] إلى بلاد صُنْهاجة، ثمّ إلى بلاد هَسْكُورة، ثمّ نزل أغْمات وَرِيكة[4]، ثمّ نزل منها على وادي نَفِّيس[5]. وقام عُقْبة من وادي نَفِّيس، وسار حتّى نزل إيجْلي[6] بالسوس، وبَنَى فيه مسجدًا.

---

(١) في م: «فقتلهم»، وهو تحريف.

(٢) قوله: «قط، ثم» لم يتمكن ناشرو (م) من قراءتها فوضعوا بدلها «حتى» بين حاصرتين.

(٣) معجم البلدان ٢/ ٤٥١.

(٤) قريبة من مراكش (معجم البلدان ١/ ٢٢٥).

(٥) الروض المعطار ٥٧٨.

(٦) معجم البلدان ١/ ٢٨٨.

أخبرني الشيخُ الصالح أبو عليّ صالح بن أبي صالح أنّه لم يصِحَّ عنده أنّ عُقْبة رضي الله عنه حضرَ بُنيان شيء من المساجد بالمغرب، إلّا مسجد القَيْرَوان، ومسجدًا بدَرْعة، ومسجدًا بالسوس الأقصى، وأمّا غير ذلك من المساجد المسمّاة باسمه؛ فإنّ الناس، والله أعلم، بنوها بموضع نزوله.

وقال الإشْبِيلِيُّ، في كتاب[1] «الـمَسَالِك» له: إنّ المسجد الذي على وادي نَفِّيس، بناه عُقْبة رضي الله عنه.

قال أبو عليّ: ثمّ سار عُقْبة من إيـجْـلِي، حتّى وصل ماسَّة[2]، فأدخل فرسَهُ في البَحْر، حتّى وصل الماءُ تَلابيبَه، وقال: السلامُ عليكم يا أوْلياء الله، فقال له أصحابُه: على من تُسَلِّمُ؟ قال: على قوم يُونُسَ عليه السلام، ثمّ قال: اللَّهُمَّ إنّك تعلم أنّي لم أطلب إلّا ما طلبَ عبدُكَ ووليُّكَ ذو القَرْنَيْن ألّا يُعْبَدَ في الأرض غيرُك.

ثمّ رجع عُقْبة قافِلًا إلى المغرب الأوسط، وسلكَ على إبعير[3] فَطَوَّف[4]، ثمّ أتى[5] تارنا[6]، ثمّ إلى موضع شاكِر، وترك به صاحبَه شاكِرًا، فسُمِّيَ باسمه. ثمّ رحل منه إلى بلاد دَكالة[7]؛ فوجد فيها قومًا، فدعاهم إلى الإسلام، فامتنعوا، فقاتلهم، فقتلوا جملةً من أصحابه، فسُمِّيَ ذلك الموضع مَقْبرةَ الشُّهَداء إلى الآن. ثمّ رجع من دَكالة إلى بلاد هَسْكُورة إلى موضع يُقال له: إطار، فوجدَ فيه أقوامًا، فدعاهم إلى الإسلام، فامتنعوا، فتَقاتَل معهم حتّى فرُّوا أمامه. فلم يقاتِلْه بعد ذلك أحَدٌ من أهل المغرب.

---

(١) في م: «كتابه» وهو تحريف، ولا يستقيم مع قوله بعد: له.

(٢) ذكرها ياقوت في «أدَبي» من معجمه ١/ ١٢٥.

(٣) هكذا في النسخ، وفي م: «إيغير»، ولم نقف عليه.

(٤) في م: «أن يطوف»، وهو تحريف.

(٥) في م: «إلى»، وهو تحريف.

(٦) هكذا في النسختين، وفي معجم البكري ٨٧ والروض المعطار ١٢٧: «تارنانا» وهو الصواب.

(٧) قيده ناشرو (م) بضم الدال، وقيده ياقوت بالفتح (معجم البلدان ٢/ ٤٥٩).

قال ابن عبد البَرّ[1]: فتح عُقْبة عامَّةَ بلاد البَرْبر، إلى أن بلغ طَنْجة؛ وجال هنالك، ولا يقاتله أحَدٌ، ولا يعارضه، حتّى فتح كُورةً من كُوَر السُّودان.

وقال أبو عليّ المذكور: لـمّا رجع عُقْبة من بلاد جُزُولة، سلكَ على بلاد صَوْدة.

قال ابن القطان: ثمّ سار عُقْبة إلى إفريقية.

وغَزْوَتُه أيضًا للروم والبربر بقرب من إفريقية، قافِلًا إليها بعد تلك الغزوات، فتفرَّق عنه جيشُه، للإياب إلى أحيائهم، والبدارِ إلى عيالهم، فبقي في جمع قليل.

ذكر وفاة عُقْبة بن نافِع رضي الله عنه

وذلك أنّ عُقْبة، لـمّا وصل إلى مدينة طُبْنة[2]، أمر أصحابه، فتقدَّموا ثِقةً منه بما دوَّخ من البلاد، وأنّه لا يقوم له أحَدٌ لينفذَ قدرُ الله ومرادُه، ويتعجَّلَ لعبده من كرامته ميعادُه. فصرف أصحابه إلى منازلهم عند قُرْبهم منها، وسار هو إلى مدينة تَهُودا[3]، لينظر فيمن يَصْلح لها من الفُرسان. فلمّا انتهى إليها في بقيَّةِ مَن معه وكانوا قليلًا، نظرَ الروم إليهم؛ فطمعوا فيهم، فأغلقوا باب حصنهم، وجعلوا يشتمونه ويرمونه بالحجارة والنَّبْل، وهو يدعوهم إلى الله عزَّ وجلَّ، فلمّا توسَّط البلاد، بعثَ الرُّوم إلى كُسَيْلة بن لمزم الأورَبِيّ، وقيل: البُرُنسيّ، وقد كان في عسكر عُقْبة، وذلك أنّ أبا الـمُهاجِر في ولايته لإفريقية، كان نهض إلى المغرب، فنزل عيونًا عند تِلِمْسان، تُعْرَف الآن بعيون أبي الـمُهاجِر. فزحف منها إلى كُسَيْلة، وهو في عدَّة من قبائل البرانِس، فظَفر به أبو الـمُهاجِر، وعرض عليه الإسلام، فأسلم، وأحسن إليه أبو الـمُهاجِر واستبقاه. فلمّا قدم عُقْبة وعَزَلَ [أبا المهاجر عَرّفهُ][4] أبو الـمُهاجِر

---

(١) ينظر الاستيعاب ١/ ١٠٧٥ بتصرف، ولعله ذكره في كتاب آخر.

(٢) معجم البلدان ٤/ ٢١.

(٣) هي التي ذكرها ياقوت في معجمه باسم «تهوذة» ٢/ ٦٤.

(٤) ما بين الحاصرتين منا لا يستقيم النص إلا به.

بحال كُسَيْلة، وأنّه من مُلوك البربر، ولم يستحكم الإسلام بقلبه. فاستخفَّ به عُقْبة. وأُتي عُقّبةُ يومًا بذَوْدِ غَنَم، فأمر بذبحها للعسكر، وأمر كُسيلةَ أن يسْلَخَ منها مع السلاخين، فقال كُسَيْلة: أصلح الله الأمير، هؤلاء فِتْياني وعَبِيدي يُكْفوني. فقال عُقْبة: لا، فقام كُسَيْلة مُغْضِبًا. فكان، كلّما دحس، مسح بلِحْيته؛ فجعل العَرَب يمرُّون به، فيقولون: يا بَرْبَري ما تَصْنَع؟ فيقول: هذا جيّدٌ للشَّعَر[1]. حتّى مرَّ به شيخٌ من العرب، فقال لهم: كلا إنّ البربريَّ يتوعَّدُكم، فقال أبو الـمُهاجِر لعُقبة: بِئسَ ما صَنَعْتَ، كان رسولُ الله ﷺ يتألَّف جبابِرةَ العرب، وأنت تأتي إلى رجل جَبَّار في قومه، في دار عِزّه، قريب العهد بالشِّرْك، فتُهِينه؟! فتهاون عُقْبة بكلامه.

فانتهز كُسَيْلةُ فُرْصةً، فنكث، وقامَ في أهل بيته وقبائله من البربر، فقال أبو الـمُهاجِر: عاجِلْهُ قبل أن يستفحلَ[2] أمْرُه. فوقف إليه عُقْبة، فتنحَّى أمامَه. فقالت له البَرْبر: لِـمَ تتنحَّى عنه، وهو في خمسة آلاف، ونحن في خمسين ألفًا في الزيادة، والرجل ليس عنده من يَمُدُّه، وقد سار عنه أصحابُه؟ فركَّبه البربر في الجيوش العظيمة، وغَشِيَهُ بهم كُسَيْلة بقرب تَـهُودا. فنزل عُقْبة رضي الله عنه وركعَ ركْعتَيْن، وقال لأبي الـمُهاجِر: الحق بالمسلمين، فقُمْ بأمرهم، فأنا أغْتَنِمُ الشهادة. فقال له أبو الـمُهاجِر: وأنا، والله أغْتَنِمُها معك. فكسرَ كلُّ واحد منهما جَفْنَ سيفه، وكسرَ المسلمون كذلك أغمادَ سيوفهم، وأمرَهم أن يترجَّلوا عن خيولهم. فقاتلوا قتالًا شديدًا، حتّى بلغ منهم الـجَهْدُ، وكَثُر فيهم الجراحُ. وتكاثَرَ عليهم العدوُّ؛ فقُتِل عُقْبة، وأبو الـمُهاجِر، ومَن كان معهما من الـمُسلمين، ولم يفلت منهم أحَدٌ إلّا بعض وجوههم أُسِروا، ففَداهُم صاحبُ قَفْصة[3]، وبعثَ بهم إلى زُهَيْر بن قَيْس، وكان عُقْبة قد خَلَّفه أميرًا على القَيْرَوان وعلى تلك البلاد في كثير من الـمُسلمين، فلمّا بلغ ذلك زُهَيْرًا، أرادَ الانصراف إلى مِصْرَ.

---

(١) ليست في ر١.

(٢) في النسختين: «يستعجل»، ولعل ما أثبتناه هو الصواب.

(٣) معجم البلدان ٤/ ٣٨٢.

فقيل له: الهزيمة بالمسلمين من إفريقية إلى مِصر؟ فعزم على القتال. فاجتمع إلى كُسَيْلة أهلُ الـمَغْرِب قاطِبةً وزحف يريد القَيْرَوان. واضطرمت إفريقية. وكان وصول عُقْبة إلى الغَرْب سنة إحدى وستين. وقيل: سنة اثنتين وستين. وجال في المغرب ثلاثة أعوام، يُجاهِد في سبيل الله، رحمة الله عليه.

ويُرْوَى أنَّ النبيَّ ﷺ أنذرَ بقَتْل عُقْبة وأصحابِه رضي الله عنهم، وأنَّه عليه الصلاة والسلام نَهَى عن سُكْنَى مدينة تَهُودا، وقال: «سَوْفَ يُقْتَلُ عليها رجالٌ من أُمَّتي مُـجاهِدون في سبيل الله ثَوابُهم كثَواب أهل بَدْرٍ ما بدَّلوا ولا غيَّروا، يأتون يومَ القيامة، وسيوفُهم على عواتِقهم»[1]. وكان شَهْر بن حَوْشَب[2] يقول: واشَوْقاهُ إليهم. وكان يقول: سألتُ أكثر العلماء عن هذه العِصابة، فقالوا: ذلك عُقْبة بن نافِع وأصحابُه، قتله البَرْبر والروم بمدينة تسمَّى تَهُودا، فمنها يُـحْشَرون حتّى يَقِفوا بين يدي الله سبحانه.

وقال ابن القَطَّان في «نَظْم الـجُمان»: وأُخْبِرْتُ أنّ عُقْبة كان قَدِم مِصْر، وعليها عَمْرو بن العاص في خِلافة مُعاوية، فنزل مَنْزِلًا من بعض قُراها، ومعه عَمْرو بن العاص، وعبد الله، وجماعةٌ من أصحاب رسول الله ﷺ، فوُضِع بينهم طعامٌ، فلما تناولوا منه، ضربت حِداةٌ على الطعام الذي بين أيديهم، فأخذَت منه. فقال عُقْبة: اللَّهُمَّ دُقَّ عُنُقَها، فأقبلت الحِداةُ حتّى ضربت برأسها إلى الأرض، وقد اندقَّ عُنُقُها. فاستوجعَ عَمْرو بن العاص يومًا، فقال له عُقْبة: ما لك يا أبا عبد الله تتوجع؟ فقال له: بلغني أنّ قومًا من قُرَيْش يُسْتَشْهَدون جميعًا، فقال عُقْبة: اللَّهُمَّ وأنا منهم. فكان منه ما تقدَّم ذَكرُه.

ومدينة[3] تَهُودا: هي مدينة أزَليَّة، بُنيانُها بالحجارة، لها أسواقٌ كثيرةٌ، ورَبَضٌ واحدٌ. وبها جامعٌ جليلٌ، ومساجدُ، وفنادِقُ كبارٌ، ويسكنها قوم من البربر.

---

(١) لا أصل لمثل هذا في حديث النبي ﷺ.

(٢) وشهر بن حوشب هذا ضعيف، وينظر تاريخ الإسلام ٢/ ١١١٤.

(٣) في م: «وصفة مدينة».

وفي سنة أربع وستين: دخل كُسَيْلة البُرْنُسيُّ مدينة القَيْرَوان، وانتزعها من أيدي المسلمين، في مُحَرَّم؛ وذلك أنّه اجتمع معه جميعُ أهل المغرب، وزحفَ إلى القَيْرَوان. فعظُم البلاء على المسلمين، فقام زُهَيْر بن قَيْس خطيبًا في الناس، فقال: يا مَعْشَرَ المسلمين إنّ أصحابكم قد دخلوا الجنَّة، وقد مَنَّ الله عليهم بالشهادة فاسلُكوا سبيلهم أو[1] يفتح الله لكم دون ذلك. فقال حنَشٌ الصَّنْعانيُّ: لا والله ما نقبل قولك، ولا لك علينا ولايةٌ ولا عَمَلٌ أفضل من النجاة بهذه العصابة من المسلمين إلى مَشْرِقهم، ثمّ قال: يا مَعْشَرَ المسلمين، من أراد منكم القفول إلى مَشْرِقه، فلْيتَّبعْني، فاتَّبعه الناس. ولم يَبْقَ مع زُهَيْر إلّا أهل بيته. فنهض في أثره ولحق بقصره ببَرْقة، فأقامَ بها مُرابِطًا إلى دولة عبد الملك بن مروان.

وأقبل كُسَيْلة البُرْنُسيُّ بعساكره، فلمّا قرب من القَيْرَوان، خرج من كان فيها هاربين، إذ لم يكن لهم طاقةٌ بقتاله، لعظيم ما اجتمعَ عنده من البربر والرُّوم. فأمَّن كُسَيْلة من بقي بالقَيْرَاون من الـمُسلمين، وأقامَ بالقَيْرَاون أميرًا على سائر إفريقية والـمَغْرِب، وعلى من فيه من المسلمين، إلى أن وَلِـيَ الخلافةَ عبدُ الملك بن مروان.

وفي سنة خمس وستين من الهجرة: وَلِـيَ عبدُ الملك بن مروان. فلمّا اشتدَّ سلطانُه، واجتمعَ أكابر المسلمين عليه، سألوه تخليصَ إفريقية، ومَن بها من المسلمين، من يد كُسَيْلة اللَّعين. فقال: لا يَصْلُح للطلب بِدَمِ عُقْبة من الروم والبربر إلّا مَن هو مِثْلُهُ دينًا وعَقلًا. فاستشار مع وزرائه، فاجتمعَ رأيُهم على تقديم زُهَيْر بن قَيْس البَلَويّ، وقالوا: هذا صاحبُ عُقْبة، وأعْلَمُ الناس بسيرته وتدبيره، وأولاهم بطلب دَمِه. فوجَّه عبد الملك إلى زُهَيْر، وهو ببَرْقة، يأمره بالخروج على أعِنَّة الخيل إلى إفريقية، ليستنْقِذ مَن بالقَيْرَوان. فكتب إليه زُهَيْر يُعرِّفه بكثرةِ مَن اجتمع على كُسَيْلة من البَرْبر والرُّوم، فأمدَّه عبد الملك بن مروان

---

(١) في م: «و» وهو خطأ.

بالـخَيْل والرجال والأموال، وحشد إليه وجوهَ العرب، وبعثهم إليه. فوفدت الجيوش على زُهَيْر، وتسرَّع الناسُ معه إلى إفريقية.

وفي سنة تسع وستين: أقبل زُهَيْر بن قَيْس البَلَويُّ في عسكر عظيم إلى إفريقية. فبلغ كُسَيْلَةَ بن لمزم قدومُه إليه، وعزمُه عليه. فجعل لا يَهابُه ولا يخاف منه، وكان كُسَيْلة في خَلْقٍ عظيم من البربر والرُّوم، أضعاف ما مع زُهَيْر مُضاعَفةً. فدعا كُسَيْلة أشرافَ البربر وقال لهم: إنّي رأيتُ أن أرحل عن هذه المدينة، فإنّ بها قومًا من المسلمين، لهم علينا عهودٌ، ونحن نخاف، إن أخذنا القتال معهم، أن يكونوا علينا، ولكن ننزل على موضع مسيرهم[١] وهي على الماء فإنّ عسكَرَنا خَلقٌ عظيمٌ، فإن هزمناهم إلى أطرابُلُس، قطعنا آثارهم، فيكون لنا المغرب إلى آخر الدهر، وإن هزمونا، كان الجبل منَّا قريبًا والشَّعْراءُ نتحصَّن[٢] بهما.

ذكْر محاربة زُهيْر بن قَيْس البلويّ مع كُسَيْلة بن لـمْزَم البُرْنُسي[٣]

لـمّا رحل كُسَيْلة عن القَيْرَوان، نزل عليها زُهَيْر بن قَيْس ثلاثةَ أيَّام، ولم يدخلها، وفي اليوم الرابع رحل عنها حتّى أشرف على عسكر كُسَيْلة في آخر النهار، فأمر الناس بالنزول. فلمّا أصبحَ وصَلَّى، زحف إليه. وأقبل كُسَيْلة ومن معه، فالتقى الجمعان، والتحم القتال بين الفريقَيْن؛ ونزل الضرُّ وكثر القتل في الفريقين، حتّى يئس الناسُ من الحياة. فلم يزالوا كذلك حتّى انهزم كُسَيْلة وقُتِلَ. ومَضَى الناسُ في طلب البربر والرُّوم، فلحقوا كثيرًا منهم، وقتلوهم، وجدُّوا في طلبهم إلى وادي مَلْوِيَة بالغَرْب؛ ففي تلك الوقعة ذهب رجالُ الروم والبربر المشركين، وقُتِلَ ملوكُهم وأشرافُهم وفُرسانُهم. ثمّ انصرف زُهَيْر إلى القَيْرَوان، فأوطنها. ففزع منه أهلُ إفريقية، واشتد خوفُهم، فلجأوا إلى الحصون والقِلاع. ثمّ إنّ زُهَيْرًا رأى بإفريقية مُلْكًا عظيمًا، فأبى أن يقيم بها، وقال: إنّي ما قدمتُ

---

(١) في ر١: «ميسر»، وفي م: «مبس» ولعل ما أثبتناه من أ هو الصواب.

(٢) في النسختين: «نتحصنوا»!

(٣) جاء العنوان في ر١ كما يأتي: «ذكر محاربة زهير مع كسيلة».

إلّا للجهاد وأخافُ أن تَـمِيلَ بي الدنيا[1] فأُهْلَك، وكان من رؤساء العابدين، وكُبراء الزاهدين. فترك القَيْرَوان آمِنَةً، وانصرف عنها، وأقام بها كثيرٌ[2] من أصحابه.

خُروج زُهَيْر إلى بَرْقة وكيفيَّة مقتله بها

ثمّ رحل زُهَيْر إلى الـمَشْرق في خلقٍ عظيم. فبلغ الرومَ خروجُه من إفريقية إلى بَرْقة، فأمكنَهُم ما يُريدون. فخرجوا إليها في مراكبَ كثيرة، وقوّةٍ عظيمة. فأغاروا على بَرْقة، فأصابوا فيها سَبْيًا كثيرًا، وقتلوا ونبهوا. ووافق ذلك قدوم عسكر زُهَيْر إلى بَرْقة من إفريقية، فأُخْبِرَ زُهَيْر بخبرهم. فأمر عسكره بالـمَسِير إلى الساحل، طَمَعًا أن يُدرك سَبْي الـمُسلمينَ، فيستنقذهم. فأشرفَ على الرُّوم، وإذا هم في خَلْق عظيم. فلم يقدر على الرجوع، وقد استغاثَ به الـمُسلمون وصاحوا، والروم[3] يُدْخِلونهم المراكِب. فنادى بأصحابه النُّزولَ، فنزلوا. وكانوا أشراف العابدين، ورؤساء العرب الـمُجاهِدين، أكثرُهم من التابعين. فنزل الرُّوم إليهم وتَلَقَّوْهم بعددٍ عظيم. والتحم القتال، وتكاثرت عليهم الروم، فقُتِل زُهَيْر رضي الله عنه وأشرافُ مَن كان معه من العرب.

ومضى المسلمون إلى دِمَشق، فدخلوا على عبد الملك بن مروان، فأخبروه أنّ أميرَهم وأشرافَ رجالهم قد استُشْهِدوا، فعظُم ذلك عليه، لفضل زُهَيْر ودينِه. وكانت مُصيبتُه مثل مُصيبة عُقْبة قَبْلَه. فاجتمعَ أشرافُ العرب، وسألوا عبد الملك أن ينظر لإفريقية مَنْ يَسُدُّ ثَغْرَها، ويُصْلِح أمرَها. فقال لهم عبد الملك: ما أعرفُ[4] أحدًا كُفْؤًا لإفريقية كحَسَّان بن النُّعْمان[5].

---

(١) في م: «إلى الدنيا» ولا معنى لها.

(٢) في م: «كثيرًا»، خطأ.

(٣) سقطت من ر١.

(٤) في أ: «أرى».

(٥) تنظر ترجمته في تاريخ الإسلام ٢/ ٨٠٨.

وفي[1] **سنة أربع وسبعين**: مات عبد الله بن عمر بن الخطَّاب رضي الله عنهما، ذُكَر أنّ الحجَّاج بن يوسف سمَّه، في خبرٍ طويل.

وفي سنة ست وسبعين: كان حدوث السِّكَّة في الإسلام، وأمر أمير المؤمنين عبد الملك بضرب الدنانير والدراهم بَنْقش الإسلام[2].

وفي سنة سبع وسبعين: ثار المطرِّف بن الـمُغِيرة بن شُعْبَة على عبد الملك بن مروان، فكايده عبد الملك، واحتال عليه إلى أن قُتل[3]. وفيها كان [قتلُ] رؤساء الخوارج.

ولاية حَسَّان بن النُّعْمان إفريقية والمغرب

وفي سنة ثمان وسبعين[4]: قدم حَسَّان بن النُّعمان إفريقية[5]. اختاره لها عبد الملك بن مروان، وقَدَّمه على عَسْكرٍ فيه أربعون ألفًا: أقامه أوَّلًا في مِصْر بالعسكر، عدَّةً لِـما يَـحْدُث. ثمّ كتب إليه يأمره بالنهوض إلى إفريقية، ويقول له: إني قد أطلقتُ يدكَ في أموال مِصْر، فأعْطِ مَن معك ومَن وَرَدَ عليك، وأعْطِ الناسَ، واخْرُجْ إلى بَلَد إفريقية، على بركة الله وعونه.

بعض أخبار حَسَّان بن النُّعْمان

نَسَبُه[6]: هو حَسَّان بن النُّعمان بن عَدِي بن بَكْر بن مُغِيث بن عَمْرو بن مُزَيْقيا بن عامِر بن الأزْد. قدم إفريقية في عَسْكر عظيم، فلم يدخل المسلمون قطُّ إفريقية بمثل ما دخلَها حَسَّان بن النُّعمان. فلمّا حصَلَ بالقَيْروان، سأل أهل إفريقية: من أعْظَمُ الملوك بها قَدْرًا؟ فقالوا: صاحِبُ قَرْطاجَنَّة دار مُلْك إفريقية، فسار حتّى نزل عليها.

---

(١) من هنا إلى «ولاية حسان بن النعمان إفريقية» سقط كله من ر١.

(٢) تاريخ الطبري ٦/ ٢٥٧.

(٣) تاريخ الطبري ٦/ ٢٨٤.

(٤) في ر١: «ثمانين»، خطأ.

(٥) ذكر ذلك خليفة وقال: إن عبد الملك زاده أطرابلس على إفريقية (تاريخه ٢٧٧).

(٦) ليست في ر١.

وكان بها من الروم خَلْقٌ لا يحصون[1] كثرةً. فخرجوا إليه مع مَلِكِهم، فقاتلهم حَسَّان حتّى هزمهم، وقتلَ أكثرَهم. ثمّ نازَلَـها حتّى افتتحها، وهي كانت دارَ الـمُلْك بإفريقية.

ذكر قَرْطاجَنَّة إفريقيـة[2]

ويسمّيها أهلُ إفريقية[3] بالـمُعَلَّقة. وكانت قَرْطاجَنَّة مدينةً عظيمةً، تضربُ أمواجُ البحر سورَها. وهي من مدينة تُونُس على اثنَيْ عَشَر ميلًا. وكان بينهما قُرًى مُتَّصِلةٌ عامرةٌ. وكان البحر لم يُـخْرَق إلى تُونُس، وإنّما انخرق بعد ذلك. وفي هذه المدينة آثارٌ عظيمةٌ، وأبنيةٌ ضَخْمةٌ، وأعْمِدةٌ ثابِتةٌ غليظةٌ، تدُلُّ على عِظَم قُدرة الأُمَم الدائرة. وأهل تُونُس، إلى الآن، لا يزالون يَطَّلِعُون في خرابها على أعاجيب ومَصانِع لا تَنْقَطِعُ بطول الأزمان لـمُتَأمِّل[4].

فلمّا قَدِمَ حَسَّان إليها، وقتلَ فُرسانَها ورجالَـها، اجتمعَ رأيُ مَن بقي بها على الفرار منها. وكانت لهم مَراكِبُ كثيرةٌ، فمنهم من مَضَى إلى صِقِلِّيَّة، ومنهم من مضى إلى الأَنْدَلُس. فلمّا انصرفَ عنها حَسَّان، وعلم أهل بواديها وأقاليمها هُروبَ الملك عنها، بادروا إليها، فدخلُوها. فرحل إليها حَسَّان ونزل عليها. فحاصَرَها حِصارًا شديدًا حتّى دخلها بالسَّيف، فقتلهم قَتْلًا ذريعًا، وسَبَاهم، ونهبَهُم. وأرسلَ لمن حَوَاليها، فاجتمعوا إليه مُسارعين، خَوْفًا من عظيمِ سطوته، وشدَّةِ بأسه. فلمّا أتَوْه، ولم يَبْقَ منهم أحدٌ، أمرَهُم بتخريب قَرْطاجَنَّة وهَدْمِها. فخَرَّبُوها حتّى صارت كأمْسِ الغابِر. ثمّ بلغه أنّ النصارى اجتمعوا، وأمدَّهم البربرُ بعسكرٍ عظيم في بلاد صَطْفُورة[5]، فرحلَ إليهم حَسَّان حتّى لقيهم، وقاتَلَهم حتّى هزمهم، وقتل الروم والبربر قَتْلًا ذريعًا، وتركَ[6] عليهم أعِنَّـةَ

---

(١) في أ: «يحصى».

(٢) قوله: «إفريقية» ليس في ر١. ونقل النويري هذه الأخبار عن الرقيق القيرواني (نهاية الأرب ٢٤/ ١٨-١٩).

(٣) في أ: «أهل تونس اليوم».

(٤) في ر١: «لمتأمل بطول الأزمان».

(٥) ينظر عنها وعن ضبطها معجم البلدان ٣/ ٤٠٥.

(٦) في م: «وحمل»، ولا معنى لها.

خيله، فما ترك من بلادهم مَوْضِعًا إلّا وَطِئَهُ. ولجأ الرومُ خائفين هاربين إلى مدينة باجة[1]، فتحصَّنوا بها، وهرب البربرُ إلى إقليم بُونه[2]. وانصرف حَسَّان إلى القَيْرَوان.

خبرُ حَسَّان مع الـمَلِكة الكاهِنة وهزيمتها له[3]

لـمّا دخل حَسَّان القَيْرَوان، أراحَ بها أيَّامًا. ثمّ سأل أهلها عمَّن بقي من أعْظَم ملوك إفريقية، ليَسِيرَ إليه، فيُبِيدَه أو يُسْلِمَ، فدلُّوه على امْرأةٍ، بجبل أَوْرَاس[4]، يُقال لها: الكاهِنة، وجميعُ مَن بإفريقية من الروم منها خائفون، وجميعُ البَرْبر لها مُطيعون، فإن قَتَلْتَها، دان لك الـمَغْرِب كلُّه، ولم يَبْقَ لك مُضادٌّ ولا مُعانِدٌ. فدخل بجيوشه إليها، وبلغ الكاهِنةَ خبرُه، فرحلت من الجبل في عدد لا يُحصى، ولا يُبْلَغ بالاستقصاء، وسبقَتْه إلى مدينة بَاغَاية[5]، فأَخْرَجت منها[6] الرومَ، وهدمَتْها، وظنَّت أنّ حَسَّانًا يريد مدينةً ليتحصَّن بها منها. فبلغ خبرُها حَسَّانًا، فنزل بِوادي مَسْكِيَانة[7]. فرحلت الكاهِنة حتّى نزلت على الوادي المذكور، فكان هو يشرب من أعلى الوادي، وهي من أسفله. فلمّا توافت الخيلُ، دنا بعضُهم من بعض، فأبى حَسَّان أن يقاتلها آخر[8] النهار. فباتَ الفريقان ليلتَهم على سُرُوجهم. فلمّا أصبح الصباح، التقى الجمعان، فتقاتلوا قتالًا لم يُسْمَع بمثله، وصبرَ الفريقان صَبْرًا لم يَنْتَهِ أَحَدٌ إليه، إلى أن انهزم حَسَّان بن النُّعْمان، ومَن معه من الـمُسلمين. وقتلت الكاهنةُ العربَ قَتْلًا ذريعًا،

---

(١) هي المعروفة بباجة القيروان وباجة القمح، وهي غير باجة الأندلس (وينظر معجم البلدان ١/ ٣١٤-٣١٥).

(٢) معجم البلدان ١/ ٥١٢.

(٣) قوله: «وهزيمتها له» ليس في ر١. والخبر نقلًا من تاريخ الرقيق في نهاية الأرب للنويري ٢٤/ ١٩-٢٠.

(٤) معجم البلدان ١/ ٢٧٨.

(٥) معجم البلدان ٤/ ٢٨٩.

(٦) في ر١: «لها».

(٧) في ر١: «سكتانة»، وهو تحريف، وما هنا من أ، وينظر الروض المعطار ٥٥٨.

(٨) في ر١: «داخل»، وهو تحريف.

وأسرت ثمانين رَجُلًا من أعيان أصحابه[١]. وسُمِّيَ ذلك الوادي وادي العَذَارَى. واتَّبعَتْه الكاهنة حتّى خرج من عَمَل قابِس[٢]. فكتب حَسَّان إلى أمير المؤمنين عبد الملك يُخبره بذلك، وأنّ أُمَمَ المغرب ليس لها غايةٌ، ولا يقِفُ أحدٌ منها على نهاية، كلَّما بادَتْ أُمَّةٌ، خَلَفَتْها أُمَمٌ، وهم من الـجَهْل والكثرة كسائمة النَّعَم. فعاد له جوابُ أمير المؤمنين يأمرهُ أن يقيم حَيْثُما وافاهُ الجواب، فوردَ عليه في عَمِل بَرْقة. فأقام بها وبنى هنالك قُصورًا تُسَمَّى إلى الآن بقصور حَسَّان.

وملكت الكاهِنة الـمَغْرب كلَّه بعد حَسَّان خمس سنين. فلمّا رأت إبطاء العرب عنها، قالت للبربر: إنّ العربَ إنّما يطلبون من إفريقية المدائنَ والذَّهبَ والفضَّةَ، ونحن إنّما نريدُ منها المزارعَ والمراعي، فلا نرى لكم إلّا خراب بلاد إفريقية كلّها، حتّى يَيْأسَ منها العربُ، فلا يكون لهم رجوعٌ إليها إلى آخر الدهر. فوجَّهت قومها إلى كلّ ناحية: يقطعونَ الشجرَ، ويهدمونَ الـحُصونَ، فذكروا أنّ إفريقية كانت ظِلًا واحدًا من أطْرابُلُس إلى طَنْجةَ، وقُرًى متَّصلةً، ومدائن منتظمةً، حتّى لم يكن في أقاليم الدنيا أكثر خيرات، ولا أوصل بركات، ولا أكثر مدائن وحصونًا من إقليم إفريقية والـمَغْرِب، مَسِيرةَ ألفَيْ ميلٍ في مثله. فخرَّبت الكاهنةُ ذلك كلَّه، وخرج يومئذ من النَّصارى والأفارِقة خَلْقٌ كثيرٌ، مُسْتَغِيثين مـمّا نزلَ بهم من الكاهنة[٣]، فتفرَّقوا على الأنْدَلُس وسائر الـجُزُر البَحْريَّة.

وكانت الكاهنة، لـمّا أسرت ثمانين رجلًا من أصحاب حَسَّان، أحسنت إليهم، وأرسلت بهم إلى حَسَّان، وحَبَسَتْ عندها خالِد بن يزيد. فقالت له يومًا: ما رأيتُ في الرجال أجملَ منك، ولا أشجعَ، وأنا أُريدُ أن أُرْضِعَك، فتكون أخًا لوَلَدَيَّ ـ وكان لها ابنان أَحَدُهما بَرْبَريٌّ، والآخر يونانيٌّ ـ وقالت له: نحن جماعةَ البربر لنا رَضاعٌ: إذا فعلناه، نتوارَثُ به. فعمدَت إلى دقيق الشَّعير فَلَتَّتْهُ بزيتٍ، وجعلَتْه على ثَدْيَيْها، ودعت ولَدَيْها، وقالت: كُلا معه على ثَدْيَي، ففعلا، فقالت: قد صِرْتم إخْوَةً.

---

(١) في ر١: «وأسرت من أعيانهم ثمانين رجلًا».

(٢) معجم البلدان ٤/ ٢٨٩.

(٣) في ر١: «مما نزل بالكاهنة»، وهو تحريف.

ذكر مَقْتل الكاهِنة الـمَلِكة[1]

ثم إن حسَّانًا توافت عليه فُرْسانُ العرب ورجالُـها من قِبَل أمير المؤمنين عبد الملك. فدعا حَسَّان عند ذلك برجل يَثِقُ به، وبعثه إلى خالد بن يزيد بكتابٍ. فقرأه وكتب في ظهره: إنّ البربر مُتَفَرّقون، لا نِظامَ لهم ولا رأيَ عندهم، فاطْوِ المراحِل، وجُدَّ في السَّير. وجعلَ الكتابَ في خبزةٍ وجعلها زادًا للرجل، ووجَّهه بها إلى الأمير حَسَّان. فلم يَغِبْ عن خالد بن يزيد إلّا يسيرًا حتّى خرجت الكاهنة ناشرةً شعرَها، تضربُ صَدْرها، وتقول: يا وَيْلَكم يا مَعْشَرَ البربر، ذهب مُلْكُكم فيما يأكلُه النَّاسُ. فافترقوا يمينًا وشمالًا يطلبون الرجل، فستَرُه اللهُ تعالى حتّى وصل حسَّانًا، فكسر الخبزة وقرأ الكتاب الذي كتبه إليه خالد، فوجده قد أفسدَتْه النارُ. فقال له حَسَّان: ارجع إليه، فقال الرجل[2]: إنّ المرأة كاهنةٌ: لا يخفَى عليها شيءٌ من هذا[3]، فرحل حَسَّان بجنوده إليها. وبلغ الكاهنةَ خبره، فرحلت من جبل أوْراس في خلق عظيم، ورحل إليها حَسَّان. فلمّا كان في الليل، قالت لابْنَـيْها: إنّي مقتولةٌ، وأعلمَتْهم أنّها رأت رأسها مقطوعًا موضوعًا بين يَدَيْ مَلِك العرب الأعظم الذي بعث حَسَّانًا. فقال لها خالِد: فارحلي بنا، وخَلِّي له عن البلاد فامتنعت، ورأته عارًا لقومها. فقال لها خالدٌ وأولادُها: فما نحنُ صانعونَ بعدك؟ فقالت: أمّا أنت، يا خالِد فستُدْرِك مُلْكًا عظيمًا عند الـمَلِك الأعظم[4]، وأمّا أولادي، فيدركون سُلطانًا مع هذا الرَّجُل الذي يقتلني ويَعْقِدون للبربر عَزَائمَ[5]، ثمّ قالت: اركبوا واستأمِنوا إليه. فركب خالد وأولادها في الليل، وتوجَّهوا إلى حَسَّان. فأخبرهُ خالِدٌ بخبرها، وإنّها عَلِمت قتلَها، وقد وَجَّهت إليك بأولادها. فوَكَّل بهما من يحفظهما، وقَدَّم خالدًا على أعِنَّة الـخَيْل. وخرجت الكاهنة

---

(١) ينظر نهاية الأرب للنويري ٢٤/ ٢٠.

(٢) ليست في ر١.

(٣) في ر١: «لا يخض عليها هذا القدر».

(٤) بعد هذا في ر١: «عبد الملك».

(٥) في م: «غرائم»، وهو تصحيف.

ناشرة شعرها، فقالت: انظروا ما دهمكم فإنّي مقتولةٌ، ثمّ التحم القتال، واشتدَّ الحربُ والنزال، فانهزمت الكاهنة، واتَّبعها حَسَّان حتّى قتلها.

وكان مع حَسَّان جماعةٌ من البربر استأمنوا إليه. فلم يقبل أمانهم إلّا أن يعطوه من جميع[1] قبائلهم اثنَيْ عشر ألفًا يُـجاهِدون مع العرب. فأجابوه وأسلموا على يَدَيْه. فعقد لولَدَي الكاهنة، لكلّ واحد منهما على ستَّة آلاف فارس، وأخرجهم مع العرب يجولون في المغرب يُقاتلون[2] الروم ومَن كفر[3] من البربر. وانصرف حَسَّان إلى مدينة القَيْرَوان، بعد ما حسن إسلامُ البربر وطاعتُهم، وذلك في شهر رمضان من[4] سنة اثنتين وثمانين. وفي هذه السنة، استقامت بلاد إفريقية لـحَسَّان بن النُّعمان، فدوَّن الدواوين، وصالَح على الـخَراج، وكتبه على عَجَم إفريقية وعلى مَن أقامَ معهم على دين النصرانيَّة.

وأقام حَسَّان بعد قتل الكاهنة، لا يغزو أحدًا، ولا ينازعه من أهل المغرب[5] أحَدٌ. ثمّ عزله عبدُ العزيز بن مروان الوالي على مِصْر، وكان الوالي على مِصْر يُوَلِّي على إفريقية، فعزل حَسَّانًا وأمرَهُ بالقدوم عليه. فعلم حَسَّان ما أرادَ عبدُ العزيز بن مروان، أخو عبد الملك، فعمد إلى الـجَوْهَر والذَّهَب والفضَّة، فجعله في قِرَب الماء، وأظهر ما سوى ذلك من الأمتعة، وأنواع الدواب، والرقيق، وسائر أنواع الأموال. فلمّا قدم على أمير مِصْر عبد العزيز بن مروان[6]، أهدى إليه مئتي جارية من بنات ملوك الرُّوم والبربر. فسلبَهُ عبدُ العزيز جميعَ ما كان معه من الخيل والأحمال والأمتعة والوصائف والوصفان. ورحل حَسَّان بالأثقال التي بقيت له، حتّى قَدِمَ على الوليد بن عبد الملك وهو خليفة[7]،

(١) هذه اللفظة من ر١.

(٢) في ر١: «يقتلون».

(٣) في ر١: «وفر من البربر».

(٤) من ر١.

(٥) قوله: «من أهل المغرب» من ر١ فقط.

(٦) في ر١: «فلما قدم على عبد العزيز بن مروان أمير مصر».

(٧) قوله: «ابن عبد الملك وهو خليفة» من ر١. على أنّ هذا الخبر ربما يصح مع عبد الملك بن مروان لا مع الوليد، لأن عبد العزيز بن مروان توفي سنة خمس وثمانين في عهد عبد الملك بن مروان الذي بقي خليفة حتى سنة ست وثمانين (تاريخ خليفة ٢٩٢).

فشكا له ما صنع به عبدُ العزيز. فغضب الوليد على عمّه عبد العزيز، ثمّ قال حَسَّان لمن معه: ائتوني بقِرَب الماء، ففرَّغ منها من الذهب والفضَّة والـجَوْهَر والياقوت والزَّبَرْجرد[1] ما استَعْظَمَهُ الوليد، وعجب من أمر حَسَّان، فقال له الوليد: جزاك الله خيرًا، يا حسَّان. فقال: يا أمير المؤمنين، إنّما خَرجتُ مُـجاهِدًا في سبيل الله، وليس مثلي يخون اللهَ والخليفةَ. فقال له الوليد: أنا أرُدُّك إلى عملك، وأُحسن إليك[2]، وأُنوِّهُ بك، فحلف حَسَّان: لا أُوَلِّي لبني أُميَّة أبدًا! فغضب الوليد بن عبد الملك على عمّه عبد العزيز.

وكان حَسَّان يُسمَّى الشيخ الأمين. وغَزَواتُ حَسَّان لم تَنْضَبطْ بتأريخ محقَّق[3] ولا فَتْحُهُ لمدينة قَرطاجَنَّة وتُونُس، ولا قَتْلُه للكاهِنة. وذكر ابن القَطَّان أنّ عَزْل حَسَّان وولاية موسى بن نُصَيْر كان من قِبَل عبد العزيز بن مروان، دون أمر أخيه عبد الملك، ولا مَشْوَرَته.

ذكر ولاية أبي عبد الرحمن موسى بن نُصَيْر إفريقية والمغرب وبعض أخباره رحمة الله عليه[4]

نَسَبُه: قيل: إنَّه من لَـخم، وقيل: من بَكْر بن وائل. وذكر ابن بَشْكُوال في كتاب «الصِّلة» له[5]، أنّه موسى بن نُصَيْر بن عبد الرحمن بن زيد. وكان موسى على خَراج البَصْرة، قدَّمه عليها عبد الملك بن مروان، فاحتجن الأموال، على ما ذُكِر، لنفسه. فأوصى

---

(١) من ر١.

(٢) قوله: «وأحسن إليك» ليس في ر١.

(٣) في ر١: «مُعين».

(٤) جاء العنوان في ر١ كما يأتي: «ذكر ولاية موسى بن نصير المغرب وبعض أخباره رحمة الله عليه» ثم بعد هذا: «كنيته: أبو عبد الرحمن».

(٥) لم يذكر ابن بشكوال موسى بن نصير في «الصلة» وسيعيد ذلك في أول الجزء الثاني، ولعله ذكر ذلك في كتابه: «التنبيه والتعيين لمن دخل الأندلس من التابعين» وهو كتاب مشهور لابن بشكوال (تنظر التكملة الأبارية ١/ ٤٣٤ و٢/ ٤٢٥ و٣/ ٥، ٢٤٢).

الـحَجَّاجَ به ألّا[1] يَفُوتَه، فخافَهُ موسى وقصدَ إلى عبد العزيز بن مروان صاحب مِصْر، لانقطاعٍ كان منه إليه. فتوجَّه عبد العزيز مع موسى إلى الشام، فوفدا[2] على عبد الملك، فأغْرَمه عبد الملك مئة ألف دينار، فغرم عنه عبد العزيز نصفَها. وعادَ مع عبد العزيز إلى مِصْر، فولّاه منها إفريقية.

فأوَّلُ فُتوحه: قَلْعة زَغْوان[3] ونواحيها. وبينها وبين القَيْرَوان مسيرة يوم كامل. وبنواحي زَغْوان قبائل بَرْبَر بَعَثَ إليهم موسى خمس مئة فارس، ففتحها الله. فبلغ سبيُهم عشرة آلاف، وهو أوَّل سَبْي دخل القَيْرَوان في ولاية موسى. ثمّ وجَّه ابنًا له اسمه عبد الله إلى بعض نواحي إفريقية، فأتى بمئة ألف رأس من السبي. ثمّ وجَّه ابنه مروان، فأتى بمثلها. فكان الـخُمُس يومئذٍ ستّين ألفًا. فكتب موسى إلى عبد العزيز يُعلمه بالفَتْح، ويُعلمه أنّ الـخُمُس بلغ ثلاثين ألفًا. وكان ذلك وهمًا من الكاتب، كتب[4] ثلاثين ألفًا بدلًا من ستّين ألفًا. فلمّا قرأ عبد العزيز بن مروان الكِتابَ، وأنّ الـخُمُسَ من السّبي ثلاثون[5] ألفًا، استكثر ذلك، ورأى أنّه وهمٌ من الكاتب لكثرته. فكتب إلى موسى يقول له: إنه قد بَلَغني كتابُك تذكر أنّ خُـمُسَ ما أفاء اللهُ عليك ثلاثون ألف رأس، فاستكثرتُ ذلك، وظننْتُه وَهَـمًا من الكاتب، فاكتب بالحقيقة. فكتب إليه موسى: قد كان ذلك وَهَـمًا من الكاتب على ما ظَنَّه الأميرُ، والـخُمُس، أيُّها الأمير، ستُّون ألف رأس ثابتًا بلا وهم. فلمّا بلغه الكتاب، عَجِبَ كلَّ العَجَب، وامتلأ سُرورًا. وقد كان عبد الملك كتب إلى أخيه عبد العزيز[6]: قد بلغ أمير المؤمنين ما كان من رأيك في عَزْل حَسّان وتولية موسى، وقد أمضى لك أمير المؤمنين ما كان

---

(١) في ر١: «لا».

(٢) ليست في ر١.

(٣) معجم البلدان ٣/ ١٤٤.

(٤) من هنا إلى قوله: «الكتاب» سقط من ر١.

(٥) في ر١: «ثلاثين»، خطأ.

(٦) في ر١: «وكتب عبد الملك بن مروان إلى أخيه عبد العزيز».

من رأيكَ وولاية مَن ولَّيتَ. فكتب عبد العزيز إلى أخيه يُعلمه بالفَتْح وبكتاب موسى. ثمّ وجَّه عبد الملك رجلًا إلى موسى، ليقبضَ[1] ذلك منه على ما ذكر، فدفعَ موسى إليه مثل ذلك، وزادَ ألفًا.

وكان موسى عند وصوله إلى إفريقية، لـمّا صار في الجيش الأول، أتى عصفورٌ حتّى نزل على صدره، فأخذه موسى[2]، وذبحه، ولطَّخ بدمه صدرَهُ من فوق الثياب، ونتفَ ريشَهُ، وطرحَهُ على نفسه، وقال: هو الفَتْحُ ورَبِّ الكعبة.

قال ابن قُـتَيْبة: فتحَ موسى بن نُصَيْر سَجُومة[3] وقتلَ ملوكها، وأمرَ أولاد عُقْبة: عِيَاضًا وعثمان وأبا عَبْدة، أن يأخذوا حقَّهم من قاتل أبيهم، فقتلوا من أهل سجَوُمة ست مئة رجل من كبارهم[4]، ثمّ قال لهم: كُفُّوا، فكَفُّوا، وذلك سنة ثلاث وثمانين على قول من قال: إنّه وَلِي فيها[5].

ثمّ فتح موسى هوّارة وزَناته وكُتامة، فأغار عليهم وقتلَهُم وسباهُم، فبلغ سبيُهم خمسة آلاف رأس. وكان عليهم رجلٌ يُقال له: طامون[6]، فبعثَ به موسى إلى عبد العزيز بن مروان، فقتله عند البِرْكة التي عند قرية عُقْبة، فسُمِّيت بِرْكة طامون[7] إلى اليوم. وكانت كُتامة قد قَدِمت على موسى، فولَّى عليهم رجلًا منهم، وأخذ منهم رهائن من خيارهم.

وفي سنة خمس وثمانين: تُوُفِّي عبد العزيز بن مروان، صاحبُ مُلْك مِصْر من قِبَل أخيه أمير المؤمنين[8] عبد الملك بن مروان، ووليها عبدُ الله بن مروان أخو

---

(١) في م: «ليقبضنَّ»، وهو تحريف.

(٢) في أ: «فأخذ به موسى»، وما هنا من ر١.

(٣) لم نقف عليها، والظاهر أنه اسم قبيلة من البربر.

(٤) في ر١: «من كبار سجومة ست مئة رجل».

(٥) قوله: «على قول من قال: إنه ولي فيها» من ليست في أ.

(٦) في أ: «كامون».

(٧) كذلك.

(٨) من ر١.

عبد الملك[1]. وكان عبد الملك بن مروان أراد أن يخلعَ أخاه عبد العزيز بن مروان[2] عن مِصر في هذه السنة، على ما فعل من عزل حَسَّان[3] بن النُّعمان وفَيْئه. فنهاه قَبِيصة بن ذُؤيْب[4]، وقال: لعل الموت يأتيه فنستريح منه، فكفَّ عبد الملك عنه، وبقيت نفسُه تُنازعه أن يخلعه. فبينا هو على ذلك، ورَوْحُ بن زِنْباع[5] الـجُذاميُّ يقول له يومًا: لو خَلَعْتَهُ، ما انتطَحَ فيه عِنْزانِ، إذ دخل عليهما[6] قَبِيصة، فقال: آجَرَكَ اللهُ يا أمير المؤمنين في أخيك، فقال: وهل تُوفِّي؟ قال: نعم. فقال عبد الملك: كفانا الله يا أبا زُرْعة ما كُنَّا أجْـمَعْنا عليه. وكانت وفاة عبد العزيز[7] في جمادى الأولى من السنة المؤرَّخة.

وفي سنة ست وثمانين: توفِّي عبد الملك بن مروان أمير المؤمنين[8]، فكتب الوليد إلى عمّه عبد الله بن مروان بولاية موسى بن نُصَيْر إفريقية والـمَغْرِب، وقَطْعِها عن عَمِّه. وكانت أكثر مُدُن إفريقية خاليةً باختلاف البرابر عليها.

فَتْح المغرب الأقصى على يدِ[9] الأمير أبي عبد الرحمن موسى بن نُصَيْر

ثمّ خرج موسى، رحمه الله، غازيًا من إفريقية إلى طَنْجة، فوجد البربر قد هربوا[10] إلى الغَرْب خوفًا من العَرَب. فتبعهم وقتلهم قتلًا ذريعًا، وسَبَى منهم سَبْيًا كثيرًا، حتّى بلغَ السُّوسَ الأدنى، وهو بلاد دَرْعة. فلمّا رأى البربرُ ما نزلَ بهم، استأمنوا

(١) قوله: «أخو عبد الملك» ليس في ر١. والخبر في تاريخ الطبري ٦/ ٤١٣.

(٢) قوله: «عبد العزيز بن مروان» ليس في أ.

(٣) في ر١: «على ما فعل مع حسان».

(٤) في م: «قُبَيْصة بن ذؤيِّب»، وهو تقييد خطأ في الاسمين.

(٥) قيده ناشر (م) بفتح الزاي، وهو خطأ، وترجمته في تاريخ الإسلام ٢/ ٩٨٨.

(٦) في ر١: «عليه».

(٧) في ر١: «وكانت وفاته».

(٨) تاريخ خليفة ٢٩٢، وتاريخ الطبري ٦/ ٤١٨.

(٩) في م: «يدي».

(١٠) في أ: «خرجوا».

وأطاعوا. فولّى عليهم واليًا، واستعمل مَوْلاه طارِقًا على طَنْجة وما والاها، في سبعة عَشَر ألفًا من العرب واثْنَيْ عَشَر ألفًا من البربر[١]. وأمر العرب أن يُعلِّموا البرابرَ القُرآنَ، وأن يُفَقِّهوهم في الدين. ثمّ مضى[٢] موسى قافلًا إلى إفريقية.

قال ابن القَطّان: وذُكِر أنّ موسى بن نُصَيْر[٣] بعث أثر بيعته للوليد، في هذه السنة المؤرَّخة، زُرْعة بن أبي مُدْرِك إلى قبائل من البربر، فلم يَلْقَ حَرْبًا منهم. فرغبوا في الصلح منه، فوجَّه رؤساءهم إلى موسى بن نُصَيْر، فقبض رهونهم، ثمّ عقد لعيَّاش بن أخْيَل على مَراكِب إفريقية، فمشى في البَحر إلى صِقِلِّيَّة، فأصاب مدينةً يُقال لها: سَرَقُوسة[٤]، فغنمها وجميعَ ما بها، وقفل سالمًا غانمًا.

ولـمّا حمل أبو مُدْرِك[٥] زُرْعة بن أبي مُدْرِك رهائن الـمَصامِدة، جمعهم موسى مع رهائن البربر الذين أخذهم إلى إفريقية والمغرب، وكانوا على طَنْجة، وجعل عليهم مَوْلاه طارِقًا، ودخل بهم جزيرة الأنْدَلُس. وترك موسى بن نُصَيْر سبعة عشر رجلًا من العرب، يعَلِّمونهم القرآن وشرائع الإسلام. وقد كان عُقْبة بن نافِع ترك فيهم بعض أصحابه يُعلّمونهم القرآن وشرائع[٦] الإسلام، منهم: شاكِر صاحب الرباط وغيرُه. ولم يدخل المغربَ الأقصى أحدٌ من ولاة خُلَفاء بني أُمَيَّة بالمشرق إلا عُقْبة بن نافِع الفِهْريّ، ولم يعرف المصامِدة غيرَه. وقيل: إنّ أكثرهم أسلموا طَوْعًا[٧] على يدَيْه، ووصل موسى بن نُصَيْر بعده.

وفي سنة اثنتين وتسعين من الهجرة: جازَ طارق إلى الأنْدَلُس، وافتتحها بمن كان معه من العرب والبرابر، ورهائنهم[٨] الذين تركَ موسى عندَهُ، والذينَ أخذهم

---

(١) في ر١: «في سبعة عشر ألفًا من البربر والعرب»، وما هنا من أ وهو الصواب.

(٢) في ر١: «رجع».

(٣) قوله: «ابن نصير» ليس في ر١.

(٤) قيدها ناشر (م) بكسر السين، خطأ، وينظر معجم البلدان ٣/ ٢١٤.

(٥) الكنية ليست في ر١.

(٦) سقطت من أ، م.

(٧) ليست في ر١.

(٨) في ر١: «ورهبانهم»، وهو تحريف.

حَسَّان من المغرب الأوسط قَبْلَه[1]. وكانت ولاية طارق على طَنْجة والمغرب الأقصى في سنة خمس وثمانين. وفي هذا التأريخ، تَمَّ إسلامُ أهل المغرب الأقصى، وحوَّلوا المساجد التي كان بناها الـمُشْرِكون إلى القِبْلة، وجعلوا المنابر في مساجد الجماعات. وفيها صُنِعَ مسجد أغمات هَيْلانة.

ونَسَبُ طارِق: هو طارِق بن زِيَاد بن عبد الله بن ولغو بن ورفجوم بن نبرغاسن بن واماص بن يطوفت بن نَفْزاو. فهو نَفْزِيٌّ، ذُكِرَ أنَّه من سَبْي البربر، وكان مَوْلَى موسى بن نُصَيْر.

وفي سنة ثلاث وتسعين: جاز موسى بن نُصَيْر إلى الأَنْدَلُس، فعبر البحر غاضِبًا على طارِق، ومَشَى على غير طريقه، وفتح فتوحًا كثيرةً[2]، يَقَعُ ذِكْرُها، إن شاء الله، في الـجُزْء الثاني من هذا الكتاب، في فتح الأَنْدَلُس.

وفيها: وَلِيَ عبدُ الله بن موسى إفريقية عِوَضًا من أبيه، حين توجَّه إلى الأَنْدَلُس، إلى أن وصل أبوه منها متوجِّهًا إلى الـمَشْرق، فقدم مدينة القَيْرَوان في أواخر سنة خمس وتسعين.

وفي سنة خمس وتسعين: انصرف موسى من الأَنْدَلُس إلى إفريقية، بما أفاء اللهُ عليه، فأجاز الأموال من الذَّهَب والفِضَّة والـجَوْهر في المراكب إلى طَنْجة. ثمّ حملها على[3] العَجَلات[4].

قال الرَّقِيق: كانت وَسْقَ مئة عَجَلة وأربع عشرة عَجَلة. وفيها المائدة، وكانت من ذَهَب، يشوبه شيءٌ من فضَّة، مُطَوَّقةً بثلاثة أطواق: طَوْق ياقوت، وطَوْق زَبَرْجَد، وطَوْق جَوْهر[5]؛ وحُـمِلت يومًا على بغل عظيم أفْرَه وأقوى ما وُجِد، فما بلغ المرحلة حتّى تفتحت قوائمه.

---

(١) ينظر تاريخ خليفة ٣٠٤، وتاريخ الطبري ٦/ ٤٦٨.

(٢) تاريخ خليفة ٣٠٥، وتاريخ الطبري ٦/ ٤٦٨.

(٣) في ر١: «إلى».

(٤) ينظر تاريخ خليفة ٣٠٧، وتاريخ الطبري ٦/ ٤٩٢.

(٥) في أ: «لؤلؤ».

قال اللَّيْث بن سَعْد: لم يُسْمَع قطُّ بمثل سبايا موسى بن نُصَيْر في الإسلام.

ولـمّا قدم عليه ابنُه من السُّوس، خرج للقائه مع وجوه الناس. فلمّا التقيا، قال مروان بن موسى لرجاله: مرُوا لكلّ من خرجَ مع والدي بوَصِيفٍ أو وَصيفةٍ. وقال موسى: مُرُوا أنْتُمْ لهم من عندي بمثل ذلك. فرجع الناسُ كلُّهم بوصيفٍ أو وصيفةٍ.

ومن أخبار موسى بن نُصَيْر أيضًا[1]، رحمه الله، لـمّا انصرف من الأنْدَلُس، ولَّى عليها ابنَهُ عبدَ العزيز، وشخص قافلًا إلى إفريقية. فقدِمَ القَيْرَوان في آخر سنة خمس وتسعين، فلم يدخلها، ونزل بقصر الماء. ثمّ قعدَ في مجلسه، وجاءتْه جيوشُ العرب من القَيْرَوان، فمنهم مَن سافَرَ معه، ومنهم مَن تخلَّف مع ابنه[2] عبد الله بإفريقية، فقال لأصحابه: أصبحتُ اليومَ في ثلاث نِعَمٍ، منها: كتابُ أمير المؤمنين بالشُّكر والثناء، ثمّ وصَفَ ما أجرى الله على يَدَيْه من الفتوحات، ثمّ كتابُ ابني عبد العزيز يَصِف ما فتحَ اللهُ عليه في الأنْدَلُس بحمد الله تعالى. فقاموا إليه، فهنّأوه، وأمّا الثالثة، فأنا أُرِيكُموها، وقام، فأمر برفع ستر[3]، فإذا فيه جَوَارٍ مُـخْتَلِفات، كأنَّهُنَّ البدور الطوالع، من بنات ملوك الرُّوم والبَرْبر، عليهنَّ الـحِليُ والـحُلَلُ، فُهنِّئَ أيضًا بذلك. فقال عُليُّ بن رَباح السُّلَميُّ[4]: أيُّها الأمير، أنا أَنْصَحُ الناسِ إليك: ما من شيء انتهى إلّا ورَجَعَ فارْجِعْ قبْلَ أن يُرْجَعَ إليك. قال: فانكسر موسى، وفرَّق جواريه من حينه على الناس.

ثمّ رحل إلى المشرق، وخلف على إفريقية ابنَهُ عبدَ الله، وعلى الأنْدَلُس ابنَهُ عبدَ العزيز، وعلى الغرب[5] وطَنْجة ابنَهُ عبدَ الملك.

وقال ابن القَطّان: الأكثرون يقولون إنّ مُسْتَقَرَّ طارِق قبل مُحاولة الأنْدَلُس كان بطَنْجة، ومنهم من يقول: كان بموضع سِجِلْماسة، وإنّ سَلَا، وما وراءها من

(١) ليست في ر١.

(٢) كذلك.

(٣) في ر١: «فقام فرفع سترًا».

(٤) المحفوظ أنَّ عُليّ بن رباح لخمي كما في تهذيب الكمال ٢٠/ ٤٢٦-٤٢٧ والمصادر المذكورة فيه.

(٥) ليست في أ، م.

أرض فاس وطَنْجة وسَبْتة، كانت للنصارى. قال: واختلف الناسُ هل دخل موسى القَيْرَوان في هذه الوجهة أم لا.

ثمّ رحل عنها مع بقيّة أولاده: مروان، وعبد الأعلى، وغيرهما، ومعه أشرافُ الناس من قُرَيْش والأنصار وسائر العرب، ومن وجوهِ البَرْبر مئة منهم: كُسَيْلة بن لَـمْزَم، وبنو يسُّور ومَزْدانة مَلِك السُّوس ومَلِك ميورقة ومَنُورقة، ومن أولاد الكاهِنة، ومئة من وجوه ملوك الروم الأنْدَلُسِيّين، وعشرون مَلِكًا من ملوك المدائن التي افتتحها بإفريقية. وخرجوا معه بأصناف ما كان في كلّ بلد من طُرَفها، حتّى انتهى إلى مِصْر. فلم يَبْقَ بها فقيهٌ ولا شريفٌ إلّا وصَلَهُ وأعطاه. ثمّ خرج من مِصْر متوجِّهًا إلى فِلَسْطِين، فتلقَّاه آلُ رَوْح بن زِنْباع ونحروا له خمسين بعيرًا. ثمّ خرج وترك عندهم بعض أهله وصغارَ وَلَده فأعطى آلَ رَوْح بن زِنْبَاع عطاءً جَزْلًا. ثمّ وافاه كتابُ الخليفة الوليد بن عبد الملك، يأمره بشدِّ السَّيْر إليه، ليُدْرِكه في قَيْد الحياة، وكان مريضًا. ووافاه كتابٌ من سُليمان بن عبد الملك وليّ عَهْد أخيه الوليد، يأمره بالتأنّي والتربُّص. فأسرع موسى، ولم ينظر في كتاب سُليمان، إلى أن وصل إلى الوليد قَبْل موته بثلاثة أيّام. فقال سُليمان: لَئِنْ ظَفَرْتُ به لأصلبنَّهُ، فدفعَ موسى الأموالَ والمائدةَ والدُّرَّ[1] والياقوتَ والتيجان والذهب والفضَّة إلى الوليد بن عبد الملك.

وقال الـمَسْعُوديُّ، في كتابه المسمَّى بـ«عجائب البلاد والزَّمن»، قال: لـمّا فتح طارِق طُلَيْطُلة، وجد فيها[2] بيت الملوك، ففتحه. فوجد فيه زَبُورَ داود عليه السلام في وَرَقات ذَهَب، مكتوبًا بماء ياقوت مَـحْلُولٍ، من عجيبِ العَمَل الذي لم يَكَدْ يُرَ مثلُه[3]، ومائدة سليمان عليه السلام وقد تقدَّم وصفُها. ووجد فيه أربعة وعشرين تاجًا منظومةً بعَدَد ملوك القُوطِيّين بالأنْدَلُس: إذا توفّي أحَدُهم، جعل تاجَهُ بذلك البيت، وفعل الملكُ بعده لنفسه غيرَه، جرت عوائدُهم على ذلك. ووجدَ فيه قاعةً كبيرةً مملوءةً بإكْسير الكِيمِياء، فحمل ذلك كلَّه[4] إلى الوليد بن عبد الملك.

---

(١) في ر١: «الدرر».

(٢) في م: «بها».

(٣) قوله: «الذي لم يكد يُر مثله» ليس في ر١.

(٤) ليست في ر١.

وفي سنة ست وتسعين: توفّي الوليد بن عبد الملك في جُمادى الآخرة. ووَلِيَ الخلافة سُليمان[1]. فغضب على موسى غَضَبًا عظيمًا[2]، وأمر عليه، فأُوقِفَ في يوم شديد الحرّ في الشمس، وكان رجلًا بادنًا ذا نسمةٍ. فوقف حتّى سقط مَغْشيًّا عليه. وقال له سليمان: كتبتُ إليك، فلم تنظر كتابي، هَلُمَّ مئة ألف دينار. قال: يا أمير المؤمنين، قد أخذتُمْ ما كان معي من الأموال، فمن أين لي مئة ألف دينار؟ قال: لا بدَّ من مئتي ألف، فاعتذر، فقال: لا بدَّ من ثلاث مئة ألف دينار. وأمر بتعذيبِه، وعزمَ على قتلِه. فاستجارَ بيزيد بن الـمُهَلَّب، وكانت له حُظوةٌ عند سُليمان، فاستوهبَهُ منه، وقال: يُؤدِّي ما عنده، وقيل: إنّ موسى افْتُدِيَ من سُليمان بألف ألف دينار؛ ذكر ذلك ابن حَبِيب وغيرُه. ثمّ إنّ يزيد بن الـمُهَلَّب سَهر ليلةً مع الأمير موسى، فقال له: يا أبا عبد الرحمن في كم كُنْتَ تَعْتَدُّ أنت وأهلُ بيتك، من الموالي والـخُدَّام، أتكونون في ألفٍ؟ فقال: نعم وألف ألف إلى منقطع النَّفَس. قال: فَلِمَ ألقيتَ بنفسك إلى التَّهْلُكة، أفلا أقَمْتَ في قَرار عِزِّك، وموضع سلطانك؟ فقال: والله لو أردتُّ ذلك، لَـمَا نالوا من أطرافي شيئًا، ولكنِّي آثَرْتُ الله عزَّ وجلَّ ورسولَهُ، ولم أرَ الخروجَ عن الطاعةِ. وقيل: إنّ سُليمان بن عبد الملك، بعد ما افْتُدِيَ منه موسى، دعا يومًا بطِسْتٍ من ذَهَب، فرآه موسى ينظر إليه، فقال له[3]: يا أمير المؤمنين، إنّك لتعجبُ من غير عجب، والله ما أحْسِبُ أنّ فيه عشرة آلاف دينار، والله لقد بعثتُ إلى أخيك الوليد بتَنُّورٍ من زَبَرْجَد أخضر كان يُصَبُّ فيه اللبنُ فيخْضَرُّ، ولقد قُوِّمَ بمئة ألف دينار، ولقد أصبتُ كذا وأصبتُ كذا، وجعل يُكثر عليه في ذلك[4]، حتّى بُهِتَ الأميرُ من قوله.

وكان مَوْلِد موسى بن نُصَيْر سنة تسع عَشْرة، ووفاته سنة ثمان وتسعين، فكان عُمُره تسعًا وسبعين سنة. وفي سنة ثمان وثمانين ولي إفريقية، فأقام عليها أميرًا وعلى

---

(١) تاريخ خليفة ٣٠٩، وتاريخ الطبري ٦/ ٤٩٥.

(٢) في ر١: «شديدًا».

(٣) ليست في ر١.

(٤) قوله: «وجعل يكثر عليه في ذلك» ليس في ر١.

الأَنْدَلُس[1] والمغرب كلّه نحو ثمان عشْرةَ سنة، إلى أن مات. ومـمّا ذُكِر في وفاته، أنّه حجَّ مع سُليمان، فلمّا وصلا المدينة، قال موسى بن نُصَيْر لأصحابه: لَيَمُوتَنَّ بعد غَد رجلٌ قد ملأ ذِكْرُه المشرق والمغرب، فمات موسى في ذلك اليوم[2].

ولاية محمّد بن يزيد إفريقية[3] والمغرب

قال الواقديُّ: ثمّ إنّ أمير المؤمنين[4] سُليمان بن عبد الملك قال لرَجاء بن حَيْوة[5]: أُريد رَجُلًا، له فضلٌ في نفسه، أُوَلِّيه إفريقيةَ[6]. فقال له[7]: نعم. فمكث أيّامًا، ثمّ قال له[8]: قد وجدتُّ رجلًا له فضلٌ. قال: مَن هو؟ قال: محمَّد بن يزيد مَوْلى قُرَيْش[9]. فقال: أدْخِلْه عليَّ، فأدخله عليه. فقال سُليمان: يا محمَّد بن يزيد اتَّقِ الله وَحْدَه لا شريكَ له وقُمْ فيما ولَّيْتُك بالحقّ والعدل، وقد ولَّيْتُك إفريقية والمغرب كلَّه[10] قال: فودَّعه وانصرفَ، وهو يقول: ما لي عُذْرٌ عند الله إن لم أعْدِلْ.

وفي سنة سبع وتسعين من الهجرة: استقرَّ محمَّد بن يزيد بإفريقية بأحسن سيرة وأعدلها. ثمّ وصله الأمر بأخْذ عبد الله بن موسى بن نُصَيْر وتعذيبه، واستئصال أموال بني موسى، فسجنه محمد وعذَّبه، ثمّ قتلَهُ بعد ذلك. وكان سُليمان قد أمَره[11] بأخْذِ أهل[12]

---

(١) سقطت من ر١.

(٢) في ر١: «فمات موسى ذاك اليوم».

(٣) ليست في ر١.

(٤) قوله: «أمير المؤمنين» ليس في ر١.

(٥) ترجمته في تاريخ الإسلام ٣/ ١٦٤.

(٦) في ر١: «المغرب».

(٧) ليست في ر١.

(٨) من ر١.

(٩) ترجمته في تاريخ الإسلام ٣/ ١٦٤.

(١٠) في ر١: «وليتك المغرب كلّه».

(١١) سقطت من ر١.

(١٢) في ر١: «آل».

موسى وَوَلده وكلٍّ من تلَّبس بهم[1] واستئصال أموالهم، وتعذيبهم[2]، حتّى يؤدُّوا ثلاث مئة ألف دينار. وتولَّى قَتْلَ عبد الله بن موسى خالدُ بن أبي حَبيب القُرَشيّ.

وأمّا عبد العزيز بن موسى، فخلعَ دعوةَ بني مروان واستبدَّ بأمره لـمّا بلغَهُ ما نزلَ[3] بأبيه وأخيه وأهل بيته، فجاءت الكُتُب إلى حَبِيب بن أبي عَبْدة ووَجوهِ العرب من سُليمان بن عبد الملك، يأمرُهم بقتله، فقتلُوه، وحُمِل رأسُه ورأسه أخيه عبدِ الله حتّى وُضِعا بين يدي أبيهما موسى، وهو في عَذابه[4]. فكان فِعْلُ سُليمان هذا بموسى وبنيه، وقد فعل من الفَتْح في الإسلام ما فَعَلَ، من هَفَوات سُليمان التي لم تزل تُنقم عليه.

واستعمل محمَّد بن يزيد على الأَنْدَلُس الـحُرَّ بن عبد الرحمن القيسي[5]. وكانت الأَنْدَلُس إذ ذاك إلى والي إفريقية، كما كان أيضًا والي إفريقية من قِبَل والي مِصرَ. وكان محمَّد بن يزيد يبعث بسريَّةَ إلى ثغور إفريقيةَ، فما أصابه قَسَمَهُ عليهم. وكانت ولايتُه سنتَيْن وأشْهُرًا.

وفي سنة تسع وتسعين: توفّي سُليمان بن عبد الملك، واستُخْلِف عُمَر بن عبد العزيز رضي الله عنه يومَ وفاته[6]، فاستعمل على إفريقية إسماعيل بن عبد الله بن أبي الـمُهاجِر[7]، مَوْلى بني مَـخْزُوم.

وفي سنة مئة: ولي إسماعيل بن أبي الـمُهاجِر إفريقية من قبَل أمير المؤمنين عُمر بن عبد العزيز. فكان خَيْرَ أمير وخَيْرَ والٍ[8]. وما زال حريصًا على دُعاء البربر إلى الإسلام حتّى أسلمَ بقيَّةُ البربرِ بإفريقية على يديه، في دولة عمر بن عبد العزيز. وهو الذي

---

(١) في أ: «به».

(٢) قوله: «واستئصال أموالهم وتعذيبهم» ليس في ر١.

(٣) في ر١: «فُعِلَ».

(٤) تاريخ الطبري ٦/ ٥٢٣.

(٥) هكذا في النسختين، وفي م: «الثقفي»، محرف، وتنظر جذوة المقتبس (٤٠٦).

(٦) تاريخ خليفة ٣١٦، وتاريخ الطبري ٦/ ٥٤٦.

(٧) من هنا إلى قوله في الفقرة الثانية: «المهاجر» سقط من ر١ من قفز النظر بين اللفظين المتماثلين.

(٨) تاريخ خليفة ٣٢٣.

عَلَّم أهل إفريقية الـحَلال والـحَرام، وبعثَ معه عُمَر رضي الله عنه عَشَرةً من التابعين أهلِ علمٍ وفضلٍ، منهم: عبدُ الرحمن بن نافِع، وسَعْد[1] بن مسعود التُّجيبيُّ، وغيرُهما. وكانت الخمرُ بإفريقيةَ حلالًا، حتّى وصل هؤلاء التابعيون، فبيَّنوا تحريمَها رضي الله عنهم.

وفيها: استخلفَ إسماعيلُ بن أبي الـمُهاجِر على الأَنْدَلُس السَّمْحَ بن مالك الـخَوْلانيَّ، فكان حلولُه بها في رمضان من السنة.

وفي سنة إحدى ومئة: توفِّي عُمر بن عبد العزيز رضي الله عنه بدَيْر سَمْعان، لست خلون من شعبان، فكانت خِلافتُه سنتَيْن وخمسةَ أشهر. ووَلِيَ الـخِلافةَ بعده يزيد بن عبد الملك[2]. فوَلَّى على إفريقية يزيد[3] بن أبي مُسْلِم مَوْلى الـحَجَّاج بن يوسف وصاحب شُرْطته[4].

وفي سنة اثنتين ومئة: قَدِمَ إلى إفريقية، واليًا عليها، يزيد بن أبي مُسلِم، وكان ظَلُومًا غَشُومًا، وكان البربر يَـحْرُسُونه، فقام على المنبر خَطيبًا، فقال: أيها الناس[5]، إنّي رأيتُ أن أرسم اسم حَرَسي في أيديهم كما تصنع ملوكُ الروم بحرسها، فأرسم في يمين الرجل اسمه وفي يساره حرسي ليعرفوا بذلك من بين سائر الناس، فإذا وقفوا على أحد، أسرع لِـمَا أمرتُ به. فلمّا سمعوا ذلك منه، أعني حَرَسَه، اتَّفقوا على قتله، وقالوا: جَعَلَنا بمنزلة النصارى. فلمّا خرج من داره إلى المسجد، لصلاة المغرب، قتلوه في مُصَلّاه، فتكلَّم الناسُ في رجل يقوم بأمرهم، حتّى يأتيهم أمْرُ الخليفة، فتراضَوْا بالمغِيرة بن أبي بُرْدة[6] وكان شجاعًا كبيرًا، فقال له ابنه عبد الله: إنَّ يزيد بن أبي مُسْلِم قُتِل بحضرتك. فإنْ قُمْتَ بهذا الأمر، اتُّهِمْتَ بقتله، ولكن الرأي أن نتراضى لمحمَّد بن أَوْس الأنصاري[7]، وكان غازيًا بصِقِلِّيَّة، فلم يلبث إلّا يسيرًا

---

(١) في أ: «سعيد»، محرف.

(٢) تاريخ خليفة ٣٢١، وتاريخ الطبري ٦/ ٥٦٥.

(٣) ترجمته في تاريخ الإسلام ٣/ ١٨٣.

(٤) تاريخ خليفة ٣٣٤.

(٥) قوله: «أيها الناس» من ر١.

(٦) ترجمته في تاريخ الإسلام ٢/ ١١٧٥.

(٧) ترجمته في تاريخ الإسلام ٣/ ١٥١.

حتّى قدم بغنائم قد أصابها، فقلّدوه أمر إفريقية، فكتبَ إلى يزيد بن عبد الملك يخبره بما حَدَثَ من الأمر، فاستعمل على إفريقية بِشْرَ بن صَفْوان.

ولاية بِشْر بن صَفْوان[1] إفريقية والمغرب[2]

هو بِشْر بن صَفْوان بن نَوْفل[3] بن بِشْر بن حَنْظَلة بن عَلْقَمة بن شَراحِيل بن عَزيز بن خالِد. وُلِّيَ إفريقية سنة ثلاث ومئة. فاستصفى بقايا آل[4] موسى بن نُصَيْر، ووفد بعد ذلك إلى يزيد بن عبد الملك، فألفاه قد هلك.

وفي سنة خمس ومئة: هلك يزيد بن عبد الملك في ربيع الأوَّل[5]، ووَلِيَ هشام بن عبد الملك، فردَّ بِشْر بن صَفْوان إلى إفريقية. فلمّا قَدِمها، وَلّى على الأنْدَلُس عَنْبَسة بن سُحَيْم الكَلْبيَّ[6]. ثمّ إنّ بِشْر بن صَفْوان غزا بنفسه صِقِلّيَّة. فأصابَ بها سبيًا كثيرًا، وقفل إلى القَيْرَوان. فلمّا حضرَتْه الوفاة، قالت جاريتُه: وا شَماتةَ الأعداء، فقال لها: قَوْلي للأعداء لا يموت[7]، واستخلف العبَّاس بن باضِعة الكَلْبيَّ[8].

وفي سنة سبع ومئة: ولّى بِشْر بن صَفْوان على الأنْدَلُس يحيى بن سَلَمة الكَلْبيَّ. فقدمها في شوَّال. وفي هذه السنة اختلط أمر ولاة مِصْر اختلاطًا كثيرًا.

وفي سنة تسعٍ ومئة: تُوُفّي بِشْر بن صَفْوان والي إفريقية بمدينة القَيْرَوان، فكانت ولايتُه سبع سنين، وبقي نائبُه على القَيْرَوان حتّى وصل والٍ من قِبَل الخليفة هشام بن عبد الملك.

---

(١) ترجمته في تاريخ دمشق ١٠/ ٢٣٣، وتاريخ الإسلام ٣/ ١٨.

(٢) من ر١.

(٣) في م: «توبل»، محرف.

(٤) في ر١: «مال».

(٥) ذكر خليفة والطبري أن وفاته لخمس بقين من شعبان (تاريخ خليفة ٣٣١، وتاريخ الطبري ٧/ ٢١).

(٦) ترجمته في تاريخ ابن الفرضي ١/ ٤٤١، وجذوة المقتبس (١٠١١)، وتاريخ الإسلام ٣/ ١٣٤.

(٧) في ر١: «يموتوا»، وهو تحريف.

(٨) هكذا في النسختين، وفي تاريخ خليفة: «نعاس بن قرط الكلبي» (ص٣٣٩).

ولاية عُبَيْدة بن عبد الرحمن السُّلَميّ إفريقيةَ والمغرب[1]

وهو ابن أخي أبي الأعْوَر السُّلَميّ صاحبِ خَيْل مُعاوية بِصِفّين، فقدم إفريقية سنة عَشْر ومئة في ربيع الأوَّل، فدخل القَيْرَوان فجاءةً وذلك يوم الـجُمُعة. فألفى خليفةَ بِشْرِ بن صَفْوان قد تَـهَيَّأ لشهود الـجُمُعة، ولَبِسَ ثيابه، فقيل له: هذا عُبَيْدة قد قَدِمَ أميرًا، فقال: لا حَوْلَ[2] ولا قوَّةَ إلّا بالله هكذا تقوم الساعةُ بغتةً وألقى بنفسه، فما حملَتْه رِجْلاه، ودخل عُبَيْدة، فأخذ عُمَّال بِشْر وأصحابَه، فحبسهم وأغرمَهم وعذَّب بَعْضَهم[3].

وفي سنة عشر ومئة: وَلَّى عُبَيْدة بن عبد الرحمن المذكور عُثمان بن أبي نِسْعة على الأنْدَلُس، فقَدِمَها في شعبان[4].

وفي سنة إحدى عَشْرة ومئة: قَـدِم إلى الأنْدَلُس واليًا أيضًا من قِبَل عُبَيْدة بن عبد الرحمن صاحبِ إفريقية والـمَغْرِب كلِّه حُذَيْفَةُ بن الأحْوَص القَيْسيُّ، وقيل: الأشْجَعيُّ، وذلك في غُرَّة مُـحَرَّم من السنة المذكورة[5].

وفي سنة اثنتي عَشْرة: ولَّى عُبَيْدة المذكور على الأنْدَلُس أيضًا الـهَيْثَم بن عُبَيْد الكنانيَّ، فقدمها في محرَّم أيضًا من هذه السنة، ثمّ توفِّي سنة أربع عَشْرة ومئة، فكانت ولايتُه سنتَين وأيَّامًا.

---

(١) ينظر نهاية الأرب للنويري ٢٤/ ٣٠.

(٢) قوله: «لا حول» ليس في ر١.

(٣) الخبر في الحلة السيراء لابن الأبار ١/ ٦٤-٦٥.

(٤) الكامل لابن الأثير ٥/ ١٤٦، وذكر ابن الأثير أن عبيدة استعمل حذيفة بن الأحوص الأشجعي، فقدم الأندلس في ربيع الأول سنة ١١٠هـ وبقي واليًا عليها ستة أشهر ثم عزل بعثمان بن أبي نِسْعة، ولعل هذا هو الصواب.

(٥) هكذا قال وفيه اضطراب واضح، فهل تولاها ثانية؟! وذكر ابن الأثير أن الذي تولى الأندلس في محرم سنة ١١١ هو الهيثم بن عبيد الكناني، وأنه أقام واليًا عليها عشرة أشهر وأيامًا، ثم توفي في ذي الحجة، فقدّم أهل الأندلس على أنفسهم محمد بن عبد الله الأشجعي، وكانت ولايته شهرين، وولي بعده عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي في صفر سنة اثنتي عشرة ومئة، واستشهد في أرض العدو في رمضان سنة أربع عشرة ومئة (الكامل ٥/ ٤٩٠)، وما ذكر هنا فمضطرب.

ولما أخذ عُبَيْدة عُمّال بِشْر وأصحابَه، وأغْرَمَهم، وعَذَّبهم، كان فيهم أبو الخَطَّار الحُسامُ بن ضِرار الكَلْبيُّ[1]، وكان شريفًا في قومه، مع فصاحةٍ وبراعةٍ. وكان وليَ في إفريقية ولايات كبيرة في أيَّام بِشْر بن صَفْوان، فعزله عُبَيْدة ونكَّل به، فقال [من الطويل]:

أفاتُمْ بني مَرْوانَ قَيْسًا دِماءنا	وفي الله إن لم تُنْصِفوا حَكَمٌ عَدْلُ
كأنَّكُمُ لم تَشْهَدُوا مَرْجَ راهِطٍ	ولم تَعْلَموا مَنْ كان ثَمّ له الفَضْلُ
تَعَاميتُمُ عَنَّا بعينٍ جَليَّةٍ	وأنتُمْ كذا ما قد علمنا لنا فُعْلُ[2]

وبعثَ بهذه الأبيات إلى الخليفة هشام بن عبد الملك، فأمرَ هشام بعزل عُبَيْدة عن إفريقية والمغرب، فقفل[3] واستَخْلَفَ عُقْبَة بن قُدامة، وذلك[4] في شوَّال سنة أربع عشرة ومئة. فكان مُلْكُ عُبَيْدة بإفريقية أربع سنين وستَّة أشهر. وتوجَّه إلى الشام سنة أربع عشرة ومئة بهدايا وتُحَف عظيمة، وبقي خليفتَه على القَيْرَوان ستَّةَ أشْهُر.

وفي سنة ثلاثَ عَشْرة ومئة: كان عُمَّال إفريقية والأنْدَلُس الذين كانوا في السنة قبلها. ثمّ ولي الأنْدَلُس عبد الرحمن بن عبد الله الغافِقيُّ[5]. فغزا الروم، واستشهد

---

(١) ترجمته في جذوة المقتبس (٤٠٣) وتعليقنا عليها.

(٢) جاءت الأبيات في ر١:

أفادت بنو مروان قيسًا دماءنا	وفي الله إن لم يعدلوا حَكَم عدلُ
كأنَّهم لم يشهدوا مرج راهطٍ	ولم يعلموا مَن كان ثمّ له الفضلُ
تغافلتم عنّا كأن لم نكن لكم	صديقًا وأنتم ما رعيتُم لنا فُعْلُ

وهي متفقة مع ما ورد في جذوة المقتبس، ص٢٩٢.

(٣) بعد هذا في أ: «منه».

(٤) ليست في ر١.

(٥) ترجمته في تاريخ ابن الفرضي ١/ ٣٤٢ (٧٧٠)، وجذوة المقتبس (٦٠٤)، وبغية الملتمس (١٠٢١)، وتاريخ الإسلام ٣/ ٢٧٣، وتهذيب الكمال ١٧/ ٢٤٣-٢٤٥.

مع جماعة من عسكره سنة خمس عَشْرة ومئة بموضع يُعرف ببَلاط الشُّهَداء. وفيها أصاب الناسَ مجاعةٌ عظيمة.

ولاية عُبَيْد الله بن الـحَبْحاب[1] إفريقيةَ والمغربَ كلَّه

وهو مَوْلى بني سَلُول. وكان رئيسًا نبيلًا، وأميرًا جليلًا، بارعًا في الفَصاحة والخطابة، حافظًا لأيَّام العرب وأشعارها ووقائعها. فقَدِمَ إفريقية في ربيع الآخر من سنة ست عَشْرة ومئة. وهو الذي بَنَى المسجدَ الجامع ودار الصِّناعةِ بتُونُس. وكان أوَّلَ الأمر كاتِبًا. ثمّ تناهَتْ به الحالُ إلى ولاية مِصْرَ وإفريقية والأنْدَلُس والمغرب كلِّه، فاستخلفَ على مِصْر ابنَهُ القاسم، واستعمل على الأنْدَلُس عُقْبة بن الـحَجَّاج السَّلُوليَّ[2]، واستعمل على طَنْجة وما والاها من المغرب الأقصى ابنه إسماعيل، ثمّ عُمَرَ بن عبد الله الـمُراديَّ.

وبعث حَبيب[3] بن أبي عَبْدة[4] بن عُقْبة بن نافِع الفِهْريَّ غازيًا إلى السُّوس الأقصى، فبلغَ أرض السُّودان، ولم يقابِلْه أحَدٌ إلّا ظهرَ عليه، ولم يَدَعْ بالمغرب قبيلةً إلا داخلها وأصابَ من السبي أمرًا عظيمًا. ووجد جاريتَيْن ليس لكل واحدة منهما إلّا ثَدْيٌ واحدٌ. ثمّ رجع سالـمًا ظافرًا. فغزا صِقِلِّيَّة وظفرَ بأمر لم يُرَ مثلُه.

ثُمّ إنّ عُمَر بن عبد الله الـمُراديَ، عاملَ طَنْجة وما والاها، أساءَ السيرة وتعدَّى في الصدقات والعُشُر، وأراد تَـخْميس البربر، وزعمَ أنَّهم فَيْءُ المسلمين، وذلك ما لم يرتكبْه عاملٌ قبله، وإنّما كان الولاة يُـخَمّسون من لم يَـجِبْ للإسلام. فكان فعلُه الذَّميم هذا سببًا لنَقْض البلاد ووقوع الفِتَن العظيمة الـمُؤدِّيَة إلى كثيرِ القَتْل في العِباد، نعوذ[5] بالله من الظلم الذي هو وبال على أهله.

---

(١) تاريخ الإسلام ٣/ ٦٩١.

(٢) جذوة المقتبس (٧٤٠)، والحلة السيراء لابن الأبار ٢/ ٢٣٦.

(٣) ترجمته في جذوة المقتبس (٣٩٤)، وتاريخ دمشق لابن عساكر ١٢/ ٤٢، وتاريخ الإسلام ٣/ ٣٩٤.

(٤) هكذا في النسخ، وفي مصادر ترجمته: «عُبيدة».

(٥) من هنا إلى آخر الفقرة ليس في ر١.

فلمّا عَلِمَ البربرُ خروجَ حبيب بن أبي عَبْدة إلى بلاد الرُّوم، نَقَضُوا الطاعةَ لعُبَيْد الله[1] بن الـحَبْحاب بطَنْجة وأقاليمها، وتَدَاعت برابرُ المغرب بأسره، فثارت البَرْبر بالمغرب الأقصى، فكانت أوَّلَ ثورة فيه وفي إفريقية في الإسلام.

وفي سنة اثنتين وعشرين ومئة: كانت ثورة البربر بالمغرب، فخرج مَيْسَرة الـمَدْغَريُّ، وقام على عُمَر بن عبد الله الـمُراديّ بطَنْجة، فقتلَهُ. وثارت البرابر كلُّها مع أميرهم مَيْسَرة الـحَقِير. ثمّ خَلَّفَ مَيْسَرَة على طَنْجة عبد الأعلى بن حُدَيْج، وزحفَ إلى إسماعيل بن عبيد الله بن الـحَبْحاب إلى السُّوس، فقتله. ثمّ كانت[2] وقائعُ كثيرةٌ بين أهل المغرب الأقصى وأهل إفريقية، يطولُ ذِكْرُها. وكان بالمغرب حينئذٍ قومٌ ظهرت فيهم دعوةُ الـخَوارِج، ولهم عَدَدٌ كثيرٌ وشوكةٌ كبيرةٌ، وهم بَرَغْوَاطة.

وكان السبب في ثورة البربر وقيامِ مَيْسرة أنّها أنكرت على عامل ابن الـحَبْحاب سُوء سيرته كما ذكرنا. وكان الـخُلَفاءُ بالمشرق يستحبُّون طَرائف المغرب، ويبعثون فيها إلى عامل إفريقية، فيبعثون لهم البربريَّات الـمَسْبِيات[3] فلمّا أفضى الأمر إلى ابن الـحَبْحاب، منَّاهم بالكثير، وتكلَّف لهم أو كلَّفوه أكْثَرَ مـمّا كان. فاضطَّر إلى التعسُّف وسُوء السيرة. فحينئذٍ عَدَت البرابر[4] على عاملِهم، فقتلوه وثاروا بأجمعهم على ابن الـحَبْحاب.

وكان لعُبَيْد الله بن الـحَبْحاب أولادٌ قد أعجبَتْهم أنفسُهم، فقدم عُقْبة بن الحجَّاج عليهم، وكان أبو عُقْبة قد أعتق الـحَبْحابَ والِدَ عُبَيْد الله. فلمّا دخل عُقْبة على عُبَيْد الله، قامَ إليه، وأعظمه، وأقعده على سريره. فلمّا خرج عُقْبة من عنده، أنكر ذلك عليه أولادُه[5]، فقال لهم: ما رأيُكم؟ قالوا: أن تعطيه شيئًا وتَصْرِفَه عنّا فلا

(١) في ر١: «على عبيد الله».
(٢) في ر١: «فكانت».
(٣) في م: «السنيات»، وهو تحريف.
(٤) في ر١: «البربر».
(٥) في ر١: «أولادهم»، وليس بشيء.

يكسر شَرَفنا. فقال لهم: نعم. فلمّا كان في غدٍ، أمرَ الناسَ، فدخلوا عليه ودخل عُقْبة في جُـمْلَتهم فقامَ إليه، وأجلسَهُ على سريره، ووقفَ قائمًا، فقال: أيها الناس، إنّ بنِيَّ هؤُلاء غَرَّتْهم غِرَّةُ الشيطان لعزْة[1] السُّلطان، وأرادوا أمرًا أخرجُ به عن الحقّ، وأنكروا ما رأوا من بِرِّي بهذا الرجل، وإنّما أُخبِرُكم أنّه مَوْلاي، وأنّ أباه أعتقَ أبي وأنا أكْرَهُ كِتْمانَ أمرِ اللهُ سُبْحانَه شهيدٌ به عليَّ. ثمّ خَيَّرَ عُقْبَةَ في ولاية ما شاءَه من سُلطانه، فاختارَ الأَنْدَلُس، فولّاه عليها، وذلك في[2] سنة ست عَشْرة ومئة. وأقام بها إلى سنة إحدى وعشرين ومئة. وقام عليه عبد الملك بن قَطَن الفِهْريُّ[3]، فخلعَهُ. وقيل: بل هو استخلفَهُ.

رَجْع الـخَبَرِ إلى مَيْسرة الـمَدْغَريّ، رأس الصُّفْريَّة[4]، أمير الغرب: لـمّا بلغ عُبَيْدَ الله بن الـحَبْحاب قتلُ عامله ووَلَدِه، كتبَ إلى صاحب جيشه[5] حَبيب بن أبي عَبْدة، يأمره بالرجوع من صِقِلّيَّة، ليأخذ في الـحَرَكة مع أهل إفريقية إلى حرب[6] مَيْسَرة. وولّى ابن الـحَبْحاب على عَسْكَر إفريقية وأشرافهم ووجوههم خالِدَ بن أبي حَبيب الفِهْريَّ. فشخص إلى مَيْسَرة، ووصل حَبيب بن أبي عَبْدة في إثره. وسارَ خالدٌ حتّى عبر وادي شَلَف[7]، وهو نهرٌ بمقربة تِيهَرْت. ثمّ قَدِمَ حَبيب، فنزلَ على مجازِ الوادي[8] المذكور، فلم يبرح منه. ومضَى خالدٌ من فورِه حتّى لقي مَيْسَرة بمقربة من طَنْجة، فاقتتل معه قتالًا شديدًا لم يُسمع قطُّ بمثلِه. ثمّ انصرف مَيْسَرة إلى طَنْجة فأنكرت البربر عليه سوء سيرته وتغيُّرَه عمّا كانوا بايعوه عليه.

---

(١) في ر ١: «بقوة».

(٢) ليست في ر ١.

(٣) ترجمته في تاريخ ابن الفرضي ١ / ٣٥٨ والتعليق عليه.

(٤) قوله: «رأس الصفرية» ليس في ر ١.

(٥) قوله: «صاحب جيشه» ليس في أ.

(٦) ليست في أ.

(٧) الروض المعطار ٣٤٣.

(٨) في ر ١: «وادي المجاز».

قال الرَّقيق: وكان مَيْسَرة قد تسمّى بالخلافة، وبويعَ عليها، فقتلُوه وولّوا أمرهم بعده خالِدَ بن حُـمَيْدٍ الزَّناتيَّ. فالتقى خالِد بن أبي[1] حَبِيب بالبربر، فكان بينهم قتالٌ شديد. فبينا هم[2] كذلك إذ غَشِيُهم خالِد بن حُـمَيْد الزَّناتيُّ من خَلْفهم بعسكرٍ عظيم، فتكاثرت عليهم البَرْبرُ، فانهزمَ العربُ وكَرِهَ خالِد بن أبي حبيب أن يهربَ، فألقَى بنفسه، هو وأصحابه، إلى الموت أنفةً من الفِرار[3]، فقُتل ابن أبي حبيب ومَن معه، حتّى لم يبْقَ من أصحابه رجلٌ واحد. فقُتِل في تلك الوقعة حُماةُ العرب، وفُرسانُها، وكُماتُها، وأبطالُـها، فسُمِّيَت الغزوة غزوة الأشراف، فانتفضت البلادُ. وبلغ أهلَ الأنْدَلُس ثورةُ البربر، فوثبوا على أميرهم؛ فعزلُوه وولَّوا عبد الملك بن قَطَن. فاختلَّت الأُمور على ابن الـحَبْحاب، فاجتمعَ الناسُ عليه وعزلوه. وبلغ ذلك الخليفةَ هشام بن عبد الملك فقال: والله لأغْضَبَنَّ لهم غَضْبَةً عَرَبيَّةً ولأبْعَثَنَّ لهم جَيْشًا أوَّلُه عندهم وآخِره عندي[4] ثمّ كتبَ إلى ابن الـحَبْحاب بقدومه عليه، فخرج في جُمادى الأُولى من سنة ثلاث[5] وعشرين ومئة.

ولاية كُلْثوم بن عِيَاض إفريقية[6] ومُقاتلته مع أميـر الـمَغْرب خالد بن حُـمَيْد الـزَّنانـيّ

لما بلغ هشامَ بن عبد الملك انتقاضُ البلاد الغربيَّة والأندلسية، بعثَ كُلثُومَ بن عِيَاض هذا إلى إفريقية، وعقدَ له على اثني عشر ألفًا من أهل الشام. وكتبَ إلى والي كل بَلَد أن يَـخْرجَ معه بمن معه. فصارت عُمَّـال مِصْرَ وأطْرابُلُس وبَرْقة معه حتّى قَدِمَ إفريقية في رمضان سنة ثلاث وعشرين ومئة، فنكبَ عن القَيْروان. وكان على

---

(١) سقطت من ر١.

(٢) في ر١: «فينما».

(٣) قوله: «أنفة من الفرار» ليس في أ.

(٤) في ر١: «أوله عندي وآخره عندهم»، خطأ.

(٥) في ر١: «ثمان»، خطأ.

(٦) ينظر تاريخ خليفة ٣٦٠.

طَلائعه بَلْجُ[1] بن بِشْر القُشَيْرِيُّ ابن عمّه. فلمّا وصل بَلْج، قال لأهل إفريقية: لا تُغْلِقوا أبوابكم، حتّى يعرف أهلُ الشام منازلكم[2]. ومع ذلك كلامٌ كثير يَغيظهم به[3]. فكتبوا إلى حَبيب بن أبي عَبْدة، يُعَرِّفونه بمقالة بَلْج. فكتب إلى كُلْثوم: إنّ ابن عَمّك السَّفِيه قال كذا وكذا، فارْحَلْ بعسكرك عنهم، وإلّا حوَّلْنا أعِنَّـةَ الخيل إليك. فكتب كُلْثوم يعتذر إليه ويأمره أن يُقيم بشَلَف حتّى يَقْدُم عليه. فاستخلف كُلْثوم على القَيْرَوان عبدَ الرحمن بن عُقْبة الغَفَّاريَّ، وسار حتّى عَسْكَر حبيب، فرفضه، واستهانَ به، وسبَّ بَلجُ بن بِشْر حبيبًا[4] وتنقَّصَه، وقال: هذا الذي يُحوِّل أعنَّـةَ الخيل إلينا؟ فقام إليه عبد الرحمن بن حبيب، وقال: يا بَلْج، هذا حبيبٌ فإذا شئتَ، فاعْرِض له للمقابلة، وصاح الناسُ: السلاحَ السلاحَ! فمال أهلُ إفريقية إلى ناحيةٍ، ومعهم أهلُ مصر. ثمّ سَعَى بينهم في الصلح. فكان هذا الاختلاف سَبَبَ هلاكهم، مع سوء رأي كُلْثوم وبَلْج.

ولـمّا قدم كُلْثوم على وادي سُبُو[5]، وهو في ثلاثين ألفًا، قال ابن القَطَّان: فيهم عَشَرة آلاف من صُلْب بني أُميَّة، وعشرون ألفًا من سائر العَرب. فتوجَّه إليهم خالدُ بن حُـمَيْد الزَّناتيُّ الذي تولَّى الأمر بعد مَيْسَرة. فوجَّه كُلْثوم بَلْجًا ليلًا، ليُوقِعَ بالبربر. فسرى ليلَـتَه، وأوقعَ بهم عند الصَّباح، فخرجوا إليه عُراةً، فهزموه ووصلوا إلى كُلْثوم. فأمر بدَيْدَبان[6] فنُصِبَ له، وقعدَ عليه، ثمّ نشب القتال[7]، وقعدت البَرْبر تحت الدَّرَق، وناشبت الخيلُ الخيلَ، وكشفت خيلُ العرب خيلَ البربر، ثمّ

---

(١) ترجمته في جذوة المقتبس (٣٣٧) وتعليقنا عليه.

(٢) في ر١: «منازلهم»، وهو تحريف.

(٣) في ر١: «وكلام كثير مع ذلك يغيظهم».

(٤) في أ: «الحبيب».

(٥) ينظر معجم البلدان ٣/ ١٨٦.

(٦) تقدم الكلام عليه، وقال دوزي: «نوع من الدبابات المتحركة يركب فيها القائد ليراقب المعركة ويصدر منها أوامره» (المستدرك ٤/ ٤٥٩).

(٧) قوله: «وقعد عليه ثم نشب القتال» سقط من ر١.

انكشفت خيلُ العرب، وألتفَّت الرجَّالة بالرجَّالة، فكان صَبْرٌ وقتالٌ. وخالطت خيلُ البربر[1] ورجّالتُهم كُلْثومًا وأصحابَه، فقُتل كُلْثوم، وحَبيب بن أبي عَبْدة، وسُليمان بن أبي الـمُهاجِر، ووجوهُ العرب. فكانت هزيمة أهل الشام إلى الأنْدَلُس، وهزيمةُ أهل مِصْر وإفريقية إلى إفريقية.

قال ابن القطَّان: لـمّا بعثَ هشام بن عبد الملك كُلْثومًا واليًا على إفريقية والمغرب، أمره بالـجِدّ والاجتهاد في أمرها، إذ كان بنو أُميَّة يجدون في الروايات[2] أنّ مُلْك القائمين عليهم لا يُـجاوِز الزاب. فتوهَّموا أنّه زابُ مِصْر، وإنّما كان زابَ إفريقية. وعهد إليه في سَدّها وضَبْطها، وعهد إن حَدَثَ بكُلْثوم حَدَثٌ[3] أن يكون ابن أخيه بَلْج مكانَه. فدارت بينه وبين البربر حروبٌ، هزموا في بعضها كُلْثومَ بن عياض وقتلُوه، وصارَ أمرُ العرب بإفريقية إلى بَلْج بالعهد المذكور. ولجأ فلُّهم إلى سَبْتة، وبقوا بها حتّى ضاق عليهم الأمر؛ فكاتب بلْجٌ وأصحابُه عبدَ الملك بن قَطَن أميرَ الأنْدَلُس، وسألوه إدخالَـهم الأنْدَلُس. فلم يأمَنْهم عبدُ الملك، ومَطَلهم بالميرة والسُّفُن. ثمّ اضطرَّ إلى إدخالهم الأندلس بعد ذلك، لسبب أشْرَحُهُ في الـجُزْء الثاني إن شاء الله، وهو موضعُه في أخبار الأندلس. فكاتبهم، وشرط عليهم إقامة سَنَةٍ في الأندلس، ثمّ يخرجون عنها. فرضُوا بذلك، وكانوا نحو عَشَرة آلاف من عَرَب الشام.

ولـمّا دخلوا الأندلس وأقاموا فيها سَنَةً، ترفَّهوا بها. فأمرَهُم عبدُ الملك بالخروج منها، كما اشترطَ عليهم. فامتنعوا، وقتلوا عبدَ الملك بن قَطَن، واستولى بَلْج على الأندلس، وبقي بها أحد عَشَر شهرًا، أميرًا. وقد شرحنا أمره في أخبار الأندلس في الجزء الثاني.

وقال الرَّقِيق: لم ينهزم من أهل إفريقية إلّا عبدُ الرحمن بن حَبيب، فإنّه جازَ إلى الأندلس، فقال لأميرها عبد الملك بن قَطَن: هؤلاء أهلُ الشام يقولون: ابْعَثْ لنا مَرَاكِبَ نجوز فيها، وهم، إن جازوا إليك، لم نأمنهم عليك. فلما أجازهم إليها، ما

---

(١) في ر١: «العرب»، ولا تصح لما سيأتي.

(٢) في أ: «الدرايات».

(٣) سقطت من ر١.

لبثوا فيها إلّا سنةً حتّى وثبوا عليه مع بَلْج. فكانت بينهم اثنتا عَشْرة وقيعة[1]، كلُّها على عبد الملك بن قَطَن حتى قتله بَلْجٌ واستولى على الأندلس.

وفي سنة أربع وعشرين ومئة: قُتل بَلْج بالأندلس، ووليها ثَعْلَبة بن سَلامة العامِليُّ[2]، أقعده أصحابُ بَلْج مكانَه بما عَهِدَ به هشامٌ إليهم، وبايعوه. فثارت[3] في أيّامه بقايا البربر بماردة؛ فغزاهم ثَعْلَبة، وقتل منهم خلقًا كثيرًا وأسر منهم نحو الألف، ثم انصرف[4] إلى قُرْطُبة. فكانت ولايتُه عَشَرة أشهر. وفيها كان ابتداء ظهور بَرَغْواطة.

ذكر بَرَغْواطة وارْتِدادِهم عن الإسلام[5]

قال ابن القطَّان وغيرُهُ: كان طَرِيف من وَلَد شِمْعُون بن إسحاق عليه السلام، وإنّ الصُّفْريّة رجعت إلى مدينة القَيْرَوان لِنَهْبِها واستباحَتِها في ثلاث مئة ألفٍ من البربر مع أمير منهم. وكانوا قد اقتسموا بلادَ إفريقية وحَرِيمها وأموالها، فهزَمَهم اللهُ تعالى بأهل القَيْرَوان، وهم في اثني عشر ألف مُقاتل، نصرهم الله تعالى عليهم، وخَبَرُهم طويلٌ، يمنع من إيراده هنا خيفةُ التطويل. وكان طَرِيف هذا من جملة قوَّاد هذا العسكر، وإليه تنُسب جزيرةُ طَرِيف. فلمّا هزمهم الله بأهل القيروان، وتفرَّقوا، وقُتِلَ مَن قُتِلَ منهم، وتشتَّت جمعُهم، سار طَرِيف إلى تامَسنا، وكانت بلاد بعض قبائل البربر. فنظر إلى شِدَّة جَهْلهم، فقامَ فيهم، ودعا إلى نفسه، فبايعوه وقدَّموه على أنفسهم، فشرَّع لهم ما شرَّع، وماتَ بعد مدَّة. وخَلَّفَ من الوَلَد أربعة. فقدَّم البربر ابنه صالِحًا، فأقام فيهم على الشَّرْع الذي شرَّعه أبوه طَرِيف. وكان قد حضر مع أبيه حرب مَيْسَرة الحقير ومَغْرُور بن طالُوت الصُّفْرِيَّيْن، اللَّذيْنِ كانا رأس الصُّفْرِيَّة،

---

(١) في ر١: «وقعة».

(٢) ترجمته في جذوة المقتبس (٣٤٩) والتعليق عليه.

(٣) في أ: «فثار».

(٤) في أ: «وانصرف».

(٥) هذا العنوان والمادة الآتية بعده إلى ذكر ولاية حنظلة كله ليس في ر١.

فادَّعى أنّه أُنزل عليه قُرْآنهم، الذي كانوا يقْرَأونه، وقال لهم: إنّه صالحُ المؤمنين، الذي ذكره الله في كتابه العزيز.

وعهد صالح إلى ابنه إلياس بديانته، وعَلَّمه شرائعه، وفقَّهه في دينه، وأمره ألّا يُظْهِر الديانة حتّى يَظْهَر أمرُه، وينتشر خبرُه، فيَقْتُل حينئذٍ من خالَفَه، وأمره بموالاة أمير المؤمنين بالأنْدَلُس. وخرج صالِحٌ إلى المشرق، ووعده أنّه يرجع في دولة السابع من ملوكهم، وزعم أنّه المهديُّ الذي يكون في آخر الزمان لقتال الدَّجّال وأنّ عيسى عليه السلام يكون من رجاله وأنّه يُصَلِّي خَلْفَه. وذكر في ذلك كلامًا نسبه إلى موسى عليه السلام.

فوَلِـيَ بعد خروجه إلى المشرق ابنُه إلياس خمسين سنة. فكتم شريعته إلى سنة ثلاث وسبعين ومئة. فخُرِّج عن ذلك كلّه من أمر صالح وابنه أنّ ابتداءَه كان في هذه السنة، أو التي قبلها، وما يأتي بعدهما من السنين، إذ خمسون سنة آخِرُها سنة ثلاث وسبعين ومئة، مبدأها سنة أربع وعشرين ومئة أو نحوها، والله أعلم.

ولاية حَنْظَلة بن صَفْوان[1] إفريقية والمغرب كلّه[2]

ولما بلغ أميرَ المؤمنين[3] هشام بن عبد الملك قَتْلُ كُلْثوم بن عِيَاض وأصحابه، بعث إلى إفريقية والمغرب حَنْظَلة بن صَفْوان الكَلْبيَّ. وكان عامِلَه على مِصْرَ، ولّاه عليها سنة تسع عَشْرة ومئة. فقدمها في شهر ربيع الآخر منها. فبعثَ إليه أهلُ الأندلس أن يبعث إليهم عاملًا، فوجَّه إليهم أبا الـخَطَّار حُسام بن ضِرار الكَلْبيَّ. فسار في البحر من تونُس إلى الأندلس، واليًا عليها، فقدمها في رَجَب، وسأذْكُر خبره في أخبار الأندلس إن شاء الله.

ومن أخبار حَنْظَلة أمير إفريقية مع أُمراء بعض القبائل الغربيَّة: وذلك لما استقرَّ حَنْظَلة بالقَيْرَوان، لم يمكُث فيها إلّا يسيرًا، حتى زحف إليه عُكَّاشة الصُّفْريُّ

---

(١) ترجمته في تاريخ الإسلام ٣/ ٨٥٣.

(٢) جاء العنوان في ر١: «ولاية حنظلة بن صفوان المغرب».

(٣) قوله: «أمير المؤمنين» ليس في ر١.

الخارِجيُّ، في جمع عظيم من البربر، وزحفَ أيضًا إلى حَنْظَلة عبدُ الواحد بن يزيد الـهَوَّاريُّ في عدد عظيم. وكانا افترقا في الزاب. فأخذ عُكّاشة على طريق مَـجَّانة، فنزل بالقَيْرَوان، وأخذَ عبدُ الواحد على طريق الـجِبال، وعلى مقدمته أبو قُرَّة الـمَغِيلِيُّ. فرأى حَنْظَلَةُ أن يُعجّل قتال عُكَّاشة، قبل أن يجتمعا عليه، فزحف إليه بجماعة أهل القَيْرَوان، فالتقوا بالقَرْن، وكان بينهم قتالٌ شديد، فهزم الله عُكَّاشة ومَن معه، وقُتِل من البربر ما لا يُحصى كثرةً. وقيل: إنّ حَنْظَلة، لـمّا رأى ما دَهِمَه من البربر، قال لأصحابه: نَسْتَمِدُّ أميرَ المؤمنين، فقال له شابٌّ جميل الوجه: بَلْ نخرجُ إلى عدوِّنا حتّى يحكم الله بيننا، فعزم حَنْظَلَةُ، وخرجَ، فهزم الله عُكَّاشة في خبر طويل.

قال عبد الله بن أبي[1] حَسَّان[2]: فأخرج حَنْظَلَة[3] كلَّ ما في الخزائن من السَّلاح، وأحضر الأموال، ونادى في الناس، فأوَّل من دخل عليه، رجلٌ من يَـحْصُب. فقال له: ما اسمك؟ فقال[4]: نَصْر بن يَنْعَم. قال: فتبسَّم حَنْظَلة كالـمُكَذِّب له وقال له: بالله اصْدُق! فقال: والله، ما لي اسمٌ غير ما قُلْتُ لك. فتفاءَل به، وقال: نَصْرٌ وفَتْحٌ. فأعطى الناسَ، وخرج لمقابلة الصُّفْرِيَّة، وهم الـخَوَارِج. فكان بينه وبينهم حربٌ يطولُ ذِكْرها، فالتحم فيها القتال، وتداعَى الأبطالُ، ولزم الرجَّالة الأرضَ، فلا تسمع إلّا وَقْع الحديد على الحديد، وتقابُض الأيدي بالأيدي. وكانت كَسْرةً على مَيْسِرَة العَرَب، ثمّ انكسرت مَيْسَرةُ البربر وقَلْبُهم، ثمّ كَرَّت العربُ على مَيْمَنة البربر، فكانت الهزيمةُ. وسِيقَ إلى حَنْظَلة رأسُ عبد الواحد، وأُخِذَ عُكَّاشة أسيرًا، فأُتي به إلى حنظلة، فقتلَهُ وخَرَّ لله ساجدًا.

وقيل: إنَّه ما عُلم في الأرض مقتلة كانت أعظم منها؛ أراد حَنْظَلة أن يُـحْصِيَ من قُتل، وأمرَ بعدِّهم، فما قُدر على ذلك، فأمر بقَصَبٍ، فطُرِحَ على كلّ قتيل قصبة[5].

---

(١) سقطت من ر١.

(٢) ترجمته في تاريخ الإسلام ٥/ ٥٩٤.

(٣) ليس في ر١.

(٤) في ر١: «قال».

(٥) في أ: «فطرح قصبة على كل قتيل»، وما هنا من ر١.

ثمّ جُمعت القَصَبُ، وعُدَّت، فكانت القتلى[1] مئة ألف وثمانين ألفًا وكانوا صُفْريَّةً يستحلُّون النساء وسَفْكَ الدماء.

وكتب بذلك حَنْظَلة[2] إلى أمير المؤمنين هشام بن عبد الملك، فسُرَّ بذلك سرورًا عظيمًا[3]، وكان اللَّيْثُ بن سَعْد يقول: ما غزوة كنتُ أُحبُّ أن أشْهَدَها، بعد غزوة بَدْر، أحبُّ إليَّ من غزوة القَرْن والأصنام.

وفي سنة خمس وعشرين ومئة: تُوفِّي أمير المؤمنين هشامُ بن عبد الملك بعلَّة الذُّبْحة[4]. وعُمَّاله في هذه السنة هم الذين كانوا في السنة قبلها، ومن جُـمْلتهم: حَفْص بن الوَليد[5] على مِصْر، وحَنْظَلة بن صَفْوان على إفريقية والمغرب[6]، وأبو الـخَطَّار على الأندلس. ثمّ استُخْلِف بعده الوليدُ بن يزيد، يومَ موت هشام بن عبد الملك، وذلك يوم الأربعاء لستّ خَلَوْن من ربيع الآخر[7].

وفي سنة ست وعشرين ومئة: تُوفِّي الوليد بن يزيد مقتولًا، يوم الخميس لليلتين بقيتا من جُمادى الآخرة[8]، قتله يزيد بن الوليد المسمَّى بالناقِص واسْتُخْلف من بعده[9]. ولم يكن في أيَّامه في هذه السنة بإفريقية أمرٌ. وبويع بدِمَشْق وجعل العهد بعده لأخيه[10] إبراهيم. وتوفِّي في ذي الحجَّة[11] من هذه السنة[12]؛ واستخلف

---

(١) ليست في ر١.

(٢) في ر١: «وكتب حنظلة بالفتح».

(٣) في ر١: «فسُرَّ به».

(٤) تاريخ خليفة ٣٥٦، وتاريخ الطبري ٧/ ٢٠٠.

(٥) ترجمته في تاريخ الإسلام ٣/ ٣٩٨.

(٦) في ر١: «على المغرب» فقط.

(٧) تاريخ خليفة ٣٦٩، وتاريخ الطبري ٦/ ٢٠٨.

(٨) تاريخ خليفة ٣٦٩، وتاريخ الطبري ٧/ ٢٥٢.

(٩) في أ: «واستخلف يزيد».

(١٠) في أ: «لابنه»، وما أثبتناه من ر١ وهو الصواب، وينظر تاريخ الطبري ٧/ ٢٩٥.

(١١) قوله: «في ذي الحجة» ليس في ر١.

(١٢) تاريخ خليفة ٣٦٩، وتاريخ الطبري ٧/ ٢٩٨.

إبراهيم بن الوليد[١]، فأقام نحو شهر ونصف. ثمّ خلعَ نفسَهُ لمروان الـجَعْديّ، فقيل: إنّه نَـبَش على يزيد بن الوليد وأخرجَهُ من قبره وصَلَبه[٢].

انتزاءُ عبد الرحمن بن حبيب الفِهْريّ[٣] بإفريقية وبعض أخباره[٤]

كان عبدُ الرحمن بن حَبيب هذا قد هربَ إلى الأندلس عند هزيمته من الوقيعة[٥] التي قُتل فيها أبوه حَبيب بن أبي عَبْدة بن عُقْبة بن نافِع، مع كُلْثوم بن عِيَاض. فلم يزل، وهو بالأندلس، يُـحاوِل أن يتغلَّب عليها. فلم يمكنه ما أرادَ، إلى أن وجَّه حَنْظَلَةُ أبا الـخَطَّار إليها، فخافَ على نفسه، وخرجَ مُسْتَتِرًا، فركبَ البحرَ إلى تونُس، فنزل بها، وذلك في جُـمادى الأولى سنة سبع وعشرين ومئة. فدعا الناس إلى نفسه، فأجابوه. وأراد حَنْظَلة الخروج إليه، والزحف لقتاله. ثمّ كره قتال المسلمين، وكان ذا وَرْع ودين، فوجَّه إليه[٦] حَنْظَلَةُ جماعةً من وجوه إفريقية يدعونه إلى مراجعة الطاعة. فلمّا قدموا عليه، أَوْثَقَهم في الحديد، وأقبل بهم إلى القَيْرَوان، وقال: إن رَمَى أَحَدٌ من أوليائهم بحجر، قتلتُهم، وكانوا وجوهَهم ورؤساءهم. فلمّا رأى حَنْظَلة ذلك، دعا القاضي والعُدول، وفتح بيت المال، فأخذ منه ألف دينار، وترك الباقي، وقال: لا أتلبَّس منه إلّا بقدر ما يكفيني ويبلِّغُني، ثمّ شخص عن إفريقية في[٧] سنة تسع وعشرين ومئة في جُمادى الأُولى. وأقبل عبد الرحمن حتّى دخل القَيْرَوان، ونادَى مُناديه: لا يَـخْرُجَنَّ أحدٌ مع حَنْظلة، ولا يشيّعه أحدٌ. فرجع عنه الناسُ خوفًا من عبد الرحمن. ولـمّا قفل حَنْظَلَةُ إلى المشرق، دعا على عبد الرحمن وعلى أهل إفريقية،

---

(١) في أ، م: «يزيد» خطأ، كما بينا سابقًا.

(٢) تاريخ الطبري ٧/ ٣١١.

(٣) ترجمته في جذوة المقتبس (٥٩٥) والتعليق عليه.

(٤) جاء العنوان في ر١: «انتزاء عبد الرحمن بن حبيب الفهري وبعض أخباره في انتزائه».

(٥) في ر١: «الوقعة».

(٦) في أ، م: «إلى»، خطأ.

(٧) ليست في ر١.

وكان مُستجابَ الدعوة، فوقع الوباءُ والطاعون بإفريقية سبع[1] سنين، لا يكاد يرتفع إلّا مرَّةً في الشتاء ومرَّة في الصيف.

وقال بعضُ المؤرّخين: إنّ مروان بن محمَّد الـجَعْديَّ بعث إلى عبد الرحمن بن حبيب بولايته على إفريقية بعد تغلُّبه عليها.

ولـمّا ولي عبد الرحمن، ثارَ عليه جماعةٌ من العرب والبربر. ثمّ ثار عليه عُروة بن الوَليد الصَّدَفيُّ، فاستولى على تونُس، وثارَ عليه عَرَبُ الساحل، وقام عليه ابن[2] عَطَّاف الأزْديُّ. وثارت البربر في الجبال. وثار ثابِت الصُّنْهاجي بباجة، فأخذها. فخرج إليه إليَاس بن حَبيب، أخو عبد الرحمن، في ست مئة فارس، ولم يُظْهِر أنّه خرج إليه، بل أعمل الحيلة مع أخيه في ذلك. ولـمّا وصل الجاسوسُ، وقال: إنّ القومَ آمِنون غافلون[3]، خرج العسكر إليهم، فقتل ابن عطَّاف وأصحابه، وأمعن عبدُ الرحمن بن حبيب في قَتْل البربر، وامتحنَ الناسَ بهم، وابتلاهم بقَتْل الرجالِ صَبْرًا، يؤتى بالأسير من البربر، فيأمر مَنْ يتهِمه بتحريم دمه بقَتْله، فيقتله. وكانت بإفريقية حروبٌ ووقائع يطول ذكرُها.

وكان عبد الرحمن بن حبيب قد كتبَ إلى مروان بن محمد، وأهدَى إليه الهدايا، فكتبَ إليه مروان، يأمره بالقُدوم عليه. ثمّ ضعفَ أمرُ بني أُميَّة بالـمَشْرق، واشتغل مروان بحرب الـمُسَوِّدة[4]. فأقامَ عبد الرحمن بالقَيْروان، حتّى كانت سنة خمس وثلاثين ومئة. فغزا تِلِمْسان، وخَلَّف ابنه حبيبًا على القَيْروان، فظفر بطوائف من البَرْبر، وعادَ إلى القَيْروان، ثم غزى صِقِلّيَّة، ثمّ بعثَ إلى سَرْدَانية[5]، فقتل بها[6] قتلًا ذريعًا، ثمّ صالحوه على الجزية. وبعث إلى إفْرَنْجة، فأتى بَسبيها؛ ودَوَّخ المغرب كلَّه،

---

(١) في ر١: «ست».

(٢) في ر١: «أبو».

(٣) في ر١: «آمنين غافلين»، خطأ.

(٤) هم العباسيون اتخذوا السواد شعارًا لهم.

(٥) معجم البلدان ٣/ ٢٠٩.

(٦) في أ: «مَن بها».

وأذلَّ مَن به[1] من القبائل، لم يُهزم له عسكرٌ، ولا رُدَّت له رايةٌ، وداخل[2] جميعَ أهل المغرب الرعبُ والخوفُ منه.

وقُتل مروان بن محمَّد بالـمَشْرق، وزالت دولة بني أُميَّة[3]، وبقي عبد الرحمن بن حبيب أمير إفريقية والمغرب. وهرب جماعةٌ من بني أُميَّة خوفًا من بني العبَّاس، ومعهم حُرَمهُم، فتزوَّج منهم عبدُ الرحمن وإخوتُه. وكان فيمن قدم ابنانِ للوليد بن يزيد، وكانت ابنة عمِّهما عند إلياس بن حَبيب، فأنزلهما عبدُ الرحمن في دار، ثمّ احتال في بعض الليالي، فاطَّلع عليهما من موضع خفيٍّ، وهما على نبيذٍ، ومَوْلاهُما يسقيهما، إذ قال أحدهما: أيظنُّ عبد الرحمن أنَّه يبقى أميرًا معنا، ونحن أولادُ الخليفة؟ فلما سمع هذا منه، انصرف. ثمّ دعاهما، وأظهر لهما بشرًا، حتّى أتاهما من أخبرهما أنّ عبد الرحمن سَمِعَ كلامَهُما. فرَكِبا جَـمَلَيْن وهَرَبا. فبعثَ عبدُ الرحمن[4] الخيلَ في طلبهما، وأُدْرِكا. فأمر بضرب أعناقهما. وكانت ابنة عمّهما عند إلياس، فقالت له: قتل أختانك، وأنت صاحبُ حربه وصاحبُ سيفه، وجعل العهد من بعده لِـحَبيب ولده، فهذا تَهاوُنٌ بك، ولم تزل به حتّى اجتمع رأيُ إلياس وأخيه عبد الوارث على قتل أخيهما عبد الرحمن. وهاوَدَهما على ذلك جماعةٌ من أهل القَيْرَوان على ما يأتي ذكُره.

وفي سنة سبع وعشرين ومئة: كان دخول عبد الرحمن بن حَبيب هذا إفريقية ودُعاؤه لنفسه، كما تقدَّم. وفيها كان انتزاءُ ثُوَابة بن سَلامة بالأنْدَلُس، وبويع بها. وكان قد هزم[5] أبا الـخَطَّار سنة خمسٍ وعشرين ومئة. وتمَّ له الأمر في هذه السنة، لكن بغير[6] من بني أُميَّة، ولا من بني العبَّاس، بل عَنْوةً بالسيف. وأقام معه الصُّمَيْل، فكان السلطان لثُوَابة والأمر للصُّمَيْل.

---

(١) في ر١: «بها».

(٢) في ر١: «ودخل».

(٣) تاريخ الطبري ٧/ ٤٣٧.

(٤) الاسم ليس في ر١.

(٥) في ر١: «تقدم»، وهو تحريف ظاهر.

(٦) في أ، م: «لكن لا بعهد»، وما هنا من ر١.

وفي سنة ثمانٍ وعشرين ومئة: هلك أمير الأَنْدَلُس ثُوَابة في شعبان، فكانت دولتُه نحو سنة، حسبما أذكر ذلك في أخبار الأَنْدَلُس، إن شاء الله. فبقيت الأَنْدَلُس دون أمير أربعة أشهر. فاجتمعَ الناسُ على الصُّمَيْل بن حاتِم، فوقع نظرُه ونظرُهم على تقديم يوسف بن عبد الرحمن الفِهْرِيّ.

وفي سنة تسعٍ وعشرين ومئة: استقلَّ يوسف الفِهْرِيّ بولاية الأَنْدَلُس، فكانت ولايته إيّاها عَشْر سنين: فما من سنة من هذه السنين إلّا ويمكن أن يكون له فيها غَزْو، إذ قالوا: إنّه واصل الجهاد؛ وسيأتي ذِكْرُه وخَبَرُه في خَبَرِ الأَنْدَلُس، إن شاء الله.

وفيها كانت بالأَنْدَلُس حروبٌ ووقائعُ وغلاءٌ في السِّعر. وقيل: إنّ ولاية يوسف كانت في صَفَر من هذه السنة، وإنّهم كتبوا لعبد الرحمن بن حبيب عامِل القيروان، فأنفذ إليه عهده بولاية الأَنْدَلُس.

وفي سنة ثلاثين ومئة: كان استيلاء أبي مُسْلِم على مَرْو[1]، وتفريقُه كلمةَ العَرَب، واختيارُه اليمانيَّة لنُصْرته، وتشريدُه الـمُضَريَّة، وكان له غَزَوات ومواقعات، وعبد الرحمن بن حبيب أميرُ إفريقية كذلك، في حروب ووقائع مع البربر.

وفي سنة إحدى وثلاثين ومئة: كان استيلاءُ أبي مُسْلِم على خُراسان، وعامِلُ مِصْر وإفريقية والأَنْدَلُس على ما كان عليه قبل ذلك. وفيها بَنَى عبد الرحمن بن حبيب سُورَ مدينة أطْرابُلُس، وانتقل الناسُ إليها من كلّ مكان.

وفي سنة اثنتين وثلاثين ومئة: كانت الوقعة التي هُزِمَ فيها الأمويُّون مع ابن هُبَيْرة، وفَتْحُ العبَّاسيَّة للكُوفة. ثمّ اتَّصلت الولايات العبَّاسيَّة، والفتوح للبلاد الشرقيَّة، وخروجُها عن الأمويَّة واحدًا من بعد واحد. فقُتِل مروان بن محمَّد[2] الـجَعْديُّ في هذه السنة، وانقطعت الدولة الأَمَويَّة. وكانت دولتُهم إحدى وتسعين سنة وتسعة أشهر وخمسة أيَّام. وخلفاؤهم[3] أربعة عشر رجلًا: منها أيَّامُ ابن الزُّبير تسع سنين واثنان وعشرون يومًا.

---

(١) تاريخ الطبري ٧/ ٣٧٧.

(٢) قوله: «ابن محمد» ليس في ر١.

(٣) في أ، م: «وهم».

ثمّ تفرَّقت بنو أُميَّة في البلاد هربًا بأنفسهم، وهرب عبد الرحمن بن مُعاوية إلى الأنْدَلُس، فبايعه أهلُها وتجدَّدت لهم بها دولةٌ استمرَّت إلى بعد الأربع والعشرين والأربع مئة.

فانقطعت دولتُهم ستَّ سنين أو نحوها، من هذه السنة إلى حين دخول عبد الرحمن الأندلس، وجدَّدها في[1] سنة سبع وثلاثين ومئة. فإن صحَّ أنّ عَهْدَ عبد الرحمن بن حبيب، صاحب القَيْرَوان وإفريقية من قِبَل بني أُميَّة، وصَلَ إلى يوسف بن[2] عبد الرحمن المتغلّب على الأنْدَلُس، الذي أدخل عبد الرحمن إليها وهو أميرُها، فعلى هذا، كانت لهم دولةٌ متَّصلةٌ بالأنْدَلُس. فتأمَّلْ هذا: فإنّه، إنْ صحَّ، نُكْتةٌ غريبةٌ وفائدةٌ عَجيبةٌ[3].

قال أبو محمد بن حَزْم: وانقطعت دولة بني أُميَّة، وكانت على علاتها دولةً عَرَبيَّة، لم يتَّخِذوا قاعِدةً ولا قَصَبةً، إنّما كان سُكْنَى كلّ أمير[4] منهم في داره وضيعته التي كانت له قبل خِلافته، ولا كلَّفوا الـمُسلمين[5] أن يخاطبوهم بالعبوديَّة والملك ولا تقبيل يَدٍ[6] ولا رِجْلٍ، إنّما كان غَرَضُهم التَّوْلِيَة والعَزْل في أقاصِي البلاد، فكانت عُمَّالُـهم ووُلاتُهم في الأنْدَلُس، وفي الصِّين، وفي السِّنْد، وفي خُرَاسان، وأرمينية، واليَمَن، والشام، والعِراق، ومِصْرَ، والـمَغْرِب، وسائر بلاد الدنيا، ما عدا الـهِنْد[7].

وانتقل الأمر إلى بني العبَّاس في هذه السنة، قال ابن حَزم في جُملة كلامه أيضًا: فكانت دولتُهم أعْجَمِيَّة: سقطَتْ فيها دَواوينُ العَرَب، وغلب عَجَمُ خُراسان على الأمر، وعادَ الأمْرُ مُلْكًا عضوضًا كِسْرَوِيًّا، إلّا أنَّهم لم يُعْلِنوا بسبِّ أحدٍ من الصحابةِ، رضوان الله عليهم، وافترقت في دولة بني العبَّاس دعوةُ المسلمين وكلمتُهم،

(١) ليست في ر١.

(٢) قوله: «يوسف بن» سقط من ر١.

(٣) قوله: «وفائدة عجيبة» ليس في ر١.

(٤) في أ: «امرئ».

(٥) بعد هذا في ر١: «قبل».

(٦) في أ: «أرض».

(٧) قوله: «ما عدا الهند» ليس في أ.

فتغلَّبت على البلاد طوائفُ من الـخَوَارِج والشيعة والـمُعْتَزِلة، ومن وَلَد إدريس وسُليمان ابْنَيْ عبد الله بن الـحَسَن بن الـحَسَن بن عليّ بن أبي طالب، رضي الله عنهم أجمعين، ظهروا في الـمَغْرِب الأقصى، وتملَّكوا فيه. ومنهم من وَلَد مُعاوية تغلَّبوا على الأَنْدَلُس، وكثيرٌ من غيرهم أيضًا. وفي خلال هذه الأمور، تغلَّبت الكَفَرة على أكثر بلاد الأَنْدَلُس وأكثر بلاد السِّنْد. وفي سنة اثنتين وثلاثين ومئة المذكورة، كان الـمُوَلُّون للعُمَّال بالبلاد أربعة أُمراء: وهُمْ مروان بن محمَّد، وأبو سَلَمة الـخَلّال، وأبو مُسْلِم، وأبو العبَّاس السفَّاح. فأمّا مروان، فعزل الوليد بن عُرْوة[1] عن المدينة، وولّاها أخاه عيسى، وأمّا أبو سَلَمة، فاستعمل محمَّد بن خالد على الكوفة إلى أن ظهر أبو العبَّاس السفَّاح ظُهورًا تامًّا، وأمّا أبو مُسْلِم، فهو كان السلطان الأعظم الذي لا يُرَدُّ أمره، وهو الذي قدَّم محمَّد بن الأَشْعَث[2] على فارِس، وأمره أن يأخذ عُمَّال أبي سَلَمة فيضربَ أعناقهم، ففعل ذلك، وأمّا أبو العبَّاس، فوجَّه بعد ذلك إسماعيل بن عليّ[3] واليًا على فارِس، وأخاه أبا جَعْفر على الجزيرة وأرمينية وأذربِيجان، وولَّى أخاه يحيى بن محمَّد بن عليّ على الـمَوْصِل[4]، وولَّى على مِصْرَ أبا عَوْن عبد الملك بن يزيد، وولَّى على إفريقية عبد الرحمن بن حبيب؛ لأنَّه، لـمّا بلغَتْه بيعةُ أبي العبَّاس، كتب إليه بالسمع والطاعة، فأقرَّه[5].

وفي سنة ثلاث وثلاثين ومئة: ولَّى أبو العبَّاس السفَّاح عمَّه سُليمان بن عليّ[6] البَصْرة وأعمالها والبَحْرَيْن وغيرَ ذلك، وولَّى عمَّه إسماعيل على[7] الأهواز[8]، وولَّى عمَّه داود المدينة، وولَّى عُمَّالَه سائر البلاد الشرقيَّة، وإفريقية والأَنْدَلُس على ما كانت عليه.

---

(١) في ر١: «عقبة»، خطأ، وهو الوليد بن عروة بن محمد بن عطية، وينظر تاريخ خليفة ٤٠٧.

(٢) ترجمته في تاريخ الإسلام ٣/ ٩٥٨.

(٣) ترجمته في تاريخ الإسلام ٣/ ٨١٨.

(٤) في أ: «وولى سائر البلاد الشرقية».

(٥) ليست في أ.

(٦) قوله: «ابن علي» ليس في ر١.

(٧) ليست في ر١.

(٨) تاريخ الطبري ٧/ ٤٥٩.

وفي سنة أربع وثلاثين ومئة: بعث أبو العبَّاس السفَّاح موسى بن كَعْب[1] في اثنَيْ عشر ألفًا لقتال منصور بن جُمْهُور[2] من الـمُتَنَزِين على بني العبَّاس، فسارَ إليه حتى لحقه بأرض الهند، فهزمه ومَن كان معه، ومضى، فمات عطشًا في الرمال[3].

وفيها كان أيضًا العَزْلُ والولايات بالمشرق. وبقي على مِصْر أبو عَوْن، وعلى إفريقية عبد الرحمن بن حَبيب، وعلى الأَنْدَلُس يوسف الفِهْريُّ.

وفي سنة خمس وثلاثين ومئة: كانت غزوة عبد الرحمن بن حَبيب صاحبِ إفريقية صِقِلِّيَّةَ، فسَبى وغَنِم[4]. وغزا أيضًا سَرْدانِيَة، وصالحهم على الجزية. وغزا أرض البربر بجهة تِلِمْسان. ومدينة تِلِمْسان قاعدةُ الـمَغْرِب الأوسط، وهي دارُ مملكة زَناتة.

قال البَكْريُّ: بنو[5] يَغْمُراسن من هَوَّارة يعتدُّون في ستّين ألفًا، وتلِمْسان دارُ مملكة زناتة على قديم الزمان، مُتَوَسِّطة بلاد القبائل من زناتة وغيرهم، ومَقْصِدُ التجار، ونزلها محمَّد بن سُليمان من ذُرِّيَّة عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه. ومن ذُرِّيَّته أبو العيْش عيسى بن إدريس بن محمَّد بن سُليمان الذي بنى مدينة جراوة[6].

ونسب زناتة: قال أبو الـمَجْد الـمَغِيليُّ، وعليُّ بن حَزْم[7]، وغيرُهما: إنّ زناتة هم أولاد جانا[8] بن يحيى بن صُولات بن ورتناج بن ضَرِي بن سفكو[9] بن قيدواد بن شعبا بن مادغيس بن هدك بن هرسق بن كداد بن مازيغ. وذكروا أنّ ضَرِي هو ابن

---

(١) ترجمه الذهبي في تاريخ الإسلام ٣/ ٩٨٨.

(٢) ترجمته في تاريخ الإسلام ٣/ ٧٣٩.

(٣) تاريخ الطبري ٧/ ٢٦٤.

(٤) الكامل لابن الأثير ٥/ ٤٥٦، ونهاية الأرب للنويري ٢٢/ ٤٣.

(٥) من هنا إلى قوله: «زناتة» سقط كله من ر١.

(٦) في ر١: «كيراوة» وهو جائز، فأصل الجيم كاف أعجمية.

(٧) الجمهرة ٤٩٥ باختلاف يسير.

(٨) في الجمهرة: «شانا».

(٩) في الجمهرة: «سقفو».

وَزْجيج بن مادغس بن برّ، فولد ابن برنوس[1]. وولد برنوس كُتامة، ومَصْمُودة، وأَوْرَبة، ووَزْدَاجة[2]، وأوزيغة، فولد أوزيغة هوارة، ومن قبيل هَوَّارة بنو كَهْلان ومَلِيلة، وولد يحيى جانا وسَمْجان ووَرْسَطِيف، وولد جانا وَرْسِيج، وولد وَرْسيج مَرِين، وولد مرين نَجْدة ونَمالة، وولد وَرْسطِيف وَرْكُونة ومِكْناسة، وولد ضَرِي أيضًا تَـمْزِيت، وولد تَـمْزِيت مَطْماطة، ومَدغرَة، وصَدِينة، ومَغِيلة ومَلْزُوزة[3]، ومَدْيُونة، وولد وزجيج لاوي الكبير، وولد لاوي الكبير لاوي الصغير، ومَغْراوة، وإيفْرَن، وولد لاوي الصغير[4] نَفْزاو، وولد نَفْزاو[5] يطوفت، وولد لاوي[6] الصغير أيضًا كطوف، وولد كطوف ونيطط، فولد ونيطط سَدْراتة، وكانت سَدْراتة إخوان بني مَغْراوة لأمِّهم، وكان أولاد مَغْراوة وبني يفْرَن من أعظم بطون زَناتة.

قال رُجار من كتابه: كان بنو مَرِين يسكنون وراء تِلِمْسان، وهو من زَناتة، من وَلَد[7] جانا بن يحيى بن ضريس بن لوا بن نفزاو بن بتر بن قَيْس غَيْلان بن إلياس ابن مُضَر. قال: وبنو مَرِين من العَرَب الصريحيّين.

وفي سنة ست وثلاثين ومئة: كان ابتداء أبي العبَّاس السفَّاح مُـحاولةَ الغَدْر بأبي مُسْلِم، وظفرُ أبي مُسْلِم بمن حاوَلَ ذلك، وقتلُه لهم، وذلك في خبر طويل. وقيل[8]: بل كان ابتداء تلك المحاولة في سنة خمس وثلاثين ومئة قبلها. وقدم أبو مُسْلِم في هذه السنة على أبي العبَّاس مستأذِنًا في الحجّ، فهمَّ أبو العبَّاس بقتله، ثمّ انثنى عن ذلك، وحجَّ أبو مُسْلِم وأبو جعفر.

---

(١) رسمت في الجمهرة «بُرنُس».

(٢) في الجمهرة: «أزداجة».

(٣) من هنا إلى قوله: «وولد لاوي الكبير» سقط كله من أ.

(٤) قوله: «وولد لاوي الكبير» سقط من أ.

(٥) قوله: «وولد نفزاو» سقط من أ.

(٦) ليس في ر١.

(٧) في ر١: «أولاد».

(٨) من هنا إلى قوله: «وقدم» سقط من ر١.

وفيها: توفّي أبو العبّاس السفّاح في ذي الحجّة، بعد أن ولّى العهد أخاه أبا جعفر المنصور، وبايعه الجمهور، واستقامت له الأمور[1].

وفي سنة سبع وثلاثين ومئة: كان قدومُ أبي جعفر المنصور من مَكَّة، وتتميمُ بيعته، فدخلَ أبو جعفر الكوفة وصَلَّى الجمعة، ووافاه كتابُ أبي مُسْلِم بالحيرة، ثمّ شخص أبو مُسْلِم إلى الأنْبار.

وفيها: انتزى عبد الله بن عليّ على أخيه وامتنعَ من بيعته، فبعثَ إليه أبو جعفر أبا مُسْلِم، فحاربه[2]. وفيها قتل المنصور أبا مُسْلِم[3]. وكَيْفِيَّةُ ذلك في أخبار الـمَشْرِق.

بقيَّة أخبار عبد الرحمن بن حبيب بإفريقية

لما صار[4] الأمر إلى أبي جعفر المنصور، كتب إلى عبد الرحمن يدعوه إلى الطاعة. فأجابه، ودعا له[5]، ووجَّه إليه بهديَّةٍ كان فيها بُزاةٌ وكِلابٌ، وكتب إليه[6] إنّ إفريقية اليوم إسلاميَّةٌ كلُّها، وقد انقطع السَّبْيُ منها، فغضب أبو جعفر وكتب إليه يتوعَّده. فلما وصل إليه الكتاب، غَضِبَ غضبًا شديدًا، ثمّ نادى: الصلاةُ جامعةٌ فاجتمعَ الناسُ، وخرج عبد الرحمن في مطْرَفِ خزٍّ، فصعدَ المنبرَ، فحمِدَ الله وأثنى عليه، ثمّ أخذَ في سَبِّ أبي جعفر، وقال: إني ظننتُ أنّ هذا الخائن يدعو إلى الحقّ ويقوم به، حتى تبيَّن لي خلافُ ما بايعتُه عليه من إقامة العدل وإنّي الآن خلعتُه، كما خلعتُ نَعْلي هذا، وقذفه من رجله. ثمّ دعا بخَلْع السُّود وأمر بتخريقها، وقال[7]: هذا لباس أهل النار في النار.

---

(١) في أ، م: «بعد أن ولى العهد لأخيه أبي جعفر المنصور، فاستوسقت له الأمور وبايعه الجمهور»، وما أثبتناه من ر١، وينظر تاريخ الطبري ٧/ ٤٧٠.

(٢) تاريخ الطبري ٧/ ٤٧٤.

(٣) تاريخ الطبري ٧/ ٤٧٩.

(٤) في ر١: «وصل».

(٥) في ر١: «فدعا له وأجابه».

(٦) قوله: «وكتب إليه» سقط من أ.

(٧) من هنا إلى آخر الفقرة ليس في أ.

قال الرقيق: كان قد لَبِسها قبل ذلك، ودعا فيها لأبي جعفر، فقُطّعت قِطَعًا وأُحْرِقَت.

وقال ابن القَطَّان: كان عبد الرحمن بن حبيب يُظْهِرُ الطاعة لأبي جعفر، ويدعو له على المنابر، إلّا أنّه لم يلبس السواد، وقال: إنّ هذا لباس أهل النار في النار، ثمّ خلعه ونبذَ طاعته. وحقّق[١] عَرِيب أنّ خَلْعه لطاعة أبي جعفر كان في هذه السنة.

مقتل عبد الرحمن

كان عبد الرحمن يوجِّه أخاه غازيًا، فإذا ظَفِرَ، كتب عبد الرحمن بالفتح، ويزعم أنّ ابنه كان يتولّى الفتوح. وكان قد ولّاه عهدَهُ، فعمد إلياس إلى قتل أخيه عبد الرحمن، وشاورَ في ذلك أخاه عبد الوارث، فأجابه[٢]. ودَعَوَا إلى ذلك قومًا من أهلِ القَيْرَوَان من العرَب على أن يقتلوا عبدَ الرحمن، ويؤمِّروا إلياسَ بن حبيب، وتكون الطاعة لأبي جعفر. وكان عبد الرحمن ولَّى أخاه إلياسَ تونُس، وودَّعه للخروج إليها، وعبد الرحمن إذ ذاك مريضٌ. فدخل عليه، وهو في غِلالةٍ ورِداء، وابنٌ له صغيرٌ في حجره، فقعد طويلًا، وعبد الوارث يَغْمِزه. فلمّا قامَ يوادعه[٣]، أكبَّ عليه ووضع السكّين بين كتفَيْه حتّى وصل إلى صدره، ثمّ ردَّ يده على السيف، فضربه، وخرج هاربًا دَهِشًا. فقال له أصحابُه: ما فعلتَ؟ قال: قتلتُه. قالوا: ارجِعْ فحزَّ رأسَه. فرجع وحَزَّه. وثارت الصيحةُ. وأخذَ إلياسُ أبوابَ دار الإمارة، وسمعَ ابنُه حبيبٌ الصيحةَ، فأُخْبِر بقتل والده، فاختفَى، ثمّ تحامل على وجهه إلى باب تونُس، أحدِ أبوابِ القَيْرَوان، فخرجَ منه ومضَى إلى عمِّه عِمْران بن حبيب، وهو والي تونُس لوالدِه. فكانت ولايةُ عبد الرحمن بن حبيب إفريقيةَ عَشْر سنين وسبعة أشهر[٤]. وكان أوَّلَ ثائرٍ متغلّب على بلاد[٥] إفريقية.

---

(١) من هنا إلى آخر الفقرة سقط من ر١.

(٢) تأريخ خليفة ١٢٣.

(٣) في أ: «يودعه»، وكلاهما بمعنى.

(٤) الكامل لابن الأثير ٥/ ٣١٤.

(٥) ليست في ر١.

ولاية إلياس بن حبيب إفريقية

ولما قتلَ أخاه، وَلِيَ أُمور[1] إفريقية والقَيْرَوان، وحبيبٌ عند عمِّه عِمْران بتونُس. فأخبره بخبر أبيه، ولحق بهما مَوَاليهما وعبيدُهما من كلِّ ناحية. فخرج إلياس، وأتاه حبيبٌ وعِمْرانُ بمن معهما، فهمُّوا بالقتال. ثمّ اصطلحوا على أن يعود عِمْران إلى ولاية تونُس وصَطْفورة والجزيرة، ويكون حبيبٌ على قَفْصَة وقَسْطِيليَّة، وإلياس لسائر إفريقية والمغرب[2]. ومضى إلياس مع أخيه عِمْران إلى تونُس، فوثب عليه إلياس، وبعثَ به إلى الأَنْدَلُس[3]. وولَّى على تونُس محمَّد بن الـمُغِيرة، وانصرفَ إلى القَيْرَوان، فبلغه عن حبيب أخبارٌ كَرِهَها. فعلم ذلك حبيبٌ، فدَسَّ له مَن زيَّن له الـخُروج إلى الأَنْدَلُس، ففعلَ، ووجَّه معه شقيقَه عبدَ الوارث ومَن أحبَّ من مواليه[4]. فركبوا البحر، وقد تعَذَّرَتْ بهم الريح، فكتب حبيبٌ إلى إلياس يُعْلِمه بأنّ الريح ردَّتْه، ووقفوا بطَبَرْقة[5]. فكتب إلياس إلى عامله بها يُـحَذِّرُه من أمْرِه. فسمع به موالي عبد الرحمن وأهلُ طاعته، فأتوا إليه من كلّ ناحية، وطرقوا سُليمان بن زِيَاد عامل إلياس ليلًا، وهو في معسكره يحرس[6] حبيبًا، فأسَروه، وشدُّوا وثاقَه، ورَكبوا إلى حبيب، فأخرجوه إلى البرّ[7].

ذكر قيام حبيب بن عبد الرحمن بن حبيب على عمّه إلياس وتغلُّبه على بلاد إفريقية[8]

لما خرج حبيب هذا إلى البرّ، واجتمعت عليه أهلُ طاعة أبيه، ظهرَ أمرُه، وشاعَ ذكرُه. وتوجَّه إلى الأُرْبُس، فأخذَها. وبلغَ خبرُه إلى[9] إلياس، فخرج يريدُه،

---

(١) كذلك.

(٢) في ر١: «ويكون إلياس على القيروان وسائر إفريقية».

(٣) ذكر ابن الأثير أن إلياسَ سار مع عمران إلى تونس فغدر به وقتله (الكامل ٥/ ٣١٤).

(٤) في ر١: «الموالي».

(٥) معجم البلدان ٤/ ١٦.

(٦) في أ: «يحارس».

(٧) نهاية الأرب للنويري ٢٤/ ٣٧.

(٨) جاء العنوان في ر١ كما يأتي: «ذكر تغلب حبيب بن عبد الرحمن على إفريقية».

(٩) قوله: «وبلغ خبره إلى» في ر١: «وسمع».

واستخلف على القَيْرَوان محمَّد بن خالد القُرَشيَّ. فلما قرب إلياس منه، تحارَبَا حربًا خفيفةً. فلما أمسى حبيب، أوقد النيران ليظنَّ الناس أنَّه مقيمٌ. ثمّ سَرَى، فأصبح بجَلُولا. ثمّ نفذ إلى القَيْرَوان، فاستولى عليها. ثمّ رجع إلياس في طلبه، ففسد عليه مَن كان معه، وتقوَّى حبيبٌ وخرج إليه في جمع عظيم. فلما التقيا، ناداه حبيبٌ: لِـمَ نقتلُ صنائعَنا وموالينا بيننا[1]، وهم لنا حِصْنٌ ولكن أبْرُزُ أنا وأنت: فأيُّنا قتلَ صاحبَه، استراح منه. فناداه الناسُ: قد أنْصَفَك يا إلياس، فخرج كلُّ واحد منهما إلى صاحبه، ووقف أهلُ العسكر ينظرون إليهما، فتَطاعَنا حتّى تكسَّرت قَـنَاتاهما، ثمّ تضارَبا بسيوفهما، وعَجِبَ الناسُ من صبرهما. ثمّ ضرب إلياس حبيبًا ضربةً[2] في ثيابه ودِرْعه، ووصلت إلى جَسَده، وضَرَب حبيبٌ عمَّه إلياس ضَرْبةً أسقطَتْه. ثمّ أكبَّ عليه، فحزَّ رأسه، وأمر برفعه على رُمح، وأقبل به إلى القَيْرَوان.•فدخلها وبين يَدَيْه رأسُ عمّه ورؤوسُ أصحابه، فيهم عمُّ أبيه محمَّد بن أبي عَبْدة بن عُقْبة، ورأسُ محمَّد بن الـمُغِيرة القُرَشيّ وغيرِهما من وجوه العَرَب، وذلك في عام ثمان وثلاثين ومئة، فكانت ولاية إلياس إلى أن قُتِل نحوَ سنة وستَّة أشهر[3].

وفي سنة ثمان وثلاثين ومئة: قام البربر بإفريقية على حبيب بن عبد الرحمن بن حبيب[4]. ولما قتلَ حبيبٌ عمَّه إلياس، هرب عبد الوارث بن حبيب ومن كان معه إلى عسكر إلياس أخيه إلى بَطْن من البربر، يُقال لهم وَرْفجومة من نَفْزة، لاجئين إليهم، فنزلوا عليهم، وأميرهم عاصِم بن جَميل. فكتب إليه حبيب يأمره بتَوْجيهِهم إليه، فلم يفعل، فزحف إليه حبيب، ولقيه عاصِم، ومعه كلُّ من هَرَب من حبيب، فاقتتلوا، فانهزم حبيبٌ. وكان إذا خرج إليهم، استخلف على القَيْرَوان أبا كُرَيْب القاضي، فكتبَ بعضُ أهل القَيْرَوان إلى عاصم وأشياخ وَرْفَجُومة، وظنُّوا أنَّهم يُوفُون لهم بالعهد، وأظهروا لهم أنَّهم إنّما يريدون أن يدعوا لأبي جعفر. فزحفَ

---

(١) سقطت من أ، م.

(٢) قفز نظر ناسخ ر١ من هنا إلى «ضربة» الآتية.

(٣) الكامل لابن الأثير ٥/ ٣١٥، ونهاية الأرب للنويري ٢٤/ ٣٧.

(٤) قفز نظر ناسخ ر١ من هنا إلى «حبيب» الثانية، فسقط ما بينهما.

عاصِم بن جميل[1] وأخوه مُكْرَم بمن كان معهم من البربر، ومن لجأ إليهم من العَرَب، بعد أن هزموا حبيبًا، وساروا إلى ناحية قابِس، حتّى انتهوا إلى القَيْرَوان فخرج إليهم القاضي في أهل القيروان[2]. فلما دنا بعضُهم من بعض، خرج جماعة من عسكر عاصم، فقتلوا منهم أُناسًا، وتفرّق الناس عن القاضي أبي كُرَيْب، ورجعوا إلى القَيْرَوان، ولم يعلموا ما يحلّ بهم من البربر. وثبتَ أبو كُرَيْب في نحو ألف رجل من أهل الدين، مُستسلمين للموت، فقاتلوا حتّى قُتل أبو كُرَيْب وأكثرُ أصحابه. ودخل ورْفَجُومة القَيْرَوان، فاستحلُّوا المحارم، وارتكبوا الكبائر، ونزل عاصِمٌ بمُصَلَّى رَوْح. ثمّ استخلف على القَيْرَوان عبد الملك بن أبي الـجَعْد اليفْرَنيَّ، وسارَ إلى حبيب، وهو بقابِس، فانهزم حبيبٌ ولَـحِق بجبل أوْراس. فسار إليه عاصِم، فهزمه حبيبٌ، وقتله مع جملة من أصحابه. وأقبل حبيب إلى القَيْرَوان، فخرج إليه عبد الملك بن أبي الـجَعْد، فاقتتلا، فانهزم حبيب وقُتل في المحرَّم من سنة أربعين ومئة، فكانت[3] ولاية عبد الرحمن بن حبيب نحو عَشْر سنين وأشهرًا، وولاية أخيه إلياس سنة وستَّة أشهر[4].

ثمّ تغلَّب على إفريقية بعضُ القبائل[5] الصُّفْرِيَّة بعد قتل حبيب وعاصِم، فدخلوا القَيْرَوان وربطوا دوابَّهم في المسجد الجامع، وقتلوا كلَّ من كان من قُرَيش، وعذَّبوا أهلها. وأساءت[6] وَرْفَجُومة لأهل القَيْرَوان سوءَ العذاب، وندم الذين استدعوهم أشدَّ ندامة. ثمّ قام أبو الخطَّاب عبد الأعْلَى بن السَّمْح الـمَعَافِريُّ[7]، وكان ثائرًا متغلِّبًا خرج من أطرابُلُس بعد ما كان استولى عليها يريد القَيْرَوان، لقتال وَرْفَجُومة. فالتقى معهم وقاتلهم. ثمّ هزمهم وتبعهم يقتلهم. ثمّ انصرف إلى القَيْرَوان،

---

(١) ليس في ر١.

(٢) قوله: «فخرج إليهم القاضي في أهل القيروان» سقط من أ، م.

(٣) من هنا إلى نهاية الفقراء جاء بدلًا عنها في ر١: «فكانت ولايته سنتين وأشهرًا».

(٤) ينظر الكامل لابن الأثير ٥/ ٣١٥، ونهاية الأرب للنويري ٢٤/ ٣٧-٣٨.

(٥) قوله: «بعض القبائل» ليس في ر١.

(٦) هكذا في أ، ر١، م، ولعل الصواب: «وسامت».

(٧) ينظر الوافي للصفدي ١٨/ ٥.

فولَّى عليها عبدَ الرحمن بن رُسْتُم صاحبَ تِيْهَرت بعد ذلك. ومَضَى أبو الخطَّاب إلى أطْرابُلُس[١]. وكانت مدَّةُ هذه الأهوال[٢] والفِتَن التي اختصرناها هنا مُـجْمَلَةً في نحو ثلاثة أعوام.

وفي سنة تسعٍ وثلاثين ومئة: كان الفداء بين أبي جعفر الـمنصور والروم، فاستنقذ المنصور منهم أُسارى المسلمين، ولم تكن بعد ذلك صائفةٌ للمسلمين إلى سنة ست وأربعين ومئة[٣].

وفي سنة إحدى وأربعين ومئة[٤]: كان ابتداء بناء سِجِلْماسة. وفيها[٥] كان خروج أبي الخطَّاب إلى القَيْرَوانَ[٦] لقتال وَرْفَجُومة، فخرج إليه واليها عبدُ الملك، فخذَلَه أهل القَيْرَوان وانهزموا عنه، فقُتل عبد الملك وأصحابه في صفر. وكان تغلُّب وَرْفَجُومة على القَيْرَوان سنةً وشهرَيْنِ.

وفي سنة اثنتين وأربعين ومئة: أقبل أبو الأحْوَص العجْلِيُّ بالـمُسَوِّدةِ. فخرجَ إليه أبو الخطاب، فالتقوا بمِقْدَاس على شاطئ البحر، فانهزمَ أبو الأحْوَص وأصحابُه، واحتوى أبو الخطَّاب على عسكرهم. ورجع أبو الأحْوَص إلى مِصْر، وانصرف أبو الخطَّاب إلى أطْرابُلُس. وكانت إفريقية كلُّها في يديه إلى أن وجَّه المنصورُ ابن الأشْعَث[٧].

وفي سنة ثلاث وأربعين ومئة: اتّصل بأبي الخطَّاب أنّ ابن الأشْعَث يريد القَيْرَوان. فخرج إليه في زهاء مئتي ألف، فعسكر بهم في أرض[٨] سُرْت[٩]. واتَّصل ذلك بمحمد بن الأشْعَث.

---

(١) نهاية الأرب للنويري ٢٤/ ٣٩.

(٢) في ر١: «الأحوال».

(٣) تاريخ الطبري ٧/ ٥٠٠.

(٤) في أ: «أربعين ومئة».

(٥) في أ: «وفي سنة إحدى وأربعين ومئة».

(٦) في ر١: «القبائل».

(٧) من هنا إلى «الأشعث» في الفقرة الآتية قفز نظر ناسخ ر١ فسقط ما بينهما.

(٨) قوله: «في أرض» ليس في ر١.

(٩) معجم البلدان ٣/ ٢٠٦ والضبط منه.

وفي سنة أربع وأربعين ومئة: ولي إفريقية محمَّد بن الأشْعَث الـخُزاعيُّ[1].

ذكر ولاية محمَّد بن الأشْعَث الـخُزاعيّ إفريقية[2]

لما غَلَبت الصُّفْريَّة على إفريقية، بعد أن قتلت وَرْفَجُومة مَن قتلت من قُرَيْش وغيرِهم، خرجَ جماعةٌ من عَرَبها إلى المنصور يستنصرونَ به على البربر، ويصفونَ له ما نالـهُم منهم. فولَّى أبو جعفر ابن الأشْعَث مِصْرَ. فوجَّه أبا الأحْوَص، فهزمَتْه البربر كما تقدَّم، فكتب أبو جعفر إلى ابن الأشْعثَ أن يسيرَ بنفسه، فخرج إلى إفريقية في أربعين ألفًا، عليها ثمانية وعشرون قائدًا. فالتقوا بأبي الخطَّاب، وكان قد جمعَ أصحابَهُ في كلِّ ناحية، ومضوا في عدد عظيم. فضاق ذَرْعُ ابن الأشْعَث بلقاء أبي الخطَّاب لما بلغه كَثْرة جيوشه. ثمّ إنَّ زَناتة وهَوَّارة تنازعَتْ فيما بينها، واتَّهمت زَناتة أبا الخطَّاب في ميله مع هَوَّارة، ففارَقَه جماعةٌ منهم، وبلغ ذلك ابن الأشْعَث، فسُرَّ به ورحل إليه. فاقتتلوا قتالًا شديدًا، فانهزم البربر، وقُتل أصحاب أبي الخطَّاب وأبو الخطَّاب. فظنَّ ابن الأشْعَث ألّا بقيَّةَ بعد أبي الخطَّاب، ثمّ طلع عليهم أبو هُرَيْرة الزَّناتيُّ في ستَّة عَشَر ألفًا. فتلقَّاهم ابن الأشْعَث، فهزمهم وقتل بعضَهُم، وذلك في ربيع الأوَّل من السنة[3]. ووجَّه ابن الأشْعَث برأس أبي الخطَّاب إلى بغداد.

ولما انتهى إلى عبد الرحمن بن رُسْتُم قتلُ أبي الخطَّاب، ولَّى هاربًا إلى موضع تِيْهَرت، فاختطَّها ونزلها. وأخذَ أهلُ القَيْرَوان عامِلَه عليها، فأوثقوهُ في الحديد وولَّوا على أنفسهم عَمْرو بن عُثمان القُرَشِيَّ، إلى أن وفدَ عليهم ابن الأشْعَث فدخل القَيْرَوان غُرَّة جمادى الأُولى من السنة[4].

وفي هذه السنة: أمر ابن الأشْعَث ببناء سور القَيْروان في ذي القَعْدة[5]. وكان تمامُه في رجب من سنة ست وأربعين. وضبط ابن الأشْعث إفريقية وأعمالها، وأمعن في

---

(١) سقطت النسبة من ر١، وانظر نهاية الأرب للنويري ٢٤/ ٣٩.

(٢) سقط العنوان من أ.

(٣) قوله: «وذلك في ربيع الأول من السنة» سقط من ر١.

(٤) نهاية الأرب للنويري ٢٤/ ٣٩-٤٠.

(٥) في ر١ بدلًا من هذه العبارة: «ولما حَلّ بها ابن الأشعث أمر ببناء سورها».

كل من خالَفه من البربر بالقتل، فخافوه وأذعنوا له بالطاعة. ثمّ ثار عليه عيسى بن موسى بن عَجْلان، وكان أحد جُنده، في جماعة من قوّاده. فأخرجوا ابن الأشْعَث من القَيْرَوان من غير قتال. فكان خروج ابن الأشْعَث من القَيْروان في ربيع الأوَّل سنة ثمان وأربعين ومئة. فكانت ولايتُه بها ثلاثة أعوام وعشرة أشهر، في خلافة أبي جعفر المنصور.

وفي سنة خمس وأربعين ومئة: اشتغل ابن الأشْعَث ببناء سور القَيْرَوان، وأخصبَتْ بلاد إفريقية. وكان قد بعث إلى زُوَيْلة ووَدَّان، فافتتحها وقتل مَن بهما من الإباضيَّة. وقتل عبد الله بن حِبّان الإباضيَّ، وكان رأس أهل زُوَيْلة. وسكَّن ابن الأشْعَث أحوال أهل إفريقية في هذه السنة، فلم تكن بها حركةٌ له.

وفي[1] سنة ست وأربعين ومئة: استتمَّ ابن الأشْعَث بناء سُور مدينة القَيْرَوان. وفيها أيضًا استتمَّ المنصور بناء بَغْداد، ولازمَ العمل فيها، وانتقل إلى سكناها في شهر صَفَر من هذه السنة.

وفي سنة سبع وأربعين ومئة: كان الأمير على مِصْرَ يزيد بن حاتِم، وعلى إفريقية محمَّد بن الأشْعَث الـخُزَاعيُّ، وليس هو محمَّد ابن الأشْعَث[2] الكندي ابن أخت عائشة رضي الله عنها.

وفي سنة ثمان وأربعين ومئة: ثارَ الـجُند على محمَّد ابن الأشْعَث بإفريقية، وسألوه الخروجَ عنهم. فخرجَ في ربيع كما تقدَّم ذكره. ثمّ اتَّفقَ الـجُند على تولية عيسى بن موسى الـخُراسانيّ.

ثورة عيسى بن موسى بالقَيْرَوان وببعض بلاد إفريقية

فتغلّب عليها بعضُ العَرَب والـجُنْد من غير عهد من المنصور، ولا رضى منه، ولا تراضٍ من العامَّة، وذلك في شهر ربيع الآخر من عام ثمانية وأربعين ومئة المذكور. فكانت مدَّتُه ثلاثة أشهر.

---

(١) سقطت هذه الفقرة كلها من ر١.

(٢) قفز نظر ناسخ ر١ من هنا إلى «الأشعث» في الفقرة الآتية، فسقط ما بينهما.

ولاية الأغْلَب بن سالِـم التَّميميّ[1]

لما بلغ المنصور ما كان من أمر قوَّاد الـجُنْد الـمِصْريَّة وصرفهم محمَّد بن الأشْعَث، بعث إلى الأغلب بن سالم بن عقال التَّميميّ عَهْدَه بولايته، في آخر جُمادى الآخرة من السنة المؤرَّخة. فاستقامت له الحال[2]. وكان من أهل الرأي وذوي الـمَشْورة. ووصله كتابُ المنصور بعد كتاب العهد، يأمُره بالعدلِ في الرعيَّة، وحُسن السيرة في الـجُنْد، وتحصين مدينة القَيْرَوان وخَنْدَقِها، وترتيب حَرَسها ومن يَتْرُك فيها إذا رحل إلى عَدُوِّه، وغيرِ ذلك من أُموره.

وسنة تسع وأربعين ومئة: لم يكن فيها حركةٌ.

وفي سنة خمسين ومئة: ثار الحسن بن حَرْب الكِنْديُّ[3] بالقَيْرَوان على الأغلَب بن سالم، وسبب ذلك أنّ أبا قُرَّة الصُّفْريَّ خرج في جمع كبير من البربر، فسار إليه الأغلب في عامَّة القوَّاد الذين معه، وخَلَّف على القَيْرَوان سالم بن سَوَادة. فلما علم أبو قُرَّة أنّ الأغْلَب قرب منه، هربَ، وتفرَّق أصحابُه. وقدم الأغْلَب الزاب، وعزمَ على الرحيل منه إلى تِـلِمْسان، قاعدةِ زَناتة، ثمّ إلى طَنْجة. فكره الجندُ المسيرَ معه[4]، وقالوا: قد هرب أبو قُرَّة الذي خرجنا إليه، وجعلوا يتسَلَّلون عنه إلى القَيْرَوان. فلم يبْقَ معه إلّا نَفَرٌ يسيرٌ من وجوههم. وكان الحسن بن حرب بتونُس. فلما خرجَ الأغلب يريد أبا قُرَّة، كاتَبَ جميع القوَّاد. فلحق به بعضُهم، وأقبل معهم إلى القَيْرَوان، فدخلها، وأخذ سالِـم بن سَوادة عاملَها، فحبسه. وبلغ الخبر الأغْلَب، فأقبلَ في عِدَّة يسيرة، وكتب إليه، يُعَرِّفه بفضل الطاعة، ووَبال المعصية. فأعاد الجواب إلى الأغْلَب، وفي آخره[5] [من الوافر]:

---

(١) تنظر الحلة السيراء لابن الأبار ١/ ٦٨.

(٢) نهاية الأرب للنويري ٢٤/ ٤١.

(٣) الحلة السيراء لابن الأبار ١/ ٧٢.

(٤) ليست في ر١.

(٥) الأبيات في الحلة السيراء ١/ ٧٢، ونهاية الأرب للنويري ٢٤/ ٤١ باختلاف لفظي.

ألا قُولُوا لأغْلَبَ غَيْرَ سُوءٍ مُغَلْغِلةٍ عن الـحَسَنِ بن حَـرْبِ
بـأنَّ البَغْـيَ مَرْتَعُـهُ وَخِـيمٌ عَلَيْكَ وقُرْبُـه لـك شَرُّ قُـرْبِ
فـإنْ لم تَنْثَنـي لِتنـالَ سِـلْمِي وعَفْوي فادنُ من طَعْني وضَرْبي

وأقبل الأغْلَبُ يحثُّ السيرَ بعد ما مضَى إلى قابِس، وقدمَ رسولُ[1] المنصور عليه بكتاب منه إليه وإلى الـحَسَن بن حَرْب، يدعو الـحَسَن إلى الطاعة، فلم يقبَلْ. فأقبل إليه الأغْلَب، فاقتتلوا، وانهزم الـحَسَن ومضى راجعًا إلى تونُس، ودخل الأغْلَبُ القَيْرَوان. ثُمّ حشَد الحسَنُ وسار في عدَّة عظيمة إلى القَيْرَوان. ثمّ إن الأغْلَب، لـمّا بلغه قدومُ الـحَسَن إليه، جمع أهلَ بيته وخاصَّتَه، وخرج إليه، فأصابه سهمٌ، فمات منه في شعبانَ من السنة المؤرَّخة. فكانت ولايتُه سنةً واحدةً وثمانيةَ أشهر[2].

وِلاية عَمْرٍو[3] بن حفص بن قَبِيصة إفريقيةَ

ثمّ وَلِي إفريقية عمرُو بن حفص بن قَبِيصة سنة إحدى وخمسين ومئة[4]. وكان شجاعًا بطلًا. وسببُ ولايته أنّ أبا جعفر، لـمّا بلغه قتلُ الأغْلَب بن سالم، وجَّهه في نحو[5] خمس مئة فارس. فأقام بالقَيْرَوان ثلاثَ سنين وأشهرًا من ولايته، والأمورُ له مستقيمةٌ. ثمّ سار[6] إلى الزاب، واستخلف حَبِيبَ بن حَبِيب بن يزيد[7] بن الـمُهَلَّب. فخَلَت إفريقية من الجند، وثار بها البربر، فخرج إليهم حبيبٌ والتقى معهم، فهزموه وهزموا[8] عسكرَ

(١) سقطت من ر١.
(٢) نهاية الأرب للنويري ٢٤/ ٤١-٤٢.
(٣) هكذا في أ، ر١، م، وهو تحريف صوابه «عمر» كما في تاريخ خليفة ٤٣٤، وتاريخ الطبري ٨/ ٣٣، وغيرهما وهو المعروف بهزارمرد.
(٤) جاء في ر١ بدلًا من هذه العبارة: «وفي سنة إحدى وخمسين ومئة ولي المغرب».
(٥) ليست في ر١.
(٦) في ر١: «صار».
(٧) سقط من ر١.
(٨) في ر١: «وهَزم».

أطرابُلُس معه. فاشتدَّت الفتنة بإفريقية واشتعل نارُها. وأتاها أُمراءُ القبائل من كلِّ فجّ، واجتمعوا في اثْنَي عشرَ عسكرًا، وتوجَّهوا إلى الزاب وليس مع عمرو بن حَفْص إلّا خمسةَ عشَرَ ألفًا وخمس مئة. وكان أُمراءُ المغرب في ذلك الوقت ورؤساؤُهم: أبو قُرَّة الصُّفْريُّ في أربعين ألفًا، وعبد الرحمن بن رُسْتُم الإباضيُّ في خمسةَ عشرَ ألفًا، وأبو حاتِم في عَدَد كثير، وعاصِمٌ السَّدْراتيُّ في عَدَد كثير، قيل: في ستَّة آلاف، والـمِسْور[1] الزَّناتيُّ في عشَرة آلاف، وعبدُ الملك بن سكرديد الصُّنْهاجيُّ الصُّفريُّ في ألفَيْن سوى جماعاتٍ أُخَر[2]. قال[3] الرقيق: لم أذْكُرْهم.

فلما رأى عَمْرو بن حفص ما أحاط به من العساكر بمدينه طُبْنة بالزاب، جمع قوّادَه، فاستشارهم، وقال لهم: إنّي أُريد مُناهضةَ هذا العدوّ، فأشاروا عليه ألّا يبرح من مدينة طُبْنة، وقالوا له: أخْرِجْ مِنَّا من أردتَّ إلى عدوِّك ولا تَـخْرُجْ أنت، فإنّك، أن أُصِبْتَ، تَلِفَ الـمَغْرِبُ وفَسَد، فوجَّه عمرٌو إلى أبي قُرَّة مالًا كثيرًا وكِسًى[4] كثيرةً، على أن ينصرفَ عنه، فقال: لا حاجةَ لي بذلك، فانصرف الرسولُ بذلك إلى أخيه، فدفع له بعضَ المال والثياب على أن يعملَ في صَرْف أخيه أبي قُرَّة والصُّفريَّةِ إلى بلادهم، فعَمِلَ في ليلته تلك، واجتمع بأهل العسكر، فلم يعلم أبو قُرَّة حتّى انصرف عنه أكثرُ أهل العسكر، فلم يجد بُدًّا من اتّباعهم[5].

فلمّا انصرف الصُّفْريَّة، وجَّه عمرٌو إلى ابن رُسْتُم عسكرًا، وكان في تَهُودا. فانهزم ابن رُسْتُم، وقُتل من أصحابه نحوُ ثلاثة آلاف، ووصل منهزمًا إلى تِيهَرْت.

ورجع عَمْرُو بن حفص إلى القَيْرَوان، فجعل يُدخل إليها كلَّ ما يُصلحه من الطعام والمرافِق وعُدَّةِ الحصار. ثمّ أقبل أبو حاتم في جموعه حتّى نزل عليه. وكثُرت الفِتَنُ ببلاد إفريقيّة. ويقال: إنّ عِدَّةَ من حاصر القَيْرَوان مئةُ ألفٍ وثلاثون ألفًا. وكان ابن

(١) في أ: «المصور».

(٢) الكامل لابن الأثير ٥/ ٥٩٨-٥٩٩.

(٣) هذه العبارة ليست في ر١.

(٤) في ر١: «وكتبًا»، ولا معنى لها.

(٥) الكامل لابن الأثير ٥/ ٥٩٩.

حفص يَخرج إليهم في كلِّ يوم، فيُحاربهم. فلم يزالوا حتّى ضاق أمْرُهم، وأكلوا دوابّهم وكلابَهم وسنانيرَهم، وماتوا جوعًا[1]، وانتهى الـمِلْح عندَهم أُوقيَّةٌ بدرهم. واضطرب على ابن حفص أمره وساءَتْ خُلُقُه، وبلغه أنّ يزيدَ بن حاتم بعثه أميرُ المؤمنين[2] في ستّينَ ألفًا لنصرة القَيْرَوان. فقال: لا خَيْرَ في الحياة بعد أن يقالَ: يزيدُ أخْرَجَه من الحصار، إنّما هي رَقْدةٌ وأُبْعَث إلى الحساب.

وخرج، فجعل[3] يُطعن ويُضرب حتّى قُتل في النصف من ذي الحجَّة من سنة أربع وخمسينَ ومئة[4]. ولم يُعْطِ الحالُ تفصيلَ هذه السنين من سنة إحدى وخمسين ومئة إلى ثلاث وخمسين ومئة بعدها سنةً سنةً: فأجملتُ أمرَها هنا إجمالًا مختصرًا، يُغني[5] عن إعادتها في كلّ واحدةٍ منها.

ولـمّا قُتل[6] عمرُو بن حَفْص، بايع الناسُ أخاه جَـمِيل بن حفْص بالقَيْرَوان. فلما طال عليه الحصار، دعاه الاضطرارُ إلى مُصالحة أبي حاتم، على أنّ جميلًا وأصحابَه لا يخلَعون طاعةَ سلطانهم، ولا ينزِعون سوادَهم. فغضب أبو حاتم، وأحرق أبواب القَيْرَوان، وثَلَمَ سورَها، ودخَلَها عَنْوةً. ولـمّا دخل أبو حاتم القَيْرَوان، أخرج[7] أكثر أهلِها إلى الزاب. ثمّ بلغه قدومُ يزيدَ بن حاتم، فتوجَّه للقائه نحو أطرابُلُس، واستخلف على القَيْرَوان عبدَ العزيز الـمَعافريَّ. فقام عليه عُمر بن عثمان، وقتل أصحابَ أبي حاتم، فزحف إليهم أبو حاتم إلى القَيْرَوان، فاقتتل معهم. وتوجَّه ابن[8] عثمان إلى تونُس، ورجع أبو حاتم إلى أطرابُلُس حين بلغه قدومُ يزيد بن حاتم،

---

(١) قوله: «وماتوا جوعًا» ليس في أ.

(٢) في ر١: «أن أمير المؤمنين بعث يزيد بن حاتم».

(٣) ليست في ر١.

(٤) الكامل لابن الأثير ٥/ ٦٠٠.

(٥) من هنا إلى نهاية الفقرة سقط من ر١.

(٦) في ر١: «مات».

(٧) في ر١ بدلًا من الجملة الأخيرة: «ودخلها عَنْوةً، فأخرج».

(٨) في أ، م: «أبو»، وهو تحريف.

فقيل: إنّه كان بين العَرَب والبربر، من لدُن قاتلهم عَمْرو بن حَفْص إلى انقضاء أمرهم، ثلاث مئة وخمس وسبعون وقيعة.

وفي سنة إحدى وخمسين ومئة: وَلّى المنصورُ عَمْرو بن حفص المتقدِّمَ الذِّكر إفريقية، فقدمها في صفر في خمس مئة فارس[1]، وكان قد ولي إفريقية سنة خمسين ومئة، بعد موت الأغْلَب، المخارقُ بن غِفار الطائيُّ، استخلفه الأغْلَبُ على القَيْرَوان، واجتمع الناس عليه في رَمَضان، فوجَّه الخيلَ في طلب الـحَسَن بن حَرْب، فهرب من تونُس إلى كُتامة، فأقام شهرَين، ورجع إلى تونُس، فخرج إليه مَن بها من الخيل، فقُتِلَ الـحَسَنُ بن حَرْب.

وفي سنة اثنتين وخمسين ومئة: كان ما تقدَّم ذكرُه على الجملة بإفريقية. وفيها عزَلَ المنصورُ يزيدَ بن حاتِم عن مِصْر، وولّاها محمَّد بن سعيد. وكان سائرُ عمّالها الذين كانوا في السنة قبلها.

وفي سنة ثلاث وخمسين ومئة: قال الطبَريُّ[2]: قُتِل عَمْرو[3] بن حَفْص: قتله أبو حاتم الإباضيُّ، وأبو غادِي[4]، ومن كان معهما من البربر، وكانوا - فيما ذُكِر - ثلاث مئة ألف وخمسين ألفًا، الخيل منها خمسة وثلاثون ألفًا، ومعهم أبو قُرَّة اليَفْرَنيُّ[5] أميرُ تِلِمْسان في أربعين ألفًا، وكان يُسَلَّم عليه بالخلافة. هكذا ذكر ابن القَطَّان في «نَظْم الـجُمان». وقد[6] تقدَّم أنّ قتل عمرو بن حَفْص كان في سنة أربع وخمسين ومئة. ذكر ذلك الرَّقِيق وابن حمادُه وغيرُهما.

وقال الرَّقِيق وعَرِيب: في سنة ثلاث وخمسين، زحف أبو قُرَّة من تِلِمْسان في جمع كبير من البربر إلى القَيْرَوان، فصالَـحَه عَمْرو بن حَفْص، وانصرف. وفيها ثارت البربُر بأطرابُلُس، وقدَّموا أبا حاتم الإباضيَّ، واسمه: يعقوب بن لَبيب.

---

(١) قوله: «في خمس مئة فارس» ليس في ر١.

(٢) قوله: «قال الطبري» ليس في ر١، والخبر في تاريخ الطبري ٨/ ٤٢.

(٣) في تاريخ الطبري: «عمر»، وهو الصواب.

(٤) في تاريخ الطبري: «أبو عاد».

(٥) وهو الصفري.

(٦) من هنا إلى نهاية الفقرة ليس في ر١.

وفي سنة أربع وخمسين ومئة: قال عَرِيب[1]: استخلف عمرُو بن حَفْص على طُبْنة الـمُهَنَّأ بن الـمُخارِق، وخَرَج عمرٌو إلى القَيْرَوان، فأقبل إليه أبو حاتِم الإباضيُّ إلى أن قُتل عمرٌو كما تقدَّم ذكرُه. ولـمّا بلغ المنصورَ قتلُ عَمْرو، بعث إلى إفريقية يزيدَ بن حاتِم، على ما سيأتي ذكرُه إن شاء الله تعالى.

وفي سنة خمس وخمسين ومئة: قال الطَّبَريُّ[2]: فيها افتتح يزيد بن حاتم إفريقية، وقتَل أبا غادي وأبا حاتِم، واستقامت بلادُ المغرب، ودخل يزيد بن حاتم القَيْرَوان.

وفيها: انصرف أبو حاتم الإباضيُّ من أطْرابُلُس إلى القَيْرَوان، ثمّ قدم يزيد.

وِلايةُ يزيدَ بن حاتم إفريقيةَ والمغرب[3]

هو يزيدُ بن حاتم بن قَبِيصة بن الـمُهَلَّب، وكان يُكْنى أبا خالد. ولّاه أمير المؤمنين أبو جعفر المنصور العبَّاسيُّ[4] المغربَ[5]. وحالُه في كرمه، وجوده، وشجاعته، وبُعْدِ صيته، ونفاذِ رأيه، وتقدُّمه، معروفٌ غيرُ نَـكِير[6]. وكان كثيرَ الشبه بجدِّه الـمُهَلَّب بن أبي صُفْرة في حروبه وكرمه. وكان له أولادٌ مذكورون بالشجاعة والإقدام. ويقال: إنّه انتهى ولدُ الـمُهَلَّب ثلاثَ مئة وَلَد من الذكور والإناث، من مات منهم ومن عاش. وكان أبو جعفر المنصور عالـمًا ببلاد إفريقية، وكان لا يبعثُ إليها إلّا خاصَّته. وكان يزيدُ هذا حسنَ السيرة. فقَدِم إفريقية، وأصلحها، ورتَّب أسواق القَيْرَوان، وجعل كلَّ صناعة في مكانها. ولم تزل البلادُ هادنة إلى أن ثارت عليه البربر. فزحف لهم وأوقع بهم. وله فيهم مَلاحِمُ مشهورة. وفيه قيل: «شَتَّانَ

(١) قوله: «قال عريب» ليس في ر١.

(٢) تاريخ الطبري ٨/ ٤٦.

(٣) ينظر تاريخ الرقيق ٨٥، والكامل لابن الأثير ٥/ ٦٠١، ونهاية الأرب ٢٤/ ٤٦-٤٧.

(٤) ليست في ر١.

(٥) ليست في أ.

(٦) في أ، م: «منكر».

ما بين اليزيدَيْن»، يعني: يزيدَ بن سُلَيْم ويزيدَ بن حاتم. ومن شعر رَبيعة[1] فيه من قصيدة [من الطويل]:

حلَفْتُ يمينًا غَـيْرَ ذي مَثْنَويّـةٍ   يمـينَ امْـرئ آلى ولـيس بـآثمِ

لَشَتّانَ ما بين اليَزيدَيْنِ في النَّدَى   يزيد سُلَيْم والأغرِّ ابن حـاتمِ

وقدم يزيدُ على إفريقية ومعه كلّ جند من الشام والعراق وخُراسان، فنزل أوّلًا أطْرابُلُس، وسار إليه أبو حاتم، فزحف إليه يزيد، واقتتل معه قتالًا شديدًا، فانهزم أبو حاتم وقُتِل[2] هو وكثيرٌ من أصحابه. واتبع سائرَهم، فقَتل من أدرك منهم. واستعمل يزيدُ على أطْرابُلُس سعيدَ بن شَدَّاد، وحينئذٍ نهض إلى القَيْرَوان، فدخلها يومَ الاثنين لعشر بقين لـجُمادى الآخرة من هذه السنة.

وفي هذه السنة أنكرت الصُّفريَّةُ المجتمعةُ بسِجِلْماسةَ على أميرهم عيسى بن يزيد أشياء، فشدُّوه وثاقًا، ووضعوه على قُنَّة جَبَل، فلم يزل كذلك حتّى مات، وقدَّموا سَمْغُو بن وَاسُول بن مدلان الـمِكْناسيَّ جَدَّ مِدْرار.

وفي سنة ستّ وخمسين ومئة: بعث يزيدُ بن حاتِم العلاء[3] بن سعيد الـمُهَلبيَّ مدَدًا لابن المخارِق بمدينة طُبْنة بالزاب، ودخل قلعة[4] حَبْحَاب بجبل كُتامة، وهرب عبد الرحمن بن حبيب عنها. وقَتل العلاء[5] جماعةً مـمَّن أدْرَكَ فيها، ثمّ انصرف إلى القَيْرَوان.

وثار على يزيدَ بن حاتِم أبو يحيى بن قَرْياس الـهَوَّاريُّ بناحية أطْرابُلُس، واجتمع إليه كثيرٌ من البَرْبر. وكان بها عبد الله بن السِّمْط الكِنْديُّ قائدًا ليزيد، فالتقَوْا على شاطئ البحر، واقتتلوا قتالًا شديدًا، فانهزم أبو يحيى وقُتل عامَّةُ أصحابه. وتهدَّنت إفريقية ليزيد بن حاتِم، وضَبَطَها.

---

(١) هو ربيعة بن ثابت الرقي، والقصيدة بطولها في تاريخ الرقيق ٨٧.

(٢) سقطت من ر١.

(٣) قوله: «حاتم العلاء» سقط من ر١، وترجمة العلاء بن سعيد المهلبي في الحلة السيراء ١/ ٨٧.

(٤) سقطت من ر١.

(٥) سقطت من ر١.

وفي سنة سبع وخمسين ومئة: جدَّد يزيد بناء المسجد الجامع بالقَيْرَوان[1]، وكان غايةً في الجود والـحُسْن. وفيها تُوفّي أبو جعفر المنصور، في ذي الحجَّة من السنة الـمؤرَّخة.

وفي سنة ثمانٍ وخمسين ومئة: ولي الخلافةَ المهدي[2]، بويع يوم مات أبو جعفر بمكَّة، شرَّفها الله، بعهد من أبيه، وذلك يومَ السبت لستٍّ خلون لذي الحجَّة. واستقـلَّ بالملك والخلافـة في هذه السنة. وكان أديبًا، جـوادًا، محبًّا لأهل الأدب والشعر.

وقد ذكرنا بعض أشعاره[3] وأخباره في تاريخ المشرق، إذ الغرضُ[4] هنا ذكرُ أخبار المغرب: الأقصى والأوسط.

وفي سنة اثنتين وستين ومئة: توفّي أبو خالد عبد الرحمن بن زياد بن أنْعُم[5]، القاضي بالقَيْرَوان، وصلَّى عليه أميرُ إفريقية يزيدُ بن حاتِم، وتمثَّل بهذا البيت لـمّا رأى ازدحام الناس عليه [من البسيط]:

يا كَعْبُ ما راحَ من قوم ولا ابتكـروا ... إلا وللمـوت في آثـارهم حـادي

وكان مرضُه أنَّه أكل حُوتًا وشَرِبَ عليه لبنًا على مائدةِ يزيد، وكان قد جاوز تسعينَ سنةً، فهلك من ليلته.

وفي سنة ثلاث وستين ومئة: أمر المهديُّ يحيى بن خالد بن بَرْمَك أن يكون كاتبًا لابنه هارون، وقال له: إنّي اخترتُك وولَّيتك الكتابة. وأمر له بمئة ألف درهم معونةً على سفره مع هارون ابنه[6].

---

(١) ينظر تاريخ الرقيق ٩٣.

(٢) تاريخ الطبري ٨/ ١١٠.

(٣) ليست في ر١.

(٤) في أ: «والغرض».

(٥) تاريخ الإسلام ٤/ ١١٥.

(٦) تاريخ الطبري ٨/ ١٤٧.

وفي سنة خمس وستين ومئة: أغزَى المهديُّ ابنَه هارون إلى بلاد الروم، في خمسة وتسعين ألفًا[1]، بمئة ألفِ ألف من العَيْن[2]، وبعشرينَ ألفَ ألف من الوَرِق[3]. فبلغ خليج البَحر على القُسْطَنْطِينيَّة، وأذعَن له الرومُ بالجِزية[4] تسعينَ ألفَ دينار في كلّ سنة، وانصرف بخمسة آلاف من الأسرى وبالغنائم.

وفي سنة ست وستين ومئة: قدم هارونُ ابن[5] أمير المؤمنين من غزوته هذه، وقدمت الروم بالهديَّة والجزية[6]. وفيها سَخِط المهديُّ على وزيره يعقوبَ بن داود، وكان قد فوَّض إليه أمر خِلافته[7].

وفي سنة تسع وستين ومئة: توفّي المهديُّ بن المنصور، رحمه الله، واخْتُلِف في سبب موته، فقيل: مسمومًا غَلَطًا، وقيل غيرُ ذلك[8]. واستُخْلف ابنُه موسى الهادي[9].

وفي سنة سبعين ومئة: توفّي موسى الهادي في ربيع الأوَّل وهو ابن ستٍّ وعشرين سنة ونصف، فكانت خلافته سنةً وشهْرَيْن[10]. واستُخْلِف هارون بن محمَّد الرشيدُ.

---

(١) تاريخ الطبري ٨/ ١٥٢.

(٢) هكذا في النسختين، وهو خطأ بلا ريب، ومبلغ ضخم غير معقول، وصوابه كما في تاريخ الطبري: مئة ألف دينار وأربعة وتسعون ألفًا وأربع مئة وخمسون دينارًا.

(٣) الذي في تاريخ الطبري: واحد وعشرون ألفًا وأربع مئة ألف وأربعة عشر ألفًا وثمان مئة درهم.

(٤) في ر١: «بالجزيرة»، وهو تحريف بيّن.

(٥) قوله: «هارون ابن» سقط من ر١.

(٦) تاريخ الطبري ٨/ ١٥٤.

(٧) في ر١، م: «أمور خاصته»، وما هنا من أ، وينظر تاريخ الطبري ٨/ ١٥٦، وفيه: «وفوّض إليه أمر الخلافة».

(٨) تاريخ الطبري ٨/ ١٦٨.

(٩) تاريخ الطبري ٨/ ١٨٧.

(١٠) تاريخ الطبري ٨/ ٢٠٥.

وفي سنة إحدى وسبعين ومئة: توفِّي أمير إفريقية يزيد بن حاتِم، وكان خاصًّا بأبي جعفر المنصور، وتولَّى ولايات كثيرة قبل قُدومه المغربَ، منها: أرمينية، والسِّنْد، ومِصْر، وأذْرَبِيجان(١)، وغيرُ ذلك. وكانت ولايتُه مِصْر سنة أربع وأربعين ومئة إلى سنة اثنتين وخمسين ومئة، وكان حسن السيرة بإفريقية، امتدَحَهُ كثيرٌ من فحول الشعراء، فأجزل لهم العطاء.

قال الزُبَيْر بن بكّار عمَّن حدَّثه من الشُّعراء، قال: كنتُ أمدحُ يزيد بن حاتِم من غير أن أعْرِفَه ولا ألقاهُ، فلما ولّاه المنصور مِصْرَ، أخذَ على طريق المدينة، فلقِيَه، فأنشده مُنْذُ خَرَجَ من مسجد رسول الله ﷺ إلى مسجد الشَّجَرة(٢). فأعطاه رَزْمَتَيْ ثيابٍ وعشرة آلاف دينار؛ هكذا ذكر الرَّقيق(٣). وممّا قيل فيه(٤) [من الكامل]:

يا واحِدَ العَرَبِ الذي دانَتْ له ... قَحْطَانُ قاطِبَةً وسَادَ نِزارا

إنّي لأرجو إذ بَلَغْتُك سالمًا ... ألّا أُكابِدَ بَعْدَكَ الأسْفارا

وفيه قيل [من الطويل]:

لَشَتَّان ما بَيْنَ اليزيدَيْن في النَّدَى ... يزيد زريع والأغر ابن حاتمِ(٥)

وقولُه: «لشَتَّانَ ما بَيْنَ اليزيدَيْن» مَثَلٌ يُتمثّلُ به في كلّ ناحية على لسان كلّ سائر(٦). وكان على ربيعة الشاعر دِيَةٌ، فأعطاه عَشْر دِيَات، ووَصَلَه، وأحسن إليه، وكان سَخِيًّا. ومن قول يزيد بن حاتِم، رحمة الله [من البسيط]:

---

(١) قوله: «ومصر وأذربيجان» ليس في ر١.

(٢) في تاريخ الرقيق: «الصخرة»، وهو تحريف.

(٣) تاريخه، ص٩٠.

(٤) في ر١: «وفيه قال»، وقائل هذين البيتين هو ابن المولى، محمد بن عبد الله بن مسلم، كما ذكر الرقيق في تاريخه ٨٩.

(٥) في أ: «إذا عُد في الناس المكارم والمجد»، وما هنا من ر١، وهو الصواب لأن الشطر الوارد في أ قاله أبو الشمقمق في مدح يزيد من مزيد الشيباني كما في تاريخ الرقيق ٨٨ وغيره.

(٦) في ر١ بدلًا من هذه العبارة: «وهو مثل سائر تقول العرب: شتان ما بين اليزيدين».

ما يألفُ الدِّرْهَمُ المضروبُ خِرْقَتنا   إلّا لُـماما يسيرًا ثـم يَنْطَلِـقُ

يَمُـرُّ مَـرًّا عليهـا وهْـيَ تَلْفِظُـهُ   إنّي امرؤٌ لم يحالِفْ صُرَّتي الوَرِقُ

ومن أخباره بإفريقية، رحمه الله[1]: رُوي أنّ بعض وكلائه زَرَع فولًا كثيرًا في بعض رياضاته، فقال له: يا ابن اللخناء، أتُريد أن أعَيَّرَ بالبَصْرة، فيُقالَ: يزيدُ بن حاتم باقِلانيٌّ[2]! ثمّ أمر بأن يُباحَ للناس. وخرج أيضًا يومًا في طريقه من القَيْرَوان مُتَنَزِّهًا، فنظرَ إلى غَنَم كثيرةٍ كانت لابنه. فزجَرَهُ عليها، وأمر بذَبْحها وأن تُباحَ للناس، فانتهبوها، وأكلُوها، وجعلوا جُلُودها في كُدْية، فهي تُعرف من ذلك الوقت بكُدْية الـجُلُود[3]. وكانت وفاتُه في رمضان من سنة إحدى وسبعين ومئة فكانت ولايتُه خمسة عَشْرة سنة وثلاثة أشهر، في بعض خِلافة المنصور، وخِلافة المهدي كلّها، وبعض خلافة هارون[4] الرَّشيد.

ولاية داود بن يزيد بن حاتِم إفريقية[5]

استَخْلَفَه أبوه في مرضه، فأقام واليًا بإفريقية تسعة أشهر ونصفًا، يحارب أُمراء قبائل البربر محاربةً عظيمةً. وكان[6] بينه وبينهم مواقِفُ كثيرةٌ في جبال باجة وغيرها. وقام عليه نُصَيْر بن صالِح الإباضيُّ، فخرجَ إليه الـمُهَلَّبُ ين يزيد، فهزموه وقتلوا من أصحابه جماعةً. فوجَّه إليهم داودُ سُليمانَ بن يزيد في عَشَرة آلاف، فهربَ البربرُ أمامَهم، فتبعهم، وقتلَ منهم أكثر من عَشَرة آلاف. وأقامَ داود على إفريقية إلى أن قدم عليه عمُّه[7] رَوْح بن حاتم أميرًا على الـمَغْرِب.

---

(١) قوله: «ومن أخباره بإفريقية، رحمه الله» ليس في ر١.

(٢) تاريخ الرقيق ٩١.

(٣) كذلك.

(٤) ليس في ر١.

(٥) تاريخ الرقيق ٩٧.

(٦) في ر١: «وكانت».

(٧) ليس في ر١، وهي ثابتة في تاريخ الرقيق.

ذكر ابتداء الدولة الهاشِميَّة بالبلاد الغَرْبيَّة، وهُم الأدارِسة رحمهم الله

اتَّفق جماعة المؤرِّخين أنّ دخول إدريس بن عبد الله[1] رضي الله عنه إلى المغرب كان في سنة سبعين ومئة، وهو إدريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه. وكان دخوله في إمارة يزيد بن حاتم إفريقية، وإمارة هشام بن عبد الرحمن الداخل بقرطبة، وأوّلِ ظهور بني مِدْرار بِسِجِلْماسة. وكان نزولُه بوادي الزَّيْتون، بموضع يُعرف بمدينة البَلَد. وكان وصولُه مع مَوْلاه راشِد.

وقال البَكْريُّ في «المجموع الـمُفْتَرِق»[2]: كان نزولُه بوَلِيلَى، وهي اسمٌ لطَنْجة باللسان البَرْبَريّ. وذكر محمَّد بن يوسف أنّها كانت على مسافةِ يومٍ من موضع فاس الآن. وكانت مدينةً أَزَلِيَّةً، وبها مات إدريس رضي الله عنه. وكان سَبَبُ وصول إدريس إلى المغرب، على ما ذكر الرَّقِيق والنَّوْفَليُّ[3] في «المجموع الـمُفْتَرِق»، وغيرُهما من المؤرِّخين، وذلك أنّ الحسين[4] بن عليّ بن حسن[5] بن حسن بن حسن بن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه كان قد قام بالمدينة أيّامَ موسى الهادي، ثمّ خرجَ إلى مكَّةَ في ذي الحجَّة سنة تسع وستين[6]، وخرج معه جماعةٌ من إخوانه وبني عَمِّه، ومنهم

---

(١) ينظر تاريخ ابن خلدون ٤/ ١٢.

(٢) هذا الكتاب لا نعرف مؤلفه، وهو بلا شك ليس للبكري، والظاهر أن ابن عذاري ينقل قولًا للبكري ورد في هذا الكتاب.

(٣) هو أبو الحسن علي بن محمد بن سُليمان بن عبد الله بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب النوفلي، أكثر أبو جعفر الطبري النقل عنه في تاريخه (ينظر الفهرس)، والمسعودي في «مروج الذهب» وذكر أن له كتاب «الأخبار». كما أكثر النقل عنه أبو الفرج الأصبهاني في كتاب «مقاتل الطالبيين»، ونقل ابن الأبار في الحلة السيراء وفاة إدريس بن عبد الله عنه. وينظر تاريخ ابن خلدون ٣/ ٢٠٥.

(٤) في ر١: «الحسن»، خطأ، وينظر تاريخ الإسلام للذهبي ٤/ ٢٨٣.

(٥) في ر١: «حسين»، خطأ.

(٦) يعني: ومئة.

إدريس ويحيى ابنا عبد الله بن حسن. وبلغ ذلك الهادي، فولَّى حَرْبَه محمدَ بن سُليمان ابن عليّ. وكانت الوقعة بفَخّ، فقُتِل الحسين[1] بن عليّ وأكثرُ أصحابه. وأفلت إدريس هذا الداخلُ إلى المغرب، فوقع[2] إلى مِصْرَ، وكان على بريدها واضِحٌ مَوْلَى صالح بن المنصور، فحَمَلَه على البريد إلى أرض المغرب. فوقع بمدينة وَليلى[3] من أرض طَنْجة، فاستجاب له من بها من قبائل البَرْبَر. ولما ولي الرشيدُ وبلغه أمْرُه، بعث إلى واضِح، فضرب عنقه، ودسَّ إلى إدريس الشَّمَّاخَ مَوْلى الهادي، فخرج حتّى وصل وَلِيلة، وذكر أنّه مُتَطَبِّبٌ من شِيعتِهم العَلَوِيَّة، ودخل[4] إلى إدريس، فأَنِسَ به واطْمَأَنَّ إليه. ثمّ إنّه شكا له عِلَّةً في أسنانه، فأعطاه سَنُونًا مسمومًا قاتلًا، وأمره أن يستنَّ به عند طُلوع الفَجْر، فأخذَهُ منه. وهربَ الشَّمَّاخ من تحت ليلته. فلما طلع الفجر، استنَّ إدريس، وأكثر منه في فَمِه، فسقطت أسنانه[5] ومات من وقته. وطُلِب الشَّمَّاخ، فلم يُظْفَرْ به، وقَدِمَ على الرشيد، فولّاه بَرِيدَ مِصْرَ. هكذا ذكر الرَّقيق في كتابه[6].

وفي سنة اثنتين وسبعين ومئة: اجتمعت القبائل على إدريس بن عبد الله من كلِّ جهة ومكان، فأطاعوه وعظَّموه وقدَّموه على أنفسهم، وأقاموا معه مُغْتَبِطين بطاعته، ومُتَشَرِّفين بخدمته طُولَ حياته. وكان رجلًا صالحًا[7]، مالكًا لشَهَواته، فاضلًا في ذاته، مؤثِرًا للعدل، مُقْبِلًا على أعمال البِرّ.

وفي سنة ثلاثٍ وسبعين ومئة: كان خروجُه بعساكر القبائل الغربيَّة حتّى انتهى إلى بلاد السُّوس الأقصى، ودخل ماسَّة، فغنم وسبى، ورجع إلى الغرب سالـمًا غانـمًا.

---

(١) في ر١: «الحسن»، خطأ.

(٢) في ر١: «فهرب».

(٣) تبعد نحو ثلاثين كيلو مترًا من مكناس، وتسمى اليوم قصر فرعون.

(٤) في ر١: «ورحل».

(٥) قوله: «فسقطت أسنانه» ليس في ر١.

(٦) نقله عنه النويري في نهاية الأرب ٢٥/ ٣٩.

(٧) قوله: «رجلًا صالحًا» ليس في أ.

وفي سنة أربع وسبعين ومئة: توجَّه بعسكره إلى رباط تازا[1] لما قفلَ من حركةِ السُّوس[2]، فوجد في جَبَلها معدن الذهب. وأجابه جميع القبائل الغربيَّة، وأطاعوه، وبايعوه في هذه السنة، وكملت له الإمارة فيهم.

ولاية رَوْح بن حاتِم بن قَبِيصة بن الـمُهَلَّب إفريقية[3]

ولّاه عليها أميرُ المؤمنين هارونُ بن محمد الرشيد، فقدِمَها في سنة إحدى وسبعين ومئة. وكان له ولايات كثيرة: فحجب المنصور، ثمّ ولّاه البَصْرة، ووَلِـيَ الكوفةَ في أيّام المهدي، وولي السِّنْد وطَبَرِسْتان وفِلَسْطِين وغير ذلك.

ونظر رجلٌ إلى رَوْح بن حاتِم واقِفًا في الشَّمْس عند باب المنصور، فقال له: لقد طالَ وقوفُك في الشَّمْس، فقال له: ليطول بذلك وقوفي في الظلّ. وتُوفّي له ابنٌ فدخلَ عليه أصحابُه، وهو ضاحكٌ، فتوقَّفوا عن تعزيته، فعرف ذلك فيهم، فأنشأ يقول [من الطويل]:

وإنَّا لَقَـوْمٌ مـا تَفِـيضُ دُموعُنـا　　　على هالِكٍ مِنَّا وإنْ قُصِمَ الظَّهْرُ

وقيل: إنّه بعث لكاتبه ثلاثين ألف درهم، ووقَّع إليه[4]: إنّي بعثتُ إليك بكذا، لا أستَقِلُّها لك تَـكَـبُّرًا، ولا أستَـكْثِـرُها تَـمَـنُّـنًا، ولا أقْطَـعُ عنك بها رجاءً بَعْدُ، والسلام.

وكان رَوْح أكبر سنًّا من أخيه يزيد وأكْثَرَ ولايةً. وعندما يطول جُلوسُه بالقَيْرَوان، رُبَّما خطرَ عليه النعاسُ من الضَّعْف والشاخةِ، وكان يُكْنَى أبا خالد. تُوفّي ليلةَ الأحد لسبعٍ بَقِينَ من رمضان المعظَّم من سنة أربع وسبعين ومئة، فكانت ولايتُه ثلاثَ سنين وثلاثةَ أشهر[5].

---

(١) ينظر الروض المعطار ١٢٨.

(٢) قوله: «لما قفل من حركة السوس» ليس في ر١.

(٣) تاريخ الرقيق ٩٨-١٠٤ وتاريخ دمشق ١٨/ ٢٣٤-٢٣٨، وتاريخ الإسلام ٤/ ٦٢٠.

(٤) في ر١: «له».

(٥) الكامل لابن الأثير ٦/ ١١٣-١١٤، ونهاية الأرب للنويري ٢٤/ ٤٨.

ولاية نَصْر بن حَبيب الـمُهَلَّبيّ إفريقية[1]

وكان صاحبُ البريد وأبو العَنْبر القائدُ قد كتبا[2] إلى الرشيد، في جملة من كتب إليه من القوَّاد، يُعْلِمـانِهِ[3] بضَعْف رَوْح بن حاتِم وكبره، وأنّهما لا يأمَنانِ موته عن قريب، وإفريقية ثغرٌ كبيرٌ لا يصْلُح بغير سُلطان. وكان نَصْر هذا على شُرطة يزيد بن حاتِم بمِصْر وإفريقية، وكان محمود السيرة. فكتبَ الرشيدُ عَهْدَه، وبعَثَهُ به سرًّا إليه. فلما مات رَوْح، بويع قَبيصة ابنه في المسجد الجامع، وأجمع الناس على بيعته[4]. وكان الفَضْل بن رَوْح عامِلًا في الزاب، فركب أبو العَنْبَر وصاحبُ البريد بعهد أمير المؤمنين هارون إلى نَصْر بن حبيب، فأوصلاه إليه، وسلَّما عليه بالإمارة، وركبا معه إلى المسجد فيمن معهما، حتّى أتيا قَبيصة، وهو جالسٌ على الفراش. فأقاماه، وأقعدا نَصْر بن حبيب، وأعلما الناس بأمره. وقُرئ الكتابُ الواصل من أمير المؤمنين هارون إلى نَصْر بن حبيب على الناس، فسمعوا وأطاعوا. وكان ذلك في العشر الأواخر لرمضان المعظَّم من عام أربعة وسبعين ومئة. فحسنت سيرته، وعدل في أحكامه. فولـيَ سنـتَيْن وثلاثة أشهر.

وفي سنة خمس وسبعين ومئة: عقدَ الرشيدُ لابنه محمَّد بمدينةِ السلام ولايةَ عَهْد المسلمين من بعده، وأخذَ عليه بيعة القوَّاد والـجُنْد، وسَمَّاه بالأمين، وله يومئذٍ خمسُ سنين[5].

وفي سنة ست وسبعين ومئة: ظهرَ يحيى بن عبد الله بن حَسن بن حَسن بن عليّ بن أبي طالب بالدَّيْلَم، واشتدَّت شوكتُه، وقَوِيَ أمرُه، فاغتمَّ الرشيدُ لذلك، فلم يكن في تلك الأيّام يشربُ النبيذَ، فصرفَ إليه الفضل بن يحيى في خمسين ألف رجل، فانهزمَ يحيى بن عبد الله[6].

---

(١) تاريخ الرقيق ١٠٤-١٠٥، ونهاية الأرب للنويري ٢٤/ ٤٨.

(٢) جاء في ر١ بدلًا من هذه الجملة: «كان نصر هذا قد كتب»، وهو خطأ بيّن.

(٣) في ر١: «يعلمونه».

(٤) في ر١: «باجتماع من الناس» بدلًا من «وأجمع الناس على بيعته».

(٥) تاريخ الطبري ٨/ ٢٤٠.

(٦) تاريخ الطبري ٨/ ٢٤٢-٢٥١ بتفصيل.

وفي سنة سبع وسبعين ومئة: ولي إفريقية الفَضْل بن رَوْح بن حاتِم[1]، ولّاه أمير المؤمنين الرشيد عليها، وكتب بعزله نَصْرَ بن حبيب، وأن يقوم بأمر الناس الـمُهَلَّب بن يزيد إلى أن يقدم الفَضْل. فكان قدومُه في محرَّم من هذه السنة. ولما قدم الفَضْل[2]، ولَّى ابن أخيه الـمُغِيرة تُونُس، وكان غير ذي تَـجْرِبة بالأمور[3] ولا سِياسة للجُمْهور، فاستخفَّ بالـجُنْد، وسار بهم سيرةً قبيحةً، فاجتمعوا، وكتبوا كتابًا لعمّه الفَضْل، يخبرونه بما صنعَ الـمُغِيرةُ فيهم، وبقُبح سيرته، فتثاقلَ الفضلُ عن جوابهم. فقالوا: كلُّ جماعة لا رأسَ لها لا ينجحُ سَعْيُهم ولا مَطْلَبُهم، فقال بعضُهم: أُشيرُ عليكم بعبد الله بن عبد رَبِّه بن الجارُود، فانطلقوا إليه وقالوا له: قد رأيتَ ما صنعَ بنا الـمُغِيرةُ، وقد خاطَبْنا عَمَّهُ، فلم يَصِلْنا جوابُه، وأنت المنظورُ إليه، والـمُعَوَّل في الأُمور عليه، ونحن نُصيِّرُ أمْرَنا إليكَ، ونعتمد فيه عليك. فقال لهم: ليس لي من الجواب إلّا النصيحة لي ولكم، وأنا أخافُ على نفسي وأقنعُ بالعافية، وإن كان أمْرٌ، كنتُ فيه كأحَدِكم. فقالوا له: ما لك من هذا بُدٌّ، فقال لهم: أعطوني من بيعتكم ما أثق به، فبايعوه وأطاعوه.

وفي سنة ثمان وسبعين ومئة: ثارَ الـجُنْد على أمير إفريقية الفَضْل بن رَوْح بن حاتِم، وقدَّموا ابن الجارُود بتُونس. ثمّ ساروا إلى الـمُغِيرة، وهو بدار الإمارة[4]، فقالوا له: الْـحَقْ بصاحبك أنتَ ومَن معكَ. وكتب للفَضْل بن رَوْح: من عبد الله بن الجارُود، أمّا بعدُ، فإنّا لم نُخْرِج الـمُغِيرة خروجًا عن الطاعة، ولكن لأحداثٍ أحْدَثَها فينا، ظهر فيها فسادُ الدولة، فعَجِّلْ لنا مَنْ ترضاه[5] يقوم بأمرنا، وإلّا نظَرْنا لأنفسنا. وكتب الفَضْل إلى عبد الله بن الجارُود: أمّا بعدُ، فإنّ الله يُـجْرِي قَضاءَهُ على ما أحبَّ الناسُ أو كرهوا، وليسَ اختياري أن أُولِّي عليكم فاختاروا لأنفسكم ولكن

---

(١) تاريخ الرقيق ١٠٥-١٢٣، وتنظر الحلة السيراء ١/ ٧٦.

(٢) قوله: «ولما قدم الفضل» سقط من ر١.

(٣) ليست في أ، م.

(٤) بعد هذا في أ، ر١: «بها» ولا معنى لها.

(٥) في ر١: «ترتضيه».

أُوَجِّه إليكم عاملًا. فوجَّه عبد الله بن محمَّد إلى تُونُس. فلما وصل إليها، قال لهم ابن الجارُود: كيف تصنعونَ ذلك، وأنتُم قد أخرجتُم ابن أخيه وشَتَمْتُموه؟ والله ما بعثه إليكم[١] إلّا ليطيبكم[٢]، حتّى ترجعوا عن رأيكم، فإذا اطْمأنَنْتُم أخَذَكُم[٣] واحدًا بعد واحد. قالوا له: فما رأيك؟ قال: الذي ذكرتُ لكم. فخرجوا حتّى التقوا بالعسكر الواصل مع العامل من قِبَل الفَضْل أمير إفريقية والقَيْرَوان[٤] بموضع الزَّيْتون، فدفعوه عن أنفسهم، وجرى بين الـجُنْد كلامٌ كثيرٌ يطولُ ذكرُه، إلى أن وقعتِ الحربُ بين ابن الجارُود وعَسْكر الفَضْل، فهزمهم ابن[٥] الجارُود واتَّبعهم إلى القَيْروان، فنزل عليها. فاجتمع الفَضْل مع بني عمِّه وخاصَّتِه،وتشاوَرَ معهم في أمره. فاضطربَ الأمرُ عليه، ولم يَصِحَّ له أمرٌ. فلما أصبح، أقبل عبد الله بن عبد رَبِّهِ[٦] بن الجارُود في عسكره، والفَضْل في دار الإمارة مع أصحابه. وكانَ بعضُ القوَّاد على الأبواب، فلما قرب ابن الجارود[٧] منها، فتحوها له؛ فدخل أصحابه، لا يدافعهم أحدٌ، ونزل ابن الجارود[٨] خارجَ المدينة، ثمّ دخلَ دار الإمارة، فأمّن الفَضْلَ وأصحابَهُ، ثمّ أمرهم بالخروج إلى قابس وقال لهم: إنّي لا آمَنُ أصحابي عليكم، ولكن أُوَجِّهُ معكم من يوصلكم إلى قابِس. فوجَّه لهم أبا الـهَيْثَم في جماعة، وأخذ عليه الأيمان ألّا يَسُلّم الفَضْل. فخرج الفَضْل معه، مع ثلاثة من بني عَمِّه وبعض أصحابه من باب آخر. فقال لهم البوَّاب: اخرجوا، يا كلاب النَّار، لا رحمكم الله! فقال[٩] الفَضْل عند ذلك: لا إله

---

(١) في ر١: «بعثته لكم» ولا يصح.

(٢) في أ: «ليطلبكم».

(٣) في ر١: «أُخذتم».

(٤) قوله: «أمير إفريقية والقيروان» ليس في ر١.

(٥) سقطت من ر١.

(٦) قوله: «عبد الله بن عبد ربه» ليس في ر١.

(٧) في أ: «ابن عبد ربه» وكله صحيح.

(٨) كذلك.

(٩) في ر١: «فقال لهم».

إلّا الله، لم يبْقَ أحدٌ إلّا صار علينا، حتى مَنْ أعتَقْناه. وسار ليلتَه ونهارَه حتّى دنا الغُروب، فسمع طَبْلًا، فقال: ما هذا؟ فقالوا: فلان جاء بمئة فارس، بعثه ابن الجارُود إليك لأنّه خاف عليك الـجُنْدَ. ثمّ سمع طبْلًا آخَرَ، فإذا هو منصورُ بن هاشِم، فقال له: ما جاء بك؟ فقال: كذا وكذا. ثمّ سمع طبْلًا آخر، فإذا هو صاحِبُ شُرْطة ابن الجارُود[1]، فقيل للفَضْل: إنه[2] جاء لِيَرُدَّكَ، وذلك أنّه أشار على ابن الجارود جماعةٌ من أصحابه أن لا يتركوا[3] الفَضْلَ يدخل أطرابُلُس لِئَلّا يقومَ الناسُ معه ويرجع إلى القَيْرَوان. فنادَى مُناديه[4]: مَن كانَ من طاعةِ ابن الجارود، فَلْيَنْعَزِلْ، فانعزلَ الناسُ، ولم يَبْقَ مع الفَضْل أحَدٌ. فردُّوه إلى القَيْرَوان، بعدما خلوا عن الـمُهَلَّب وجميع الناس الذين كانوا مع الفَضْل إلّا محمد بن هشام والفَضْل بن يزيد، فانطلقوا بهما حتّى جُعِلوا في الدار معه. ثمّ قُتِلَ الفَضْلُ بن رَوْح في شعبان من سنة ثمان وسبعين ومئة، فكانت ولايتُه سنةً واحدةً وخمسةَ أشْهُر[5]، فكانت دولة الـمَهالِبة بإفريقية ثلاثًا وعشرين سنةً. وثار ابن الجارود في جمادى الآخرة من سنة ثمان وسبعين ومئة[6]، فكانت له[7] مع البربر وقائعُ عظيمةٌ، ثمّ أمَّنَهُ الرشيد[8]، فأجابَ إلى الطاعة.

وفي سنة تسع وسبعين ومئة: كتبَ ابن الجارود المتغلِّب على إفريقية إلى يحيى بن موسى، وهو بأطْرابُلُس، أن: اقْدَمِ القَيْرَوان فإنّي مُسلِّمٌ إليكَ سُلطانَها، فخرجَ يحيى بن موسى بمن معه في مُحَرَّم، فلمّا بلغَ قابِس، تلقَّاه بها عامَّةُ الـجُند من القَيْرَوَان، ومعهم

---

(١) في أ: «ابن عبد ربه بن الجارود».

(٢) في أ: «إذًا».

(٣) في م: «لن تتركوا».

(٤) في ر١: «المنادي».

(٥) الكامل لابن الأثير ٦/ ١٣٥-١٣٧.

(٦) قوله: «وثار ابن الجارود في جمادى الآخرة من سنة ثمان وسبعين ومئة» ليس في ر١.

(٧) في ر١: «لابن الجارود».

(٨) في أ: «وأعطاه الرشيد الأمان»، وما هنا من ر١.

النَّضر بن حَفْص، وعَمْرو بن مُعاوية. فخرج ابن الجارود من القَيْرَوَان، واستخلف عليها الـمُفَرِّج بن عبد الملك، فكانت أَيَّامُ[1] ابن الجارود سبعةَ أشْهُرٍ[2].

وأقبل يحيى بن موسى والعلاء بن سعيد مُتسابِقَيْن إلى القَيْرَوَان، فسبقه العلاء إليها، فقتلَ بها جماعةً من أصحاب ابنِ الجارود، فبعثَ إليه يحيى بن موسى أن يُفَرِّق جموعه إن كانَ في الطاعة. فأمرَ مَن كان معه أن ينصرفوا إلى مواضعهم. ورحل العلاء إلى أطْرابُلُس، وكان ابن الجارود قد وصل إليها قبل وصول العلاء، فلقي بها يَقْطِين بن موسى، فخرجَ معه سائرًا إلى المشرق، فلقوا هَرْثَمة بن أعْيَن[3] قد وصل بولاية إفريقية. وقد كان العلاءُ كتب إلى هَرْثَمة يُعْلِمه بأنّه هو الذي أخرج ابن الجارود من إفريقية، فأجازه بجائزة سنيَّة. وكان يحيى بن موسى قَدَّمَهُ هَرْثَمة. ولـمّا لقي هرثمةُ ابن الجارود، سَيَّره[4] إلى أمير المؤمنين الرشيد[5].

ولاية هَرْثَمة[6] بن أعْيَن إفريقية[7]

ولّاه عليها أمير المؤمنين هارون الرشيد، فقدم[8] القَيْرَوان غُرَّةَ ربيع الآخر، فآنسَ الناسَ، وسَكَّنهم، وأحسنَ إليهم.

قال ابن حَمَادُه: وصل هَرْثَمَة في جيش كثيفٍ، حتّى نزل تِيهَرْت، فخرج إليه ابن الجارود، واقتتلَ معه، فانهزم[9] ابن الجارود، وطاعَت البربرُ لـهَرْثَمة، وانصرفَ

---

(١) في ر١: «دولة».

(٢) نهاية الأرب للنويري ٢٤/ ٥١.

(٣) ينظر تاريخ الإسلام ٥/ ٢١٢.

(٤) في ر١: «صيّره».

(٥) الكامل لابن الأثير ٦/ ١٣٩.

(٦) في ر١: «هارون»، وهو تحريف بيّن.

(٧) بعد هذا في ر١: «من قبل الرشيد»، بدلًا من «ولاه عليها أمير المؤمنين هارون الرشيد» الآتية بعد.

(٨) في ر١: «قدم».

(٩) في أ: «فهزم».

راجعًا إلى القَيْرَوان، وهو الذي بَنَى القصر الكبير المعروف بالمُنَسْتِير؛ قالَهُ الرَّقِيق[1].

وفي سنة ثمانين ومئة: كانت الزلزلة العُظْمَى بأرض مِصْر، وسَقَطَ رأسُ منار الإسكندريَّة.

قال الرَّقِيق[2]: لما رأى هَرْثَمة بن أعْيَن ما رأى من الخِلاف بإفريقية، وسوء طاعة أهلها، طلب الاستعفاء، فكتب إليه الرشيد بالقُدوم عليه، فرجع إلى المشرق.

وهو الذي بَنَى سور أطرابُلُس[3].

ولاية محمد بن مُقاتِل العَكِّيّ إفريقية[4]

وفي سنة إحدى وثمانين ومئة: ولَّى أمير المؤمنين[5] الرَّشيد على إفريقية محمَّد بن مُقاتل بن حَكِيم[6] العَكِّيَّ، فقدمها في رمضان. وكان رضيعَ الرشيد، وكان أبوه من كبار أهل دولته. وكان محمَّد هذا[7] غير محمود السيرة، فاضطرب أمرُه، واختلف عليه جندُه. ولو لم يكن من سوء سيرته، وقبيح[8] ما يؤثَر عنه من أخباره[9]، إلّا إقْدامُه على عابِد زمانه ووَرِع عصره[10] البُهْلُولِ بن راشد[11]، فضَرَبَهُ بالسياط ظُلْمًا وحَبَسَهُ، فكان ذلك سببَ موته. ومن أخباره أنّه[12] اقتطع أرزاق الجند، وأساء

---

(١) تاريخه ١٢٤.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) هذه العبارة من أ فقط.

(٤) خبر ولايته مفصل في الكامل لابن الأثير ٦/ ١٣٧-١٣٩.

(٥) قوله: «أمير المؤمنين» ليس في ر١.

(٦) قوله: «بن حكيم» ليس في ر١.

(٧) في ر١: «وكان العكي».

(٨) في ر١: «ولو لم يكن من قبيح».

(٩) سقطت من ر١.

(١٠) في ر١: «على ورع زمانه وعابد عصره».

(١١) أخباره في تاريخ الإسلام ٤/ ٨١٧، ووقع في أ: «البهلوان»، وهو تحريف ظاهر.

(١٢) قوله: «ومن أخباره أنه» ليس في ر١.

السيرة فيهم وفي الرعيَّة، فمشى القائدُ فَلاح في أهل خُراسان وأهل الشام؛ فلم يزل بهم حتّى اجتمع رأيهم على مَـخْلَد بن مُرَّة الأزديّ. وخرج على العَكّي تَـمَّامُ بن تميم التميميُّ[١]، وكان[٢] عاملَه بتُونُس[٣].

ثورة تَـمَّام بن تميم التَّميميِّ على محمد بن مُقاتل العَكِّيّ

وفي سنة ثلاث وثمانين ومئة: زحف تـمَّام من تُونُس مع جماعةِ القُوَّاد والأجناد من أهل الشام[٤] وخُراسان، متوجِّهًا إلى القَيْرَوان[٥]، في النصف من رَمَضان، فخرج إليه العَكّيُّ، فتقاتلا، فانهزمَ العَكّيُّ ورجعَ إلى القَيْرَوان، فتحصَّن في داره التي بناها، وترك دار الإمارة. وأقبل تَـمَّام، فنزل بعسكره خَلْفَ باب أبي الربيع. فلما أصبحَ تَـمَّام، فُتِحَتْ له الأبواب، فدخل القَيْرَوان يوم الأربعاء لخمس بقين من رمضان سنة ثلاث وثمانين ومئة، فأمَّن تـمَّامٌ العَكّيَّ على دمه وأهله وماله. فكانت ولايتُه، إلى أن أخرجه تـمَّام من القَيْرَوان، سنتَيْن وعشَرة أشهر[٦].

ثمّ ولي إفريقية أبو الـجَهْم تـمَّام بن تميم التميميُّ. وكان[٧] ثائرًا متغلّبًا من غير عَهْدٍ من الرشيد، وهو جدُّ أبي العَرَب بن تميم صاحب التواليف[٨]. فدخل القَيْرَوان، وخرج العَكّيُّ منها بأمانه، ومشَى لأطْرابُلُس، ولحق به قومٌ من أبناء[٩] خُراسان، منهم طَرْخُون صاحبُ شرطته، فاجتمع رأيُهم على أن يُدخلوه، فدخلها.

---

(١) الحلة السيراء لابن الأبار ١/ ٩١.

(٢) ليست في ر١.

(٣) الكامل لابن الأثير ٦/ ١٥٤.

(٤) ليست في ر١.

(٥) من هنا إلى قوله: «القيروان» انزلق نظر الناسخ فسقط ما بينهما في ر١.

(٦) الكامل لابن الأثير ٦/ ١٥٤.

(٧) سقطت من ر١.

(٨) محمد بن أحمد بن تميم بن تمام (الوافي بالوفيات ٢/ ٣٩).

(٩) في ر١: «أهل».

وأقام تَـمَّام مُلْك القَيْرَوان، فنهض إليه إبراهيم بن الأغْلَب[1] من الزاب، وكان أميرًا عليه. فلما بلغ تـمَّامًا إقبالُه إليه، سارَ إلى تُونُس، فدخلَ ابن الأغْلَب القَيْرَوان، وابتدرَ المسجدَ الجامع، وصعدَ المنبرَ، وكان فصيحًا بليغًا، فأعلم الناس أنّه ما وصل إلّا لنصرة العَكّيّ محمّد بن مُقاتل[2]، وأنّه أميرهم[3] المقدَّم عليهم من أمير المؤمنين. وكتب إلى العَكّيّ يخبرُه بما فعل في حقِّه، ويؤكِّد عليه في الوصول. فأقبل راجعًا، حتّى دخل هو ومن معه القَيْرَوان[4]. فمشى يومًا في أزِقَّتها، فنادَتْه امرأةٌ من طاقها[5]، تقول له: اشْكُر إبراهيم بن الأغلب فهو الذي ردَّ عليك مُلْك إفريقية، فكبُر ذلك عليه، وكان تـمَّام بن تميم بتُونُس، فقال لأصحابه: إنّ إبراهيم بن الأغْلَب قد ردَّ الـمُلْك على العَكّيّ، والذين مع العَكّي قد ملئُوا رُعْبًا من وقعتنا بهم، وإذا بلغهم خروجي من تُونُس، يُسْلِمونه ويصلون إليَّ، ومع هذا فإنَّ العَكيَّ حَسُودٌ، لا بدَّ أن يخالف إبراهيم بن الأغْلَب فيما يشير به عليه. وكان الناس يقولون: كُنّا[6] استرَحْنا من العَكّيّ، فردَّه إبراهيم علينا فالموتُ خيرٌ لنا من الحياة في سلطان العَكّيّ[7]. ففزع الناس إلى تـمَّام بن تميم[8] التَّميميّ. فلما رأى كثرة من معه، طابت نفسُه لقتال العَكّيّ. فكتب تـمَّام إلى العَكّيّ: أمَّا بعدُ، فإنَّ إبراهيم بن الأغْلَب لم يبعث إليك فيَرُدَّك من كرامتك عليه، ولا للطاعة التي يظهرها للخليفة، ولكن كَرِهَ أن يبلغ إليك أخْذُه البلاد فترجع إليه، فإن منعك، كان مُـخالفًا لأمير المؤمنين، وإن دفعها إليك، كان ما فعله لغيره، فبعث إليك لترجع، ثمّ يُسْلِمك إلى القتل. وغدًا تعرف ما جرَّبْتَ من وقعتنا لك بالأمْسِ، وفي آخرِ كتابه [من الطويل]:

---

(١) تاريخ الإسلام للذهبي ٤/ ١٠٦٣.

(٢) قوله: «محمد بن مقاتل» ليس في ر١.

(٣) هذه اللفظة ليست في ر١.

(٤) الكامل في التاريخ ٦/ ١٥٥.

(٥) في ر١: «طاقتها».

(٦) ليست في أ.

(٧) في ر١: «ابن العكي».

(٨) في ر١: «تميم بن تمام»، مقلوب.

وما كان إبـراهيمُ مـن فَـضْلِ طاعـةٍ يـردُّ عليـك الــمُلْكَ لكـن لِتُقْـتَلا

فلـو كنـتَ ذا عَقْـلٍ وعِلْـمٍ بكَيْـدِهِ لَـمَا كُنْـتَ منـه يـا ابـنَ عَـكٍّ لتَقْـبَلا

فلما وصل كتابُه إلى محمد بن مُقاتل العَكّيّ، قرأه ودفعه إلى ابن الأغْلَب، فقرأه وضحك، وقال: قاتَله اللهُ، ضَعُفَ رأيُه، وكتب إليه ابن العَكّيّ: من محمد بن مُقاتل إلى الناكث ابن تميم. أمَّا بعدُ، فقد بلغني كتابُك، ودلَّني على قلة رأيك، وفهمتُ قَوْلَك في إبراهيم، فإن كانت نصيحةٌ، فليس مَنْ خان اللهَ والخليفةَ مقبولٌ منه ما نصح به[1]، وإن كانت خديعةٌ، فأقْبَحُ الخدائع ما فُطِنَ له، وفي آخِر كتابه [من الطويل]:

وإنّي لأرجـو إن لقِيـتَ ابـنَ أغْلَـبٍ غَــدًا في المنايــا أن تُفَــلَّ وتُقْــتَلا

تُلاقِي فَتًى يستصحبُ الموتَ في الـوغَى ويَـحْمِي بصدر الـرُّمْحِ عـزًّا مُـؤَثَّلا

وأقبل تـمَّام من تُونُس بعسكر عظيم، وأمر ابنُ العَكّيّ مَن كان معه من أهل الطاعة بالخروج إليه مع إبراهيم بن الأغْلَب، فتقاتلوا قتالًا شديدًا، فانهزم تـمَّام، ورجع[2] إلى تُونُس. وانصرف ابن العَكّيّ[3] إلى القَيْرَوان، وأمر إبراهيمَ بن الأغْلَب بالمسير إلى تُونُس[4].

وفي سنة أربع وثمانين ومئة: خرجَ العسكرُ من القَيْرَوان لحصار تُونُس وقتال تَـمَّام، وذلك في محرَّم منها. فلما بلغ تَـمَّامًا إقبالُه، طلب الأمان منه[5]، فأمَّنه إبراهيم، وأقبل به إلى القَيْرَوان، يومَ جمعةٍ، لثمان خلون من المحرَّم المذكور[6].

---

(١) قوله: «منه ما نصح به» ليس في ر١.

(٢) في ر١: «وانصرف».

(٣) في ر١: «ورجع العكي».

(٤) ينظر تاريخ الرقيق، ص١٢٦.

(٥) ليست في ر١.

(٦) قوله: «لثمان خلون من المحرم المذكور» ليس في ر١. وينظر الكامل لابن الأثير ٦/ ١٥٥.

ولاية إبراهيم بن الأغْلَب بن سالم بن عِقال التَّميميّ إفريقية[1]

وصَلَهُ عَهْدُ الرشيد في العشرِ الوُسَطِ لـجُمادى الآخرة من سنة أربع وثمانين ومئة، وقال له فيه: قد تقدّم لكم بإفريقية أمْرٌ. وكان الرشيد قد[2] ولّاه بلادَ الزاب، وهي بلاد الـجَرِيد، وابن العَكّيّ على إفريقية. وكان إبراهيم بن الأغْلَب فقيهًا، أديبًا، شاعرًا، خطيبًا، ذا رأي ونجدة وبأس وحَزْم وعِلْم بالحروب ومكائدها، جَرِيء الـجَنان، طويلَ اللسان، لم يَلِ إفريقيةَ أحسنُ سيرةً منه، ولا أحسنُ سياسةً، ولا أرْأفُ برعيَّةٍ، ولا أوفى بعَهْدٍ، ولا أرعى لـحُرمةٍ منه[3]. فطاعت له قبائلُ البربر، وتمهَّدت إفريقية في أيَّامه. وعزل العَكّيّ عنها، واستقامت الأحوال بها.

وكان إبراهيم قد سَمِعَ من اللَّيْث بن سَعْد، ووَهَبَ له جَلاجِل أُمَّ ولده لمكانه منه[4]. ولقد قال اللَّيْث يومًا: ليكونَنَّ لهذا الفتى شأنٌ. وكان لإبراهيم فضائلُ جـمَّةٌ ومآثر حسنةٌ. وكان له مع راشِد أميرِ الغرب مولى إدريس الـحَسَنيّ مواقِفُ ومحاربةٌ، وكان راشد قد علا أمرُه.

ومن قول إبراهيم، وكان قد خلَّف أهْلَه بمِصْر [من البسيط]:

ما سِرْتُ مِيلًا ولا جاوزتُ مرحلـةً ... إلّا وذِكْـرُكِ يثنـي دائـمًا عُنُقـي

ولا ذكرتُـكِ إلّا بِـتُّ مرتقِبًـا ... أرْعَى النجومَ كأنَّ المَوْتَ مُعتنقـي[5]

ولما ملك إفريقية، قمع أهلَ الشرّ بها وضبط أمرها[6]. وكان له مع بربرها حروبٌ يطول ذكرُها، وأحسن إلى عرب جيشها[7].

---

(١) لفظة «إفريقية» ليست في ر١.

(٢) ليست في أ.

(٣) تنظر الحلة السيراء ١/ ٩٣.

(٤) تاريخ الرقيق ١٢٧-١٢٨.

(٥) ر١، م: «مغتبقي»، وما هنا من (أ) ويعضده ما في تاريخ الرقيق ١٢٨.

(٦) نهاية الأرب للنويري ٢٤/ ٥٥.

(٧) في أ: «قريشًا»، وهو تحريف.

وفي سنة خمس وثمانين ومئة: شرعَ إبراهيمُ في بناء مدينة القَصْر القَدِيم[1]، وصارَ بعد ذلك دارَ الأُمَراء بني الأغْلَب. وكان على ثلاثة أميال من القَيْرَوان، وكان قد اشترى موضعه من بني طالُوت، فبناه ونقل إليه السلاح والعُدَد سرًّا، وسكَّن حوله عَبِيدَه وأهل الثقة به من خَدَمَته. وكان حافظًا للقرآن، عالـمًا به. وثارَ عليه الكنديُّ بتُونُس، وكانت له معه وقائع وافقَتْ مُحاربة المأمون للأمين، بعد موت الرشيد.

وفيها، قال الطَّبَريُّ[2]: وقعَتْ بالمسجد الحرام صاعقةٌ فقتلت رجلَيْن.

وفي سنة ست وثمانين ومئة: حجَّ بالناس هارونُ الرشيد، وأخرج معه ابنَيْه محمدًا الأمين، وعبد الله المأمون، وقوَّاده، ووزراءه، وقُضاته، وولَّى عهده عبدَ الله.

قال الطَّبَريُّ[3]: وكان الرشيدُ عقدَ لابنه محمد ولايةَ العهد في شعبان سنة ثلاث وسبعين، وسَمَّاه الأمين، وضمَّ إليه الشامَ والعراقَ في سنة خمس وسبعين؛ ثمّ بويع لعبد الله المأمون بالرَّقَّة في سنة ثلاث وثمانين ومئة، وولّاه من حدّ هَـمَذان إلى آخر المشرق. ولما قَضَى مناسِكه في هذه السنة، كتب للمأمون كتابَيْن، أحدُهما: على محمد[4] بما اشترطَ عليه من الوفاء بما فيه من تَسْليم وما وُلّي عبدُ الله من الأعمال، وما صُيِّر له من الضياع والأموال، والآخر: نسخةُ البيعة التي أخذها لعبد الله على محمد وعلى الخاصَّة والعامّة، وأشهد بذلك في البيت الحرام، وأمر بقراءة الكتاب على عبد الله ومحمد، وأشهدَ عليهما جماعةَ مَن حَضَر من بني هاشِم وغيرهم. ثمّ أمر أن يُعلَّق الكتاب في الكَعْبة. فلما عُلِّق، وقع، فقيل: إن هذا لأمْرٌ[5] سريعٌ انتقاضُه قبل تمامه[6].

---

(١) الروض المعطار ٤٧٦.

(٢) تاريخ الطبري ٨/ ٢٧٤.

(٣) تاريخ الطبري ٨/ ٢٧٥-٢٨٦.

(٤) قوله: «على محمد» ليس في أ.

(٥) في ر١: «الأمر».

(٦) قوله: «قبل تمامه» ليس في ر١.

وفي سنة سبع وثمانين ومئة: كان قَتْلُ الرشيد لجعفر بن يحيى، وإيقاعُه بالبَرَامِكة[1]. والوالي على إفريقية إبراهيم بن الأغْلَب كما كان[2].

وفي سنة ثمان وثمانين ومئة: كان غزو إبراهيم بن جِبْرِيل أرض الروم: وجَّهه الخليفة هارون، ودخل أرض الروم من دَرْب الصَّفْصاف، فخرج للقائه البِطْرِيق نقْفُور، فوردَ عليه من ورائه أمْرٌ صَرَفَه عن لقائه، فانصرف ومرَّ بقوم من المسلمين، فخرجوا عليه[3]، وانهزم، وقُتل من الروم أربعون ألفًا وسبع مئة، وأُخِذَ لهم أربعة آلاف دابَّة[4].

وفي سنة تسع وثمانين ومئة: كان شُخوصُ الرشيد إلى الرَّيّ[5]: وبعث حُسَيْنًا الخادم إلى طَبَرِستان بالأمان لـمَرْزُبان صاحب الدَّيْلَم، وقدم عليه، فأمَّنه وأمَّن غيره.

وقال أبو العَتاهِية في خَرجة هارون هذه [من السريع]:

إنَّ أمِـــينَ الله في خَلْقِـــهِ　　حَـنَّ بـه الـبرُّ إلى مَوْلِـدِهْ

لِيُـصْلِحَ الـرَّيَّ وأقطارَهـا　　ويُمْطِرَ الخيرَ بها مِـن يَـدِهْ

وفيها كان الفداءُ بين المسلمين والروم، فلم يَبْقَ في أرض الروم مُسْلِم إلّا فُدِيَ[6].

وفي سنة تسعين ومئة: فتحَ الرشيدُ هِرَقْلة من مدائن الروم[7]، وقال شُبيل الترجمان: لما فتحَ الرشيدُ هِرَقْلة، رأيتُ على بابها لَوْحَ رخام مكتوبًا فيه بلسانهم، فجعلتُ أقْرَأهُ، والرشيد ينظرُ إليَّ، وأنا لا أشعر، فإذا فيه: يا ابن آدمَ، غافِصِ الفُرْصة قبل إمكانها، وكِلِ الأُمور إلى وليِّها، ولا يَـحْمِلنَّك[8] إفراطُ السُّرور على المآثِم، ولا تُـحَمِّلْ نفسَك هَمَّ يَوْم لم يأتِ، فإنَّه إن يَكُ من أجَلِك وبقيَّةِ عُمُرك، يأتِ اللهُ فيه

---

(١) تاريخ الطبري ٨/ ٢٨٧.

(٢) ليست في أ.

(٣) في ر١: «فخرج» بدلًا من «فخرجوا عليه».

(٤) تاريخ الطبري ٨/ ٣١٣.

(٥) الخبر مفصل في تاريخ الطبري ٨/ ٣١٤-٣١٧.

(٦) تاريخ الطبري ٨/ ٣١٨.

(٧) تاريخ الطبري ٨/ ٣٢٠.

(٨) في أ: «يجعلنك».

برزقك، فلا تكن من المغرورينَ بجَمْع المال، فكَمْ قد رأينا جامِعًا لبَعْلِ خَليلته، ومُقَتِّرًا على نفسه تَوْفيرًا لخزانةِ غَيْرِه.

وفي سنة إحدى وتسعين ومئة: ولَّى الرشيدُ هَرْثَمةَ بن أعْين غزْوَ الصائفة، وضمَّ إليها ثلاثين ألفًا من جند خُراسان[١].

وفيها: أمر الرشيد بهدم الكنائس في الثُّغور[٢]. ولم يكن للمسلمين بعد هذه السنة صائفةٌ بالمشرق إلى سنة خمسَ عشْرةَ ومئتين[٣].

وفي سنة ثلاث وتسعين ومئة: تُوُفِّي هارون بن محمد الرشيد، رحمه الله[٤]، بطُوس من أرض خُراسان، ليلةَ السبت لثلاث خلون من جُمادى الآخرة[٥]. واستُخْلِف محمد الأمين ابنه.

ولما صارَ الأمر إلى الأمين، أقرَّ إبراهيمَ بن الأغْلَب على إفريقية، فبقي بها إلى أن تُوُفِّي، رحمه الله[٦]، بالقَيْرَوان في العَشْر الآخر من[٧] شوَّال من سنة **ست وتسعين ومئة**، وعُمُره ستٌّ وخمسون سنة، وولايتُه إفريقيةَ اثنتي عَشْرة سنة وأشهرًا.

ولاية عبد الله بن إبراهيم بن الأغْلَب إفريقية[٨]

وفي سنة ست وتسعين ومئة: ولِـيَ عبد الله بن إبراهيم[٩] بن الأغْلَب إفريقية[١٠]. وذلك أنّه، لما مات أبوه[١١] إبراهيم، كان ابنه عبد الله هذا غائبًا بمدينة أطْرابُلُس،

---

(١) تاريخ الطبري ٨/ ٣٢٣.

(٢) تاريخ الطبري ٨/ ٣٢٤

(٣) تاريخ الطبري ٨/ ٣٣٧، ووقع في ر١: «خمس ومئتين»، وهو تحريف.

(٤) الترحم عليه ليس في ر١.

(٥) خبر وفاته مفصل في تاريخ الطبري ٨/ ٣٤٢-٣٤٦.

(٦) الترحم عليه ليس في أ.

(٧) قوله: «العشر الآخر من» ليس في ر١.

(٨) العنوان كله ليس في أ، وترجمة عبد الله بن إبراهيم في تاريخ الإسلام ٥/ ٩٧.

(٩) قوله: «ابن إبراهيم» ليس في ر١.

(١٠) ليست في ر١.

(١١) ليست في أ.

فقام له أخوه زيادة الله[1] بالأمر، وأخذ له البيعة على نفسه وعلى أهل بيته وجميع رجاله وخَدَمته، وبعث إليه بذلك[2].

وفي سنة سبع وتسعين ومئة: قدم[3] أبو العبَّاس عبد الله بن إبراهيم بن الأغْلَب من أطْرابُلُس، فتلقَّاه أخوه زيادة الله، وسَلَّم الأمرَ إليه. وحمل عبد الله في إمارته على أخيه زيادة الله حَـمْلًا شديدًا، وكان يتَنَقَّصُه، ويأمر نُدَماءه بإطلاق ألسنتهم بسَبِّه، وزيادة الله مع ذلك يُظْهِر له التعظيم والتبجيل[4] والصنع الجميل، ولا يُظهر له تغيُّرًا، ولا يَظْهَر عليه منه أثَرٌ. وقد كان عبد الله بن إبراهيم أراد أن يُـحْدِث جَوْرًا عظيمًا على رعيَّته، فأهلكه الله قبل ذلك. وكان من أجمل الناس وجهًا، وأقبحهم فعلًا، وأعظمهم ظُلْـمًا، أحدث بإفريقية وجوهًا من الظُّلْم شنيعةً، منها أنَّه قَطَعَ العُشْرَ حَبًّا، وجعله ثمانية دنانير للقفيز[5] أصاب أو لم يُصِبْ، وغير ذلك من المغارِم والمظالِـم[6]. فاشتدَّ على الناس ذلك.

وفي سنة ثمان وتسعين ومئة: قُتِلَ الأمين بن الرشيد[7]؛ قتله طاهِر [بن الحسين][8] عاملُ أخيه المأمون، وذلك لخمس بقين من المحرَّم. واستُخْلِفَ أخوه المأمون، فأقرَّ عبد الله ابن الأغْلَب على إفريقية. ولما قدم الرجلُ الصالحُ حَفْصُ بن حُـمَيْد[9] على إفريقية، ومعه قومٌ صالحون من الجزيرة، قصدوا إليه، فوعظوه في أمر الدين ومَصالِح المسلمين[10]،

(١) ترجمته في تاريخ الإسلام ٥/ ٥٧٢.

(٢) تاريخ إفريقية والمغرب للرقيق ١٤٠ وهو آخر ما في القطعة المطبوعة، والكامل لابن الأثير ٦/ ١٥٧.

(٣) في ر١: «قام»، خطأ.

(٤) في أ: «التسهيل»، وهو تحريف.

(٥) ليست في أ.

(٦) في أ: «من الظلم والمغارم»، وما أثبتناه من ر١، وهو الأوفق إن شاء الله.

(٧) خبر مقتله مفصل في تاريخ الطبري ٨/ ٤٧٨-٤٩٨.

(٨) في النسختين: «ابن طاهر»، وهو خطأ بين، وما بين الحاصرتين منا.

(٩) في أ: «ولما قدم حفص بن حميد الصالح»، وما أثبتناه من ر١.

(١٠) نهاية الأرب للنويري ٢٤/ ٥٧.

فتهاوَنَ بهم، فخرجوا مغمورينَ، يريدونَ القَيْرَوان، وكان هو في القَصْر القديم. فلما وصلوا وادي القَصَّارين، قال لهم حَفْص بن حُـمَيْد: قد يَئِسْنا من المخلوق، فلا نيأس من الخالق فاسألوا المولى واضّرعوا إليه في زوال ظلمه[1] عن الـمُسلمين فإن فُتِحَ في الدُّعاء، فقد أُذِنَ في الإجابة، فتوضَّأ جميعُهم، وساروا إلى كُدْيَة مُصَلَّى رَوْح[2]. فصلَّى بهم حَفْص رَكْعتَيْن، ودعوا الله أن يكُفَّ عن المسلمين جور أبي العبَّاس، ويُريحهم من أيَّامه، فيقال: إنّ قرحةً خرجت له تحت أُذُنه، فقتلته في السادس[3] من دعـاء القوم، وقال مَن حضر غَسْلَه: إنّـه، لما كُشف عنه ثيابُـه، ظُـنَّ أنّه عبدٌ أسود بعد شِدّة[4] جماله، وذلك بسوء فعاله. وكانت وفاتهُ ليلة الجمعة لستّ خَلَون من ذي الحجَّة من سنة إحدى ومئتين، فكانت دولته خمسة أعوام وأشهرًا[5].

وفي سنة إحـدى ومئتين: كان[6] تقديم أهل بغـداد منصور بن الـمهدي[7] أميـرًا عليهم، خَدِيمًـا للمأمون، إلى أن يَقْـدَم أو يقَـدِّم. وكانت وقائع قبْل ذلك وبعْده[8].

وفيها: مات عبد الله[9] بن الأغْلَب كما ذكرناه، ووَلي أخوه زيادة الله ساعةَ موته[10].

---

(١) في ر١: «ضرّه».

(٢) في أ: «كدية روح».

(٣) في نهاية الأرب للنويري: «السابع» (٢٤/ ٥٧).

(٤) ليست في أ.

(٥) نهاية الأرب ٢٤/ ٥٧.

(٦) ليست في ر١.

(٧) تنظر ترجمته في تاريخ الإسلام ٥/ ٤٤٩.

(٨) تاريخ الطبري ٨/ ٥٤٦.

(٩) ليس في أ.

(١٠) قوله: «ساعة موته» ليس في ر١.

ذكر ولاية زيادة الله بن الأغْلَب إفريقيةَ وبعضُ أخباره[1]

كُنْيتُه: أبو محمد، وهو أوَّل مَن اسمُه زيادة الله مـمَّن ولِـيَ[2] من بني الأغْلَب. بُويعَ يوم الـجُمُعة لسبعٍ بقينَ من ذي الحجَّة؛ فأساء السيرة في الـجُند، وسفكَ فيهم الدماء، واشتدَّ عليهم في كلِّ وجه[3]. فثار عليه زياد بن الصَّقْلَبيَّة بفَحْص أبي صالح[4]؛ فأخرج إليه سالِـم بن سَوَادة، فهزمه سالم[5]. ثمّ ثارت العامَّة عليه أيضًا، وذلك أنّ زيادة الله كان أغْلَظَ على الـجُند، وأمعن في سفك دمائهم، والاستخفاف بهم، وحملَهُ على ذلك سوء ظنّه بهم، لوثوبهم على الأُمراء قبله وخلافهم على أبيه. وكان أكْثَرُ سفكه وسوء فعله إذا سكر، فكَثُرَ[6] الـخَوْضُ عليه، وخالفت الجندُ عليه وغيرُهم، فكانت بينه وبينهم حروبٌ ووقائع، حتّى خاف على نفسه، فحصَّن القَصْر القديم، وبقي فيه، على[7] ما يأتي ذكره إن شاء الله تعالى.

وفي سنة اثنتين ومئتين: توجَّه الأغْلَب[8] بن إبراهيم بن الأغْلَب إلى الـمَشْرق، خوفًا من أخيه زيادة الله، وذلك أنّ الأغْلَب كان شقيق أبي العبَّاس عبد الله بن إبراهيم، وكان أبو العبَّاس، طُولَ ولايته، يتنقَّص زيادة الله ويأمر نُدَماءه بإطلاق ألسنتهم فيه. فلما صارَ الأمر إلى زيادة الله، جاءه الأغْلَب، فأستأذنه في الخروج إلى الحجّ، فأذِنَ له زيادةُ الله، فخرجَ الأغْلَب، وخرج معه ابنا أخيه: محمد الـمَكْنِيُّ بأبي فِهْر، وإبراهيم الـمَكْنِيُّ بأبي الأغْلَب، وهُما إذ ذاك صغيران، فحجَّ، وأقام بالمشرق. وكان وزير زيادة الله والقائم بأمره الأغْلَب بن عبد الله المعروف بغَلْبُون.

---

(١) في ر١: «خبره».

(٢) قوله: «ممن ولي» ليس في ر١.

(٣) نهاية الأرب للنويري ٢٤/ ٥٨.

(٤) عن فحص أبي صالح، ينظر الروض المعطار ٤٣٦.

(٥) الكامل لابن الأثير ٦/ ٣٢٩.

(٦) في م: «وكثير».

(٧) من هنا إلى نهاية الفقرة ليس في ر١.

(٨) ينظر الحلة السيراء لابن الأبار ١/ ١٦٨، وتاريخ الإسلام ٥/ ٥٣٩.

وفي سنة ثلاث ومئتين: كانت ولاية أبي عبد الله أَسَد[1] بن الفُرات بن سِنان، مولى بني سُلَيْم، قضَاء القَيْرَوان، وهو مـمَّن سَمِعَ من مالك بن أنس. فلما وَلِـيَ أسدٌ القضاء، ضاق أبو مُـحْرِز[2] القاضي إذ تشرَّك معه، ولم يُعْلَم قبلهما قاضيان في وقت واحد.

وفي سنة أربع ومئتين: لم يكن فيها ولا في التي بَعْدَها خبرٌ يُـجْتَلَب.

وفي سنة ست ومئتين: غزا المسلمون جزيرة سَرْدَانِية، وعليهم محمد بن عبد الله التميميُّ، فأصابوا، وأُصيب منهم، ثمّ قفلوا[3].

وفي سنة سبع ومئتين: ثار زياد بن سَهْل على زيادة الله بن الأغْلَب، وزحفَ إلى حرب باجة، فحاصرها أيَّامًا. فأخرج إليه زيادةُ الله العساكر، فهزموا زيادًا، وقتلوا من وجدوا معه على الخلاف[4] وغنموا الأموال[5].

وفيها: كانت وفاة اليَسَع بن أبي القاسم صاحب سِجِلْماسة، وتقديمُ أهلها على أنفُسهم أخاه إليَاس الـمُنْـتَصِر بن أبي القاسم[6] الذي كانوا خَلَعُوه.

وفي سنة ثمان ومئتين: ثار عَمْرو بن مُعاوية القَيْسيُّ على زيادةِ الله بن إبراهيم[7] بالقَصْرَيْن وتغلَّب على تلك الناحية، وكان عاملًا لزيادة الله. وكان له ولَدانِ، يُقال لأحدهما: حُباب وللآخر سَجْمان[8]. فقال له ابنه حُباب: إنَّك دخلتَ في أمر عظيم وعَرَّضتَ نفسكَ للهلاك، ولسْتَ من رجال هذا الأمر، ولا ينفعك عَدَدٌ ولا عُدَّةٌ، فراجِعْ أمرك، واتَّقِ الله في نفسك. فضربه مئتي سوط وتَـمَادى على الخلاف. فأخرج

---

(1) ترجمته في تاريخ الإسلام ٥/ ٢٧٤.

(2) في النسختين: «أبو محمد» وهو تحريف ظاهر.

(3) الكامل لابن الأثير ٦/ ٣٢٩.

(4) قوله: «على الخلاف» ليس في ر١.

(5) في ر١: «أموالهم»، وينظر الكامل لابن الأثير ٦/ ٣٢٩.

(6) قوله: «ابن أبي القاسم» ليس في ر١.

(7) قوله: «ابن إبراهيم» ليس في ر١.

(8) في أ: «سمجان»، محرف.

إليه زيادة الله جيشًا كثيفًا حاصَرَه أيّامًا، ثمّ نزل هو وولداه على أمان، وجيء بهم إلى زيادة الله، فأُلفِيَ على شراب مع قوم من وجوه أهل بيته، فأمرَ بحبسهم حتّى يَـرَى فيهم رأيه، ودخل إثْرَ ذلك مُضْحِكٌ له، يُقال له: أبو عمّار، فقال له زيادة الله: ما يقول الناسُ، يا أبا عمّار؟ فقال: يقولون: إنّما منعكَ أن تقتل عَمْرو بن مُعاوية مخافة أن تَثِبَ القَيْسِيَّة على عَمِّك بمِصْر. فوقع كلامُه بقلب زيادة الله. ثمّ شرب ساعةً والتفت إلى غَلْبُون وزيره، فقال: انقل عَمْرو بن مُعاوية وولدَيْه من حبسك إلى حبسي[1]، ففعل. فلما كان في نصف الليل، أقبلَ زيادة الله إلى السجن، وبيده السَّيف، فقتل عَمْرو بن مُعاوية، ثمّ رجعَ إلى قصرِه، فدعا بحُباب وسَجْمان ابني عَمْرو، فأمرَ بحُباب أن يُقتل، فقال: أيُّها الأمير، إنّي مظلوم، وقد بلغَتْك نصيحتي لأبي فيك حتّى ضربني بالسياط. فقال: أجَلْ، قد كان ذلك، ولكنِّي أعلم أنَّك لا تخلُصُ لي، وأمر بضرب عنقه. واستبقى الأصغر، وهو سَجْمان. فلما أصبح، دعا بتُرْس، فوضع فيه الرأسَيْن، ودعا بسَجْمان، فقال: أتعرف هذَيْن الرأسَيْن؟ فقال: أعرفهما ولا خَيْر في الحياة بعدهما، فأمرَ زيادةُ الله بضرب عُنقه، وجعلَ رؤوسهم في تُرْس، وشرب عليها في ذلك اليوم مع أهل[2] منادمته[3].

وفي سنة تسع ومئتين: ثار منصور الطُّنْبُذيُّ[4] بتُونُس. فأخرج زيادةُ الله محمدَ بن حَـمْزة في ثلاث مئة فارس مُسَلَّحين، وأوصاه بكتمان حركته حتّى يَبْغَت[5] منصورًا بتُونُس، فيقبض عليه ويأتي به مصفَّدًا. فسار ابن حَـمْزة إلى تُونُس، فألفَى منصورًا غائبًا في قصره بطُنْبُذة، فنزل دار الصِّناعة، ووجَّه إليه شَجَرة بن عيسى[6] القاضي، في أربعين شَيْخًا من أشياخ تُونُس، يناشِده الله ويرغبه في الطاعة، ويُعَرِّفه بما له في ذلك من الـحَظّ في دينه ودنياه. فتوجَّه شَجَرة بن عيسى مع المشايخ إلى منصور،

---

(١) في ر١: «انقل عمرو بن معاوية من حبسك إلى حبسي هو وولديه».

(٢) قوله: «مع أهل» سقط من أ.

(٣) ذكر النويري خبرهم مختصرًا في نهاية الأرب ٢٤/ ٥٨.

(٤) في أ: «الطنبري»، وفي ر١: «العبدي»، وكله تحريف، وينظر نهاية الأرب للنويري ٢٤/ ٥٨.

(٥) في أ، ر١: «يبعث»، وهو تصحيف ظاهر.

(٦) ترجمته في تاريخ الإسلام ٦/ ٣٤١.

فدعوه إلى الطاعة[1]. فقال منصور: ما خلعتُ يدًا، ولا أحدثْتُ حَدَثًا، وأنا سائرٌ معكم إلى زيادة الله، ولكن أقيموا عليَّ يومي هذا، حتّى أُعِدَّ لكم ما يُصْلحكم. فأقاموا معه[2]، ووجَّه إلى ابن حَـمْزة والذين معه ببقر وغَنَم وعَلَف وأحمال قَهْوة[3]، وكتب إليه: إنّي قادمٌ عليك[4] بالغداة مع القاضي شَجَرة. فركن ابن حَـمْزة إلى قوله، وذبحَ البَقَر والغَنَم، وأكلَ هو والناس الذين معه، وشَربوا. فلما أمسى مَنْصور، أخذَ القاضي والذين معه، فحبسهم في قصره، وأخذ دوابَّهم فحمَلَ[5] عليها أصحابه، وجمعَ خَيْلَه وأشياعَه، وزحفَ إلى تُونُس، وأمرَ أصحابه ألّا يُسْمَع لهم حِسٌّ ولا حَرَكَةٌ حتّى يصيروا إلى دار الصِّناعة. وسارَ حتى إذا كان بالقُرب من دار الصِّناعة، أمر بالطُّبول، فضُرِبت. وأمر أصحابَهُ، فكبَّروا، فوثبَ ابن حَـمْزة ومَن كان معه، والتحمَ القتال عامَّةَ الليل. وكَثُر الناسُ عليهم، فقُتِل من كان مع ابن حَـمْزة، ولم يسلم منهم إلّا من سبحَ في البحر[6]، وذلك يومَ الاثنين لخمس بقِين من صَفَر.

وأصبح منصور، فاجتمع إليه الـجُنْدُ، وقالوا له: نحن لا نَثِقُ بك، ولا نأمَنُ أن يَسْتَنْزلك السلطان بدنياه وماله، فتميل له، ولكن إن أحببتَ أن نقومَ بنصرك، فاخضبْ يَدَكَ في دماء أصحاب السُّلطان وأهلِ بيته. فوجَّه حينئذٍ عن عامل زيادة الله على تُونُس، وهو إسماعيل بن سالِـم بن سُفْيان، وعن ولده محمد، فأمر بقتلهما فقُتلا[7] معًا.

فلما اتَّصل الخبر بزيادة الله، وما كان من قَتْل رجاله وعامِله، عقد لغَلْبون وزيره على عَسْكر جليل، وقال: والله لئِن انهزم واحدٌ منكم، لأجْعَلَنَّ عقوبتَه ما فرَّ منه، وهو

---

(١) نهاية الأرب للنويري ٢٤/ ٥٨.

(٢) ليس في ر١.

(٣) في نهاية الأرب: «نبيذ»، والقهوة: النبيذ.

(٤) في ر١: «إليك».

(٥) في أ: «فجعل».

(٦) نهاية الأرب ٢٤/ ٥٩.

(٧) سقطت من أ، م.

السيفُ، فسار غَلْبون في العاشر لربيع الأوَّل حتى وصلَ إلى سَبْخة تونُس، فخرجَ إليهم منصور الطُّنْبُذيُّ في تعبئَة عبَّأها لنفسه، فاقتتلوا مليًّا. ثمّ حمل منصور حملةً كانت فيها هزيمة غَلْبون وأصحابه، لعشر بقين من ربيع الأوَّل، وسارَ منهزمًا إلى زيادة الله، فاعتذرَ غَلْبون عن الهزيمة، وحلف أنّهم نصحوا واجتهدوا، ولكنَّ قضاء الله لا يُرَدُّ. وتواثب القوَّادُ على أعمال إفريقية، كلُّ قائد على بلدة يَضْبطها، ويمتنع فيها من عقوبة زيادة الله التي تَوَعَّدهم بها. واضطرمت إفريقية نارًا، ورَمَى الـجُند كلُّهم إلى منصور الطُّنْبُذيّ أزِمَّةَ أمورهم وولَّوه على أنفسهم. وقَدِمَ غَلْبون على زيادة الله، فأعلمه بما كان من أمره ونَغَلِ[1] الجند. فكتبَ إليهم زيادةُ الله[2] صكوكَ أمان، وبعثَ بها إليهم، فلم يثقوا بها منه، وخَلَعوا الطاعة.

ولما ظفرَ منصور، واجتمعَ إليه بتونُس جميع الـجُند والـحُشود والوفود من كلِّ جهة ومكان، فزحف بهم من تونُس، فوصلَ إلى القَيْرَوان لخمس خَلَون من جُمادى الأُولى. فركب إليه القاضيان أبو مُـحْرِز وأسَدٌ، فكان بينهما وبينه كلامٌ لم يُفِدْ. وخَنْدَقَ منصور الطُّنْبُذيُّ على نفسه، فكانت بينه وبين زيادة الله وقائع كثيرة. ثمّ رحلَ منصور من خَنْدقه، ونزلَ منزلًا آخر، وأخذ منصور في إصلاح سور القَيْرَوان، فوالاه أهلُ القَيْرَوان وحاربوا معه. فدامت الحرب بين منصور وبين عسكر زيادة الله على القَيْرَوان أربعين يومًا. ثمّ زحفَ زيادةُ الله على تعبئَةٍ عَبَّأها لنفسه قَلْبًا ومَيْمَنةً. فلما رأى ذلك منصور، هالَهُ وراعَهُ. والتقت الفِئَتان، فاقتتلوا اقْتِتالًا شديدًا[3]، فانهزم منصور وولَّى هاربًا، وقُتل أصحابه قتلًا ذريعًا، في منتصف جمادى الآخرة[4]. وانتهى زيادة الله إلى القَيْرَوان، فأمر برفع القتال. وتمادى منصور في هزيمته إلى أن دخل قصره بتُونُس، والناسُ لا يشعرون، وعفا زيادة الله عن أهل القَيْرَوان، وصفحَ عن جميعهم، غَيْرَ أنّه جعل عقوبتهم هدم سور القَيْرَوان، حتّى ألصقه بالأرض.

---

(١) النغل: الفساد.

(٢) ليس في ر١.

(٣) ليس في ر١.

(٤) في أ، م: «الأخيرة».

وفي سنة عشر ومئتين: كانت وقيعة سبيبة[1]، وهي مدينة، وذلك أنّ الـجُند الذين تَقدَّم ذِكْرُ ثيارتهم[2] وتمنُّعهم لأجْل الهزيمة التي طرأت عليهم، كان قائدُهم عامِر بن نافِع. واستقودَ[3] زيادةُ الله على الجيش محمد بن عبد الله بن الأغْلَب، فالتقوا هنالك لعشر بقينَ من المحرَّم، فانهزمَ ابن الأغْلَب وقُتِلَ، وتمادت الهزيمة إلى القَيْرَوان من ضُحى النهار إلى بعد صلاة العشاء، فاغتَمَّ لذلك زيادة الله، وأخذ في جمع[4] الرجال وبَذْلِ الأموال. وكان عيالُ الجند بالقَيْرَوان، فلم يعرض لهم زيادة الله. ثمّ إنّ الـجُند سألوا منصورًا أن يحتال في نقل عيالاتهم من القَيْرَوان، فزحفَ بهم منصور إليها، ونزلَ على القصر نحو ستَّة عشر يومًا، فلم يكُنْ بينه وبين زيادة الله فيها قتالٌ، وأخرج الجندُ حرمهم من[5] القَيْرَوان. ثمّ انصرفَ منصور إلى تُونس، ولم يَبْقَ بيد زيادة الله من إفريقية كلها إلّا قابِس والساحِل ونَفْزاوة وأطْرَابُلُس، فإنّهم تمسَّكوا بطاعته، ولم ينقصوه شيئًا من جبايته. وملك منصور جميع عَمَل زيادة الله، وضربَ السكَّة باسم نفسه.

وكتب الـجُند إلى زيادة الله: ارْحَلْ[6] عن إفريقية ولك الأمان في نفسك ومالك، فشاورَ زيادةُ الله أهلَ بيته وخَدَمَتَه، وقد ضاقَ به الأمر، فقال له سُفْيان بن سَوَادة: مَكِّنِّي مـمَّن أثِقُ بهم، أتَقَدَّمُ بهم إلى نَفْزاوة. فانتقى له مئة فارس، فأعطاهم، وسارَ بهم إلى نَفْزاوة. فدعا بَرْبَرَها إلى نُصْرته. فأجابوه[7]. فأقبل عامِر بن نافِع في الجند[8] نحو نَفْزاوة، فلما وصل إلى قَسطِيلية[9]، جمعَ ألفَ أسود، ومعهم الفؤوس

---

(١) ينظر عنها الروض المعطار ٣٠٤.

(٢) في أ: «ثيارهم».

(٣) في أ: «واستقر».

(٤) في أ: «صنم».

(٥) في أ: «عن».

(٦) في أ: «أن خلّ».

(٧) الكامل لابن الأثير ٦/ ٣٣٣.

(٨) قوله: «في الجند» ليس في أ.

(٩) انظر عنها الروض المعطار ٤٨٠.

والمساحي، وخرج بهم إلى نَفْزاوة، فنزل بتَقْيُوس[1]. وبلغ ابن سَوَادة قدومُه، فخرج إليه[2]، واقتتل معه، فانهزم الجند[3]، وقُتل منهم عددٌ كثيرٌ. ورجع عامر إلى قَسْطِيلية، فأقامَ بها ثلاثة أيّام، يجبي أموالها ليلًا ونهارًا، حتّى كمل له من ذلك ما أراد، وسارَ نحو القَيْرَوان.

وفي سنة إحدى عَشْرة ومئتين: قام عامِر بن نافِع على منصور الطُّنْبُذيّ. وكان حاسِدًا له لأنّ منصورًا كان يتوعَّده على الشَّرَاب، فعَمِلَ عليه عامِر مع الـجُنْد، فلم يشعر منصور، وهو بقصره بطُنْبُذة، حتّى زحفَ إليه عامِر من تُونُس، فحاصرَهُ. فراسَلَه منصور، وطلب منه الأمان، على أن يتوجَّه في سفينةٍ إلى الـمَشْرق. فأجابه إلى ذلك، وخرجَ منصور في أوَّل الليل مستخفيًا، يريد الأُرْبُس. فلما أصبحَ عامر، قفا أثَرَه وأثَرَ مَن كان معه، حتّى أدركَهُم، فاقتتل معهم، فانهزم منصور، ودخل الأُرْبُس، فتحصَّن بها، فحاصره عامِرٌ فيها. فلما ضاق الحصارُ بأهلها، قالوا لمنصور: إمّا أن تخرجَ عنّا، وإلّا دفعناك إلى عامِر. فرغبَ منهم أن يُمْهِلوه حتّى يعمل في الخلاص لنفسه. فأرسل إلى عبد السلام بن الفرَج وكان من وجوه الجند يسأله الاجتماع به، فأتاه، فقال له منصور من أعلى السُّور: بهذا كان جزائي منكم يا مَعْشر الـجُنْد، وقد علمْتُمْ أنّ قيامي على القوم إنّما كان من أجلكم، فإذ قد صارَ الأمْرُ إلى ما صارَ إليه، فأُحِبُّ أن تسعى في أماني وخلاصي، وأَخْرُجَ عنكم إلى الـمَشْرق. فأجابه عبد السلام إلى ما سأل[4]، واستعطفَ له عامر بن نافع، فأسعفه في ذلك. ثمّ وجَّه عامر منصورًا مع خَيْل، وأمر مُقَدَّمَهم سِرًّا أن يعرجوا به إلى مدينة جَرْبة، ويحبسَه بها. ففعل ذلك، وحُبس منصورٌ هنالك. فلما علم عبد السلام بهذه الغَدْرة من عامر، حقدَ عليه، وكان بباجة مع أصحابه، وكان هاشم أخو عامر واليًا عليها، فأخذوه، وحَبَسُوه، وكتبوا إلى أخيه عامر: إمّا أن تُخَلِّي عن منصور، وإلّا قتلنا أخاك، فكتب إليهم

---

(1) الروض المعطار ١٣٩.

(2) ليست في ر١.

(3) في ر١: «الجيش الأغلبي».

(4) في ر١: «إلى ذلك».

عامر: إنّي لسْتُ أُخلِّي عن منصور، فاصنعوا بهاشم ما شئْتُم، فستعلمون عاقبة أمركم. فلما جاءهم كتابُه، أطلقوا هاشمًا، وأمرَ عامر بضرب عُنق منصور وأخيه حَـمْدون، واستقامت الأمور لعامر بن نافع.

وفي سنة اثنتي عشْرَة ومئتين: أغزَى زيادةُ الله صِقِلّيَّة، واجتمع له سبعون مركبًا، حمل فيها سبع مئة فرس. وعرضَ القاضي أسَد بن الفُرات نفسَهُ على زيادة الله في الخروج للغزو، فولّاه على الجيش، وأقرَّهُ على القضاء مع القيادة[1]، فخرج معه أشرافُ إفريقية، من العرَب، والـجُنْد، والبَرْبَر، والأنْدَلُسيّين، وأهل العلم والبَصائر، وذلك في حفلٍ عظيم وعُدَّة جليلة في ربيع الأوَّل. فساروا إلى حصون الرُّوم ومُدُنهم، فأصابوا سبيًا كثيرًا، وسائمةً كثيرةً، وكراعًا، وكثرت الغنائم عند المسلمين، واحتلَّ القاضي أسَد بمن معه على مدينة سَرَقُوسة[2]، وحاصرها برًّا وبحرًا، وأحرقَ مراكبها، وقتلَ جماعةً من أهلها. وجاءتْهُ الأمداد من إفريقية والأنْدَلُس وغيرهما.

وفي سنة ثلاث عَشْرة ومئتين: تُوُفّي عامر بن نافع على فراشه. فلما بلغ موته زيادةَ الله، قال: اليومَ وضعت الحربُ أوزارَها، فاستأمن بنوه إلى[3] زيادة الله، فأمَّنهم.

وفيها: تُوفّي إدريس بن إدريس الـحَسَنيُّ، فقامَ بأمر فاس والبربر ابنُه محمدٌ، فولَّى أخاه البَصْرة وطَنْجة وما يليهما، وولّى سائر إخوته بلاد الغرب[4].

ذِكْر مدينة البَصْرة بالغَرْب

كانت قبلُ مدينةً كبيرةً أزليَّةً، تُعرف ببَصْرة الكَتّان، لأنّهم كانوا يتبايعون، في بَدْء أمرها، في أكثر تجاراتهم بالكتّان. وتُعرف أيضًا بالـحَمْراء، لأنّها حمراء التُّراب. وكان سورُها مبنيًّا بالحجارة والطوب، ولها عَشَرة أبواب، ولجامِعها سَبْع بَلاطات، وبها حَمّامانِ كبيرانِ، ومقبرتُها الكُبْرى في شرقيِّها، والأُخرى في غربيِّها، وهي التي

(١) الكامل لابن الأثير ٦/ ٣٣٣-٣٣٤.

(٢) انظر عنها الروض المعطار ٣١٧.

(٣) في را: «على».

(٤) في أ: «جهات البربر».

تُعرف بمقبرة قُضاعة. وماؤها زُعاقٌ، وشربُهم من بئر عَذبٍ كبيرٍ على باب المدينة، يُعرف ببئر أبي ذَلْفاء.

ونساء البَصْرة مخصوصات بالجمال الفائق، والحُسْن الرائق، ليس بأرض المغرب أجمل منهنَّ، وفيهنَّ يقول أحمد بن فَتْح التِّيهَرْتيُّ، في قصيدة مدحَ بها أبا العَيْش[1] الحَسَنيَّ منها[2] [من الكامل]:

ما حازَ كُلَّ الحُسْنِ إلّا قَيْنةٌ ... بَصْرِيَّةٌ في حُمْرةٍ وبَياضِ

الخَمْرُ في لَحَظاتِها والوَرْدُ في ... وجَناتِها هَيْفاءُ غَيْرَ مُفاضِ

وأُسِّسَتْ البصْرة في الوقت الذي أُسِّسَتْ فيه أصَيْلا أو قريبًا منه[3]. ومنها إلى قَصْر كُتامة، وهو قَصْر عبد الكريم، مرحلةٌ، ومنها إلى مدينة جَنْيارة مرحلةٌ. وقيل: إنَّها كانت قرية على وادي سُبُو، بينها وبين فاس مرحلةٌ. ومن مدينة البَصْرة طريقٌ آخر إلى فاس، فمنها إلى وَرْغة مرحلةٌ، ثمّ إلى وادي ماسِنة[4] مرحلةٌ، وهي مدينة عيسى بن حسن الحسنيّ المعروف بالحجَّام؛ ثمّ إلى مدينة سداك، وهي[5] قاعدة خَلُّوف بن محمَّد المَغِيليّ، ثمّ إلى فاس. فذلك سبعُ مراحِل.

وفي هذه السنة: تُوُفِّي أسَدُ بن الفُرات في رَجَب منها، وهو محاصِرٌ لسَرَقوسة. فلما توفّي، هَرَبتْ رَهْنُ الروم التي كانت عنده، ووقعَ الموتُ في عسكر المسلمين، فاغتمُّوا لذلك، وولَّوا على أنفسهم ابن أبي الجواري[6].

وفي سنة أربع عشرة ومئتين: توفّي القاضي أبو مُحْرِز الكلابيُّ. وفيها وصل من الأنْدَلُس إلى صِقِلِّيَّة نحو ثلاث مئة مركب، فيها أصبغ بن وكيل المعروف

(١) في أ: «أبا عيسى».

(٢) ليست في أ.

(٣) ينظر مثل هذا الكلام في الروض المعطار ١٠٨-١٠٩.

(٤) من هنا إلى قوله: «الحجام» سقط كله من ر١.

(٥) ليست في ر١.

(٦) في ر١: «الجراوي»، وما هنا يعضده ما في كامل ابن الأثير وفيه: «محمد بن أبي الجواري» ٦/ ٣٣٦.

بفَرْغَلُوش. وبلغ المسلمين المحصورين بها خَبَرُ وصولهم، فاستغاثوا بهم، فوعدوهم بذلك[1].

وفي سنة خمس عشرة ومئتين: كان غَزْوُ فَرْغَلُوش الواصلِ في المراكب إلى صِقِلِّية هو والقوَّاد الذينَ معه، فأخذوا القِلاع، وسبوا، وغنموا في بلاد الروم. ثمّ سُئِلُوا إغاثة مَن كان من الـمُسلمين بها، فأجابوهم إلى ذلك على أن يكون أمر الناس إلى فَرْغَلُوش. فساروا إلى ذلك، وأخذوا في طريقهم القِلاع، وأغاروا حتى انتهوا إلى ميناو، فتَزَحْزَح مخنق مَن كان بها من المسلمين، وحرقوا المدينة وهدموها، وانتقلوا عنها. وسارَ المسلمون إلى غلوالية؛ فحصروها وتغلَّبوا عليها. واعتلَّ جماعةٌ من المسلمين بها، وأخذهم الوباءُ، ومات فَرْغَلُوش وغيْره من القوَّاد. فرحل الـمُسلمون وركب العدوُّ إثْرَهم، فقُتِلَ منهم خلقٌ كثير في خبر طويل. ثمّ أخذوا في إصلاح مراكبهم، قافلين إلى الأنْدَلُس.

وفيها: وَلي سعيد[2] بن إدريس مدينة نَكُور.

وفي سنة ست عشرة ومئتين: كانت وقيعة بين مُطِيع السُّلَمّي[3] وإسماعيل بن الصَّمْصامة بإفريقية، فاقتتلا بمن معهما. فهُزِمَ مُطيع وقُتل، وانهزمَ أصحابُه. ووَلِـيَ أبو فِهْر صِقِلِّيَّة.

وفي سنة سبع عشرة ومئتين: توجَّه أبو فِهْر محمد بن عبد الله التَّميميُّ من إفريقية إلى صِقِلِّيَّة، وهربَ عثمان بن قُرْهُب عنها.

وفي سنة ثماني عشرة ومئتين: قام بمدينة تُونُس فَضْل بن أبي العَنْبَر بعد هزيمته لخيل زيادة الله، فضبطها لنفسه. وسارَ إليه أبو فِهْر بن عبد الله بن الأغْلَب في جيشٍ كثيفٍ، حتّى افتتحها وقتَلَ فيها عبَّاس بن الوليد الفقيه الصالح[4].

---

(١) في ر١: «بالغوث».

(٢) في ر١: «شبيب».

(٣) في أ: «السهمي».

(٤) ليس في ر١.

وفي سنة تسع عشرة ومئتين: أمَّن زيادةُ الله كلَّ مَن طلب الأمان ممَّن تفلَّتَ من تُونُس وخرج عنها وقتَ دخول أبي فِهْر لها. فأمَّنهم، وسكنتْ أحوالُهم. وكان [فيهم] عبدُ الرحمن وعليٌّ ابنا أبي سَلَمة وأبو العَزَّاف، وكانوا شعراء فصحاء، فأنشده عبد الرحمن مديحًا له فيه، فلما انقضى إنشادُه، قام يعقوب بن يحيى الشاعر يُحرِّض زيادة الله على بني أبي سَلَمة وأبي العَزَّافِ بهذه الأبيات [من الوافر]:

تَسَمَّعْ أيُّها المَلِك المُعانُ ... قَوافي في مَعانيها البَيانُ

يَتِمُّ أمانُ مَنْ خَضَبَ العَوالي ... ولَيْسَ لشاعرٍ أبدًا أمانُ

لأنَّ قوافيَ الأشعارِ تَبْقَى ... على الأيَّامِ ما بَقِيَ الزمانُ

وقَدْ يُرجَى لِجُرْحِ السَّيْفِ بُرْءٌ ... ولا بُرْءٌ لِما جَرَحَ اللِّسانُ

فلم يلتفت زيادةُ الله إلى قوله، وأمضَى لهم أمانَهُم، وقال لأبي العَزَّاف: ما منعك أن تستأمن إلينا قبل هذا الوقت؟ قال: أيُّها الأمير، كنتُ مع قَوْم حَمْقَى، يُوَلُّون كلَّ يوم واليًا، ويعزلون آخر، فرجوتُ أن تكون لي معهم دَوْلةٌ. فضحك زيادة الله، وقال: قد عفوتُ عنك.

وفي سنة عشرين ومئتين: ولي أحمد بن أبي مُحْرِز قضاء إفريقية. وفيها أغزى محمد بن عبد الله بن الأغْلَب صاحبُ صِقِلّيَّة. فالتقى بالمشركين[1]، فانهزموا أمامه. وانصرف بالغنائم إلى بَلَرم[2]. وكانت بصِقِلّيَّة في هذه السنة غزوات كثيرة للمُسلمين برًّا وبَحْرًا، وكذلك بالأنْدَلُس.

وفيها وصل ابن الأغْلَب إلى بَلَرم، قاعدة صِقِلّيَّة، واليًا عليها، في رمضان، بعد أن رأى شِدَّةً في البحر، وعطبتْ له مراكبُ، وحُطِمَتْ له أُخرى[3]، وأصابَ له النَّصارى حَرَّاقةً من مراكبه. وجاهَدَهم محمدُ ابن السِّنْديّ في حرَّاقات، فاتبعهم حتّى حال الليل بينهم.

(١) في ر١: «بهم».

(٢) ينظر عنها: الروض المعطار ١٠١.

(٣) قوله: «وحطمت له أخرى» ليس في ر١.

وفي سنة إحدى وعشرين ومئتين: توفِّي قاضي صِقِلِّيَة ابن أبي مُـحْرِز. وكان قد أوصى أخاه عِمْران أن يكتُمَ موتَه حتى يكفِّنه ويُصلِّي عليه، خوفًا أن يكفِّنه زيادة الله ويُصلِّي عليه، ففعل عِمْران ذلك. فلما حُمْل نعشه وخُرج به من داره، أقبل خَلَفٌ الفتَى بمسكٍ كثير وأكفان من قِبَل زيادة الله، فقال له عِمْران: قد كفَّنَّاه. فذرَّ خَلَفٌ المسكَ الذي كان معه عليه، وحُـمِل إلى المصلَّى، فحضر زيادةُ الله دفنه وعَزَّى أخاه عنه، وقال: يا أهل القَيْرَوان، لو أرادَ الله بكم خيرًا، لـمَا خرج ابن أبي مُـحْرِز من بين أظهركم. وكان زيادةُ الله يقول: ما أُبالي ما قَدِمْتُ عليه يومَ القيامة وفي صحيفتي أربع حَسَنات: بُنياني المسجدَ الجامع بالقَيْرَوان، وبُنياني قَنْطرةَ أبي الربيع، وبُنياني حِصْنَ مدينة سُوسة، وتَوْليتي أحمد بن مُـحْرِز قضاء[1] إفريقية. ثمّ وليَ القضاء بعده ابن أبي الجواد.

وفي هذه السنة: ابتدأت الفتنة بسِجِلْماسة بين مَيْمون وأخيه، ابني الـمُنْتَصِر بن اليَسَع.

وفي سنة اثنتين وعشرين ومئتين: كانت غَزْوة صِقِلّيّة، غزاها الـمُسلمون إلى ناحية جَبَل النار، فأصابوا وغَنِموا وقفلوا سالمين غانمين.

وفيها: فتح الـمُسلمون حصن مدنار ومعَاقِل كثيرة في غزوة للفَضْل بن يعقوب أغزاه إيَّاها ابن الأغْلَب، وغزوة أخرى[2] لعبد السلام بن عبد الوهَّاب، أغزاه أيضًا إيَّاها ابن الأغْلَب[3]، فخرج إليه العدوُّ، فانهزمَ المسلمون وأُصيب منهم جماعةٌ. وأُسِر عبد السلام حتّى فُدِي بعد ذلك.

وفي سنة ثلاث وعشرين ومئتين: توفِّي زيادة الله بن إبراهيم بن الأغْلَب صاحب إفريقية، يوم الثلاثاء لأربع عشرة ليلة خلَتْ من رجب، وهو ابن إحدى وخمسين سنة. فكانت ولايتُه إحدى وعشرين سنة، وسبعة[4] أشهر، وثمانية أيَّام.

---

(١) في م: «قاضي».

(٢) في ر١: «وجهه إليها زيادة الله ثم كانت غزوة أخرى»، بدلًا من: «أغزاه إياها أبو الأغلب، وغزوة أخرى».

(٣) في ر١: «زيادة الله».

(٤) في الكامل لابن الأثير ٦/ ٤٩٣: «تسعة».

ولاية أبي عِقال الأغْلب بن إبراهيم بن الأغْلَب إفريقية

وهو الملقَّب بخَزَر. فلمّا وَلِيَ، أمَّن الناس وأحسنَ إليهم وإلى الـجُند، وغَيَّر أحداثًا كثيرة كانت قبله، وأجرى على العُـمّال أرزاقًا واسعة وصِلات جَزْلة، وقبض أيديهم عن الرعيَّة، وقطعَ النبيذ من القَيْرَوان، وعاقب على بيعه وشُربه[1]. وتوفّي في العَشْر الأواخر لربيع الآخر سنة ست وعشرين ومئتين وهو ابن ثلاث وخمسين سنة. فكانت ولايتُه سنتَيْن وتسعة[2] أشهر وأيّامًا[3].

وفي سنة أربع وعشرين ومئتين: كانت وقعةٌ بإفريقية بين عيسى بن ريعان الأزْديّ، وقد أخرجُه السُّلطانُ لذلك، وبين لَواتة وزُواغة ومِكْناسة. فقتلهم عن آخرهم بين قَفْصة وقَسْطِيلية؛ ذكر ذلك ابن القطَّان[4].

وفيها: قَدَّم أهلُ سِجِلْماسة مَيْمون بن مِدْرار، وأخرجوا أخاه. فلما استقرَّ الأمر لـمَيْمون، أخرج أباه مِدْرارًا وأُمَّه إلى بعض قُرَى سِجِلْماسة.

وفي سنة خمس وعشرين ومئتين: كانت وفاة أبي جعفر موسى بن مُعاوية الصُّمادِحِيّ[5]، مَوْلى آل جعفر[6]، وكان مـمَّن روى عنه سُحْنون.

وفي سنة ست وعشرين ومئتين: توفّي أبو عِقال الأغْلَب ين إبراهيم في ليلة الخميس لسبع بقين من ربيع الآخر[7]، وولايةُ ابنه أبي العبَّاس يومَ موت أبيه.

ولاية أبي العبَّاس محمد بن الأغْلَب بن إبراهيم بن الأغْلَب إفريقية

كانت ولايتُه في أوَّلها ساكنةً، والأمور معتدلةً، وقلَّد أحمد بن الأغْلَب كثيرًا من أموره. وكان محمد هذا قليل العلم، ذُكِر أنّ رَجاء الكاتب كان يومًا بين يديه،

---

(١) الكامل لابن الأثير ٦/ ٤٩٣.

(٢) في الكامل: «سبعة».

(٣) الكامل لابن الأثير ٦/ ٥١٩.

(٤) وهو في كامل ابن الأثير أيضًا ٦/ ٥٠٨.

(٥) ترجمته في تاريخ الإسلام ٥/ ٧٠٩.

(٦) في أ: «أبي جعفر».

(٧) قوله: «في ليلة الخميس لسبع بقين من ربيع الآخر» ليس في ر١.

فكتب محمد «لحم ضبي» بضاد مسقوطة. فلما خلا المجلس، قال له كاتبُه: أَيَّد الله[1] الأمير، الظبي يُكتب بظاء مرفوعة. فقال له محمد: قد علمنا فيه اختلافًا: فأبو حنيفة يجعله بالظاء، ومالِك يجعله بالضاد! فعجب الحاضرون من قوله. وكان عقيمًا لا يولَد له، وكان مظفَّرًا في حروبه.

وفي سنة سبع وعشرين ومئتين: توفّي أبو محمد عبد الله بن أبي حسَّان اليَحْصُبيُّ[2] فقيهُ إفريقية، لقي[3] مالِكًا، وسمع منه. وسأله زيادة الله عن[4] النبيذ، فقال له: كَمْ دِيةُ العَقْل؟ قال: ألف دينار. قال: أصلحَ اللهُ الأمير، يعمد الرجل إلى ما قيمتُه ألف دينار، فيبيعه بنصف دِرْهَم؟! فقيل له: إنَّه يعودُ ويرجعُ. فقال: أصلح الله الأمير، يعود[5] بعد كَشْفِه سَوْءتَهُ، وإبدائه عَوْرَتَه، وضَرْبِ هذا وشَتْم هذا.

وفي سنة ثمان وعشرين ومئتين: كانت إفريقية هادِنةً ساكِنةً، قال عَرِيب وغيرُه: لم يكن في إفريقية هذه السنة خبرٌ يُذكر، ولا في السنتَيْن بعدها.

وفي سنة ثلاثين ومئتين: توفّي بُهْلُول بن عَمْرو بن صالِح[6] الفقيه، سمع من مالِك وطَبقَته.

وفي سنة إحدى وثلاثين ومئتين: كانت ثَوْرة أحمد بن الأغْلَب على أخيه محمد واستيلاؤه عليه[7]؛ وذلك أن أحمد تواعَدَ مع جملة من الموالي إلى موضع، فتوافَوْا هنالك وقْتَ الظهيرة، فقصدوا إلى مدينة القَصْر القَدِيم، وقد خلا البابُ من الرجال.

---

(١) في ر١: «أيها».

(٢) تاريخ الإسلام ٥/ ٥٩٤.

(٣) في م: «ولقي».

(٤) في أ، م: «في».

(٥) من ر١.

(٦) هكذا في النسختين، وهو غلط صوابه: «بهلول بن صالح بن عمر، وهو تجيبي، أبو الحسن، ذكره القاضي عياض في الرواة عن مالك (ترتيب المدارك ٢/ ١٨٥)، وترجمه الذهبي في تاريخ الإسلام وذكر روايته عن مالك وأنه توفي سنة ٢٣٣ (تاريخ الإسلام ٥/ ٨٠٠).

(٧) الكامل لابن الأثير ٧/ ٢٥.

فدخلوا، وأغلقوا الباب، ثم ساروا حتّى أغلقوا الأبوابَ الأُخَر. ثمّ هجموا على أبي عبد الله بن عليّ بن حُـمَيْد الوزير، فأمر أحمد، فضُربت عُنُقُه. ووقع القتال بين رجال محمد بن الأغْلَب وبين رجال أحمد بن الأغْلَب، وجعل أصحاب أحمد يقولون لأصحاب محمد: ما لكم تقاتلوننا؟ نحن في طاعة محمد بن الأغْلَب، إنَّما قُمْنا على أولاد عليّ بن حُـمَيْد الذين أفقروكم واستولوا على أموال مولاكم دُونَكم، وأمّا نحن ففي الطاعة. فلما سمعوا ذلك، أوقفوا عن القتال. ولما نظر محمد إلى ما دَهِمَه من غير استعداد، قعد في مجلسه الذي يقعد فيه للعامَّة، وأذن لأخيه أحمد والرجال الذين معه في الدخول عليه. فدخلوا بسلاحهم، فكانت بينهما معاتبة. ثمّ حلفا ألّا يغدر أحدُهما بصاحبه، واصطلحا. واعتدلت الأمور لأحمد بن الأغْلَب إلا اسم الإمارة فقط. وقبض أحمد بن عليّ[1] على من شاء، واستصفَى مَن أرادَ، وعَذَّب مَن أحبَّ، وأعطى الرجال، وجَبَى الأموال، واستوزرَ نَصْر بن حَـمْزة.

وفي سنة اثنتين وثلاثين ومئتين: ظفر محمد بن الأغْلَب بأخيه أحمد، وحبَسُه، ورجع له سلطانُه[2]. وقامَ معه في ذلك جماعةٌ من بني عَمِّه ومواليه، وسقى البوَّابين، واحتال عليهم حتى دخل المدينة، وحارب أخاه طول الليل، وأطلق مَن كان في حَبْس أخيه، فاستمدَّ بهم، ووصل أهلَ القَيْرَوان حتّى أنفذَ جميع ما في خزائنه من الأموال والكِسَى. ثمّ نفى محمدُ بن الأغْلَب أخاه إلى المشرق، فمات بالعراق.

وفيها: عُزِلَ عبدُ الله بن أبي الـجَواد عن القضاء، فقال سُحْنون لمحمد بن الأغْلَب: أيُّها الأمير، أحسن الله جزاءك، فقد عَزَلْتَ فِرْعَوْنَ هذه الأُمَّة وجَبَّارَها وظالِـمَها، وابن أبي الجواد حاضرٌ، ولحيتُه تضطرب على صدره، وكان تامَّ اللحية.

وفي سنة ثلاث وثلاثين ومئتين: وَلِي سُحْنون[3] بن سعيد بن حَبيب التَّنوخيُّ الفقيهُ ـ واسمُه عبدُ السلام، إنَّما سُمِّيَ بسُحْنون لـحِدَّة ذهنه ـ القضاء بإفريقية، بعد

---

(١) قوله: «ابن علي» ليس في م.

(٢) في ر١: «ملكه».

(٣) ترجمته في تاريخ الإسلام ٥/ ٨٢٥.

أن راجع[1] محمد بن الأغْلَب في ذلك عامًا كاملًا، وهو يأبى عليه، حتّى حلف له الأيمان المؤكّدة، وأعطاه العهود المغلّظة أنّه يُطلِق يديه على أهل بيته وقرابته وخدمته وحاشيته، ويُنفِّذ عليهم الحقَّ، أحَبُّوا أو كَرِهوا.

وفيها: كانت ثورة سالِـم بن غَلْبُون وقتلُه، وذلك أنّه كان واليًا على الزَّاب. فعزله محمَّد بن الأغْلَب، فأقبل سالِـم يريد القَيْرَوان، ثمّ عدل في بعض طريقه إلى الأُرْبُس[2] مُظْهِرًا للخلاف، فمنعه أهلُها من دخولها، فسار إلى باجة ودخلها وضبطها. فأخرج إليه ابن الأغْلَب خَفاجة بن سُفْيان في جيشٍ كثيف، فنزل عليه، وحاربه أيّامًا، فهرب سالِـم بن غَلْبون في الليل، فأتبعه خَفاجة، فلحقه لما أصبح، وقتله، وحمل رأسه إلى محمد بن الأغْلَب. وكان ابنه أزْهر محبوسًا عنده، فأمر بضرب عنقه.

وفي سنة أربع وثلاثين ومئتين: ثار عَمْر بن سُلَيْم التُّجِيبيُّ بتُونُس، فأخرج إليه ابن الأغْلَب خَفاجة بن سُفْيان، فأقامَ عليه بقيَّةَ هذه السنة، ثمّ انصرف عنه من غير ظفر.

وفيها: مات عبد الله بن أبي الـجَواد في سجن سُحْنون. وكان وَرَثَةُ ابن القَلْفاط يطلبونه بخمس مئة دينار وَدِيعةً، واستظهروا بخطّه، فأنكر الوديعة والخط. فكان سُحْنون يُـخْرِجه كلَّ جمعة، فإذا استمرَّ على الإنكار، ضربه عشرة أسواط، وأرادت زوجتُه فِداءه بمالها[3]، فامتنع سُحْنون إلّا أن يعترف ابن أبي الجواد بأنّ هذا مالُ الأيتام أو عِوَضًا عنه، فأبى ابن أبي الجواد. فما زالت تلك حالُه إلى أن مرض، فمات، فشنَّع الناسُ على سُحْنون أنّه قتله، وكان يقول بخَلْق القرآن.

وفي سنة خمس وثلاثين ومئتين: كانت وقيعةٌ بمقربة من تُونُس، بين الـمُنْتزي في العام الفارط عَمْرو بن سُلَيْم المعروف بالقُوَيْع[4]، وبين محمد بن موسى المعروف بعُرْيان الذي استقْوَدَه ابن الأغْلَب بجيشٍ لمحاربته، ففزعَ كثيرٌ من موالي ابن الأغْلَب إلى القُوَيْع. فوقعت على محمد بن موسى هزيمةٌ، وأُسِرَ أَحَدُ قوّاده، بعد أن انكسرت

---

(١) بعده في ر١: «السلطان».

(٢) ينظر الروض المعطار ٢٤.

(٣) في ر١: «بأموالها».

(٤) في م: «القوبع» مصحف، وما أثبتناه مجوّد في النسختين وفي الكامل لابن الأثير ٧/ ٤٤.

رِجْلُه، ثمّ طعنه ولدُ القُوَيْع طعنةً كان فيها حتفُه، وقُتل كثيرٌ من أصحابه، وانصرف باقي الجيش إلى ابن الأغْلَب مفلولين، واشتدَّت شَوْكةُ القُوَيْع.

وفي سنة ست وثلاثين ومئتين: كانت وقعةٌ بين عَمْرو بن سُلَيْم القُوَيْع الـمُنْتَزِي بتونُس وبين خَفاجة بن سُفيان، قائد جيش محمد بن الأغْلَب، فاقتتلوا قتالًا شديدًا فانهزم القُوَيْع، وقُتل أصحابُه مقتلةً عظيمةً، وأُدْرِك القُوَيْع، فضُربت عُنُقُه وحُـمِلَ رأسُه إلى محمد بن الأغْلَب، فوصلَ قاتِلَه، وكَساهُ، وأحسنَ إليه. ودخل خَفاجة مدينةَ تُونُس بالسيف، يوم السبت لعشر خَلَوْن من ربيع الأوّل؛ وسَبَى فيها، وانصرف بالجيش إلى القَيْرَوان، فكَساهُ ابن الأغْلَب.

ولاية العبَّاس بن الفَضْل، رحمه الله، جزيرة صِقِلِّيَّة

لما تُوفّي صاحبُ صِقِلّيّة أبو الأغْلَب[1] إبراهيم بن عبد الله بن الأغْلَب، قدَّم أهلُها على أنفسهم العبَّاس بن الفَضْل هذا، وكتبوا إلى محمد[2] بن الأغْلَب بالخبر. فأقرَّ العبَّاس، وكتب إليه بعهده بولاية صِقِلّيّة. فجاهدَ كثيرًا، وغَزَا طويلًا. وكان له في الروم مَواقِفُ أذلَّـهم بها[3].

وفي سنة سبع وثلاثين ومئتين: وَلِـيَ حبيبُ بن نَصْر بن سهل[4] التَّميميُّ الـمَظالِـمَ بالقَيْرَوان بتقديم القاضي سُحْنون إيَّاه عليها.

وفيها: أغزى العبَّاس بصِقِلّيَّة أرضَ الروم، فغنم غنائمَ عظيمة، وسَبَى سبيًا كثيرًا، وأداخ[5] بلادهم.

وفي سنة ثمان وثلاثين ومئتين: أغزى العبَّاس بن الفَضْل صاحبُ صِقِلّيَّة الرومَ، فقتل اللهُ المشركين، وبعثَ العبَّاس برؤوسهم إلى مدينة بَلَرم، وأقامَ ينتسف زروعهم، ويَطأُ أرضهم، ويسبي من ظَفر به منهم. ثمّ قفل إلى صِقِلّيَّة.

---

(١) سقطت من ر١.

(٢) في ر١: «إلى السلطان محمد».

(٣) الكامل لابن الأثير ٧/ ٦٠، ونهاية الأرب للنويري ٢٤/ ١٩٧.

(٤) من ر١.

(٥) في ر١: «وأدلع».

وفي سنة تسع وثلاثين ومئتين: كان الجهاد بِصِقِلّيَّة في غزوة العبّاس بن الفَضْل في الصائفة، فأفسد زُروع النصارى، وبثَّ السرايا في كلّ موضع، وغنم قَصْريانة[1] وقَطانِيَة[2] وسَرَقُوسة[3] وغيرها، وحاصَرَ مدينة بنيرة[4] ستَّة أشهر حتّى صالحوه على ستّة آلاف رأس قَبَضَها منهم. وقفل إلى حضرة[5] بَلَرم، وفتح مدينة سَبْرينة[6].

وفي سنة أربعين ومئتين: تُوفّي الفقيه سُحْنون، رحمه الله.

وفيها: كان الجهاد أيضًا بصِقِلّيّة؛ غزا العبَّاس بن الفَضْل صاحبُها بلادَ الروم، فسبى، ونكى، وخرَّب، وانتسف، وبثَّ السرايا، فغنموا غنائم عظيمةً[7].

وفي سنة إحدى وأربعين ومئتين: غزا العبَّاس بن الفَضْل أيضًا الروم بصِقِلّيَّة[8]، فأفسد زُروعهم، وبثَّ السرايا في أراضيهم، فغُنمت غنائم كثيرة، وأقامَ في جبل مانع ثلاثةَ أشهر، يضرب كلَّ يوم حَوْلَ يانة، فيقتل ويُصيب، وتتوجَّه سراياه، فتغنم في كلّ جهة. وأغزَى أخاه عليَّ بن الفَضْل في البحر، فأصاب وغنم، وانصرف برؤوس كثيرة.

وفي سنة اثنتين وأربعين ومئتين: تُوفّي أبو العبَّاس محمَّد بن الأغْلَب، صاحبُ إفريقية، لليلتين خلتا من المحرَّم، فكانت ولايتُه خمس عشرة سنة وثمانية أشهر واثنَيْ عَشَر يومًا[9]، ومات وهو ابن ستّ وثلاثين سنة، وولي بَعْدَه ابن أخيه[10].

---

(١) الروض المعطار ٤٧٥.

(٢) الروض المعطار ٤٦٥.

(٣) تقدمت، وينظر الروض المعطار ٣١٧.

(٤) في ر١: «ينبرة».

(٥) في ر١: «مدينة».

(٦) هي المعروفة بساننا سفرينة.

(٧) العبارة في ر١ مختلفة حيث جاء فيها: «... بصقلية على يد صاحبها العباس بن الفضل والغنائم العظيمة».

(٨) النص في ر١ في هذه الفقرة مضطرب، فأثبتنا ما في أ فقط.

(٩) في الكامل لابن الأثير ٦/ ٥١٩: «وعشرة أيام».

(١٠) قوله: «وولي بعده ابن أخيه» ليس في ر١، وينظر الكامل لابن الأثير ٦/ ٥١٩.

ولاية أبي إبراهيم أحمد بن محمد بن الأغْلَب إفريقية[1]

وليها وهو ابن عشرين سنةً. وكان حَسَنَ السيرة، كريمَ الأخلاق والأفعال، من أجودِ الناس وأسمحِهم وأرفقِهم بالرعيَّة، مع دينٍ واجتنابٍ للظُّلْم، على حَدَاثة سنه وقلة عمره. وكان يركب في ليالي شعبان ورمضان وبين يديه الشمع، فيخرج من القصر القديم، ويمشي حتى يدخل من باب أبي الربيع، ومعه دوابّ بالدراهم. فكان يعطي الضُّعفاء والمساكين حتى ينتهي إلى المسجد الجامع بالقَيْرَوان، فيخرج الناسُ إليه، يدْعون له.

وفيها: ولي القضاء بإفريقية أبو الربيع سُليمان بن عِمْران بن أبي هاشِم الملقَّب بخَرُوفة[2].

وفيها: كان الجهاد بصِقِلّيَّة: غزا صاحبُها العبَّاسُ بن الفَضْل الرُّوم بالصائفة، فغنم وسَبَى، وانتقل من حِصْن[3] إلى حِصْن، ففتح أكثرها، وصالَحه بعضُ أهلها.

وفي سنة ثلاث وأربعين ومئتين: كان الجهاد بصِقِلّيَّة: غزا العبَّاس بن الفَضْل صاحبُها بالصائفة، فسَبى وغَنِمَ، وصالَحه أهلُ قصر الحَدِيد، بعد أن حاصَرَهم شهرَيْن، بخمسة عشر ألف دينار، وصالَحه أهلُ حصن شلفودة[4] على أن يخرجوا منه ويهدِمَه، ففعل ذلك.

وفي سنة أربع وأربعين ومئتين: غزا العبَّاس صاحبُ صِقِلّيَّة أرضَ الروم، فغنم غنائم كثيرة. وخرج أخوه في مراكب في البحر إلى جزيرة أَقْرِيطِش[5]، فقتل وسَبَى وغنم. ثمّ دارت على المسلمين جَوْلَةٌ، فقُتِل منهم، وأُخذت لهم عشرون مركبًا.

---

(١) هذه اللفظة ليست في ر١، والخبر باختصار في الكامل لابن الأثير ٦/ ٥١٩-٥٢٠.

(٢) ينظر الديباج المذهب لابن فرحون ١/ ٣٧٦.

(٣) قوله: «من حصن» سقط من أ.

(٤) في ر١: «سلعودة».

(٥) بفتح الهمزة، وتكسر (معجم البلدان ١/ ٢٣٦)، وهي جزيرة كريت.

وفي سنة خمس وأربعين ومئتين: أخرج[1] أبو إبراهيم بن الأغْلَب صاحبُ إفريقية مالًا كثيـرًا لحفْر الـمَوَاجِل[2]، وبنيان المساجد والقَـنَاطر، لكلمةٍ كانت منه على سُكْر.

وفي سنة ست وأربعين ومئتين: كان حَفْر المأجل الكبير على باب تُونُس المعروف ببئر ابن ظبيان[3].

وفيها: تُوفِّي أبو خَلَف الزاهد، واسمُه مَطْروح بن قَيْس، وكان عابدًا زاهدًا.

وفي سنة سبع وأربعين ومئتين: كان بالقَيْرَوان سَيْلٌ عظيمٌ كسر القَنْطرة فأمر صاحب إفريقية بإصلاحها.

وفيها: تُوفِّي عبد الرحمن بن عبد ربِّه، وكان مُستجابَ الدعوة.

وفيها: تُوفِّي العبَّاس بن الفَضْل صاحبُ صِقِلِّيَّة، في جمادى الأولى لثلاث خلون منها، ووَلِـيَ عمُّه أحمد صِقِلِّيَّة؛ ولّاه أهلُها، وكتبوا بذلك إلى صاحب إفريقية أبي إبراهيم أحمد بن محمد بن الأغْلَب، فجاء كتابُه بإثباته.

وفي سنة ثمان وأربعين ومئتين: كَمُل بناءُ مأجل باب تُونُس الكبير، وتـمَّت الزيادة في جامع القَيْرَوان، وكَمُل إصلاح قنطرة باب أبي الربيع.

وفيها: كانت غزوة رَباح، فأصابَ وغَنِمَ، ثمّ دارت عليه وقيعةٌ، أُخِذَتْ فيها طُبولُه وأعلامُه، ثمّ أُسِرَ قَوْمٌ من أصحابه، ثمّ تراجَعَ وافتتح مدينةَ جبل أبي مالك، وسَبَى جميعَ ما كان فيها، وأحرقها وبثَّ سرايا كثيرةً، فأصابت وغَنِمت.

وفي سنة تسع وأربعين ومئتين: تُوفِّي أبو إبراهيم أحمد بن محمد بن الأغْلَب صاحبُ إفريقية، يومَ الثلاثاء لثلاث عشْرة ليلةً خلَتْ من ذي القعدة، فكانت ولايتُه سبع سنين وعشرة أشهر ونصفًا، ومات وهو ابن ثمانٍ وعشرين سنةً[4].

---

(١) بعدها في ر١: «السلطان».

(٢) جمع مأجل، وهو حوض تجمع فيه المياه وتخزن.

(٣) قوله: «المعروف ببئر ابن ظبيان» ليس في أ، م.

(٤) الكامل لابن الأثير ٦/ ٥١٩-٥٢٠.

ولاية زيادة الله بن محمد بن الأغْلَب بن إبراهيم ابن الأغْلَب إفريقية[1]

ولِـيَ يوم وفاة أبي إبراهيم، في ذي القَعْدة، فكتبَ إلى خَفاجة بإمضاء ولايته وخَلَعَ عليه. وكان أبو محمد زيادة الله هذا عاقِلًا[2]، حليمًا، حَسَنَ السيرةِ، جميلَ الأفعال، ذا رأي ونَجْدة وجودٍ وشجاعةٍ. وهو الثاني مـمَّن اسمه زيادة الله في بني الأغْلَب. ولم تطُلْ في الـمُلْك مدَّته، فتكونَ له أخبارٌ تؤثر، وتُوفِّي ليلة السبت لعشر بقِين من ذي القعدة من سنة خمسين ومئتين، فكانت دولتهُ سنةً واحدةً وسبعة أيَّام[3].

ولاية أبي الغَرَانيق محمد بن أحمد بن محمد بن الأغْلَب[4]

ولِـيَ **سنة خمسين ومئتين**، وهو ابن أخي زيادة الله المتوفّى قَبْلُ، ولِـيَ يوم السبت لعَشْرٍ بقِينَ من ذي القَعْدة، ولُقِّبَ بأبي الغَرَانيق لأنَّه كان يَهْوَى صَيْدَها، حتّى بنى قصرًا يخرج إليه لصَيْدِها، أنفقَ فيه ثلاثين ألف مثقال من الذهب. وكان مُسْرِفًا في العطاء، مع حُسْن سيرة في الرعيَّة. ثمّ غلبت عليه اللذَّاتُ والاشتغالُ بها، فلم يزل كذلك طُولَ مدَّته. ولم تكن له همَّة في جمع مال. فلما مات، لم يَـجِدْ أخوه في بيت المال شيئًا يُذْكَر. وكانت ولايتُه حروبًا أكثرُها على ما يأتي ذكره.

وفي سنة إحدى وخمسين ومئتين: كانت غزوة السَّرِيَّة المعروفة[5] بسَرِيَّة ألف فارِس، وذلك أنّ خَفاجة صاحبَ صِقِلّيَّة غزا قَصْريانة، فأفسدَ زروعَهُ، وسارَ إلى سَرَقُوسة، فقاتل أهلها. ثمّ رحل عنهم، وأخرجَ ابنه محمدًا إليهم في سَرِيَّة، فكَمَنَ لهم، فخرجوا، فخرج عليهم[6] وقتل منهم ألف فارس، فسُمِّيَتْ تلك السريَّة سريَّة ألف فارس[7].

---

(١) لفظة «إفريقية» ليست في ر١.

(٢) في أ: «عاملًا».

(٣) الكامل لابن الأثير ٦/ ٥٢٠.

(٤) الكامل لابن الأثير ٦/ ٥٢٠-٥٢١.

(٥) في ر١: «التي تعرف».

(٦) قوله: «فخرجوا فخرج عليهم» سقط من أ، م.

(٧) في ر١ بدلًا من هذه العبارة: «فسميت بذلك تلك السرية».

وفي سنة اثنتين وخمسين ومئتين: بنى محمد بن حَـمْدون الأنْدلسيُّ الـمَعافِريُّ الجامعَ الشريفَ بالقَيْرَوان المنسوبَ إليه: بناهُ بالآجُرّ والجصّ والرخام، وبَنَى فيه جِبابًا للماء.

وغزا خَفاجة صاحبُ صِقِلِيَّة أرضَ الروم، وافتتحَ حُصونًا كثيرةً، ثمّ مرض مرضًا شديدًا، فانصرفَ في مَـحْمَل إلى بَلَرم.

وفي سنة ثلاث وخمسين ومئتين: قال ابن القَطَّان: عريت هذه السنة من أخبار إفريقية، فلم يكن فيها خبرٌ مشهورٌ يُـجْتَلَب[١].

وفي سنة أربع وخمسين ومئتين: غزا خَفاجة صاحبُ صِقِلّيَّة بِطْرِيقًا وصل من القسْطَنْطِينة، في جمع كبير، في البرّ والبحر، فانهزم البِطْرِيق بعد قتالٍ شديد، وقُتل من أصحابه آلافٌ كثيرة، وأُخذَ لهم سلاحٌ وخيلٌ. ودخل خَفاجة إلى سَرَقُوسة وغيرها، فغنم غنائم كثيرة، ورجع إلى بَلَرم قاعِدَتِه أوَّلَ يوم من رجب[٢].

وفي سنة خمس وخمسين ومئتين: خرجَ خَفاجة صاحبُ صِقِلّيَّة للغزو، فلَقِيَهُ العدوُّ في جمعٍ كبير، فاقتتلوا قتالًا شديدًا، فقُتِل شُجاعٌ من شُجْعان المسلمين، فانكسروا لقتله. فسارَ خَفاجة إلى سَرَقُوسة، فامتنعت منه[٣]، فأقامَ عليها، وأفسد زَرْعها.

وفيها: تُوفّي خَفاجة، وذلك أنَّه، لما أكمل غزاته المذكورة، قفلَ من سَرَقُوسة، يُريدُ بَلَرم، فأدلج ليلًا، فاغْتاله رجلٌ من عَسْكره، وطَعَنَه طعنةً مات منها، وذلك أولَ يوم من رَجَب، وهربَ الذي طعنه إلى سَرَقُوسة. وحُـمِل خَفاجة إلى حضرة[٤] بَلَرم، فدُفن بها. فولَّى أهْلُ صِقِلّيَّة ولده محمدًا، وكتبوا بذلك إلى الأمير محمد بن أحمد ابن الأغْلَب أبي الغرانيق[٥]، فكتب إليه بالولاية، وخلع عليه[٦].

---

(١) في ر١: «عريت هذه السنة بإفريقية عن خبر يجتلب».

(٢) قوله: «أول يوم من رجب» ليس في ر١.

(٣) قوله: «فامتنعت منه» ليس في ر١.

(٤) ليست في أ، م.

(٥) في ر١: «إلى السلطان أبي الغرانيق».

(٦) الكامل لابن الأثير ٧/ ١٠٨.

وفي سنة ست وخمسين ومئتين: تُوفِّي محمد بن سُحْنون التَّنُوخيُّ[1]، وكان فقيهًا وَرِعًا، رضي الله عنه.

وفي سنة سبع وخمسين ومئتين: وَلِـيَ القضاء بإفريقيةَ عبدُ الله بن أحمد بن طالب[2]، صارفًا لسُليمان بن عِمْران.

وفيها: تُوفِّي صاحب صِقِلِّيَّة محمد بن خَفاجة، قَـتَلَهُ خَدَمُه نهارًا لثلاث خَلَوْن من رَجَب، وكتموا أمرَهُ، فلم يُعرف قتلُه إلّا بعد يوم لهروب الـخَدَم، فأُخِذوا وقُتل بعضُهم. فوَلِـيَ صِقِلِّيَّة أحمد بن يعقوب بن المضاء[3] بتقديم ابن الأغْلَب إيَّاه. ووَلِـيَ على الأرض الكبيرة عبدُ الله بن يعقوب، فكانت لهما في هذا العام غزوةٌ أوقعا فيها بالمشركين. ولم يكن بإفريقية في سنة سبع خبرٌ يُذكر.

وفي سنة ثمان وخمسين ومئتين: تُوفِّي أحمد بن يعقوب صاحب صِقِلِّيَّة، وولي ابنُه الـحُسين مكانَه، وأقرَّه صاحبُ إفريقية عليها.

وفي سنة تسع وخمسين ومئتين: ولي سُليمان بن عِمْران قضاء إفريقية، وعُزِلَ عبدُ الله بن أحمد بن طالب التَّميميُّ عنه.

وفيها: غزا صاحب صِقِلِّيَّة سَرَقُوسة، فصالـحَه أهلُها على أن يُـخْرِجوا إليه من أسْرَى المسلمين الذين كانوا عندهم ثلاث مئة وستّين أسيرًا.

وفي سنة ستين ومئتين: كانت المجاعة العامَّة بالـمَشْرق والمغرب، والوباء، والطاعون[4].

وفيها: تُوفِّي محمد بن إبراهيم بن عَبْدُوس[5] الفقيه العالم، الذي دوَّن «المجموعة»، وكان مُجابَ الدعوة.

---

(١) ترجمته في تاريخ الإسلام ٦/ ٤٠٣.

(٢) تنظر جمهرة ابن حزم ٢٢١.

(٣) قوله: «ابن المضاء» من ر١.

(٤) الكامل لابن الأثير ٧/ ٢٧٣.

(٥) ترجمته في تاريخ الإسلام ٦/ ٥٩٦.

وفي سنة إحدى وستين ومئتين: تُوفِّي أبو الغَرانيق محمد بن أحمد بن الأغْلَب ليلة الأربعاء لستّ خَلَوْن من جُمادى الأُولى من هذه السنة، فكانت ولايتُه عشر سنين وخمسة أشهر ونصفًا[١]، في دولة الـمُسْتَعين بالله، والـمُعْتَزّ، والـمُهْتَدي، والـمُعْتَمِد في بعض أيَّامه.

ولاية إبراهيم بن أحمد بن محمد بن الأغْلَب إفريقية[٢]

وصِفَةُ ولايته أنّ أبا الغَرانيق كان عهدَ لأبنه أبي عِقال، واستحلفَ أخاه إبراهيم بن أحمد ألا يُنازِعَه في مُلكه بخمسين يَمِينًا. فلما ماتَ أبو الغَرانيق، أتى أهلُ القَيْرَوان إلى إبراهيم بن أحمد، وهو[٣] إذ ذاك والٍ على القَيْرَوان. فقالوا له: قُمْ، فادخُل القصرَ، فأنتَ الأميرُ. وكان إبراهيم[٤] قد أحسن السيرة فيهم، فقال لهم: قد علمتُم أنّ أخي قد عقد البيعةَ لابنه، واستحلفني خمسين يَمِينًا ألا أُنازِعَ ولَدَهُ ولا أدْخُلَ قصرَهُ. فقالوا له: تكون أميرًا في دارك بالقَصْر القديم، ولا تُنَازِعْ ولَدَهُ، فنحنُ كارهون لولايته ومبايعون لك وليس في أعناقنا له بيعةٌ. فركب من القَيْرَوان ومعه أكثر أهلها، فحاربوا أهلَ القَصْر حتى دخل إبراهيم داره، فبايَعَه مشايخُ أهل إفريقية ووجوهُها، وبايَعَه جماعةُ بني الأغْلَب[٥].

وفي سنة اثنتين وستين ومئتين: تُوفِّي أبو زَيْد شَجَرة بن عيسى[٦] القاضي بتونُس، وكان من خيار القُضاة، له مناقِبُ كثيرةٌ، وهو ابن تسع وتسعين سنة.

وفيها: أُسِّسَتْ قلعةُ مدينة تَنَس، أسَّسها البحريُّون من أهل الأنْدَلُس.

وفي سنة ثلاث وستين ومئتين: ابتدأ إبراهيم بن أحمد بن الأغْلَب ببناء مدينة رَقَّادة[٧].

---

(١) الكامل لابن الأثير ٧/ ٢٨٣.

(٢) لفظة «إفريقية» ليست في أ، م.

(٣) في ر١: «وكان».

(٤) ليس في ر١.

(٥) الكامل لابن الأثير ٧/ ٢٨٤.

(٦) ترجمته في تاريخ الإسلام ٦/ ٣٤١.

(٧) ينظر عنها الروض المعطار ٢٧١.

وفي سنة أربع وستين ومئتين: كَمُل بناءُ القصر المعروف بالفَتْح، وانتقل إليه إبراهيم بن أحمد، وقَتْلُه للموالي بالقَصْر القديم لأنَّهم ثاروا عليه.

وفيها: فُتِحَتْ سَرَقُوسة، فتحها صاحبُ صِقِلّية[١] يوم الأربعاء لأربع عشرة ليلة خَلَتْ لرمضان[٢]، وقُتِل فيها أكثر من أربعة آلاف عِلْج، وأُصيب فيها من الغنائم ما لم يُصَبْ بمدينة من مدائن الشِّرْك، ولم يَنْجُ من رجالهم أحدٌ. وكان مُقامُ المسلمين بصِقِلّيَّة[٣] عليها إلى أن فُتحت تسعةَ أشهر، وأقاموا بعد فتحها شهْرَين، ثم تهدَّمت.

وفيها: قُتِل صاحبُ صِقِلّيَّة جعفر بن محمد، قتله غلمانُه مع الأغْلَب بن محمد بن الأغْلَب، الـمُلَقَّبِ بخُرْج الرُّعُونة، وأبي عِقال الأغْلَب بن أحمد، وكانا محبوسَيْن عنده، فتولَّى خُرْج الرُّعُونة بَلَرم وضَبَطها، فوثبَ أهلُها عليه وعلى أبي عِقال ومن اتَّصل بهما، فأخرجوهم من صِقِلّيَّة إلى إفريقية، ووَلِـيَ الحسن بن رَبَاح صِقِلّيَّة.

وفي سنة خمس وستين ومئتين: غزا صاحب صِقِلّيَّة الحسن بن رَبَاح الصائفة[٤] إلى طَرْمِين، ودارت بينه وبين مُشْرِكي صِقِلِّيَّةَ حربٌ قُتِل فيها من المسلمين، ثمّ كانت لهم الكرَّة على المشركين، فهزموهم، وقَـتَلُوهم، وقتلوا بِطْرِيقَهم.

وفي سنة ست وستين ومئتين: كان القَحْط العظيم والغلاء الـمُفْرِط بإفريقية.

وفيها: أغزى صاحبُ صِقِلّيَّة الرومَ، فالتقَى في البَحْر بمراكبهم، وهم في نحو مئة وأربعين[٥] مركبًا، فدارت بينهم حربٌ شديدةٌ حتّى أسلم المسلمون مراكِبَهم وأخَذَها الرومُ. وانصرفَ مَن كان في تلك الـمَراكِب إلى بَلَرم، فأقاموا بها شهورًا يبثُّون السَّرَايا، ويغنمون أرضَ الروم المجاورين لهم.

---

(١) قوله: «فتحها صاحب صقلية» من ر١.

(٢) قوله: «يوم الأربعاء لأربع عشرة ليلة خلت لرمضان» ليس في ر١.

(٣) ليست في ر١.

(٤) في ر١: «الروم بالصائفة».

(٥) في ر١: «أربع مئة».

وفي سنة سبع وستين ومئتين: وَلِـيَ عبدُ الله بن أحمد بن طالب التَّمِيميُّ القضاء، صارفًا لسُليمان بن عِمْران عنه.

وفيها: وَلِـيَ الـحُسين[1] بن العبَّاس جزيرة صِقِلِّيَّة.

وفيها: كانت فتنة وَلَد ابن طُولون، حين أراد التغلُّب على إفريقية. وها أنا أذْكُرُ قِصَّتَه إلى أن هُزم؛ وذلك أنّ العبَّاس بن أحمد بن طُولُون، ولَدَ صاحب مِصْر، قَدِمَ في هذه السنة في ثمان مئة فارس وعشرة آلاف راجل من سُودان أبيه على خمسة آلاف جَـمَل إلى مدينة بَرْقة، في ربيع الآخر، يُريد إفريقية، والتغلُّب عليها[2]، وإخراج بني الأغْلَب عنها. وحمل مع نفسه من بيت مال مِصْر ثماني مئة حمل دنانير ذَهَبًا، فأعطى أصحابه الأرزاق بها[3]. وقيل[4]: إنّ مبلغ ما حمل من المال ألف ألف دينار ومائتا ألف دينار، ومعه أبو عبد الله أحمد بن محمد الكاتب مُكَبَّلًا، لأنّه أظهرَ الامتناعَ من الخروج معه، وكان أشارَ عليه بأن يؤخِّر التقدُّم إلى أطْرابُلُس حتّى يُصانِع البربرَ، فقال: أخشَى أن تَقْدَمَ العساكرُ من الشام قبل إحكام هذا الأمر ـ يعني عساكر أبيه، لأنَّه كان ثائرًا على أبيه ـ ويكون أيضًا في ذلك فُسْحةٌ لإبراهيم بن أحمد، فيتمهَّلَ في الاستعداد، ولكنّي أمضِي على فَوْرِي هذا، فآتي لَبْدة وأطْرابُلُس فجاءةً، ثمّ آخُذُ في استمالةِ البربر بعد ذلك بالعطاء والإفضال، وأبعدُ عن مِصْر، فلا يقوم لأحمد بن طُولُون ـ يعني أباه ـ أمَلٌ في مُطالَبتي لبُعْدي عنه[5].

وخرج يريد لَبْدة[6]، فاتَّصل خَبَرُه بإبراهيم بن أحمد، فأخرج إليه أحمد بن قُرْهُب في ألف وست مئة فارس، خيلًا مُـجَرَّدةً لا رَجْل فيها، وأمره[7] بإغْذاذ

---

(١) في أ، م: «الحسن»، وهو تحريف، وسيأتي بعد قليل على الوجه.

(٢) في ر١: «يريد التغلب على إفريقية».

(٣) في ر١: «ببرقة».

(٤) هذا القيل وفيه كمية المال ليس في ر١.

(٥) ينظر تاريخ دمشق لابن عساكر ٢٦/ ٢٣٨.

(٦) الروض المعطار ٥٠٨.

(٧) سقطت من أ.

السَّيْر والسُّرَى بالليل، حتّى دخل أطْرابُلُس قبل وصول العبَّاس بن أحمد بن طُولُون إلى لَبْدة. ثمّ أحشد ابن قُرْهُب مَن أمكنه من جند أطْرابُلُس وبَرْبَرِها، ثمّ بادر إلى لَبْدة، ودخلها. وأقبل العبَّاس بن طُولُون وقد صُنع له ببَرْقة خمسة آلاف بَنْد، فجعلَ له على كلّ جمل راجلًا ببَنْده. وزحف بثمان مئة فارس وخمسة آلاف راجل. فالتقى به أحمد بن قُرْهُب على خمسة عشر ميلًا من لَبْدة، وقد تأخَّرت الجمال بالرجَّالة أصحاب البنود، فلم يكن بينهم إلّا مناوَشة يسيرة حتّى انهزم أحمد بن قُرْهُب، وهو يظنُّ أنّ مَن ناوَشَهُ القتال من أصحاب ابن طُولُون كانوا مُقَدِّمةً للجيش. ووصل أحمد بن قُرْهُب إلى أطْرابُلُس منهزمًا. وركب العبَّاس بن طُولُون إثْرَه حتّى نزلَ أطْرابُلُس، ونصبَ عليها الـمَجانِيق، وناصَبَهم الحربَ. وأقامَ محاصِرًا لهم ثلاثة وأربعين يومًا، فتعدَّى بعضُ سودانه على بعض حُرَم البوادي، وهتكوا الـحُجب[1] فاستغاثَ أهلُ أطْرابُلُس بأبي منصور صاحِبِ نُفُوسة، فقام مُحْتَسِبًا وناصِرًا جِيرانَه من الـمُسلمين، وزحفَ في اثني عشر ألفًا من رجال نُفُوسة إلى العبَّاس بن أحمد بن طُولُون، فناشبوه الحرب، فقال العبَّاس لأبي عبد الله الكاتِب: ما الرأيُ؟ فقال له: ببَرْقة خَلَّفْتَهُ! وألحَّ أهل نُفُوسة في محاربة ابن طُولُون، فانهزم، وخرجَ إلى بَرْقة بعد انتهاب أهل أطْرابُلُس لجميع عسكره. ولم يتلبَّس النُّفُوسيُّون منه بشيءٍ، بل تورَّعوا عنه. وكان إبراهيم بن أحمد قد حشدَ الأجناد، وضربَ حُلَى نسائه دنانيرَ ودراهمَ، إذ لم يُبْقِ أبو الغَرَانيق مالًا. ثمّ خرجَ بنفسه يريد أطْرابُلُس، فلقيه[2] خبرُ هزيمة ابن طُولُون، فبحث ابن الأغْلَب عن الأموال، وأخذها مـمَّن وُجدت عنده، فكان الرجل من أهل العسكر يبيع مثاقِيل ابن طُولُون سِرًّا بما أمكنه، خوفًا أن تُؤخَذَ منه.

وفي سنة ثمان وستين ومئتين: كان فَتْكُ إبراهيم بن الأغْلَب بأهل الزاب، فقتلهم وقتلَ أطفالَـهم، وحُـمِلوا على العَجَل إلى الـحُفَر، فأُلْقوا فيها.

وفيها: عُزِل صاحبُ صِقِلّيَّة الـحُسين بن العبَّاس، ووليَها محمد بن الفَضْل[3].

---

(١) في ر١: «الستر».

(٢) في ر١: «فبلغه».

(٣) الكامل لابن الأثير ٧/ ٣٧٠.

وفي سنة تسع وستين ومئتين: تُوفِّي سُليمان بن حَفْص الفَرَّاء، وكان جَهْمِيًّا[1]. وكان يقول بخلْق القرآن، ودعا الناس إليه، فهمُّوا بقتله[2].

وفي سنة سبعين ومئتين: تُوفِّي سُليمان بن عِمْران القاضي مَفْلُوجًا، وتُوفِّي حُسين بن زيد بن عليّ[3]، وتُوفِّي أبو حاتِم هشام بن حاتِم الفقيه، وكان مُجاب الدعوة.

وفي سنة إحدى وسبعين ومئتين: تُوفِّي الـحُسين بن أحمد صاحب صِقِلِّيَّة، ووَليها سَوَادة بن محمد بن خَفاجة التَّميميُّ.

وفي سنة اثنتين وسبعين ومئتين: أغزى سَوَادة صاحبُ صِقِلِّيَّة سراياه إلى بلاد الرُّوم، فغَنِمت وانصرفت[4].

وفيها: كانت وقائع بين الـمُسلمين وبين بِطْرِيق جاء من القُسْطَنْطِينة، يُقال له: نجفور[5]، في عَسْكر كبير، فدخل مدينة سَبرينة، وخرجَ منها المسلمون بأمان إلى صِقِلِّيَّة.

وفي سنة ثلاث وسبعين ومئتين: وثبَ أهل بَلَرم على سَوَادة بن محمد[6] صاحب صِقِلِّيَّة وعلى أخيه وبعض رجاله، فوجَّهوهم مقيَّدين إلى إفريقية، واجتمعَ أهلُ البلد على أبي العبَّاس بن عليّ، فولَّوه على أنفسهم.

وفي سنة أربع وسبعين ومئتين: كان وصول أحمد بن عُمر بن عبد الله بن إبراهيم بن الأغْلَب المعروف بحَبَشِيّ.

وفيها[7]: تُوفِّي أحمد بن حُدَيْر بإفريقية، وله سُماعٌ من سُحْنون.

---

(١) قوله: «وكان جهميًا» ليس في ر١.

(٢) الكامل لابن الأثير ٧/ ٣٩٨.

(٣) قوله: «وتوفي حسين بن زيد بن علي» ليس في ر١، وهو بلا شك غير حسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، فذاك أقدم وفاة.

(٤) الكامل لابن الأثير ٧/ ٤٢١.

(٥) يكتب هكذا، ويكتب «نقفور» أيضًا، وأصلُه كافًا أعجمية.

(٦) «ابن محمد» ليس في ر١.

(٧) هذه الفقرة ليست في ر١.

وفي سنة خمس وسبعين ومئتين: كانت لأهل صِقِلّيّة على المشركين[1] صَوْلة، فقُتل فيها من المشركين أكثر من سبعة آلاف، وغرق نحوٌ من خمسة آلاف، حتّى أخلى الرومُ كثيرًا من الـمُدن والـحُصون التي تُجاوِر الـمُسلمين. ووصلت سرايا المسلمين إلى الأرض الكبيرة، فسَبَتْ وانصرفت.

وكانت[2] بإفريقية هيجةٌ تُعرف بثورة الدراهم.

ثورة الدَّرَاهِم على إبراهيم بن أحمد

وذلك أنّ إبراهيم بن أحمد ضربَ الدراهم الصِّحاح، وقطعَ ما كان يُتعامَل به من القِطَع، فأنكرت ذلك العامَّة، وغلَّقوا الحوانيتَ، وتألَّفوا، وصاروا إلى رقَّادة، وصاحوا على إبراهيم، فحبسهم في الجامع. واتَّصل ذلك بأهل القَيْرَوان، فخرجوا إلى الباب، وأظهروا الـمُدافعةَ. فوجَّه إليهم إبراهيم بن أحمد وزيرَه أبا عبد الله بن أبي إسحاق، فرموه بالحجارة وسبُّوه، فانصرفَ إلى السلطان إبراهيم بن أحمد، فأعلمه بذلك. فركب إبراهيم إلى القَيْرَوان، ومعه حاجِبُه نَصْر بن الصَّمْصامة في جماعةٍ من الـجُند، فناصَبَه أهلُ القَيْرَوان القتال. فتقدَّم إبراهيم بن أحمد إلى المصلَّى، فنزلَ، وجَلَس[3]، وكفَّ أصحابَهُ عن قتالهم. فلما اطمأنَّ به مَـجْلِسُه، وهدأ الناسُ، خرجَ إليه الفقيه الزاهد أبو جعفر أحمد بن مُغِيث، فكان بينهما كلامٌ كثيرٌ. ودخل أبو عبد الله بن أبي إسحاق الوزير مدينةَ القَيْرَوان مع أحمد بن مُغِيث، فشقَّ سِماطَها وسَكَّن أهْلَها. فرجع إبراهيم بن أحمد إلى رَقَّادة، وأطلقَ المحبوسين بالجامع. وانقطعت النُّقُود والقِطَع من إفريقية إلى اليوم، وضربَ إبراهيم بن أحمد دنانيرَ ودراهمَ سمَّاها العاشِرِيَّة، في كلّ دينار منها عشرة دراهم.

وفيها: عُزِلَ عبدُ الله بن أحمد بن طالب بن سُفْيان عن قضاء إفريقية وحَبْسِه، ثمّ أُرْسِلَ إليه بطعامٍ مَسْموم، أكَلَهُ في الـحَبْس، فمات من فوره في رَجَب. واستقضى

(١) في ر١: «مشركيها».

(٢) هذه العبارة ليست في ر١.

(٣) في ر١: «فجلس» بدلًا من: «فنزل وجلس».

إبراهيمُ بن أحمد محمدَ بن عَبْدُون بن أبي ثَوْر، وكان جدُّه طحَّانًا، وكان يكتب اسْمَه: محمد بن عبد الله الرُّعَيْنيّ.

وفي سنة ست وسبعين ومئتين: كان الجهاد بصِقِلّيَّة في غزوة سَوَادة بن محمد إلى طَرْمين، فحاصرها.

وفيها: حَبَسَ إبراهيمُ بن أحمد كاتِبَه محمد بن حَيُّون المعروف بابن البريدي، فكتب إليه من السجن [من البسيط]:

هَبْني أسَأْتُ فَأيْنَ العَفْوُ والكَرَمُ ... إذْ قادَني نَحْوَكَ الإذْعانُ والنَّدَمُ

يا خَيْرَ مَنْ مُدَّتِ الأيْدِي إليه أمَا ... تَرْثي لِصَبٍّ نَهاه عندَك القَلَمُ

بالَغْتَ في السخْطِ فاصْفَحْ صَفْحَ مقتدرٍ ... إنَّ المُلُوكَ إذا ما استُرْحِموا رَحِموا

قال: فلما قرأ إبراهيم بن أحمد أبياته، قال: يكتب إليَّ: هبْني أسأتُ! وهو قد أساء، أمَّا إنَّه لو قال [من الوافر]:

ونحْنُ الكاتِبُونَ وقَدْ أسَأنا ... فَهَبْنَا لِلكرامِ الكاتِبِينا

لعفَوْتُ عنه! ثمّ أمرَ، قبَّحه الله، بِه، فجُعلَ في تابوت مطبقًا عليه[1] حتّى مات، رحمه الله تعالى.

وفي سنة سبع وسبعين ومئتين: قَتَلَ إبراهيمُ بن أحمد حاجِبَه نَصْر بن الصَّمْصامة بِأن ضربه خمس مئة سَوْط، فلم ينطِقْ بكلمة، ولا تحرَّكَ من موضعه، ثمّ أمر بضرب عنقه، فقال لمن حَوْلَه: لا تظنُّوا أنّي أجزعُ من الموت، ووعدَهُم أنَّه يفتح يده ويغلقها ثلاث مرَّات بعد ضرب عُنُقه، ففعل. فأُخبر إبراهيم بذلك، فتعجَّب، وأمر بشقّ بطنه شقًّا لطيفًا، ويؤتى إليه بقلبه، فأُتي به[2]، فنظرَ منه إلى منظرٍ عجيب، وذلك أنَّه كان فائتًا في كبده، ووُجِدت فيه شَعَرات نابتةٌ في أكثر أجزائه.

---

(١) قوله: «مطبق عليه» من ر١.

(٢) قوله: «فأُتي به» من ر١.

وفي سنة ثمان وسبعين ومئتين: كانت ولايةُ أبي العبَّاس أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن الأغْلَب للمَظالم، وولايةُ محمد بن الفَضْل صِقِلِّيَّة، وعَرْضُ ديوانِ الخراج على سَوادة النصرانيّ على أن يسلِم، فقال: ما كنتُ لأدَعَ ديني على رياسة أنالُـها، فقُطع بنصفَيْن وصُلِبَ.

وفي سنة تسع وسبعين ومئتين: كانت ولاية محمد بن الفَضْل صِقِلِّيَّة، ودخلَ حضرةَ بَلَرم لليلتَيْن خَلَتا من صَفَر.

وفيها: قَـتَل إبراهيم بن أحمد من أهل إفريقية مَنْ قَـتَل بَطَرًا[1] وشهوةً. فممَّن قُتِل في هذه السنة: إسحاق بن عِمْران الـمُتَطَـبِّب المعروف بسَمِّ ساعة، قتله وصَلَبه[2]. ومنهم: حاجِبُه فَتْح، ضربه بالسياط حتّى مات. وقتل فيها جميعَ فتيانه، وسَبَبُ ذلك أنَّه كان كثير الإصغاء إلى قول الـمُنَجِّمين والكَهَنَة، وكانوا قالوا له: إنَّه يقتله رجلٌ ناقِصُ العقل[3]، وإنَّه يُمْكِن أن يكون فتًى، فكان إبراهيم، إذا رأى أحدًا من فتيانه، فيه حَرَكةٌ ونشاطٌ وحِدَّةٌ، يتقلَّد سيفًا، قال: هذا هو صاحِبي فيقتله. فلما قتل منهم جماعةً، وقعَ بقلبه أنَّه قد استفسد إليهم، فضمَّه الـحَذَرُ منهم إلى قَتْل جَـمِيعهم، فقتلهم في هذا العام، واستخدم عِوَضًا عنهم السودان. ثمّ عرض لهم منه ما عرض للفتيان الصَّقالِبة: فقتل السُّودان أجمعين.

وفي سنة ثمانين ومئتين: كان الإيقاع برجال بَلَزْمة[4]، وقِصَّتُهم أنَّ إبراهيم بن أحمد بن الأغْلَب[5] كان قد حارَبَهم واستَقْدَم منهم إلى مدينة رَقَّادة نَحْوًا من سبع مئة رجل من أبطالهم، فأنزلهم، ووَسَّعَ عليهم، وبنَى لهم دارًا كبيرةً تشتمل على دُور ترجع إلى باب واحد، وأسكنَهُم فيها. فلما سكنوا واطْمأنُّوا، جمع ثِقات رجاله لأخْذِ

---

(١) ليست في أ.

(٢) انظر عنه الوافي بالوفيات للصفدي ٨/ ٤١٩.

(٣) في ر١: «الخلق».

(٤) ينظر عنها الروض المعطار ١٠٣.

(٥) «ابن الأغلب» ليس في ر١.

أرزاقهم، ثمّ أمرهم بمصاحبة[1] ابنه عبد الله لِـمَا أمره به. فلما اجتمعوا إليه، ركب إلى دار البَلَزْميّن في الجند، فقتلهم عن آخرهم، بعد أن دافعوا عن أنفسهم إلى وقت العصر. وكان ذلك من أسباب انقطاع دولة بني الأغْلَب، إذ كان أهلُ بَلَزْمة في نحو ألف رجل من أبناء العَرَب والـجُنْدِ الداخلين إلى إفريقية عند افتتاحها وبعده، وكان أكْثَرُهم من قَيْس، وكانوا يُذِلُّون كُتامة. فلما قتلهم إبراهيم، استطالت كُتامة، ووجدت السَّبِيل للقيام مع الشيعيّ على بني الأغْلَب.

وفيها: كان تمنُّع البلاد ومخالَفَتُها على السلطان إبراهيم بن أحمد، وانتزاءُ من انتزى عليه[2]؛ وذلك أنّ أهلَ تُونُس والجزيرة والأُرْبُس[3] وباجة وقَمُودة[4] خالفوا عليه وقدَّموا على أنفسهم رجالًا من الـجُند وغيرهم، لأنّ السلطان إبراهيم بن الأغْلَب[5] أخذ عبيدَهم وخيلَهم، وجارَ عليهم، فصارت إفريقية عليه نارًا مُوقَدةً، ولم يَبْقَ بيده من أعمالها إلا الساحِل والشَّرْق إلى أطْرابُلُس، فحفرَ حفيرًا حوالَيْ رَقَّادة، ونصبَ عليها أبواب حديد، وجمعَ إلى نفسه ثِقاته، وقَرَّب السُّودان من قصره، وقد كان جمع منهم خمسة آلاف أسْوَد[6].

وفيها: كانت وقائعُ انجلت عن فتح تُونُس عَنْوةً، وذلك أنّ أهل قَمُودة تحركوا لقتال إبراهيم بن الأغْلَب؛ فأخرجَ إليهم مَيْمونًا الـحَبَشيَّ، فقاتلهم حتّى انهزموا، وقَـتَلَ جماعةً منهم، ثمّ فعلَ ذلك أهلُ تُونس، فهزمهم مَيْمون أيضًا، وهزم أهل الجزيرة وصَطْفُورة، وقتلَ منهم كثيرًا، حتى سِيقَ القَتْلَى في العَجَل إلى القَيْرَوان. ثمّ دُخِلت تُونُس بالسَّيف، لعشر بقَين من ذي الحجَّة، فانتُهِبَت الأموالُ، وسُبِيَت الذُّرِّيَّة، واسْتُحِلَّت الفُروج[7].

---

(١) في م: «بمصابحة»، وفي ر١: «بمصالحة».

(٢) بعد هذا في ر١: «فيها».

(٣) ينظر الروض المعطار ٢٤، وقد تقدم ذكرها.

(٤) الروض المعطار ٤٧٢.

(٥) في ر١: «ابن أحمد»، وكله صواب.

(٦) نهاية الأرب للنويري ٢٤/ ٧٢.

(٧) نهاية الأرب للنويري ٢٤/ ٧٢.

ومـمَّا كان بإفريقية في هذا العام، دخولُ أبي عبد الله[1]، داعية الشيعة، إفريقية، ونزوله بكتُامة منها[2]. فلنذكرِ الآن مبتدأ أمره مختصرًا، إلى أن استقلَّ بالـمُلْك. ثمّ[3] نرجع إلى ما كُنَّا بصَدَده.

ابتداءُ الدولة العُبَيْديَّة الشيعيَّة

قال الوَرَّاق وغيرُه[4]: لم تزل الشيعة مُنْذُ مات عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه تدعو إلى إمامٍ معصومٍ، يقومُ بالحقِّ، على زَعْمهم؛ فتُرْسِلُ دُعاةً إلى سائر النواحي، فلا ينجح لهم سَعْيٌ. ثمّ تفاوضوا وتراسَلوا على أن يُرسلوا داعيًا إلى المغرب، يدعو الناس إلى التديُّن بحبِّ أهل البيت، وتكاتَبوا بذلك من سائر الآفاق. فاختاروا منهم رجلًا ذا فَهْم، وفصاحة، وجدال، ومعرفة، يُسمَّى أبا عبد الله الصَّنْعانيَّ، وجَـمَعوا له مالًا يتقوَّى به على سَفَره. فسارَ أبو عبد الله هذا إلى مَوْسِم الحجّ ليجتمع مع من يحجُّ تلك السنة من أهل المغرب، ويذوق أخلاقهم، ويطَّلِعَ على مذاهبهم، ويتحيَّل على نَيْل الـمُلْك بضعيف[5] الـحِيَل. فسُبْحَان مُقَدِّر المقدور، ومحكم الأمور، كيف يشاء! لا إلهَ إلّا هو[6]. فلما وصل للمَوْسِم، لا للحَجّ، لأنَّ الحجَّ ليسَ من مذهبهم الفاسد، بل تكلَّف حضورَه ليتسبَّب في مُراده، فرأى في الـمَوْسِم قومًا من أهل المغرب، فلصقَ بهم وخالَطَهُم. وكانوا نحو عشرة رجال[7] من قَبِيل كُتامة، مُلْتَفِّين على شيخ منهم. فسألهم عن بلادهم، فأخبروه بِصفَتها[8]، وسألهم عن مذهبهم،

---

(١) في ر١ بدلًا مما تقدم: «وفيها: دخل أبو عبد الله الشيعي». قلنا: وهو الحسين بن أحمد بن محمد بن زكريا (الوافي ١٢/ ٣٢٨).

(٢) قوله: «إفريقية ونزوله بكتامة منها» ليس في أ.

(٣) من هنا إلى آخر الفقرة ليس في أ.

(٤) ليست في أ، م.

(٥) في ر١: «بصعيب».

(٦) هذا الدعاء كله ليس في ر١.

(٧) «رجال» ليست في ر١.

(٨) في ر١: «عن صفتها».

فصَدَقوه عنه. فتكلَّم أبو عبد الله الداعي في المذاهب، فوجدَ الشيخ يميل في مذهبه إلى مذهب الإباضيَّة النكَّارة، فدخلَ عليه من هذه الثُّلْمة. ولم يزل يستدرجهم ويَخْلُبهم بما أُوتِيَ من فَضْل اللسان والعلم بالجَدَل، إلى أن سَلَبهم عقولَهم بسحر بيانِه. فلما حانَ رجوعُهم إلى بلادهم، سألُوه عن أمره وشأنه، فقال لهم: أنا رجلٌ من أهل العراق، وكنتُ أخْدُم السُّلطان، ثمّ رأيتُ أنَّ خِدْمته ليست من أفعال البِرّ، فتركتُها وصرتُ أطلب المعيشة من المال الحلال، فلم أرَ لذلك وجهًا إلّا تعليم القُرآن للصبيان، فسألتُ أين يتأتَّى ذلك تأتِّيًا حَسَنًا، فذُكِر لي بلاد مِصْر. فقالوا له: ونحن سائرون إلى مِصْر، وهي طريقُنا فكُنْ في صُحْبتنا إليها، ورغبوا منه في ذلك. فصحبهم في الطريق. فكان يُحَدِّثهم، ويميل بهم إلى مذهبه، ويلقي إليهم الشيْء بعد الشيْء، إلى أن أُشربت قلوبُهم محبتَه، فرغبوا منه أن يسير[1] إلى بلادهم ليعلِّم صبيانهم، فاعتذرَ لهم ببعد الشقَّة، وقال: إن وجدتُّ بمصر[2] حاجتي، أقَمْتُ بها، وإلّا فرُبَّما أصْحَبُكم إلى القَيْرَوان. فلما وصلوا مِصْر، غابَ عنهم فيها[3] كأنَّه يطلب بغْيتَه. ثمّ اجتمعوا به وسألوه، فقال لهم: لم أجِدْ بهذه البلاد ما أُريد. فَرَغَّبُوه أن يصحبَهُم، فأنعم لهم بذلك. فكانوا في صُحبته إلى أن وصلوا القَيْرَوانَ، فراودُوه على أن يصل معهم إلى بلادهم، وضَمِنوا له ما أرادَ من تعليم الصِّبْيان. فقال لهم: لا بدَّ لي من المقام بالقَيْرَوان، حتّى أطْلُبَ فيها حاجتي، فإن اتَّفق لي فيها غَرَضِي[4]، وإلّا نهضتُ إليكم. وكان شيخُهم أحْرَصَهم عليه وأكْرَمَهم له، فوصفَ له منزله وموضعَهُ من قبيلة كُتامة، فأقامَ بالقَيْرَوان يتعرَّف أخبارَ القبائل حتّى صحَّ عنده أن ليس في قبائل إفريقية أكثرُ عددًا، ولا أشَدُّ شوكةً، ولا أصْعَبُ مَرَامًا على السُّلطان، من كُتامة.

---

(١) في ر١: «يصير معهم».

(٢) «بمصر» ليست في ر١.

(٣) ليست في أ، م.

(٤) في ر١: «فإن وجدتها» بدلًا من: «فإن اتفق لي فيها غرضي».

فلما تقرَّر ذلك عنده، نهض نحو صاحبه الشيخ الكتاميّ، فاشترى بَغْلةً شَهْباء، ودخلَ الطريق مع الرِّفْقة حتى قرب من موضع الشيخ صاحبه، فعدل عن الطريق إليه، ومرَّ في الطريق بأنْدرٍ[1]، والبقَر فيه تَدْرسُ الزَّرْع، ورجلٌ كَهْلٌ من أهل كُتامة[2] جالسٌ فيه مع ابنه، فقرب منهما، وسَلَّم عليهما. فقاما إليه، ورحَّبا به، ورغبا منه في النزول عندهما، فأجابهما إلى ذلك، فأنزلوه وأكرموه. فقال الداعي للرجل: ما اسم ولدك هذا؟ قال: تَـمَّام. قال: وما اسمُك أنت[3]؟ قال: مُعارِك. فقال في نفسه: تمّ أمْرُنا إن شاء الله[4]، لكن بعد مَعَارِك. ثمّ أرادَ الداعي الانصراف، فصرفوه مع امرأة تَدُلُّه على الطريق، لأنَّ الحرب كانت بينهم وبين بني عمِّهم. فسارَ حتى نزل في منزل من منازل كُتامة. فأتى المسجد، وفيه مُعَلِّمٌ يُعَلِّمُ الصبيان. فقام إليه المعلِّمُ، وسَلَّم عليه، وهو راكبٌ على بغلته الشهباء، فجعل المعلِّمُ يُطيل النظر إليه، فاستراب لذلك أبو عبد الله، ونزل عن الدابَّة، ودخل المسجد. ثمّ دعا الـمُعلِّمَ، فقال له: لقد رأيتك تنظر إلي كثيرًا وإلى البَغْلة. فقال له: ذلك لسَبَبٍ أنا أقولُه لك، وذلك أنَّه كان فيما تقدَّم رجلٌ من كُتامة كاهِنٌ، يُقال له: فَيْلَق، وكان، إذ رأى تفاتُنَهم، يقول لهم: إنَّما تَـرَون الحرب إذا جاءكم الرجلُ الشرقيُّ صاحبُ البغلة الشَّهْباء. فلما رأيتُك، تذكَّرتُ قولَه. فلما وَقَر ذلك في سمعه، استبشر. وكان ذلك والذي قبله من الفأل[5] تقويةً له على أمره[6]، وزيادةَ إقدام، لولا هو، لم يقدر أن يتجاسر على شيء منه، فسبحان مُسَبِّب الأسباب!

فسار أبو عبد الله الداعي حتّى وافى[7] منزلَ الشيخ صاحبه الكُتاميّ، فقصدَ إلى المسجد، ونزل به، وفيه مُعَلِّمٌ يعلِّم الصبيان، وعنده أبناء الشيخ صاحبه. فلما

---

(١) الأندر: البيدر.

(٢) في أ: «وكهل من كتامة»، وما هنا من ر١.

(٣) في ر١: «وأنت»، بدلًا من «وما اسمك أنت».

(٤) «إن شاء الله» ليس في ر١، ولعله الأصوب من غيرها، فالقائل دَجّال أشر.

(٥) في ر١: «وكان ذلك والقائل الذي قبله تقوية».

(٦) بعد هذا في ر١ إلى آخر الفقرة: «ليقضي الله أمرًا كان مفعولًا».

(٧) في ر١: «ثم سار حتى وافى».

حانَ وقت الظُّهر، أذَّن الـمُعَلِّم، فسمعَ الشيخُ الأذان، فخرجَ إلى المسجد، فرأى أبا عبد الله، فسلَّم عليه، وعانقه. فلما أراد الـمُعَلِّم الدخول للمحراب، أخَّره عنه الشيخ، وقدَّم أبا عبد الله[١] الداعي. فلما انقضت الصلاة، قامَ معه إلى منزله، وبالغَ في إكرامه، وتحدَّث معه إلى أن حانت صلاة العَصْر، فخرجَ معه للصلاة. فاستراب مُعلِّم الصبيان بذلك، فترك ذلك المسجد والتعليم فيه، وانصرفَ. وصارَ أبو عبد الله في ذلك المسجد يُصلِّي ويُعلِّم الصبيان. واجتهد في تعليم الأولاد، فجمعوا له أربعين دينارًا، وزادَ عليها الشيخ، وأتى بها إلى أبي عبد الله، فدفعها له، واعتذر له من ذلك. فتركها أبو عبد الله أمامه، وردَّ يده إلى كيسٍ كان معه، وصَبَّ منه خمس مئة دينار أمام الشيخ، وقال له: لستُ بمُعَلِّم الصبيان، إنّما الأمر ما أُخبرك به، فاسمع، إنّما نحن أنصارُ أهلِ البَيْت، وقد جاءت الرواية فيكم يا أهل كُتامةَ إنّكم أنصارُنا، والمقيمون لدولتنا، وإنّ الله يُظْهِر بكم دينَه، ويُعِزُّ بكم أهلَ البيت، وإنّه سيكون إمامٌ منهم أنتم أنصارُه، والباذِلون مُهْجَتَهم دُونَه، وإنّ الله يستفتح بكم الدنيا كلَّها، ويكون لكم أجْرُكم مُضاعَفًا، فيجتمع لكم خيرُ الدنيا والآخِرة. فقال له الشيخ: أنا أرْغَبُ فيما رغبتَني فيه، وأبْذُلُ فيه مُهْجَتي ومالي، أنا ومَن اتَّبعني، وأنا أطْوَع إليك من يدك: فمُرْ بما شِئْتَ، أمْتَثِلْه. فقال له: ادْعُ الخاصّةَ من بني عمِّك، الأقْرب فالأقْرب. فقال: نعم. فنظر الشيخ فيما قالَهُ، وبثَّ دعوته في أقاربه ومَن يختصُّ به.

وجاء شهر رمضان، فقال أبو عبد الله للشيخ: إنّ رمضان قد جاء، ومَذْهَبُنا أنّه لا تُصَلَّى التَّراويحُ، لأنّها ليسَتْ من سُنّة النبيّ ﷺ، وإنّما سَنَّها عُمَر[٢]، ونحن نُطَوِّل القراءة في صلاة العشاء الآخرة، ونقرأُ بالسُّوَر الطِّوال، فيكون ذلك عِوَضًا عن التَّراويح. فقال له الشيخ: أنا طائعٌ لك. فأفعلُ ما تُريده، فقطعَ التراويح[٣]. وبلغ خبرُ هذه الصلاة ولُـمَعٌ من أخبار هذا الداعي إلى بعض من اتَّصل بمنزل الشيخ وبأخيه. فسارَ أخو الشيخ إليه، وقال له: ما لكَ ولهذا الـمَشْرقيّ الذي أفسدَ دينَكَ،

---

(١) «أبا عبد الله» ليست في ر١.

(٢) بعد هذا في م: «رضي الله عنه»، ومثل هذا الشيعي الحاقد لا يترضى عن سيدنا عمر.

(٣) «فقطع التراويح» سقطت من أ، م.

وغَيَّر مذهبك؟ فلما فرغَ من كلامه، قال له الشيخُ: أنا أدعوك للأمر الذي دخلتُ فيه، فإمَّا أن تتقلَّد ما تقلَّدتُّه، وإمّا أن لا تلقاني بِذَمِّ مَنْ قد بَلَوْتُ خَيْرَه وفَضْلَه ودينَه[1]. فانصرفَ عنه أخوه مُغْضَبًا. وانفردَ الشيخ مع سائر الجماعة[2]، فوصفَ لهم أبا عبد الله بكلّ فضيلةٍ، حتّى تمكّنت محبّتُه في قلوبهم، وقد تقرَّر تعظيمه في نفوسهم، ثمّ أخرجه إليهم، وقال له: كَلِّمْهم يا أبا عبد الله. فكَلَّمهم بلسانه، وقال لهم: أنتم أنصارُ أهل البيت وشيعتُه، حتّى خلبَ عُقولَـهم بحلاوة لفظه[3]، فلم يبرحوا حتّى دخلوا في دعوته.

ثمّ إنّ أخا الشيخ توجَّه إليه، يفخُرُ عليه بُمعلِّم أولاده، ويدَّعي أنّه أَعْلَمُ من أبي عبد الله، ويطلب مُناظَرَتَها، فتواعدوا لذلك. ولـمّا حانَ الوعدُ، جاء أخو الشيخ بُمعَلِّمه وأبنائه، وبلغ أخاه مَـجِيئُه، فأتى بجماعة من بني عمِّه مـمَّن دخل في مذهبه، وقال لهم: إذا نحن اجتمعنا، اضْرِبوا أنتم على قَيْطُون أخي كأنَّكم من أعدائه، وأمر جماعةً أُخرى، فكمنت له في طريقه، فبينما أخو الشيخ مع مُعَلِّمه وأولاده، إذ صَرَخت صارخةٌ من نحو قَيْطونه، فأسرعَ يركض إلى ناحيته، فخرج عليه الكمين، فخبطوه بأسيافهم، وتركوه عَقِيرًا. وبلغ الشيخ خبر قتل أخيه. فبادر كأنَّه لا علمَ عنده من ذلك، وجاءه بنو عمِّه يُعَزُّونه في أخيه، فذُبِحت البَقَرُ، وصنَع طعامًا لبني عمِّه ونَعَى لهم أخاه، واحتال على قوم من بني عمِّه، وأخذَ عليهم العهود والمواثيق بطاعة الداعي، فاجتمعَ له منهم خلقٌ كثير.

وأقامَ هذا الشيخ في حربٍ مع قومه وبني عمِّه مدَّةً من سبعة أعوام، إلى أن وافاه أجَلُه. فلمّا حضرَتْه الوفاة، جمعَ بني عمِّه وقَرابته، وقال لهم: أُوصِيكم بهذا الرجل ألّا تختلفوا عليه، وأوصى أبا عبد الله على أولاده، وقضى نحبه. فالتزمت كُتامة الطاعة لأبي عبد الله[4]، ودخلت قبائل كثيرةٌ في دعوته. فصيَّر لهم ديوانًا، وألْزمهم العَسْكَرِيَّة،

---

(1) «ودينه» ليست في ر١.

(2) في ر١: «أصحاب أخيه».

(3) قوله: «حتى خلب عقولهم بحلاوة لفظه» ليس في ر١.

(4) قوله: «وقضى نحبه، فالتزمت كتامة الطاعة لأبي عبد الله» ليس في ر١.

وقال لهم: أنا لا أدعوكم لنفسي، وإنّما أدعوكم لطاعة الإمام المعصوم من أهل البيت، الذي صِفَتُه كذا وكذا. ووصفَ لهم من كراماته ما تُنْكِره العقولُ، فكانت تَصِحُّ عندهم، ويقول لهم: هو صاحبُ هذا الأمر، وأنا مُتَصَرِّفٌ بين يديه إذا ظَهَر. يعني عُبَيْد الله، ولم يكن رآه قط، وإنّما يسمع أخباره من شيوخ[1] الشيعة، وكان يعتقد ذلك اعتقادًا صحيحًا، لا مِرْيَةَ فيه، إلى أن صفا له أمرُ البربر، فنازل الحواضِرَ وهزم مَلِكَ إفريقية، وانتزعها من يديه.

وفي سنة إحدى وثمانين ومئتين: أمر إبراهيم بن الأغْلَب صاحبُ إفريقية مَيْمونًا الـحَبَشِيَّ أن يسير إلى تونُسَ، فيقتل بها جماعةً من بني تَـمِيم وغيرهم، فقُتلوا وصُلبوا على بابها. فوفد أكابرُ أهل تونُس مع مَيْمون الـحَبَشِيّ، فكسا السُّلطان ميمونًا الخزَّ والوشي والديباج، وطوَّقه بالذَّهَب، وحَـمَله على فرس، وصَرَفه إلى تونُس من غده.

وفيها: خرج السلطان إبراهيم بن الأغْلَب إلى تونُس، لثمان خَلَون من رَجَب، فاستوطنها.

وفي سنة اثنتين وثمانين ومئتين: انعقد الصُّلْحُ بين أهل صِقِلّيَّة والروم لأربعين شهرًا، على إخراج ألف أسير من المسلمين، وعلى أن تكون عندهم رَهائن الإسلام في كلّ ثلاثة أشْهر ثلاثة من العرب وثلاثة من البربر.

وفيها: قَدَّمَ إبراهيم بن الأغْلَب بنيه على بلاد إفريقية.

وفي سنة ثلاث وثمانين ومئتين: رجع إبراهيم بن أحمد من تونُس إلى رَقَّادة، وخرج أبو منصور أحمد بن إبراهيم إلى أطْرابُلُس، وخرج أبو بَحْر بن أدْهَم إلى مِصْر.

وفيها: كانت وقعة نُفُوسة، وذلك أنّ إبراهيم بن أحمد اعترضَتْه نُفُوسة بين قابِس وأطْرابُلُس، ومنعَتْه الجواز، وكانوا في زهاء عشرين ألف رجل، لا فارسَ معهم، فناصبهم الحربَ، وقاتلوهم قتالًا شديدًا حتى هزموهم وقتلوا أكثرهم. ثم تَـمادى إلى مدينة أطْرابُلُس، فقتلوا بها أبا العبَّاس محمد بن زيادة الله بن الأغْلَب[2]، وكان

---

(١) في ر١: «ملوك».

(٢) تنظر الحلة السيراء لابن الأبار ١/ ١٧٩.

أديبًا ظريفًا، له تواليف، وسببُ قتله أنّ الـمُعْتَضِد بالله العبَّاسيَّ كتب إلى إبراهيم بن أحمد يُعَنِّفُه على جَوْره وسوء فعله بأهل تونُس، ويقول له: إن انتهَيْت عن أخلاقِك هذه، وإلّا، فسَلِّم العَمَلَ الذي بيدك لابن عمّك محمد بن زيادة الله[1]. ثمّ نهض من أطرابُلُس إلى تاوَرْغا: فقتلَ بها خمسة عَشَر رجلًا، وأمر بطَبْخ رُؤوسِهم، مُظْهِرًا أنّه يُريد أكلها، هو ومَن معه[2] من رجاله، فارتاع أهلُ العسكر منه، وقالوا: قد خُولِطَ. فانفَضَّ الناسُ عنه، فلما رأى ذلك، خَشِيَ أن يبقى وحده. فرجعَ إلى تونُس، فجعلَ عقوبة من انفضَّ عنه غُرْمَ ثلاثين دينارًا، فسمي غُرْمَ الهاربين.

وفي سنة أربع وثمانين ومئتين: كانت وقعةٌ بنُفُوسة لأبي العبَّاس بن إبراهيم، فقتل منهم مقتلةً عظيمةً، وأسر منهم نحو ثلاث مئة. فلما وصل بهم إلى والده إبراهيم بن أحمد، دعا بهم. فقُرِّبَ إليه شيخٌ منهم، فقال له إبراهيم: أتعرف عليَّ بن أبي طالب؟ فقال له: لعنك الله يا إبراهيم على ظُلْمك وقتلك، فذبحه إبراهيم، وشَقَّ عن قَلْبه، وأخرجَهُ بيده، وأمرَ أن يُفْعَلَ ببقيَّة الأُسارى كذلك، حتّى أُتي على آخرهم. ونُظِمَتْ قلوبُهم في حِبال، ونُصِبَتْ على باب تونُس.

قصَّة ابن الأغْلَب مع الشيخ الصالح أبي الأحْوَص[3]

وذلك أنّ أبا الأحْوَص أحمد بن عبد الله المكفوف المتعبِّد، من أهل سُوسة، كان زاهدًا وَرِعًا[4]. فلمّا أكثر إبراهيم بن أحمد الـجَوْر والقتل، دعا برجل من أهل سُوسة، وأملَى عليه رسالة إلى إبراهيم، كان في فَصْل منها: «يا فاسِق، يا جائر، يا خائن، قد حِدتَّ عن شرائع الإسلام، وعن قريبٍ تُعاين مَقْعَدَك من جهنَّم، وسَتَرِد فتَعْلَم». وبعث به إليه، فلما قرأه، غَضِبَ وبعث إلى أبي الأحوص من قال له: عَذَرْناك لفضلك

---

(١) الحلة السيراء ١/ ١٨٠ نقلًا من تاريخ الرقيق.

(٢) في م: «ومعه».

(٣) جاء العنوان في ر١ كما يأتي: «قصة إبراهيم بن أحمد مع الشيخ الصالح أحمد بن عبد الله بن الأحوص»، وترجمة أبي الأحوص هذا في ترتيب المدارك ٤/ ٣٩٠.

(٤) العبارة في ر١: «وذلك أن أبا الأحوص كان متعبدًا زاهدًا من أهل سوسة».

ودينك، ولكنِ ابعثْ إليَّ الذي كتبَ الكتاب، وبالله لَئِن لم تفعل، لأقْتُلَنّ فيه من أهل سُوسة كذا وكذا، ويكون إثمُ ذلك في عُنُقك. فقال أبو الأحوص للرسول: قُلْ له: لَئن قتلتَ ألفًا، لا يكون إثْمُهم إلّا عليك، ولو عَمِلْتَ ما عَمِلْتَ، ما أعلمتُك بالرجل، فتُبْ إلى خالِقك، وارجع عن جورك. فأمسكه الله عنه ومات أبو الأحْوَص في هذه السنة.

وفي سنة خمس وثمانين ومئتين: كانت فتنةٌ بصِقِلّيَّة، بين عَرَبها وبَرْبَرها، وفي خلال ذلك، وردت كُتُب ابن الأغْلَب يدعوهم إلى الرجوع للطاعة، ويؤمِّنُهم أجمعين، حاشَى أبا الحسن بن يزيد وولدَيْه والـحَضْرَميَّ، فتقبَّض عليهم، وبعثَ بهم إلى إبراهيم بن أحمد. فأمّا أبو الحسن، فإنّه تناول سُمًّا، فمات من ساعته، وصُلبت جُثّتُه: وقُتل وَلَداه، وجعل إبراهيم من يُضاحِك الـحَضْرَميَّ ويُهازِلُه، فقال له: ليس هذا وَقْتَ هَزْل، وأمر به، فقُتل بالـمَقارِع بين يديه.

وفي سنة ست وثمانين ومئتين: سخطَ إبراهيم بن الأغْلَب على جماعة من فتيانه وقتلهم.

وفيها: كانت وقعةٌ بين أبي العبَّاس بن إبراهيم بن أحمد بن الأغْلَب وبين بني بَلْطِيط ببَسْكِرة[1]، ففرَّق جموعَهُم، وقتلَ عددًا كثيرًا منهم، وأصلحَ ما كان التاث هناك.

وفي سنة سبع وثمانين ومئتين: كانت بِصقِلّيَّة مَلْحَمةٌ كبيرةٌ؛ وذلك أنّ أبا العبَّاس عبد الله بن إبراهيم بن أحمد[2] أخرجهُ أبوه بالأُسطول مُصْلِحًا لها، فأسرعَ إلى بَلَرْم يُؤمِّن أهْلَها. فأتاهُ قاضيها في جماعةٍ من أهلها، فحبسَهُم عند نفسه وصرفَ القاضي. ثمّ وجَّه إليهم ثمانية مشايخ من أهل إفريقية، فحبسوهم مكافأةً لفعله في مشايخهم. ثمّ زحفوا إليه وحاربوه، فانهزموا، وقُتل منهم عددٌ كثيرٌ، ودُقَّت لهم سُفُنٌ، وتمادت هزيمتهم إلى بَلَرْم. ثمّ زحف إليهم، فحاربَهُم على باب بَلَرْم، وقتلَ منهم عددًا كثيرًا، وطلبوه بالأمان، فأمَّنهم. ودخلها لعشر بقين من رمضان من السنة[3].

---

(١) ينظر عنها معجم البلدان ١/ ٤٢٢.

(٢) تنظر الحلة السيراء ١/ ١٧٤.

(٣) ذكر ذلك ابن الأثير في الكامل ٧/ ٥٠٥-٥٠٧ بتفصيل أكثر.

وفي سنة ثمان وثمانين ومئتين: أخرج إبراهيم بن أحمد ولده أبا عبد الله في جيش كثير إلى الزاب.

وفيها: أغزى أبو العبَّاس صاحبُ صِقِلّيَّة، فدخل مدينة زلَّة[1] عَنْوةً، وغنم فيها غنائمَ[2] كثيرةً، واستأمنت له حصونٌ، وأعطوه الجزيةَ.

وفي سنة تسع وثمانين ومئتين: أظهرَ صاحبُ إفريقية إبراهيم بن أحمد التوبة لـمّا استقام أمرُ أبي عبد الله الداعي بكُتامة، فأرادَ إبراهيم بن أحمد أن يُرْضِيَ العامَّة، ويستميلَ قلوبَ الخاصَّة بفعله، فردَّ الـمَظالِـم، وأسقطَ القَبالات، وأخذ العُشْرَ طعامًا، وتركَ لأهل الضِّياع خَراجَ سَنَةٍ، وسَمَّاها سنة العَدْل، وأعتقَ مماليكه، وأعطَى فُقهاء القَيْرَوان ووجوهَ أهلها أموالًا عظيمةً ليُفَرِّقوها في الضُّعفاء والمساكين، فاسْتُؤكِلَتْ وأُعْطِيَتْ من لا يستحقُّها، وأُنْفِقَتْ في اللَّذَّات، وصُرِفَتْ في الشَّهَوات. وقدِم ولدُه أبو العبَّاس من صِقِلّيَّة مُسْتَدْعًى، فأسلم إليه أبوه الـمُلْكَ، فولَّى أبو العبَّاس على الكُوَر من أحبَّ.

ومن أخبار إبراهيم بن أحمد على الـجُمْلة ووَفاته

كان مولدُه يوم الأضحى سنة سبعٍ وثلاثين ومئتين[3]، وتوفِّي يوم الاثنين لثلاث عشْرةَ ليلة بقيت من ذي القعدة من هذه السنة المؤرَّخة بأرض الروم، وسِيقَ مَيِّتًا إلى جزيرة صِقِلّيَّة، فدُفن بها بعد ثلاثة وأربعين يومًا من موته، وكان عُمُره اثنين وخمسين[4] سنة، ومدَّةُ ولايته ثماني وعشرين سنة وستَّة أشهر واثنَيْ عشَرَ يومًا. وأقام في أوَّل ولايته سبعة أعوام على ما كان أسلافُه من حُسْن السيرة وحَـمِيد الأفعال. ثمّ تغيَّرت أحواله، وأخذَ في جمع الأموال. ثم صارَ في كلّ سنة يزداد تغيُّرًا وسوء حالٍ. ثمّ اشتدَّ نكره[5]؛

---

(١) هكذا في النسختين، وغيّرها ناشر (م) إلى «ريُّه».

(٢) ليست في ر١.

(٣) في أ: «ثلاثين ومئتين» ولا يستقيم ذلك مع عمره الذي سيذكره بعد قليل.

(٤) في أ: «وأربعين»، وهو خطأ بيّن.

(٥) في م: «نكاده»، وهو تحريف.

فأخذ في قتلِ أصحابه وحُجَّابه، حتى أنَّه قتل ابنه الـمَكْنِيَّ بأبي الأغْلَب، وقتل بناته، وأتى بأُمور لم يأتِ بها أحدٌ غيره. وكان كثير الـمَلَلِ، شديدَ الـحَسَد. وكانت له في بدء أمره سيرةٌ حَسَنةٌ، وأفعالٌ محمودةٌ، ثمّ غلب عليه خِلْطٌ سَوْداويٌّ، فتغيَّر، وساءت أخلاقُه كما ذكرنا. فقيل: إنّه افتقد منديلًا صغيرًا، كان يمسح به فمه، وكان سقط من يد بعض جواريه، فأصابه خادمٌ له، فقتلَ بسببه ثلاث مئة خادم. وكان سببَ قتله لولده ظنٌّ منه به، فضُربت[1] رقبتُه بين يديه صَبْرًا. وقتل إخْوَتَه ثمانيةً: ضُربت أعناقُهم بين يديه. وكانت أُمُّه، إذا وُلِدَت له ابنةٌ، أخْفَتْها ورَبَّتْها، لئلا يقتلها، حتّى اجتمع عندها منهنَّ ستَّ عشْرةَ جارية، كأنَّهُنَّ البدور، فقالت له يومًا، وقد رأت منه رِقَّةً: يا سيّدي، قد ربَّيْتُ لك وصائف ملاحًا، وأُحِبُّ أن تراهنَّ. قال: نعم. فلما رآهُنَّ، قالت له: هذي بنتُك من فُلانة، وهذه بنتُك من فُلانة، حتّى عدَّتْهُنَّ. فلمّا خرجَ من عند أُمّه، قال لخادم له أسْوَد: امْضِ إليهنَّ وجئْني برؤوسهنَّ! فوقف الغلام استعظامًا لذلك، فقال له: امْضِ وإلّا قدَّمْتُك قبلَهنَّ، فلما دخل على أُمِّه، كَبُر ذلك عليها، وعَظُم في قلبها، وقالت له: راجِعْه، فقال لها: لا سبيل إلى ذلك، فقتلهنَّ وأخذ رؤُوسهنَّ، وجاء بها إليه معلّقةً بشعورهنَّ، فطرحها بين يديه، قبَّحه الله. وأدخل كثيرًا من فتيانه الحمّام وأغلقَ عليهم بابَ البيت السُّخْن، فماتوا فيه جميعًا. وأخبارُه كثيرةٌ في هذا المعنى، ذكرها الرَّقيق وغيرُه.

وفي سنة تسع وثمانين ومئتين المذكورة: استرجعَ أبو العبَّاس بن إبراهيم بن أحمد المال الذي أخرجَهُ أبوهُ إلى الفقهاء ووجوهِ الناس ليُفَرِّقوه في المساكين، فرجع مُعْظَمُه، وقال لمشايخ إفريقية: اغتنمتُم الفُرصةَ في المال لـمَرَضِ الأمير[2] أبي، ومَغِيبي عنه.

وفيها: شَخَصَ أبو عبد الله الأحْوَلُ بن أبي العبَّاس إلى مدينة طُبْنة إلى محاربة الشيعيّ[3].

---

(١) في ر١: «ثم ضربت».

(٢) في ر١: «السلطان».

(٣) الكامل لابن الأثير ٧/ ٥٢٠.

وفيها: تساقطت النجوم لثمان بقين من ذي القَعْدة، فسُمِّيتِ السنةُ سنةَ النجوم، فلهذه السنة ثلاثة أسماء: سنة العَدْل، وسنة الجَوْر، سمَّاها العامَّة بذلك، وسنة النُّجوم.

وفي سنة تسعين ومئتين: كتب أبو العبَّاس بن إبراهيم إلى العُمَّال ليأخذوا له البيعة، لأنّ أباه فوَّض إليه، وتخلَّى له عن المُلك، واشتغل بالعبادة، وذلك قبل أن يبلغه وفاة أبيه.

ولاية أبي العبَّاس بن إبراهيم بن أحمد وسيرتُه

وذلك أنّه أظهر التقشُّفَ، والجلوسَ على الأرض، وإنصافَ المظلوم، وجالَسَ أهْلَ العلم وشاوَرَهم. وكان لا يركب إلّا إلى الجامع، فقال قومٌ: إنّ أهل النجوم أمروه بذلك، وقال قومٌ: به وَسْوَسةٌ، وكتبَ إلى ابنه زيادة الله[1]، يستحثُّه في القدوم عليه من صِقِلّيَّة، لأنَّه وُشِيَ به إليه أنّه يُريد الانتزاء عليه. فقَدِمَ زيادةُ الله على أبيه لعشرٍ بقينَ من جُمادى الآخرة، فقبض أبو العباس ما كان معه من الأموال والعُدَّة، وحبس زيادةَ الله في بيتٍ داخلَ داره، وحبسَ ناسًا من أصحابه.

مقتل أبي العبَّاس بن إبراهيم بن أحمد

قُتل يوم الأربعاء، ليوم بقي من شعبان، فكانت ولايتُه بعد أبيه تسعةَ أشهر وأحد عشر يومًا، ومن يوم أفضى إليه أبوه الأمر سنةٌ واثنان وخمسون يومًا. وكان قتلُه على ما أصِفُه: وذلك أنّه خرج من الحمّام إلى دارٍ خاليةٍ، واستلقى على سرير خَيْزُران، ووضعَ تحت رأسه سَيْفًا، ونامَ بعد أن أخرج كلَّ مَن كان في الدار غير فتَيَيْنِ كان يثِقُ بهما، فلما نامَ، تآمرا على قتله وقالا: هذه فرصة في تقديم اليد عند زيادة الله، فنُطْلِقه من أسره، ونستريح من أبيه. ويَلِي مكانَه، ونفوز بالحُظوة عنده. فتقدَّم أحدهما، فاستل السيف الذي كان تحت[2] رأسه، وضربَهُ به ضربةً قطعَ عنقه ولحيته، حتّى نفذ إلى السَّرير. ومضى الفَتَى الآخر إلى ناحيةٍ من الدار، فارتقى الحائط،

---

(١) تنظر الحلة السيراء ١/ ١٧٥.

(٢) في ر١: «عند».

ونفذَ إلى زيادة الله، وأعلمه أنّ أباه قُتِـل، فظنَّ أنّها مكيـدةٌ عليه، فقال له: إن كنتَ صادقًا، فأرِني الرأس، فانصرف مُسْرِعًا، ورمى إليه بالرأس، فعند ذلك صدَّقه[1].

ولاية زيادة الله بن أبي العبَّاس عبد الله ابن إبراهيم بن أحمد بن الأغْلَب

وذلك أنّ زيادة الله، لما صحَّ عنده قتلُ أبيه، ورأى الرأس[2] بين يديه، كسرَ قيودَهُ، وبادَرَ خوفًا أن يَشْعُرَ بالأمر أحدٌ من أعمامه، فيبدده[3]. فلما صار زيادة الله في الدار، أرسلَ في عبد الله ابن الصائغ وفي أبي مُسْلِم منصور بن إسماعيل، وهما ممَّن كان سُجِن معه تهمةً، وفي عبد الله بن أبي طالب، فلما دخلوا عليه، قال لهم: انظروا لي ولأنفسكم. فقالوا له[4]: أرْسِلْ في أعمامك على لسان أبيك، وفي وجوه الرجال والقُوَّاد. فأرسل فيهم، ودفع إليهم الصِّلات، وأخذ عليهم البيعة[5]، وأمر أن يُنادَى بتونُس: من كان هاهُنا من الـجُند، فلْيُوَافِ باب الأمير. فركبوا بأسلحتهم، فأمر بإدخالهم واحدًا واحدًا: يدخل الرجلُ، فيبايع، ويُعْطَى خمسين مثقالًا. ففعل ذلك بالوجوه. وكُتب ذلك اليومَ كتاب بيعته، فقُرِئ بتونُس على مِنْبَر جامعها، وأُخِذَتْ له البيعة على العامَّة بها. وكتب إلى العُـمّال بأن يأخـذوا له البيعة على من قِبَلهم. فلما قرب العشاء، نُودِيَ في الجند: أصبحوا لأخذ عطياتكم. وأمر عمومه بالانصراف عنه إلى الليل، ثمّ أكبلهم أجمعين، وأدخلهم في شيطي[6] ووكَّل بهم ثِقاتَه، وأمرَهُم أن يمضوا بهم إلى جزيرة الكُرَّاث، وهي على اثني عشر ميلًا من مدينة تونُس، فضُربت هناك رقابُهم

(١) «فعند ذلك صدقة» ليست في ر١، والخبر في الحلة السيراء باختلاف لفظي يسير ١/ ١٧٥.

(٢) في ر١ بدلًا من العبارة المتقدمة: «لما رأى زيادة الله الرأس».

(٣) في ر١: «فيسبقه» وهي بمعنى.

(٤) ليس في ر١.

(٥) في ر١: «وأخذ بيعتهم».

(٦) هكذا في النسختين، وغيّرها ناشر (م) إلى «شيني» من كيسه، وشيطي وشيطية وجمعها شياطي: سفينة صغيرة ذات شراعين، وهي تصحيف للكلمة اللاتينية Sagitta وفي الإيطالية: Saettia (وينظر معجم دوزي ٦/ ٣٠٦ من الترجمة العربية).

ليلةَ السبت لثلاث خَلَون لرمضان، وأصبحَ الجندُ والموالي من غَد ذلك اليوم لأخذ الصِّلات. فلما مضى صَدْرٌ من النهار، قيل لهم: انصرفوا فإنّه يوم شُغْلٍ. ثمّ أتوا من الغد، فدُفِعوا. فلم يزالوا يتردَّدون إلى أن بردت قلوبهم وملُّوا الاختلاف[1].

ولما كمل الأمرُ لزيادة الله، دعا بالفَـتَـيَيْنِ اللذَيْن قتلا أباه، فأمرَ بهما، فقُطِعت أيديهما وأرجلهما، وصُلِبا على باب القَيْرَوان وباب الجزيرة من أبواب تونُس. وقَتل أيضًا زيادةَ الله عمَّه أبا الأغْلَب الزاهد الساكن بسُوسة، وقتل أخاه أبا عبد الله الأحْوَل، بعد أن استقدمه من طُبْنة[2].

وولَّى[3] زيادةُ الله الوزارةَ عبد الله ابن الصائغ، وولَّى قضاء القَيْرَوان حِـمَاس بن مروان بن سِمَاك الـهَمْدانيَّ[4]، وكان عالـمًا بمذهب مالِك، فعدلَ في أحكامه، ولم يكن[5] يهيب أحدًا في ولايته.

وفي هذه السنة: أُسِّسَتْ مدينة وَهْران[6]، على يدَيْ محمد بن أبي عَوْن بن عبدون وجماعةٍ من الأندلُسيّين.

وفي سنة إحدى وتسعين ومئتين: ولِـيَ محمد بن زيادة الله العهدَ، وأُخِذَت البيعة له بذلك. ووَلِـيَ عليُّ بن أبي الفوارس عمالة القَيْرَوان، ثمّ عُزِل عنها[7]، ووليها أحمد بن مَسْرور. ووَلِـيَ إبراهيم بن حَبَشيّ التَّميميّ قتال أبي عبد الله الشيعيّ. ووَلِـيَ الحسنُ بن أبي العيش بن إدريس بن محمد بن سُليمان بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه عمل جراوة لوفاة أبيه أبي العيش. وجمعَ زيادةُ الله

---

(١) في ر١: «يئسوا» بدلًا من «بردت قلوبهم وملوا الاختلاف».

(٢) نهاية الأرب للنويري ٢٤/ ٧٩.

(٣) من هنا خلط دوزي، ثم تبعه بروفنسال، كتاب عريب بن سعيد بالبيان الـمُغرب، ولم يكونا موفقين في ذلك، مما اقتضى تخليص النص مما أضيف إليه.

(٤) ينظر الديباج المذهب لابن فرحون ١/ ٣٤٢.

(٥) ليست في ر١.

(٦) معجم البلدان ٥/ ٣٨٥.

(٧) نهاية الأرب ٢٤/ ١٩٩.

فقهاء إفريقية إلى مدينة تونُس، مستظهرًا بهم على أبي عبد الله الشيعي، فتفاوضوا في أمره، وقال لهم الوزير ابن الصائغ: إنّ الأمير يقول لكم: هذا الصَّنْعانيُّ الخارج علينا مع كُتامه يلعن أبا بكر وعُمر رضي الله عنهما ولُعِنَ من يلعنهما، ويزعم أنّ أصحاب النبيّ ﷺ ارتدُّوا بعده ـ لعن الله مَن استنفقهم ـ ويُسمِّي أصحابه: المؤمنين، ومن يخالفه في مذهبه: الكافرين، وأرسلَ زيادةُ الله[1] هديَّةً للعبَّاسيّ، فيها عشرة آلاف مثقال، في كلّ مثقال منها عشرة مثاقيل، وكتب في كلّ مثقال[2] هذَيْن البيتَيْن[3] [من الكامل]:

يا سائرًا نَحْوَ الخليفة قُلْ لـه	أنْ قـد كَفـاكَ اللهُ أمْـرَك كلَّـهُ
بزيادة الله بـن عبـد الله سَيْـ	ـف الله من دونِ الخليفـة سَـلَّهُ

وفي سنة اثنتين وتسعين ومئتين: كانت وقعة على عَسْكر السلطان، وذلك أنّ أبا عبد الله الدَّاعي، لما عَلِمَ بخروج العَسْكر إليه حَشَدَ كُتامة، وكان حَشْده بغير ديوان، إنّما يكتب إلى رؤساء القبائل، فيحشدون مَن إليهم، طاعةً له ورغبةً فيه. وكان لا يزيدهم في كتابه إليهم على أن يقول: إنّ الوعدَ يوم كذا في موضع كذا، ويَصْرُخ صارخٌ بين يديه: حرامٌ على من تخلَّف. فلا يتخلف أحدٌ من كُتامة، فاجتمعَ له منهم ما لا يُحصَى، فالتقَى مع إبراهيم بن حَبَشيّ أمير العسكر بكَيْنُونَة واقتتل الفريقان، فكانت بينهما ملحمةٌ عظيمة، تطاعنوا بالرِّماح حتّى تحطَّمت، وتجادلوا بالسيوف حتّى تقطَّعت، ثمّ انهزم إبراهيم، ووقعَ القَتْلُ في أصحابه، فانهزم وقُتل كثيرٌ منهم، ونجا باقيهم، واشتغلت كُتامة بالغنيمة والأموال والسِّلاح والسُّروج واللُّجُم وضروب الأمْتِعة. وهي أوَّلُ غنيمة أصابها الشيعيُّ وأصحابُه، فلبسوا أثواب الحرير، وتقلَّدوا السيوف المحلاة، وركبوا بسروج الفضَّة واللُّجُم المذهَّبة، فشرُفت أنفسُهم، وتحقَّقت آمالُـهم، وصحَّ عندهم ما كان الشيعيُّ يَعِدُهم به من النصر[4]، ووقع الوَهْيُ على

---

(١) «زيادة الله» ليس في ر١.

(٢) في ر١: «المثقال».

(٣) «هذين البيتين» ليس في ر١.

(٤) «من النصر» ليس في ر١.

أهل إفريقية، وداخلهم الجزعُ. وكتب أبو عبد الله الداعي إلى عُبَيْد الله الشيعيّ[1] وهو مَسْجونٌ بسِجِلْماسة يُعْلِمه بالفَتْح، ووجَّه إليه بمالٍ كثير، فأسرَّ عبيد الله ذلك ولم يُبْده إلا لمن وثقَ بكتمانِه عليه.

وفي سنة ثلاث وتسعين ومئتين: خرجَ زيادةُ الله إلى الأُرْبُس؛ وأعطَى بها الأموالَ جُزافًا بالصِّحاف، كيْلًا بلا وَزْن، لكلّ رجل صحفةٌ توضَعُ له في كِسائه دنانيرَ، ثمّ يخرج الرجل، فلا يُرى بعدها، فأنفق فيها أموالًا جَسِيمة، وبذل مجهودَهُ في الإحسان إلى الرجال. والشيعيُّ مع ذلك يزيد ظُهورًا[2].

وفي هذه السنة: تغلَّب أبو عبد الله الداعي على مدينة بَلَزْمة[3] وعلى طُبْنة، ودخلهما بالأمان في آخر ذي الحجَّة، وبها أبو المقارِع والي زيادة الله وعاملُه عليهما، فأتوه بما في أيديهم من الجباية، فقال لأحدهم: من أين جمعتَ هذا المال؟ فقال له: من العُشْر. فأنكرَ ذلك عليه وردَّهُ على أربابِه، وأعلمَ النَّاسَ أنَّهم أمناءُ على ما يُـخْرِجُ اللهُ من أرضِهم، وفعلَ هذا مع غيره، فسُرَّ بذلك أهل طُبْنة، وانتشرَ صيتُه في البلاد، فأحبه الناسُ وداخَلُوهُ، وبلغَ ذلك زيادةَ الله فاغتم غمًّا شديدًا وأمرَ بلعنة الشيعي على المنابر.

وفي سنة أربع وتسعين ومئتين: اشتغلَ زيادةُ الله بالاستهتارِ واللَّذاتِ والـمُتَع، وهَمَّ بالفِرارِ إلى مصرَ خوفًا من الداعي، ثم انثنَى عن ذلك وخَيْلُ الداعي تغيرُ من الأربُس على باغاية.

وفي سنة خَمْس وتسعين ومئتين: خرجَ زيادةُ الله إلى تُونس في شهر مُحرم ليحاول أمورهُ فيها.

وتُوفِّي أحمد بن موسى بن مُـخَلَّد، وكان زاهدًا وَرِعًا متعبدًا فاضلًا من أصحاب سُحْنون.

---

(١) ليس في أ.

(٢) قوله: «والشيعي مع ذلك يزيد ظهورًا» ليس في أ.

(٣) ينظر الروض المعطار ١٠٣.

وفي سنة ست وتسعين ومئتين: وصلت خَيْلُ الدَّاعي إلى قَسْطِيلية، وانهزمَ أبو مُسْلم مَنْصور بن إسماعيل إلى تُوْزَر، وانبسطت الـخَيْل وأفسدت ما مَرَّت به، فقامت قيامة زيادة الله لذلك، وأمر بقتل أبي مُسْلم وصَلْبه.

ونازلَ أبو عبد الله الدَّاعي الأربُس حتى أخذَها عَنْوةً ودخلها لستٍّ بقين من جُمادى الآخرة، فهربَ إبراهيمُ بن أبي الأغلب واليها في جماعةٍ. ولجأ أهل الأربُس ومَن كان اجتمع فيها من فُلَّالٍ إلى جامعها، فقتلَهُم الشيعي أجمعين، وقيل: إنه قتل ثلاثين ألف رجل من العصر إلى آخر الليل، فلما أصبحَ وقد فرغ من القتل والنَّهْب والسَّبي انصرفَ إلى باغاية.

هروب زيادة الله من رَقَّادة

وذلك أنَّه لما اتصل به ما كان بالأُربُس، عَلِمَ أنه خارج عن مُلكه، وجعلَ ابن الصائغ يُكذِّبه له، فلم ينفعه ذلك، وعَلِمَ الناسُ صحةَ الـخَبَر وماجوا فيها بينهم، وجعلت الخاصة وأهل الـخِدْمة[1] يفرُّون من رَقَّادة، فأخذَ زيادة الله[2] في شدِّ الأحمال بما خَفَّ من الـجَوْهر والمال. فلما كان وقت صلاة العَتَمة ليلة الاثنين لأربعٍ بقينَ من جُمادى الآخرة ركبَ فرسَهُ وتقلَّدَ سيفَهُ، وقَدَّم الأحمالَ تَـمُرُّ[3] بين يديه هاربًا ومعه وجوه رجاله وفتيانه وعَبِيدة[4] حتى لحقَ بمدينة أطرابُلُس. وكان عبد الله ابن الصائغ يتقلَّد جميعَ أموره. فواطأ خُزَّانَ الأموال[5] على اقتطاع ثلاثين حِمْلًا من المال في كل حِمْل ستة عشر ألف مثقال، فواعدهم[6] موضعًا يجتمعُ فيه معهم، فأخطأوه في الليل، وخرجوا إلى مدينةِ سُوسَة، فقبضَ عليها الـهَمْداني عاملها وخَزَنها بسُوسةَ حتى صارت إلى الشِّيعة.

---

(١) في ر١: «الخدم» بدلًا من «أهل الخدمة».

(٢) «زيادة الله» ليس في أ.

(٣) ليس في ر١.

(٤) في ر١: «مع ولده وخدمه ورجاله وفتيانه».

(٥) في ر١: «المال».

(٦) في ر١: «ووعدهم».

وأصبح الناس من ليلة خروج[1] زيادة الله إلى مدينة[2] رَقّادة، فانتهبوها وأخذوا من أموال بني الأغلب وآنية الذَّهَب والفضة ما لا يحيطُ به وَصْفٌ. وانتهى زيادة الله إلى مصر[3] فكانت ولايته بإفريقية[4] خمس سنين وأحد عشر شهرًا وأربعة أيام، وكانت إمارة[5] بني الأغلب بإفريقية مئة سنة وإحدى عشرة سنة وثلاثة أشهر[6].

ذكر دخول أبي عبد الله الشيعي مدينتي رَقّادة والقيروان وحاله بهما

لما بلغَهُ هروب السُّلطان أقبلَ إلى مدينة رَقَّادة في سبعةِ عساكر فيها ثلاث مئة ألف بين فارس وراجل، فوصلَ إليها يوم السَّبْت غرة رجب، فخرج إليه أهل القيروان وسلموا[7] عليه، وأظهروا الرغبة في دولته، وسألوه الأمانَ فأَمَّنَهُم، ووعدهم بالإحسان والعَدْل. ثم تَقَدَّم بإنزال عساكره حوالي مدينة رَقَّادة، فدخلَها وقارئٌ يقرأُ بين يديه: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ مِن دِيَـٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ﴾ [الحشر: ٢] إلى آخر الآية، ويقرأُ: ﴿كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الدخان: ٢٥] إلى آخر الآية. ونزلَ بالقَصْر المعروف بقَصْر الصَّحْن[8]، وبعث عَروبةَ بن يوسف إلى مدينة سُوسة، فأَمَّن أهلها، وأتاهُ بالثلاثين حِمْلًا من المال التي ثقف بها، وأَمَّن من أَلْفَى بالقَيْرَوان من بني الأَغْلَب[9] وقوَادهم الذين تخلَّفوا عن زيادة الله؛ وأمر بقتل السودان من موالي بني الأغلب.

---

(١) في ر١: «هروب».

(٢) في ر١: «قصر».

(٣) قوله: «وانتهى زيادة الله إلى مصر» ليس في أ.

(٤) «بإفريقية» ليست في أ.

(٥) في ر١: «دولة».

(٦) «ثلاثة أشهر» من ر١.

(٧) في ر١: «ولقوه مسلمين».

(٨) في ر١: «ثم نزل بقصر رقادة».

(٩) بعد هذا وإلى نهاية الفقرة ليس في ر١.

وبعثَ أبو عبد الله الشيعيُّ إلى أطرابُلُس، فأُتي منها بأخيه أبي العبَّاس الـمَخْطوم، وكان بها محبوسًا، وبأبي جعفر الـخَزَريّ وبأُمّ عُبَيْد الله الشيعيّ، وكانت هنالك مع الـخَزَري، فقدموا عليه. وكان أبو العبَّاس عَجُولًا، كثيرَ الكلام، ضعيفَ العقل، فأراد أن ينفي المالكية من القَيْرَوان فلم يُـجِبْه أخوه[1] إلى ذلك. ووَلَّى الشيعيُّ[2] على القَيْرَوان الـحَسَنَ بن أحمد بن أبي خِنْزير، وأمره بقَتْل مَن خرجَ ليلًا أو شَرِب مُسْكِرًا، وولَّى على مدينة القَصْر القديم خَلَف بن أحمد بن عليّ، أخا[3] ابن أبي خِنْزير، وأمره بمثل ذلك.

وأمر بأن يُزاد في الأذان «حَيَّ على خَيْر العَمَل»، وأسقط من أذان الفجر «الصلاةُ خَيْرٌ من النوم». وأمر بجمع ما انتهب من مدينة رقَّادة، وضمَّ عَبيد زيادةِ الله، ووقَّف جواريه، ووَلَّى النظر في ذلك أحمد بن فَرُّوخ الطُّبْنيَّ. ووَلَّى على السكَّة أبا بكر ابن القَمُّوديّ، ونقشَ فيها: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]. وكان نقشُ خاتم أبي عبد الله: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ﴾ [النمل: ٧٩] وفي الخاتم الذي تُطبع به السِّجِلَّات: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الأنعام: ١١٥]، ووسم[4] في أفخاذ الخيل: «الـمُلْكُ لله»، وكتب في بنوده: ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾ [القمر: ٤٥]. ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ [الإسراء: ٨١]. وأمر بالصلاة على عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه في الـخُطَب بإثر الصلاة على النبيّ ﷺ، وولَّى على قضاء مدينة القَيْرَوان محمد بن يحيى الـمَرْوَزيَّ، وأمر القاضي بإسقاط التراويح في رمضان.

فلما كان أوّل يوم من شهر رَمَضان وجدَ القاضي في موضعِ جُلُوسه من الجامع بحائط القِبْلة مكتوبًا ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ﴾ الآية [البقرة: ١١٤]، فأمرَ بمحوه، وانتقل عن الجلوس في ذلك الموضع. ووقفَ يومًا

---

(١) ليس في أ.

(٢) كذلك.

(٣) كذلك.

(٤) في ر١: «وكتب».

على القاضي المذكور رجلٌ مُـحَمَّقٌ، فقال والناسُ حوله: لقد تَلَطَّفتَ لنا، أصلحكَ اللهُ، في قطع قيام شهر رمضان، فلو احتلْتَ لنا في تَرْك صيامه لكفَيْتَنا مؤونتَهُ كُلَّها، فقال له الـمَرْوَزيُّ: اذهب عني يا مَلْعون، وأمر بدفعه.

وحمل[١] أبو عبد الله الشيعي الناسَ على التشيع، فلذلك سُمِّيت دعوتهم التشريق، لاتباعهم رجلًا من أهل[٢] المشرق.

ذكر توجُّه الداعي إلى سِجِلْماسة واجتماعه بعُبيد الله الشيعي بها

كان أبو عبد الله الدَّاعي[٣] يدعو إلى عُبيد الله الشيعي ويزعمُ أنه الإمامُ من آل عليٍّ، فلما كمُلَ له ما أرادَ من استيلائه على الـمُلْك استخلف على إفريقية أخاه أبا العباس، وأبا زاكي تَـمّام بن معارك الأجّانيَّ[٤]، ثم خرجَ من رَقّادة يوم الخميس لنصف رمضان في جموع كثيرة ومعه وجوهُ رجاله وأهلُ دعوته، فسارَ حتّى حلَّ بمدينة[٥] تِيهَرْت، فدخلها بالأمان، وقتلَ بها من الرُّسْتُمِيَّة جماعةً وبعثَ برؤوسهم إلى أخيه أبي العبَّاس، وطُوِّفَتْ بالقَيْرَوان، وانقضت[٦] دولة بني رُسْتُم بتِيهَرت، وكان لها مئة وثلاثون سنة.

ثم ولَّى[٧] أبو عبد الله على تِيهَرْت دَوَّاس بن صُولات اللهِيصيَّ، وإبراهيم بن محمد الـهَوَّاريّ، ثمّ نهض حتّى أقبل على سِجِلْماسة يوم السبت لستّ خَلَوْن من ذي الحجَّة، فأحاطَ بها في جموعه، وحاربها ثم فتحها[٨] يوم الأحد لسبعٍ خَلَون منه،

(١) في أ: «وأمر».

(٢) ليست في أ.

(٣) من ر١.

(٤) في أ: «الأجّابي»، وينظر الكامل لابن الأثير ٨/ ٤٧.

(٥) في ر١: «حتى وصل مدينة».

(٦) من هنا إلى نهاية الفقرة من ر١.

(٧) في ر١: «وولّى».

(٨) «ثم فتحها» من ر١.

وأخرجَ منها عُبَيْد الله الشيعيَّ وابنَهُ أبا القاسم، وكانا محبوسَيْن[1] في غُرْفة عند مَرْيَم بنت مِدْرار. فلما بصر به[2] أبو عبد الله[3] ترجَّل له، وخضعَ بين يديه، وبَكَى من إفراط سُروره. ثمّ مشَى أمامه حتّى أنزله، وسلَّم إليه الأمر[4]، وقال لمن معه: هذا هو مولايَ ومولاكم قد أنجز الله له وَعْدَه[5]، وأعطاه حقَّه، وأظهر أمره. وانتهب الشيعيُّ ورجالُه سِجِلْماسة، وأُحرقت. وهرب منها اليَسَعُ صاحبُها في جماعةٍ من بني عمّه ليلًا، فطلبه الشيعيُّ، فلم يقدر عليه.

وفي سنة سَبْعٍ وتسعين ومئتين: ظفرَ الشيعيُّ باليَسَع بن مِدْرار صاحب سِجِلْماسة؛ غدرَهُ قومٌ من البَرْبر يُعرفون ببني خالد، فاستأمنوا به إلى أبي عبد الله الشِّيعي، فأمَّنَهُم، وتحرَّكَ عُبيد الله من سِجِلْماسة إلى إفريقية واستخلفَ بسِجِلْماسة إبراهيم بنَ غالب المزاتي وتركَ معه خمس مئة فارس من كُتامة.

وقَتل أبو العباس المخطوم بعض فقهاء القَيْروان وصلحائها لكونهم لا يفضلون عليًا على أبي بكر وعُمر رضي الله عنهم، وصَلَب أولئك الصالحين والفُقهاء على باب القَيْروان، فعنَّفَهُ أخوه على ذلك حين وردَهُ ذلك.

وخالفَ محمد بن خزر الزَّناتي على الشِّيعة وأقبلَ إلى تِيهَرْت، ووافقه على ذلك قوم من أهلها يعرفون ببني دَبُّوس، فحارب تِيْهرت وتغلَّبَ على بعض أربابها، واتصل ذلك بعُبيد الله وهو في طريقه فرجع قاصدًا ابن خَزَر، ففرّ أمامَهُ حتى دخل في الرِّمال، وكان عُبيدُ الله استصحبَ في سفره ذلك بني مِدْرار وأهليهم مُكَبَّلين، فلما كان من ابن خزر ما كان أمر بقتل اليَسَع فقُتِلَ، وقتَلَ أهلُ سِجِلماسة عاملَ عُبيدِ الله إبراهيم بن غالب ومن معه من الشِّيعة ومن كُتامة وولوا على أنفسهم واسول ابن الأمير مِدْرار.

---

(١) في ر١: «مسجونين».

(٢) في ر١: «أبصره».

(٣) بعد هذا في ر١: «الشيعي».

(٤) في ر١: «في الملك».

(٥) «قد أنجز الله له وعده» ليست في ر١.

ذكر وصول عُبيد الله الشيعي إلى رَقَّادة ونبَذٌ من أخباره وما قيل في نَسَبه

لما وصلَ إليها مع ابنه أبي القاسم تلقاهُ الفُقهاء ووجوه أهل القَيْروان داعينَ له مُـهَنئين مُظْهِرينَ السُّرورَ بأيامه، وسألوه تجديدَ الأمان لهم، فقال: أنتم آمنون على أنفُسِكم، ولم يذكر الأموالَ، فخافَ أهلُ العَقْل من ذلك الوقت، فدخل رَقّادة واحتلَّ قصرَها ونزلَ ولدُه في قصر آخر بها، وتسمّى عُبيد الله بالمهدي.

واختُلِفَ في نسبه، فادعى هو أنّه عُبيد الله بن محمد بن إسماعيل بن جعفر بن [محمد بن][1] علي بن الـحُسين[2] بن علي بن أبي طالب، وقال سائر الناس: إنّه دَعِيٌّ وإن انتسابه للطالبيين دعوةٌ باطلة، وذكروا عن أبي القاسم بن طباطبا العَلَوي أنّه قال: والله الذي لا إله إلا هو ما عُبيد الله الشيعي منا، ولا بيننا وبينه نسب. وقال مُقاتل: هو عُبيد الله بن محمد بن عبد الرحمن[3] البَصْري. وقد فَضَح القاضي أبو بكر الباقلاني نَسَبهم في كتاب «كَشْف الأسرار وهَتْك الأستار» وذكر أنّهم قَرامِطة، وأنّ أبا عبد الله الشيعيَّ أحدثَ لهم هذا الـمَذْهَب ونسبهم، وذكر بعضُ المؤرّخين أنّ جعفر بن عليّ كانت له جاريةٌ، فغَشِيَها رجلٌ من القَرامِطة، وقيل: من اليهود، دفعَتْ له مالًا، فكان يَهْواها وتَهْواهُ، وقتلت جعفرًا مولاها، فولدت جدَّ عُبَيْد الله هذا. فمن خَفِيَتْ عليه هذه القصَّة قال: إنّه عَلَويٌّ، ومَن عَلِمَها عَلِمَ دعوتَه وكَذِبَه، لعنه الله.

نَقَش خاتـَمه: ﴿أَفَمَن يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [يونس: ٣٥] وجعل لنفسه حجّابًا وكتابًا، وعلى ديوان الـخَرَاج ابن القديم، وعلى السّكة القَمُّودي، وعلى عَـمَالة القَيْروان الـحَسَن بن أبي خنزير، وعلى قضائها الـمَرْوَزي، وأظهرَ التشيّع والبِدْعة، وأمورًا قبيحة أضربنا عن ذكرها.

---

(١) ما بين الحاصرتين زيادة متعينة.

(٢) في م: «الحسن»، خطأ.

(٣) في ر١: «عبد الرحيم».

وفيها: تحرك الدَّاعي إلى أرض الـمَغْرب فدوَّخها وافتتح الـمُدن وقتَل وسَبَى.

وفيها: كان تغير أبي عبد الله[1] الداعي على صاحبه عُبيد الله، وذلك أنه لما وصلَ إلى تَنَس، وذلك يوم الجمعة لثلاث بقين من ذي الحجة[2]، جمع إلى نفسه[3] وجوه كُتامة وتكلَّم معهم في أمر عُبيد الله وعَمِلَ معهم على خَلْعه، وقال لهم: «إن أفعاله قبيحة ليست تشبه أفعال الـمَهْدي الذي كنتُ أدعو إليه، وأخشَى أن أكون قد غلطت فيه، وعرض لي ما عرضَ لإبراهيم الخليل عليه السلام إذ رأى كوكبًا فقال: هذا رَبِّي، فيجب عليّ وعليكم امتحانه وكَشْفه عن علامات المهدي، فعقدَ مع جماعة كتامة[4] على امتحانه إذ انصرفوا إلى رَقَّادة، ودخل معهم في العقد عَرُوبة بن يوسف وتعاهدوا على ذلك[5].

وفي سنة ثمان وتسعين ومئتين: تجوَّلَ أبو عبد الله الدَّاعي في بلاد البَرْبر وحاربَ صَدِينة وزَنَاتة، وقتَلَ الرجالَ، وأخذَ الأموالَ وسَبَى الذُّرية، وأحرقَ بعض الـمُدن بالنار.

وفيها: أعلمَ عَرُوبة بن يوسف عُبيد الله الشِّيعي بما كان من قول الدَّاعي، وما تعاقدَ عليه مع أصحابه من خَلْعه، فالتزمَ عبيدُ الله الاحتراسَ منه، وقَرّب عبيدُ الله أبا جعفر البغدادي ليستعينَ به على الدَّاعي وأخيه وجماعة كُتامة، فكان له في ذلك غناء.

وفيها: حاصرَ أطرابُلس هَوّارةُ وزناتةُ ولواتة وغيرُهم من القبائل، فأخرج إليهم أبا زاكٍ تَـمّام بن مُعارك في جيش عظيم، فحاربَهم حتّى قَـتَلهم، وكان مذهبه مذهب أبي عبد الله في الغَدْر بعُبيد الله والـخَلْع له، فأرادَ أن يُبْعِدَه.

---

(١) ليس في ر١.

(٢) في ر١: «في أواخر ذي الحجة».

(٣) «إلى نفسه» ليست في ر١.

(٤) في ر١: «فعاقدهم»، بدلًا من «فعقد مع جماعة كتامة».

(٥) «وتعاهدوا على ذلك» ليست في ر١.

ذكر قَتْل عُبَيْد الله الشيعيّ[1] لأبي عبد الله الداعي وأبي زاكٍ

وذلك أنه كتبَ إلى عامِلِه بأطْرابُلُس، يأمره بقتل أبي زاكٍ، فبعث إليه العامل وكان عَمَّه، وعرض عليه كتاب عُبَيْد الله يأمره بقتله. فلما قرأه أبو زاكٍ، قال له: يا عمِّ، نَفِّذْ ما أُمِرْتَ به. فقدَّمه[2]، فضرَبَ عُنُقَه، وكتب إلى عُبيد الله بخبرِ قتله مع حَـمامٍ وصلَ إلى رَقَّادة من ساعته، غُرَّة ذي الحجَّة. فلما وصل الخبرُ إلى عُبيد الله، أمر عَرُوبةَ بن يوسف وآخر معه أن يكمنا خَلْف القَصْر فإذا قرب منهما الداعي وأخوه الـمَخْطوم، طعنوهما بالرِّماح حتى يموتا. فكَمَنا لَـهُما هناك مع جماعة من كُتامة. وبعث عُبيد الله في أبي عبد الله وأبي العبَّاس ليحضُرا طَعامَه على عادتهما، فلما مرَّا بالموضع الذي فيه الكمين، خرجَ عليهما، فصاح الداعي بعَرُوبة: لا تفْعَلْ يا ولدي. فقال عَرُوبة: أمَرَني بقتلك مَنْ أمَرْتَ الناسَ بطاعته، وانخلَعْتَ له من الـمُلْكِ بعد تَوْطِئَته[3]. ثمّ طعنه طعنةً واحدةً خَرَّ منها صَرِيعًا، ووقعت في أبي العبَّاس خمس عَشْرة[4] طعنةً، ومَكَثا صَريعَيْنِ إلى بعد الظُّهر؛ عبرةً وعظةً، ثم أمر عُبيد الله بدفنهما؛ وقال: رَحِـمَكَ الله أبا عبد الله وجازاك في الآخِرة، ولا رَحِـمكَ أبا العباس، فإنَّك صَدَدتَّه عن السبيل، وأوردتَّه مَوَارِد الهلاك، ثمّ قرأ: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [الزخرف: ٣٦-٣٧]

وكَتَبَ إلى الشيعة بالـمَشْرِق في أمرهما: أمّا بعدُ، فقد علمنا محلَّ أبي عبد الله وأبي العبَّاس من الإسلام، فاستَزَلَّـهما الشيطانُ؛ فطَهَّرْتُهما[5] بالسيف، والسلام.

واحتجب عُبَيْد الله عن كُتامة أيّامًا، ثم أمَّنهم وأدخلهم على نفسه مُفْتَرِقين على حَذَرٍ منهم، ثمّ عمل على قتل جماعة منهم، فقتَلَهُم بأصنافٍ من القَتْل. ثم عمل سفرة إلى لواتة فقتلَهُم وغَنِمَ أموالَهم، وسَبَى ذَرَاريهم.

---

(١) «الشيعي» ليست في أ.

(٢) من ر١.

(٣) قوله: «وانخلعت له من الملك بعد توطئته» ليس في أ.

(٤) في م: «تسع عشرة».

(٥) في النسختين: «فضربتهما»، ولا معنى لها.

وفي سنة تسع وتسعين ومئتين: كانت وقعة بين عساكر عُبيد الله وبين زَنَاتة قتلَ فيها من زَنَاتة خلقًا كثيرًا. وكانت أيضًا ملحمة تِيهَرْت، وذلك أن أهلَها قد ثاروا على دَوَّاس عاملِها، وأرادوا الوثوبَ به؛ فهربَ إلى تِيهَرْت القديمة، وتحصَّنَ بها، وقُتل أكثرُ أصحابه، وكانوا في نحو ألف فارس، واستدعوا محمد بن خَزَر، فأدخلوه البلد، وبرزوا إليه بأُمّ دَوَّاس وعياله وسلاحه، ثمّ خَذَلُوه وخَذَلَـهم، فزالَ عنهم، وانصرفَ إلى موضعه. ثمّ أخرجَ عُبيد الله العساكر إلى تِيهَرْت في عدد عظيم، فنزل عليها يومَ الـجُمُعة لانسلاخ الـمُحرَّم، وحورب أهلُها ثلاثةَ أيّام. ثمّ أُخِذوا بالكَيْد، ودخلت العَسَاكرُ تِيهَرْت يومَ الثلاثاء لأربعٍ خَلَوْن من صَفَر، فقتلوا الرجال، وسبوا النِّساء والذُّرِّيَّة، وانتهبوا الأموال، وحَرَّقوا المدينة بالنار. وبلغ عَدَدُ القَتْلَى بها[1] ثمانية آلاف رجل. ثمّ وَلَّى عُبيد الله تِيهَرْت مَصالة بن حَبُوس بن مُنازل بن بُهْلُول الـمِكْناسيَّ، وانصرف دوَّاس بن صُولات إلى مدينة رَقَّادة، وقتلَهُ عُبَيْدُ الله بعد ذلك.

وفيها: كانت ملحمةٌ أيضًا بالقيراون؛ وذلك أنّ كُتامةَ كانوا يَسْأَلُونَ عُبيد الله أن يُطلق أيديهم على نَهْب القَيْرَوان، وكان يُسَوِّفهم في ذلك، ويُعَلِّق أطماعَهُم به، وهُمْ يتحاملون على أهل القَيْرَوان بالتطاوُل والأذى، حتّى شَرِقَ الناسُ بهم، فقاموا عليهم في بعض الأيّام، بسبب استطالةِ رجلٍ من كُتامة على رجل من تُـجّار أهل القَيْرَوان، فلما دافعوه عنه، شهروا عليهم السلاح، وأرادوا نَهْبَ الحوانيت. فقتلوا[2] من كُتامة أكثر من ألف رجل. وركب أحمد بن أبي خنْزِير، صاحبُ مدينة القَيْرَوان، فسكَّنَ الناس، وأمر بتَغْييب القَتْلَى؛ فطُرحوا في الـمَراحِيض. ولَـحِقَ مَنْ كان حَوالَـيْ رَقَّادة من كُتامة ببلادهم. فلمّا حصلوا بها، أظهروا الخلافَ، وقدَّموا على أنفسهم حَدَثًا يُعرف بالمارِطيّ، واسمُه كادو بن مُعارك، وجعلوه قِبْلَةً يُصَلُّون إليه، وزعموا أنّه الـمَهْدِيُّ الـمُنْتَظَر، وكتبوا كتابًا فيه شريعةٌ زعموا أنّها نزلت عليه، فتغلَّب على جميع الزاب، وقَوِيَ أمْرُهُ، واشتدَّتْ شوكتُه، فأخرجَ إليه عُبيد الله قوّادًا حاربوهم. ثم أخرجَ ابنَهُ أبا القاسم فافتتحَ قَسْطِيلِيةَ من أرض كُتامة، وكانت له على المارطيّ وقائعُ.

---

(١) ليست في ر١.

(٢) في م: «فقتل».

وفيها: توفي زيادة الله الهارِب إلى مِصْرَ، وكان، لما فرَّ عن القَيْرَوان بعياله وماله وألف صِقْلَبيّ، ترك جاريةً من جِواريه فغَنَّتْ له، مُحَرِّكةً على حَمْل نَفسها وهي تقول [من المنسرح]:

لم أنْسَ يومَ الوِداعِ مَوْقِفَها	وجَفْنُها في دَمْعِها غَرِقُ
وقَوْلَها، والرِّكابُ واقِفةٌ	تَتْرُكني سَيِّدي وتَنْطَلِقُ

قال المُظَفَّريُّ[1]: فحطَّ حِمْلَ مالٍ، وحملها في مكانه، وقال عَرِيب: فدمعت عيناه؛ واشتغل عنها بما هو فيه، فتركها، ووصل إلى مِصْر، فبقي عند عيسى النُّوشَريّ[2] صاحِبِها ثمانية أيَّام، ورحل إلى الرَّقَّة، فمُنِع الدخولَ إلى بَغْدادَ، وأُمِرَ بالانصراف إلى مِصْرَ، فسَمَّه بعضُ عَبِيده؛ فمات.

وفي سنة ثلاث مئة: خالَفَ أهلُ مدينة[3] أطرابُلُس على عُبيد الله الشيعيّ المتلقب بالمهدي كذبًا وزورًا[4]، وقتلوا كُلَّ مَن كان بها من كُتامة، وعَدُّوا ذلك أكبرَ جهادٍ، وخرجَ والي عُبيد الله منها فلحق به وأخرج إليهم جيشًا، وحارَبَهم شهورًا.

وفيها: قفلَ أبو القاسم بن عُبيد الله إلى رقَّادة من كُتامة ومعه المارطيُّ الثائر وأصحابُه وأُدخلوا مُشَهَّرين على الجِمَال، فقتلوا برَقّادة.

وفيها: تحرك أبو القاسم لمُحاربة أهل أطْرابُلُس، وحاصرها حتى أكلوا الميتةَ، فرغِبُوا في الأمان، فأمَّنَهُم إلا ثلاثة أنفس قُتِلوا برَقَّادة.

وفيها: تحرك عُبيد الله من رَقَّادة إلى تُونس ونواحي البَحْر يرتادُ موضعًا ليتخذه دارَ مملكته، فوقعَ اختيارُه على مدينة المهدية[5].

---

(١) في أ: «الطبري».

(٢) ترجمته في تاريخ الإسلام ٦/ ٩٩٥، وتاريخ دمشق ٤٧/ ٣٤٦-٣٤٧.

(٣) ليست في ر١.

(٤) «المتلقب بالمهدي كذبًا وزورًا» ليس في أ.

(٥) يعني: على الموضع الذي بنيت فيه المهدية.

وفي سنة إحدى وثلاث مئة: بعثَ عُبيد الله الشِّيعي حُباسةَ بن يوسف بالجيوش إلى المشرق، فدخل مدينة سُرْت[1] ومدينة أجدابية[2] بالأمان، وهربَ مَن كان فيهما من جُنود الخليفة العباسي، ودخلَ مدينة بَرْقة، فكلَّما دخلَ مدينةً قتلَ أهلَها وأخذَ أموالَـهُم وعاثَ فيهم بكلِّ نوعٍ من الفِتَنِ والقَتْل، لعنَهُ اللهُ.

ثم وردت عليه عساكر عظيمة من مصرَ لمحاربته، فدارت بينهم حربٌ عظيمة، ثم انهزمت جيوش مصرَ، وأتبعهم حُبَاسة فقتل كثيرًا منهم. ثم توجه بالعَسَاكر [نحو مصر][3] فأخذ حصونًا، فقتل أهلها وأخذ أموالهم وسَبَى ذراريهم.

وفيها: خرج أبو القاسم بن عُبيد الله من رَقَّادة لمحاربة مصر.

وفيها: أحرقَ محمد بن أحمد بن زيادة الله بن قُرْهُب أسطول عُبيد الله الشيعي بمرسى لَـمْطة، وقتل قائد الشيعي ذَبْحًا بيده، وقطعَ يديه ورجليه، وأسرَ من أصحابه ست مئة رجل، وبلغَ عُبيد الله ذلك فبعثَ جيشًا، فهُزِموا وغُنموا.

وفي سنة اثنتين وثلاث مئة: دخل أبو القاسم بن عُبيد الله الشيعي مدينة الإسكندرية ومعه حُبَاسة القائد، فألفاها خالية، قد هرب أهلها في البحر بما خفّ من أموالهم، وأسلموا سائرَ أثقالهم، فاستولى أبو القاسم وحُباسة على جميع ذلك. ووصلَ أبو القاسم إلى الفَيُّوم، فعسكرَ بها حتى قَدِمَ قائدُ الخليفة مؤنس الفَتَى من العراق لمحاربتِه، فأمَّ اللَّعين أبو القاسم إفريقيةَ هاربًا أمامَ جيوش الخليفة، وضَرَبت جيوشُ مصرَ في ساقته، فأخذت مضاربَهُ وسلاحًا وأثاثًا.

وخالف على الشِّيعة أهلُ أطرابُلُس لما عَلِموا الحال التي انصرف فيها أبو القاسم من مصرَ، فعَمَدوا إلى رجالِ كُتامة فقتلوهم أجمعين، ووصلَ أبو القاسم إلى رَقَّادة مُنْصرفًا من الفَيُّوم لعَشْرٍ خَلَوْنَ من ذي القَعْدة. وكان حُباسة قد هربَ من مصرَ إلى أرض الغَرْب؛ لأنّ أبا القاسم عزلَهُ عن قيادة الـجَيْش، فكتب أبو القاسم إلى عُمال الطريق

---

(١) ينظر عنها وعن ضبطها معجم البلدان ٣/ ٢٠٦.

(٢) الروض المعطار ١١.

(٣) زيادة متعينة للتوضيح.

بارتصاده، فعُثِر عليه وعلى بعض أصحابه فحملوا إلى عُبيد الله فحبَسهُ وجميعَ أهلِهِ. وحاول عَرُوبة الهرب لـمّا اتصلَ به أمر حُباسة، فهرب بماله فظُفِرَ به فقُتِل وبُعث برأسه إلى عُبيد الله. فلما وصل إليه أمر بقَتْل حُباسة وجميع قرابته فقُطِعَت رؤوسُهم وكُتِبت أسماؤهم في بطائق وعُلِّقت من آذانهم، وأُدْخِلَت على عُبيد الله، فنظرَ إليها وإلى رأس عَرُوبة وحُبَاسة فقال: ما أعجب أمورَ هذه الدنيا، هذه الرؤوس ضاقَ بها الـمَشْرِقُ والمغربُ وحملتها هذه القُفَّة.

وفي سنة ثلاث وثلاث مئة: كان بإفريقية وباءٌ كثير، تعديدُ مَن ماتَ فيه من ذوي النباهة يَطُول.

وفيها: مات قاضي الشيعة محمد بن يحيى الـمَرْوَزي في العَذاب، وطولب أهلُ القيروان بمالِه، فامتُحِنَ بذلك جماعةٌ من فضلائهم ظُلمًا.

وفيها: كانت فتنة بصِقِلِّـيَّة، وخَلعُوا واليهم ابن قُرْهب فصارت الفتنة بسببه، لأن طائفة كانت معه وأخرى عليه، وانتهى حال ابن قُرْهب إلى أن انتُهِبَت أموالُه وأُسِرَ مع بنيه وقاضيه وبُعِث بهم إلى عُبيد الله. وكتبَ أهلُ صقلية إلى عُبيد الله يسألونه أن يوجه إليهم قاضيًا وعاملًا، واشترطوا عليه شروطًا أغضبته عليهم وأغرته بهم وحَرَّكَت منه مضايقتهم ومحاصرتهم.

وفي سنة أربع وثلاث مئة: وصل ابن قُرْهب وأصحابُه إلى عُبيد الله، فضُرِبوا بالسياط، وقُطِعت أيديهم وأرجلُهم وصُلِبُوا على قَبْر الـحَسَن بن أبي خنزير.

وفيها: بعث عُبيد الله الجيوشَ والأساطيلَ إلى صِقِلِّيَة، فحاصرهم شهورًا وقتلَ منهم كثيرًا، وعَبَثَت كُتامة فيمن ألفوا بأرباضهم من النِّساء والذُّرية وافترَعُوا الأبكارَ، فلما رأى ذلك أهلُ صقلية رغبوا في الأمان فأمَّنَهُم وهدمَ سورَ مدينتهم ووَلَّى صقليّة سالم بن أبي راشد ومعه جماعةٌ من كُتامة.

وفي سنة خمس وثلاث مئة: افتتح مصالة بن حَبُوس قائد عُبيد الله الشيعي مدينة نكُور(١)، وقتَل فيها صاحبها سعيد بن صالح، وذلك يوم الخميس لثلاث خَلَوْنَ من

---

(١) الروض المعطار ٥٧٦.

الـمُحرم، ثم انتهبها وسَبَى النِّساءَ والذُّرية وانصرفَ إلى تِيْهَرت، وبعثَ بالفَتْح إلى عُبيد الله، وبعثَ إليه برأس سعيد بن صالح ورؤوسِ جملةٍ من أصحابه، وطُوِّفت بالقَيْروان، ثم إنَّ بني صالح فروا بأنفسهم إلى الأندلس، فنزلوا مَرْسَى مالقة، فأمرَ الناصر بإنزالهم وإكرامهم، واستخلفَ مَصَالةُ على نكُور رجلًا يقال له: ذَلُول، وانصرفَ إلى تِيْهَرت، فافترقَ عن ذَلُول أكثر مَن كان معه، فقصد صالح بن سعيد ابن صالح من مرسى مالقة فقتَلَهُ وقتَلَ أصحابَهُ وملك بلده نكُور، وهادى الناصر الخيلَ والجمالَ وغيرَ ذلك.

تلخيص أخبار أُمراء مدينة نكُور من حين بنائها على الـجُملة إلى هذه السنة المؤرَّخة

وذلك أنّ صالح بن منصور، المعروف بالعَبْد الصالِح، كان دخل أرض المغرب في الافتتاح الأوَّل زَمَنَ الوليد بن عبد الملك، فنزل في بني تَـمْسامان(١)، وعلى يَدَيْه أسلم بَرْبَرُها؛ وهم صُنْهاجة وغُمارة. ثمّ ارتدَّ أكثرُهم لما ثَقُلَتْ عليهم شرائعُ الإسلام، وقدَّموا على أنفسهم رجلًا يسمَّى داود ويسمى بالزيدوي(٢)، وكان من نَفْزة، وأخرجوا صالحًا من بينهم. ثمّ أفاء الله بالإسلام عليهم، وتابوا من شِرْكهم، وقتلوا داود الزيدوي، وردُّوا صالحًا. فبقي كذلك إلى أن مات بتَمْسامان، وكان له من الولد ثلاثة: الـمُعْتَصم، وإدريس: أُمُّهما صُنْهاجيَّة، وعبدُ الصمد، فولَّوا المعتصم، ومكثَ فيهم يسيرًا، ومات. فولَّوا على أنفسهم إدريس، ثمّ مات. ووَلي سعيد بن إدريس، وهو الذي بنى مدينة نَـكُور. ومنها إلى مدينة زُواغة، التي كانت للحسن بن أبي العيش، مسيرةُ خمسة أيّام. وكان لها أربعة أبواب: منها باب سُلَيْمان، وباب بني وَرْيَاغل، وباب المصلَّى، وباب اليهود. وبها جامعٌ كبيرٌ، وأكثر خشبهم الأرْز، وبها حـمَّامات كثيرة، وأسواق عامرة ممتدة(٣). وهي بين نَهْرَيْن، أحدهما اسمُه نَـكُور، وبه سُمِّيت المدينة.

---

(١) في تاريخ ابن خلدون ٦/ ٢١٢: «تكسامان».

(٢) في تاريخ ابن خلدون: «الرندي».

(٣) ليست في ر١.

ودخلها الـمَجُوس سنة أربع وأربعين ومئتين وتغلَّبوا عليها، وانتهبوا مَن كان فيها إلّا من خلَّصه الله بالفرار، وأقام الـمَجُوس بها ثمانية أيّام، وخرجوا منها. وبينها وبين البحر خمسةُ أميال. وقامت البرانِس على سعيد بن إدريس، فأظفره الله عليهم، وهزمهم، وقتل رئيسهم. ثمّ رجع من بقي منهم إلى الطاعة. ومات سعيد بن إدريس بعد أن ملكهم سبعًا وثلاثين سنة[1].

ووَلِي هذه[2] ابنُه صالح بن سعيد بن إدريس بن صالح بن منصور. وكان لسعيد من الولد: منصور، وحـمَّاد، وصالح، وزيادة الله، والرشيد، وعبد الرحمن الشهيد، ومُعاوية، وعُثمان، وعبد الله، وإدريس. وكان عبد الرحمن فقيهًا بمذهب مالك، وحجَّ أربعًا، وعبر البحرَ إلى الأندلُس برسم الجهاد؛ فقتل الثائرُ[3] ابن حَفْصُون كلَّ مَن كان معه، وتخلَّص هو بنفسه إلى مُرْسية، وحضر غزوة أبي العبَّاس القائد، واستشهد فيها.

وقامَ على صالح أخوه إدريس في بني وَرْيَاغَل وجَزْناية، فالتقوا بجبل جَزْناية[4]، فانهزم صالح، وانتهب إدريس عسكره، واستمرَّ إلى مدينة نَـكُور ليدخلها، فامتنعَ أهلُها إلى أن أتاهم صالح صاحبُها في خاصَّته، فدخلها في جوف الليل ولم يعلم أخوه إدريس بذلك، وكان قد نزل عليها، وطمع فيها[5]. فلما كان في غَدٍ، أقبل إدريس على فَرَسه، وهو لا يعلم بأمر أخيه، فأدخلوه المدينة، وأرْجَلَه فِتْيانُ صالح عن دابَّته، وأتوا به إلى أخيه، فأمر بحبسه. ثمّ أشار عليه قاسِمٌ الوَسْناني[6] بقتله، فأمر فَتًى من فتيانه يُقال له: عَسْلون، فقتله.

---

(١) تاريخ ابن خلدون ٦/ ٢١٢.

(٢) ليست في أ.

(٣) في ر١: «اللعين».

(٤) قوله: «فالتقوا بجبل جزناية» ليس في ر١.

(٥) «وكان قد نزل عليها وطمع فيها» ليست في ر١.

(٦) في م: «الوشتاتي»، وما أثبتناه من النسخ.

وامتنعت مِكْناسة على صالح، وحبسوا مَغارِمَهم. فكتب إليهم يتوعَّدُهم، وختم الكتاب، وأدخله في مخلاة، وشدَّها على حماره، وبعثَهُ مع ثِقَته، وقال له: إذا توسَّطتَّ مِكْناسة، فاتْرُك الحمار بما عليه وانْصَرِفْ، ففعل. فوجد [أهل][1] مكناسة حمارَ صالح، وقَرَؤُوا كتابَهُ، فتمادَوْا على امتناعهم عليه. ثمّ انصرف رأيُهم إلى جمع ما كان عليهم، فجمعوه، وجلَّلوا الحمار بمَلْحَفة، وأتوا صالحًا بالحمار وبمغارِمهم، واستَعْفَوه، فعافاهم. وبقي صالح بن سعيد[2] أميرًا إلى أن تُوفِّي بعد أن ملك أزيد من عشرين سنة.

ووَلِـيَ بعده ابنُه سعيد بن صالح. فلما توطَّد الأمر له، دخل عليه عَبيدُهم الصَّقالِبة، فسألوه العِتْق، فقال لهم: أنتم جُنْدُنا وعَبيدُنا، لا تدخلون في وِرْثنا، فما طَلَبُكم للعِتْق؟ فألـحُّوا عليه في ذلك، ونالَه جفاءٌ منهم، وخلعوه، وقدَّموا أخاه عُبيد الله وعَمَّه الرَّضِي المكْنِيَّ بأبي عليّ، وزحفوا بهما إلى القصر، فحاربهم سعيد[3] من أعلى القصر بمن كان معه وبالنساء. وقامت عليهم العامَّة، فأخرجوهم من البلد، وهزموهم. فتحصَّنوا بغرفةٍ[4] سبعةَ أيّام، ثمّ ظفر بهم سعيد. وكان عمُّه الرَّضِيُّ صِهْرَه، فحبسَهُ مع أخيه عُبيد الله، وقتل من خرج معهما من بني عَمِّه، منهم الأغْلَب، وأبو الأغْلَب. فقامَ سعادةُ الله بن هارون، وهو ابن عمِّ الأغْلَب، فقال: قَتل ابنَ عمِّي وأبقى عَمَّه وأخاه، فألَّب عليه بني يَصْلاتَن، وعقد أمره معهم، وسعادةُ الله مع سعيد بمدينة نَـكُور. ثمّ خذله سعادةُ الله، وانحازَ إلى بني يَصْلاتَن بمن معه، فانهزمَ سعيدٌ، وأُخِذَت بُنودُه وطُبولُه، وقُتل من مواليه نحو ألف رجل، وأتوا مع سعادة الله حتى حاصروا سعيد بن صالح بنَـكُور. ثمّ كانت الكَرَّة لسعيد عليهم، فهزمهم، وأسر مَيْمون بن هارون أخا سعادة الله، وسار إلى تَـمْسامان، فأحرقَ ديارَهُ وخرَّبها، وانصرف إلى نَـكُور. وخرج سعادة الله بعد ذلك إلى بَطُّوية وبني ورْتَدِي،

---

(١) زيادة منا للتوضيح.

(٢) ليست في ر١.

(٣) ليس في ر١.

(٤) هكذا في النسختين، وفي م: «بقرية».

وزحفَ بهم إلى زَناتة، فحاربهم وهزمهم، وانقادت له جميعُ تلك البلاد. ثمّ انصرفَ إلى مدينة نَكُور، فأقام بها مُصافِيًا لسعيد المذكور[1].

ولما تغلَّب عُبيد الله الشيعيُّ، كتبَ إلى أهل المغرب، يدعوهم إلى الدخول في طاعته والتديُّن بإمامته. وكتبَ بمثل ذلك إلى سعيد بن صالح[2]، وفي أسفله أبياتًا كثيرة، منها [من الطويل]:

فإن تَسْتَقيموا أسْتَقِمْ لِصَلاحِكُم ... وإن تَعْدِلُوا عنّي أرَى قَتْلَكم عَدْلا

وأعلو بسَيْفي قاهِرًا لسيُوفِكم ... وأدْخُلُها عَفْوًا وأمْلَؤُها عدلا[3]

فأجابه شاعرُهم، عن أميرهم[4]، فقال:

كَذَبْتَ وبَيْتِ الله لا تَعْرِفُ العَدْلا ... ولا عرَفَ الرَّحمن مِنْ قَوْلِكَ الفَضْلا

وما أنت إلّا كافِرٌ ومُنافِقٌ ... تَمِيلُ مع الجُهَّالِ في السُّنَّةِ المُثْلى

وهِمَّتُنا العَلْيا لِدِينِ مُحمدٍ ... وقَدْ جَعَلَ الرَّحمنُ هِمَّتَكَ السُّفْلى

فكتبَ عُبيد الله الشيعيُّ إلى مصالة قائده على تِيهَرْت، يأمرُه بالنهوض إلى مدينة نَكُور، ويأمره بمُحاربة سعيد بن صالح المذكور. فخرج مَصالة من تِيهَرْت في غُرَّة ذي الحجَّة من السنة الفارطة عن هذه المؤرَّخة. فنزل من مدينة نَكُور على مسيرة يوم، فخرج إليه سعيد، فحاربه ثلاثةَ أيَّام مُكافئًا له. وكان مع سعيد رجلٌ من أعلام البربر، يُقال له: أحمد بن العبَّاس من بني يَطُّوفَت، دَعَتْهُ نفسُه إلى أن يقصد محلَّة مَصالة في سبعة فوارس، واقتحمَ على مَصالة، فتصايح الناسُ، وأُخذ أحمد أسيرًا ومن معه، فأمر مَصالة بضرب أعناقهم، فقال له أحمد: ليس مِثْلي يُقْتَلُ. فقال مَصالة: لِمَ؟ قال: لأنَّك لا تَطْمع في سعيد إلّا بسببي. فاستبقاه، وقَرَّبه حتّى أَنِس به، ثمّ أعطاه

---

(١) تاريخ ابن خلدون ٦/ ٢١٢-٢١٣.

(٢) تاريخ ابن خلدون ٦/ ٢١٣.

(٣) هكذا في النسخ، وفي م: «قتلا».

(٤) «عن أميرهم» ليست في أ.

جيشًا، فقصد به جانِبًا كان يَعْلَمُ الغِرَّةَ منه، حتَّى دخل عَسْكَرُ سعيد من حَيْثُ لا يُظَنُّ به. ففرَّق جَمْعه، وغَشِيَ سعيدًا ما لم يتأهَّب له، وترادفت عليه العساكر، ونظر أمرًا لا يُستطاعُ المُقامُ معه، فبعثَ إلى مدينة نَكُور، فأخرج كلَّ مَن كان في قصره وما معهم، وساروا إلى جزيرة في مرسى نَكُور[1]، ومعهم صالح بن سعيد، وإدريس، والمُعتصم. وقَاتَلَ سعيدٌ حتّى قُتِلَ، واستُبيح عسكرُه. ودخل مَصالة مدينةَ نَكُور، فقتل رجالَها، وسَبَى النساء والذَّراري[2].

وفي[3] ذلك يقول بعضُ الشعراء [رجزًا].

لَـمَّا طغَى الأَرْذَلُ وابن الأَرْذَلِ	في عصبة من الطُّغاة الـجُهَّلِ
قال: نَـكُور دون ربّي مَعْقـلي!	أتـاه محتـومُ القـضاء الفَيْـصلِ
من الإلـهِ الـمُتعالي الأعْـدَلِ	حَطَّمَ أهْـلَ كُفرِهـا بالكلْكـلِ
وجـاء رأسُ رأسِـها الـمُبَدَّلِ	عـلى قنـا مـن الرمـاح الـذُّبَّلِ
ذو لِـمَّةٍ شـعْثاء لم تُفَتَّـلِ	ولحيـةٍ غـبراء لم ترجَّـلِ

وركب من نجا من ذُرِّيَّة سعيد البحرَ إلى مالَقة، فاستقَرُّوا بها لقربها من بلدهم، ورجائهم العَوْدة إليه[4]. وبقي مَصالة في نَكُور نحو ستَّة أشهر، ثمّ استخلفَ عليها ذَلُولًا. فكان من أمره ما تقدَّم ذكرُه؛ وذلك أنّه، لما افترقَ عن ذَلُول أصحابهُ، سمع بذلك بنو سعيد بمالَقة، فعبروا البحر في مراكب مختلفة، في ليلةٍ واحدة، واتَّفقوا على أنّ مَنْ وصل إليها قَبْلُ، فالولايةُ له، ثِقَةً منهم برعيَّتهم. وكانوا إدريسُ والمعتصمُ وصالحُ بني سعيد. فوصلَ صالح من ليلته، فتسامع البربر بقدومه، فتسارعوا إليه، وعَقَدوا له الإمْرة، ولقَّبوه باليَتِيم[5]، وزحفوا إلى ذَلُول وأصحابه، فقتلوهم أجمعين. وكتب صالح

---

(١) قوله: «وساروا إلى جزيرة في مرسى نكور» ليس في ر١.

(٢) تاريخ ابن خلدون ٦/ ٢١٣.

(٣) من هنا إلى آخر الشعر ليس في ر١.

(٤) في ر١: «إليهم».

(٥) في المطبوع من تاريخ ابن خلدون ٦/ ٢١٣: «القيم».

بالفتح والنصر إلى أمير المؤمنين الناصر، فأمر بإمداد صالح[1] بالأخبية والآلات والأسلحة والبُنود والطبول[2]، فتوطَّد الملك بالمغرب لصالح بن سعيد. وبقي إخوته في البحر شهرًا[3] يتردَّدون فيه، إلى أن وصلوا بعد ذلك إلى نَـكُور، وهي في وقتنا هذا مدينةُ الـمَزِمَّة أو قريبًا منها.

وفي سنة ست وثلاث مئة: خرج أبو القاسم بن عُبيد الله الشِّيعي إلى مصرَ في سَفْرته الثانية لها، وذلك مُستهل ذي القَعْدة، بعد أن حَشَد من كُتامة حُشُودًا كثيرةً ومن عرب إفريقية وبَرْبَرها.

وفي سنة سبع وثلاث مئة: كان دخول أبي القاسم بن عُبيد الله الشِّيعي، لعنهُ اللهُ، مدينة الإسكندرية، وذلك لأن أهلَها لما أَحَسُّوا بمقدمه أخلَوْها وتَرَكوها لهم خاليةً فانتهبوها، وأخذوا أموال أهلها، ثم دخلوا الفَيُّوم بالسَّيْف، فقتلوا أهلها وانتهبوا الأموالَ وسبوا الذُّرية، وتكاثرت العساكر على الشِّيعي من إفريقية وانجلَى الناسُ عن مصر وغَلَت الأسعارُ بها.

وفيها: كان بإفريقية الطاعون الشَّديد والغلاء العظيم والجور الشامل، وأخذوا أموالَ الناس بكلِّ وجهٍ. ووَلِـيَ إسحاق بن أبي المنهال قضاء القَيْروان. وقُتِلَ عبدوس المؤذن بعد ضَرْبه بالسياط وقُطِعَ لسانُه لأنَّه ذُكِرَ عنه أنه أذَّن ولم يَقُل: «حي على خير العمل».

وفي سنة ثمان وثلاث مئة: دخل الشيعةُ مدينةَ النَّـكُور ثانيةً؛ وذلك أنه توجه مصالةُ قائد عُبيد الله نحو الغرب بجيوشٍ كثيرةٍ فلما بلغَ قريبًا من نَـكُور خرجَ صالحُ بن سعيد عنها وتحصّن بجبل هنالك ودخل مصالة المدينة وضَبَطها.

وفيها: كان دخول الشيعة مدينة فاس؛ وذلك أنّ مصالةَ خرج من نَـكُور وسارَ إلى جهة فاس وكان بها يومئذٍ يحيى بن إدريس بن عُمر بن إدريس في أهلِه ورجالِه،

---

(١) في ر١: «فأمَدَّ صالحًا».

(٢) «البنود والطبول» ليست في ر١.

(٣) في ر١: «شهرين».

فلما قَرُب منهم أرادوا مدافعتَهُ فحاربهم أيامًا حتى هزمهم، ودخل مصالة مدينة فاس وضَبَطها، وقال شاعرهم وقد عَرّض بها [من البسيط]:

دَخَلْتُ فاسًا ولي شَوْقٌ إلى فاسِ ... والحَيْن[1] يأخذُ بالعينينِ والراسِ

فلَسْتُ أدخل فاسًا ما حَييتُ ولو ... أعطيتُ فاسًا بما فيها من النَّاسِ

وفيها: كان انتقال عُبيد الله الشيعي من القَيْروان بعياله وجميع مملكته الضَّخْمة إلى مدينته التي بناها وسماها بالمهدية لثمان خَلَون من شوّال بعد أن أكملَ قصرَهُ بها وقصر ولده وسور المدينة وبعض دور رجاله، ولم يكمل الكُل، وهنأه الشُّعراء بذلك واستغرقوا في مدحه حتى كانوا يكفرون بما لا ينبغي ذكره من تسوية المهدية بمكة وغير ذلك.

وفي سنة تسع وثلاث مئة: وجه عُبيد الله دُعاتَه إلى الأطراف ليُظهروا بها تحليل المُحَرَّمات، وكان ذلك من أُمنيته؛ قال ابن القطان: كان منهم شبيب بن سُليمان بجبلِ وَنْشَرِيس، أمرَهُم أن يدخل الرجل إلى حَليلةِ جارِه، فيطأها وزوجها حاضرٌ ينظر إليه، ثم يخرج فيبصق في وجهه، ويصْفَع قفاه ويقول له: تَصَبَّر، فإذا صَبَر سُمِّي من الصَّابرة. فقامَ عليهم الناس وقتلوا بعضهم فكفّوا.

ووصل أبو القاسم بن عُبيد الله إلى المَهْدية مستهل رَجَب منصرفه من الفَيُّوم بعد ما مكثَ في سفرته سنتين وثمانية أشهر.

وفيها: كان فَتْح الشيعة سِجِلْماسة، فتحها مصالةُ بن حَبُوس فانتهبَ أموالَها وقتَلَ بها أحمد بن مِدْرار صاحبَها وانصرف[2].

وأمر عُبيد الله بحبسَ مئتي رَجُل أظهروا تحليل المُحرمات بالقيروان وباجة وتونس وجاهروا بها، وأكلوا الخِنْزير وشَرِبوا الخَمْر في شهر رمضان جهارًا، وكان ذلك بدسيسته، فلما ارتجَّ الناسُ سجنهم مُداراةً وكفًا للناس، وعَلِمَ بذلك

---

(١) في م: «الجبن»، وهو تحريف، والحَيْن: الهلاك.

(٢) تاريخ ابن خلدون ٦/ ١٣١.

الخاصُّ والعام حتى عُيِّرَ به ابنُه أبو القاسم أيام كونه بالفَيُّوم، وكثر القول من الناس في ذلك، فلما عَلِمَ بذلك اللعين عُبيد الله كتب إلى عماله بهذه المواضع برفعهم إليه مقيدين، فحُبِسوا وماتَ أكثرُهم في السِّجن، وكلُّهم مشهورٌ بإفريقية، منهم: أحمد ابن البَلَوي النخاس بالرَّقيق، كان يُصَلِّي إلى رَقَّادة أيام كون عُبيد الله بها وهي منه في المغرب، فلما انتقل عُبيد الله إلى الـمَهْدية صلَّى إليها، وهي منه في المشرق، وكان يقول: لستُ ممن يعبُدُ مَن لا يُرى. وكان يقول في عُبيد الله لأهل القيروان: إنه يعلم سِرَّكم ونجواكم. لعنَهُ اللهُ ولعن عُبيد الله.

وأمر عُبيد الله أن يكون طريق الحاج على الـمَهْدية لأداء ما وَظَّفَ عليهم من المغارم، وألا يتعدى هذا الطريق أحدٌ، وجعلَ على الحجاج مغارمَ عظيمة يعجز أكثرُ الناس عنها لأنَّ الحجَّ ليسَ من مذهبهم.

وأمر، لعنَهُ الله، بقتل الفقيه أبي عليّ الـحَسَن بن مُفَرِّج وغيره إذ رُفِعَ له عنه أنه يقول بتفضيل أبي بكر وعُمر على عليّ رضي الله عن جميعهم.

وفي سنة عَشْر وثلاث مئة: قَدِمَ مصالةُ بن حَبُوس المهدية فأقام بها أيامًا وانصرفَ إلى تِيْهرت، وقامَ حسن بن علي الـحَسَني مع البربر فأتى إلى فاس وبها رَيْحان[1] الكُتامي قائدًا عليها من قبل عُبيد الله الشيعي، فأخرجَهُ منها واستبدَّ بها، ثم غَدَرَهُ حامدُ بن حمدان وأدخلَ ابن أبي العافية، وكان يتولى لبني أمية، فبقي بها إلى أن أرسلَ الشيعي قائديه مَسْرورًا وجَوْهرًا، ففر أمامَهُما وبقي فيها قائد الشيعي إلى أن أخرجه بنو إدريس ورجعَ لهم مُلْكها حتى حاربها عسكر الناصر الأموي صاحب الأندلس وملكها.

وفيها: توفي أبو جعفر الطَّبَري.

وفي سنة إحدى عشْرة وثلاث مئة: وَلِـيَ محمد بن عِمْران النَّفْطي قضاء القَيْروان، وكان قبل ذلك على قضاء أطرابُلُس، فجمعَ بها أموالًا كثيرةً من الرِّشا والأحْباس ورَفَعها إلى عُبيد الله، فكانت وسيلة له عنده، فولاه القَيْروان.

---

(١) في ر١: «زنجان».

ودخل عليّ بن سُليمان[1] قائد الشيعي حِصْن نُفُوسة فقتَلَ أهلَهُ وسَبَاهم وذلك في شعبان.

وفي سنة اثنتي عَشْرة وثلاث مئة: خرجَ مَصالة بن حَبُوس من تِيْهرت إلى زَنَاتة فأداخَ بلادَهُم وقتلَ وسَبَاهُم، وأخرجَ خيلًا إلى نواحي ابن خَزَر، فبلغَ ذلك ابن خزر فقصدَ نحو مصالة ودارت بين الفريقين حروبٌ عظيمة قُتِلَ فيها مصالة وانهزمَ أصحابُه.

وفيها: مات النَّفْطي قاضي القيروان ووليها ابن أبي المنهال مرة ثانية.

وفي سنة ثلاث عَشْرة وثلاث مئة: كانت غزوة أبي أحمد جعفر بن عُبيد[2] الحاجب إلى بَلَد الروم من صِقِلّيَّة، ففتح أماكن كثيرة وقتل بها ستة آلاف مقاتل، وأخرج منها عشَرة آلاف سَبِية.

وفيها: وَلِـيَ مظالم القيروان ابن أخي[3] كرام.

وفيها: ابتدأ عبيدُ الله الشيعيُّ ببناء مدينة الـمَسِيلة[4]، وسمَّاها الـمُحَمَّدِيَّة، على يَدَيْ عليّ بن حَمْدون الـجُذاميّ المعروف بابن الأنْدَلُسيّ، في وسط أرض بني بِرْزال وبني كَهْلان، على قُرْب من هَوَّارة. وكانت على وادٍ؛ ولها سورانِ، تَليهما ساقيةٌ من هذا الوادي.

[وفي سنة أربع عشرة وثلاث مئة][5]: زحفَ أميرُ زناتة محمد بن خَزَر إلى تِيْهَرت فحارَبَها، ثم انهزمَ عنها، وأخرجَ عُبيد الله الشيعيُّ في أثره موسى بن محمد الكُتامي في جماعةٍ من القُواد، فدخل محمد بن خَزَر الصحراء، وأبقَى أخاه مع وجوه رجاله بوادي مِطْماطة، فدارت بينهم وبين جُند الشيعي حربٌ عظيمة كان الظَّفَر فيها والغَلَبة لابن

---

(١) في م: «ابن أبي سليمان».

(٢) في ر١: «عبد الله».

(٣) في ر١: «أبي».

(٤) الروض المعطار ٥٥٨.

(٥) في ر١: «وفيها»، وكانت ضمن سنة (٣١٣) وهو غلط ظاهر.

خزر، وخالفت على الشيعي مِطْماطة وما جاوَرَها من قبائل زناتة، واستمدوا ابن خَزَر فولّى عليهم أخاه عُبيد الله ودارت بينه وبين جنود الشيعي وقائع كثيرة.

وفي سنة خمس عَشْرة وثلاث مئة: خرجَ أبو القاسم بن عُبيد الله المهدي من المهدية يريد المغربَ يوم الخميس لتسع ليال خَلَون من صفر[1]، وكانت طريقه على القيروان. ثم صارَ إلى باغاية، ثم إلى كُتامة، وتقدم إلى جَبَلٍ فيه بنو بِرْزال[2]، فامتَنَعوا عليه، فحاربَهُم حتى فتح له عليهم[3]، وتوجه إلى مَدْغَرة، ثم إلى سُوق إبراهيم، وأقامَ في تلك الجهة أكثر من شَهْر لكلب الشِّتاء وكثرةِ الوَحل، ومَشَى[4] عقابًا كثيرةً راجلًا لشدَّة وعرها، وكان يقتاتُ كل يوم بَيْضة أو نحوها لكثرةِ الذُّباب في العَسْكر؛ أخبر بذلك أبوه لمجالسيه عن كتابٍ وردَ عليه منه بذلك إشفاقًا عليه.

وفيها: ظفرَ أبو القاسم عبد الرحمن بن عُبيد الله بمعلَّى الداعية بالمغرب فبعثَهُ إلى أبيه مُصَفدًا فأمر بضرب عنقه برَمْلة المهدية.

وظفر أيضًا بحَامِيم الذي كان قد تنبأ بالـجَبَل المنسوب إليه بساحل طَنْجة، وكان قد آمن به بشرٌ كثير من البَرْبَر الـجُهّال فشرع لهم صوم يوم الخميس ومَن أفطره غرم خمسة أثوار، وصوم الاثنين[5] فمن أفطره غرم ثورين، ونحو هذا من الباطل والحماقات، وفيه قيل [من الطويل]:

وقالوا افْتِراءً إنّ حامِيمَ مُرْسَلٌ ... إليهمْ بدِينٍ واضِح الحقِّ باهِرِ

فقُلْتُ: كذَبْتُم بدَّد الله شَمْلَكم ... فما هو إلّا عاهِرٌ وابنُ عاهِرِ

فإن كان حامِيمُ رَسولًا فإنّني ... بمُرْسِلِ حَامِيم لأوَّلُ كافِرِ

(١) في ر١: «في أوائل صفر».

(٢) في ر١: «مروان» خطأ.

(٣) في ر١: «فيهم».

(٤) في ر١: «وسار».

(٥) قوله: «ومن أفطره غرم خمسة أثوار، وصوم الاثنين» سقط من ر١.

رَوَوْا عن عجوز ذاتِ إفْكٍ بهيمةٍ ... تَجاوَزَ في أسحارِها كلُّ ساحِرِ
أحاديثَ إفْكٍ حاكَ إبليسُ نسْجَها ... بِشَرِّتِهِمْ واللهُ مُبدي السرائرِ

وفي سنة ست عشرة وثلاث مئة: فتحَ أبو القاسم بن عُبيد الله حصن أغْزَر، وذلك أنه نازله يوم الثلاثاء لأربع عشرة ليلة بقيت من المحرَّم[1]، ونقبَ السُّورَ عليهم حتى سقط؛ وهلك ممَّن كان تحته وفوقه عَدَدٌ كثيرٌ. فلما نظروا إلى الغلبة، أحرقوا الأمْتِعة، وعَرْقَبوا الدوابَّ والمواشي، وقاتلوا الشيعة حتى قُتلوا، وأُسِرَ منهم من استأسر وانتُهِب ما في الحصن. وأجابت هَوَّارة ولماية إلى طاعة الشيعة، فأمَّنهم أبو القاسم، ثمّ سار إلى جهة تِيهَرْت، فأقام بها نَحْوَ شهرٍ[2]. ثمّ نكبَ أبو القاسم بالجيوش إلى طُبْنة، وانصرفَ إلى المهديَّة دون أن يلقى ابن خَزَر أمير زناتة. وقيل: إنَّ سببَ انصرافه أنّهُ سَمِعَ أن أخاه أحمد صَلَّى بالنَّاس عيد الفطر، وأنَّ الناسَ تحدثوا بمبايعته فأقلقه ذلك.

وفيها: كان ابتداءُ أمر أبي يزيد مَخْلَد بن كَيْداد الزَّناتيّ[3]، وهو رجلٌ أخذ نفسه بمذاهب النَّكَّار، يُحَلِّل دماء المسلمين وفروجَهم، ويسبُّ عليَّ بن أبي طالب رضي الله عنه. وكان أوَّلَ أمره بتَقْيُوس[4]، يُعلِّم الصبيان، ويعتقد الخروجَ على السُّلطان، ويحتسب على الناس في كثير من أفعالهم، وعلى جُباةِ الأموال. فغَيَّرَ في هذا العام على عامل تَقيُوس، وأمرَ بقتله، فقتله أهلُ تَقْيُوس، ففزع أبو يزيد عند ذلك، وخرجَ إلى الحجّ. فلما وصل إلى أطْرابُلُس، وصلَ كتابُ عُبيد الله في طلب قوم من البربر، فهربَ هو وصاحِبُه أبو عمّار الأعمى، وكان على مذهبه وضلاله. فكَرَّا إلى تَقْيُوس؛ فوردَ كتابُ عُبيد الله في طلبه فيها، فما زال يَفرُّ ويستَتِرُ، إلى أن ظهر أمره بعد.

وفي سنة سبع عشرة وثلاث مئة: كان بالقَيْروان وأعمالها غلاء عظيم ووباء.

---

(١) في ر١: «منتصف المحرم».

(٢) في ر١: «فأقام بها شهرًا».

(٣) ترجمته وأخباره في اتعاظ الحنفا ١/ ٧٥.

(٤) ينظر عنها الروض المعطار ١٣٩.

وفيها: تغلَّب محمد بن خَزَر الزَّناتي على الزَّاب كُلِّه، ومَلَكَه جُـمْلةً.

وفيها: بَنَى بنو محمد الأدارسة المدينة المعروفة بـحَجَر النَّسر.

وفيها: سار[1] موسى بن أبي العافية إلى مدينة نَـكُور، وصاحبُها يومئذٍ المؤيَّدُ بن عبد البَدِيع بن إدريس بن صالح بن منصور، فحاصَرَه فيها حتى تغلَّب عليها، واستباحها، وغَنِمَ ما فيها، وقتل المؤيَّدَ، وهدمَ أسوارَها[2]. ثمّ سار يريد بني محمد الأدارسة، وعَمِيدُهم يومئذٍ الحسن بن عيسى المعروف بابن أبي العَيْش، صاحبُ جَرَاوة[3]، وهي أشرف مدائن تلك الجهة يومئذٍ. فنزل عليها، وحاصر ابن أبي العَيْش فيها حتى أوفى على أخذها. فلما أحسَّ ابن أبي العَيْش بالغَلَبَة، خرج في الليل، هاربًا بأهله ووَلَده ومَن تبعهُ، ونجا إلى مَرْسى جَراوة المعروف بأكَّاس، وأظنه موضع تيكيساس اليوم، فدخل منه البحر، وصار[4] بجزائر مَلْوِية. ثمّ سار إلى جزيرة أَرَشْقُول[5]، وهي منيعةٌ لا تُرام، فتحصَّن فيها بأهله وولده ومواليه. وجالَ موسى بن أبي العافية بتلك الجهات، وأخذ مدينة مرينة ومدينة أَرَشْقول. وهربَ كلُّ مَن كان بذلك الجانب من بني محمد بن سُليمان، وصارت تلك الأقطار لموسى بن أبي العافية، وأخلى منها قوَّاد بني خَزَر وعمَّالهم، وصار في ملك موسى بن أبي العافية: من أحواز تِيهَرْت إلى السُّوس الأقصى.

وفي سنة ثماني عَشْرة وثلاث مئة: خرج حُميد بن يَصَل من الـمَهْدية إلى تِيْهَرت بغير إذن عُبيد الله وبنى قَلْعة هنالك، فكتب عُبيد الله إلى يَصَل بن حَبُوس أن يوجه حُميدًا إلى المهدية[6]، ولا يؤخره ساعة واحدة، فرجع حُميدٌ إليها، ولم يَلْق من عُبيد الله سوءًا.

---

(١) في ر١: «صار»، وينظر تاريخ ابن خلدون ٤/ ١٦.

(٢) في ر١: «أسوار المدينة».

(٣) ينظر عنها الروض المعطار ١٦٢.

(٤) في أ: «ووصل».

(٥) الروض المعطار ٢٦.

(٦) «إلى المهدية» ليست في ر١.

ذكر[1] مدينة جَرَاوة[2]

كانت مدينة جَرَاوة عليها سُورٌ مبنيٌّ بالطُّوب، وبخارجها عيونٌ مالحةٌ، وداخلَها آبارٌ كثيرةٌ طَـيِّبةٌ عَذْبةٌ، وحَولَـها أرباضٌ من جميع جهاتها، وفيها قَصَبةٌ مانعةٌ، وبها خمسُ حَمَّامات، وجامعٌ له خمسُ بَلاطات، أَسَّسهُ أبو العَيْش عيسى بن إدريس سنة سبعٍ وخمسين ومئتين. ووليها بعده ابنُه الحسن بن أبي العَيْش في سنة إحدى وتسعين، وخرج منها إلى حصن المنصورة[3] في سنة تسع عَشْرة وثلاث مئة، ثم عادَ إليها في سنة ثلاث وعشرين وثلاث مئة، ثمّ انتقلَ إلى تِلِمْسان في سنة خمسٍ وعشرين وثلاث مئة. وكان لها أربعة أبواب، وحَوْلَها فحوصٌ للزرع والضَّرْع[4]، وحولَـها قُرَى مَدْغَرة على البحر. وفي الجبل بنو يَزْناتَن، ومن جهة الشرق بنو يَفْرَن من زَناتة، ومن جهة الغرب قبائلُ زَوَاغة وغيرُهم.

ذكر مدينة تاهَرْت[5]

وأمّا مدينة تاهرت، فأسَّسها عبدُ الرحمن بن رُسْتُم بن بَهْرام، وكان مَوْلًى لعثْمان بن عفَّان رضي الله عنه، وكان خليفةً لأبي الـخَطَّاب أيّامَ تغَلُّبه على إفريقية. ولما دخل ابنُ الأشْعَث القَيْرَوان، فرَّ عبد الرحمن إلى الغرب بما خفَّ من أهله وماله، فاجتمعت إليه الإباضيَّة، وعزموا على بنيان مدينة تجمعهم، فنزلوا بموضع تاهرت، وهي غيضةٌ بين ثلاثة أنهار، فبنوا مسجدًا من أربع بَلاطات، واختطَّ الناسُ مساكِنَهم، وذلك في سنة إحدى وستين ومئة. وكانت في الزمان الخالي مدينةً قديمةً، فأحدثها الآن عبد الرحمن ابن رُسْتُم، وبقي بها إلى أن مات في سنة ثمان وستين ومئة، وقد تقدَّم ذكرُ ذلك[6].

---

(١) في أ: «صفة».

(٢) كتب أحدهم في حاشية ر١: «تقع أطلال هذه المدينة اليوم بقبيلة بني يزناس، وهي غير بعيدة عن الحدود المغربية الجزائرية».

(٣) في أ: «المقصورة».

(٤) في أ: «المزرع».

(٥) يقال: تاهرت وتيهرت.

(٦) قوله: «وقد تقدم ذكر ذلك» ليس في ر١.

ذِكْر مَن مَلَك مدينة تِيهَرْت من حين ابتدائها من بني رُسْتُم وغيرهم[١]

أوَّلُـهم[٢]: عبدُ الرحمن بن رُسْتُم: كانت مدَّتُه بها سبعة أعوام.

ثمّ وليها ابنه عبدُ الوارث، فكانت مدَّتُه بها أربعين[٣] سنة، وتوُفّي سنة ثمان ومئتين[٤].

ثمّ وليها ابنُه أبو سعيد أفْلَح بن عبد الوارث، ومات سنة خمسين ومئتين[٥].

ثمّ وليها أيضًا ابنُه أبو بكر بن أفْلَح بن عبد الوارث بن عبد الرحمن بن رُسْتُم، فاخْتَلَف عليه الأمرُ، وأخرجه أهلُها من تِيهَرْت، ثمّ أعادوه إلى أن مات فيها.

ووليها بعده أخوه أبو اليَقْظان محمَّد بن أفْلَح، فكانت مدَّتُه سبعًا وعشرين سنة، ووفاتُه في سنة إحدى وثمانين ومئتين.

ووليها بعده أبو حاتم يوسف بن أبي اليَقْظان، فأقام فيها عامًا، واختلف عليه الناسُ، واضطرب أمرُه، فخرج إلى حِصْن لَوَاتة، وقامت بينه وبين أهل تِيهَرْت حروبٌ عظيمة.

ووليها بتقديم أهلها يعقوبُ بن أفْلَح بن عبد الوارث بن عبد الرحمن بن رُسْتُم، فأقام واليًا أربعةَ أعوام، ثمّ خلعوهُ وقَدَّموا أبا حاتِم بن أبي اليَقْظان، فأقام ستَّةَ أعوام إلى أن قتله بنو أخيه سنة أربع وتسعين ومئتين.

ثمّ وليها يَقْظان بن أبي اليَقْظان، فقتله أبو عبد الله الشيعيُّ، في خبر طويل، مع جماعةٍ من أهل بيته، وذلك في شوَّال سنة ست وتسعين ومئتين. وانقطع مُلْكُ بني رُستُم من تِيهَرْت في هذا التاريخ.

---

(١) العنوان ليس في ر١.

(٢) في ر١: «فأول من وليها».

(٣) في أ: «عشرين».

(٤) في أ: «ثمان وثمانين ومئة»، وهذه التواريخ كلها فيها نظر واختلاف بيّن.

(٥) هكذا في النسختين، وفيه نظر أيضًا.

ووليها في أيّام الشيعة أبو حُمَيْد دَوَّاس اللَّهيصيُّ، ولّاه أبو عبد الله الداعي[1] حينَ خروجه منها إلى سِجِلْماسة، فأقام فيها ستَّةَ أشْهُر، حتّى أتَتْهُ العساكر من إفريقية، فافتتحها في سنة تسع وتسعين ومئتين. ووليها مَصَالة بن حَبُوس المكْناسيُّ، إلى أن قتله محمد بن خَزَر الزَّناتيُّ في شعبان سنة اثنتي عَشْرة وثلاث مئة، فكانت ولايتُه بها ثلاث عَشْرة سنةً. ووليها بعده أخوه يَصَل بن حَبُوس إلى أن تُوفّي سنة تسع عشرة وثلاث مئة. ثمّ وليها أبو مالك بن يغْمُراسن بن أبي شَحْمة اللَّهِيصيُّ، فقام عليه أهلُ البلد، وأخرجوه سنة ثلاث وعشرين وثلاث مئة، ووليها أبو القاسم الأحْدَب بن مَصَالة بن حَبُوس، قدَّموه على أنفسهم، فأقام عليهم سنةً واحدةً، فلما انصرف منصور[2] من أرض المغرب إلى إفريقية، حاربَهم حتّى ظَفر بالبلد، وقتل أبا القاسم بن مَصَالة المذكور، وولّى على تِيهَرْت داود بن إبراهيم العَجِيسيَّ، فأقام واليًا عليها إلى أن أخرجه حُـمَيْد بن يَصَل في جُمادى الآخرة من سنة ثلاث وثلاثين وثلاث مئة، في أيّام أبي يزيد مَـخْلَد بن كَيْداد اليَفْرنيّ، وخرج حُـمَيْد بن يَصَل من تِيهَرْت، في سنة ثلاث وثلاثين وثلاث مئة، في خبر يطول ذكرُه، وجازَ إلى الأندلس. واحتلَّ إسماعيل الشيعيُّ مدينة تِيهَرْت، وولّى عليها مَيْسُورًا الفَتَى، فاضطرب عليه أهلُ البلد لأنّه سار فيهم بسيرة غير مَرْضِيَّة، فاستدعوا محمدَ بن خَزَر الزَّناتيَّ، وابنه الـخَيْرَ، ومن معهم من زَناتة، فقدموا إلى تِيهَرْت في جمع عظيم، وأظهروا أنّهم ناصِرون لـمَيْسُور، فخرج إليهم فغدروه وأسروه. ودخل بنو خَزَر وزَناتة مدينة تِيهَرْت، ونزلوا دار الإمارة. ثمّ اضطرب أمرُ أهْلِ تِيهَرْت، وتغلَّب عليها يَعْلَى بن محمَّد اليَفْرَنيُّ الزَّناتيُّ، إلى أن قدم جَوْهَر، قائدُ الشيعة، سنة تسع وأربعين وثلاث مئة.

وكانت حَوْل تِيهَرْت بساتينُ من أنواع الثِّمار، كثيرةُ الأشجار، وهي شديدةُ البَرْد، كثيرةُ الأمطار. قيل لبعض الظُّرَفاء من أهلها: كم الشِّتاءُ عندكم من شهر في السنة؟ قال: ثلاثة عشر شهرًا، وقال بعضُ شعراء تِيهَرْت من قصيدةٍ أوَّلـها[3] [من الطويل]:

---

(١) ليس في أ.

(٢) في أ: «ميسور».

(٣) في ر١: «وفي ذلك يقول بعضهم».

فَرَاغُ الـهَوَى شُغْلٌ ومَـحْيا الـهَوَى قَتْـلُ ... ويَوْمُ الـهَوَى حَوْلٌ وبَعْضُ الـهَوَى كُـلُّ

وجُودُ الـهَوَى بُخْلٌ ورِسْلُ الـهَوَى عدًى ... وقُرْبُ الـهَوَى بُعْدٌ ووعدُ[1] الهوى مَطْلُ

سَـقَى اللهُ تِيهَـرْتَ الــمُنَا وسُـوَيْقَةً ... بسَاحَتِها[2] غيثًا يَطِيبُ بـه الــمَحْلُ

كــأنْ لم يكُــنْ والــدارُ جامعــةٌ لنــا ... ولم يَـجْتمِعْ وَصْلٌ لنـا ولا شَـمْلُ[3]

فلمَّـا تفانى الطِّيبُ[4] وانْشَقَّتِ العَـصَا ... تَداعَـتْ أَهَاضِيبُ النَّوَى وهي تَنْهَـلُّ

سَـلامٌ عـلى مـنْ لم تُطِـق يَـوْمَ بَيْنِنـا ... سَـلامًا ولكِـنْ فارَقَـتْ وبِهـا ثُــكْلُ

ومــا هِــيَ آمــاقٍ تَفِـيضُ دُموعُهــا ... ولكِنَّهــا الأرْواحُ تَجْــرِي وتَنْــسَلُّ

ومـمّا قيل حين قَضَى اللهُ بخرابها، وانتقالِ أهلِها عنها وأربابِها [من الطويل]:

خلِيلَيَّ عُوجَا بالرُّسومِ وسَـلِّما ... على طَلَلٍ أقوى وأصْبَح أغْبَرا

ألِـمّا على رَسْمٍ بتِيهـرْتَ داثـرٍ ... عَفَتْهُ الغَوادِي الرائحاتُ فأقْفَرا

كأنْ لم تكُنْ تِيهَرْت دارًا لـمَعْشَرٍ ... فَدَمَّرها المِقْـدَارُ فـيمَن تَـدَمَّرا

وتِيهَرْت القديمة هذه هي التي خربها الـخَيْرُ بن محمد بن خَزَر الزَّناتيُّ.

وفي سنة تسع عشرة وثلاث مئة: كاتب موسى بن أبي العافية عبدَ الرحمن الناصرَ صاحب الأندلس، ورَغِبَ في موالاته، والدخول في طاعته، وأن يستميلَ لطاعتِهِ[5] أهواء أهل العُدْوة الـمُجاوِرين له، فتَقَبَّلَه أحْسَنَ قَبُول، وأمدَّه بالـخِلَع والأموال، وقوَّى يَدهُ[6]

---

(١) في أ، م: «وسبق».

(٢) في أ: «بساكنها».

(٣) في أ: «وصل».

(٤) في أ: «تمادى العيش».

(٥) في أ: «له».

(٦) في أ: «أوده».

على ما كان يُـحاولُه من حَرْب ابن أبي العَيْش وغيره[1]. فظهر أمْرُ موسى من ذلك الوقت وتغلَّب على مدينة جَرَاوة، وأخرج عنها[2] الـحَسَن بن أبي العَيْش بن إدريس العَلَويَّ، ودارت بينهما مُحارَبات ومُواقَعات. وبَنَى الحسنُ بن أبي العَيْش حِصنًا مَنِيعًا بجَبَل، بَيْنَه وبَيْن جَرَاوة[3] أربعةُ أميال، وحَوْلَه قُرًى لـمَدْغَرة، وبني يَفْرن، وغيرهم من القبائل. وكان لأبي العَيْش أيضًا وبنيه مدينةُ تِلِمْسان وما والاها، يسكنها مثْلُ زُواغة ونَفْزة وغيرُ ذلك، وفي ذلك يقول بَكْر بن حَـمَّاد [من الكامل]:

سائِلْ زُواغة عن طعـان سُـيوفِه ... ورماحــه في العــارِض المتهلِّــلِ

وديار نَفْزة كيـف داس حريمَهـا ... والخيلُ تمـرغ في الوشـيج الـذبَّلِ

غَـشَّى مَغيلـةَ بالـسيوفِ مُذِلَّـةً ... وسَقَى جَراوة من نقيع الـحَنْظَلِ

ومن جَراوة إلى تِيهَرْت ثلاثُ مراحِل، وإلى حِصْن تَامْغَلْت مرحلتان، يسكنه بنو دَمَّر من زَناتة.

ذكر مدينة تِلِمْسان

ذُكِر أنّ تِلِمْسانَ قاعِدةُ الـمَغْرِب الأوْسَط، قالهُ البَكْريُّ، وصَحَّحَ قَوْلَه كثيرٌ من الأخباريّين، ومن كتاب رُجَار[4]، قال: وبين مدينة تِلِمْسانَ وتِيهَرْت، يَسْكُن بنو مَرِين وجميعُ قبائل زَناتة، منهم: تُجِين، ومَغْراوة، وبنو راشِد، ووَرْتِيد، وغيرهم. قال: وأكْثَرُهم فرْسان يركبون الخيل، ولهم معرفةٌ بارعةٌ، وحذقٌ، وكياسةٌ، لاسِيّما بعِلْم الكَتِف. وهم منسوبون إلى جَانَا. قال: وزَناتة في أصل[5] مَذْهَبِهم عَرَبٌ صُرحٌ، وإنّما تَبَرْبَروا بالمجاوَرة والـمُحالَفة للبَرْبَر. وذكر أنّهم ينتسبون إلى بَرّ بن قَيْس بن إلياس بن مُضَر.

---

(١) ليست في ر١.

(٢) في ر١: «منها».

(٣) من هنا إلى قوله بعد الشعر: «ومن جراوة» سقط كله من ر١ كأنه قفز نظر.

(٤) يعني: نزهة المشتاق للإدريسي.

(٥) ليست في ر١.

ذكر سَبْتة

وفي سنة تسع عَشَرة وثلاث مئة: هذه المؤرَّخة، افتتحَ الناصِرُ لدين الله[1] الأمويُّ مدينةَ سبْتة على بحر الزُّقاق من بَرِّ العُدْوة، التي هي نظامُ باب الـمَغْرِبَيْن، ومفتاحُ باب الـمَشْرِقَيْن[2]، وهي، على ما قيل، مَـجْمَعُ البَحْرَيْن، قاعِدةُ البَرِّ والبحر، واللؤلؤةُ الحالةُ من الدُّنْيَا بين السَّحْرِ والنَّحْر. وفي فتحها يقول عُبَيد الله بن يحيى بن إدريس، يُخاطِبُ الناصِر [من الطويل]:

بِـسَيْفِكَ دانَـتْ عَنْـوةً وأقَـرَّتِ ... بَصائرُ كانت بُرْهَـةً قـد تولَّـتِ

وما قَرُبَتْ أهْواؤهـا إذ تَقَرَّبَـتْ ... ولا حُلِّيَتْ بالزّي لـمّا تَـحَلَّتِ

ولكنْ أزالَتْ راسِياتِ عُقودِها ... عَزائمُ لو ترمى بها الغُصْمُ زَلَّتِ

ودَوْلَـةُ منـصورِ اللِّـواء مُؤيَّـدٍ ... تُدَالُ بحَمـدِ الله مـن شَرّ دَوْلَـةِ

فهذا أوانُ النَّـصْرِ منهـا وهـذه ... بَشائرُه[3] تَـرْوِي الأنـامَ بـسَبْتةِ

فشكَّها أميرُ المؤمنين الناصرُ بالرجال، وأتْقَنَها بالبنيان، وبنى سورها بالكذّان[4]، وألزَمَ فيها من رَضِيَه من قُوّاده وأجناده، وصارت مفتاحًا إلى العُدوة، قال عَرِيب: وبابًا إليها، وثقافًا على المراسي في ذلك الجانب، وقامت الخطبة فيها باسم أمير المؤمنين الناصر، وذلك يوم الجمعة لثلاث خَلَوْنَ من ربيع الأوّل من العام المؤرَّخ[5]. وورد الخبرُ على عُبَيْد الله بالمهديَّة بدخول موسى بن أبي العافية وأهْلِ سَبْتة في طاعة عبد الرحمن الناصر، وأنّ مركبًا نزل من الأندلُس بمرسى جَرَاوة لموسى بن أبي العافية، فهبط إليه الحسن بن أبي العيش، وأخذ ما كان فيه. فكاتبه موسى وكاتب قاضيَه،

(١) «لدين الله» ليس في ر١.

(٢) في ر١: «ومفتاح البرين».

(٣) في ر١: «تباشيره».

(٤) قوله: «وبنى سورها بالكذّان» ليس في ر١، والكَذّان: نوع من الحجارة.

(٥) في ر١: «السنة».

فلم يصرف إليه، وأحرق ابن أبي العافية[1] بسيط جَراوة وتجول في البلاد أيامًا، ودارت[2] بين ابن أبي العَيْش [وبين ابن أبي العافيـة][3] مراسلات، ورغب ابن أبي العَيْش في مصالحته، وصَرْف ما كان أخذه له، واصطلحا. ثم عادت الحرب بينهما، وذلك شيء يطول ذكرُه هنا. وعَظُم على الشيعي ما ورده من هذا الأمر وأقلقه، وكتب إلى القبائل في الغرب يحضهم على طاعته.

ومدينةُ سبتة مدينة أزَليَّة، على ضفَّة البحر الرُّوميّ، وهو بحر الزُّقاق الداخلُ في البَحْر الـمُحيط، وهي في طَرَف من الأرض، والبحرُ مُـحيطٌ بها من كلِّ ناحية إلّا موضعًا ضَيِّقًا جِدًّا، لو شاء أهْلُها أن يَصِلُوه بالبحر الآخر[4]، لفعلوا، فتصير من جُزُر البحر. ويُـجْلَب الماءُ إلى حَـمّاماتها من البحر. وأهلُها عَرَبٌ وبَرْبَرٌ. ولم تَزَلْ دارَ عِلْمٍ. وبشرقِيِّها جَبَلٌ مُنِيفٌ داخلٌ في البحر، والبحرُ مُـحيطٌ به، ويُلقَط في بعض نواحي هذا الجبل ياقُوتٌ صغيرُ الجِرْم، عَرِيقٌ في الـجَوْدة. وبحرُها يُسْتَخْرَجُ منه الـمَرْجان، وهو البُسَّذ.

واخْتُلِف في تسميتها بسبتة، فقال قومٌ: سُمِّيَتْ بذلك لانقطاعها في البحر، تقولُ العَرَب: «سَبَتَّ النَعْلَ» إذا قَطَعْتَهُ، وقال آخرون: إنّ رجلًا من وَلَد سام بن نُوح عليه السلام اسْمُه سَبْتٌ خَرَج من الـمَشْرق لأسبابٍ عَرَضَتْ له، فتوغَّل في المغرب حتى أتى موضعها، فاختطَّ فيه موضعًا يَعْمُره. ويذكر أشياخُنا الحديثَ الـمُسْنَدَ عن وَهْب بن مَسَرَّة الـحَجَرِيّ[5]، وذلك أنّ أبا عبد الله محمد بن عليّ حَدَّثَهم عامَ أربع مئة عن وَهْب بن مَسَرَّة، عن ابن وضَّاح، عن سُحْنُون، عن ابن القاسم، عن مالك، عن نافع، عن ابن عمر، عن النبيّ ﷺ قال: «إنّ بأقصى المغرب

(١) في ر١: «العيش».

(٢) من هنا إلى قوله: «وعظم» ليس في ر١.

(٣) ما بين الحاصرتين زيادة متعينة.

(٤) في ر١: «الأخضر».

(٥) هو وَهْب بن مَسَرَّة بن مفرج بن حكم التميمي، من أهل وادي الحجارة والمتوفى به في سنة ٣٤٦هـ.

مدينةً تُسَمَّى سَبْتة، أَسَّسها رجلٌ صالحٌ اسمُه سَبْت مَن وَلَد سام بن نُوح، واشتقَّ لها اسمًا من اسمه، ودعا لها بالبركة والنَّصر، فما رامها أحدٌ بسوء إلّا ردَّ اللهُ بأسه عليه». قال ابن حَمَادُه: قال شيخُنا العالم أبو الفَضْل عِيَاض بن موسى: وهذا الحديث تَشْهَدُ بصحته التَّجْرِبة، فإنَّها ما زالت مَحْمِيَّةً عند من ولِيَها من الملوك، وقلَّ ما أَحْدَث أحدٌ منهم فيها حدَثَ سُوء إلّا هَلَكَ[1].

قال العُذْريُّ: كان ملكٌ من مُلوك القُوط بالأندلُس يسمَّى نردوش[2]، فجازَ البحر إلى سَبْتة لـمُحارَبة البَرْبر، فحاصَرَهم فيها، ثمّ تألفوا عليه، فأمكنَتْه منهم غِرَّةٌ، فقتلهم[3]، ولم يَنْجُ منهم إلّا القليل. ورجع نردوش[4] إلى الأندلُس. وبقي البربر فيها إلى أن دخل الروم ثانيةً، وكان فيها يَلْيَان. وكان عُقْبة بن نافع رضي الله عنه لـمّا غزا المغرب ودوَّخه كلَّه، وصل إلى سَبْتة، فخرج إليه يَلْيان بهَدايا وتُحَف، واستَلْطَفَه، وكان ذا عَقْلٍ وتَجْرِبةٍ، فأمَّنه عُقْبة، وأقرَّه على موضعه، ثمّ دخلها العَرَبُ بعد ذلك بالصُّلْح، ثمّ قام البربرُ بطَنْجة، وزحفوا إليها، فأخرجوا من كان فيها، وخرَّبوها، وبقيت مَسْكَنًا للوحوش مدَّةً. ثمّ دخلها رجلٌ من غُمارة، يُسمَّى ماجْكس، فعمَّرها، وأسلم، ورأس فيها، وانضافت له البرابِرُ، إلى أن هلك، ثمّ وليها بعده ابنُه عصامُ بن ماجْكس، ثمّ ابنُه مجبر بن عصام. ثمّ وليها الرَّضي بن عِصام، وكان يَحْكُمُ فيها برأي فُقَهاء الأندلُس. ثمّ دخلها قومٌ من قَلْشانة، فاشتروا فيها أرضًا من البربر، وبَنَوْا فيها دورًا وما تثلَّم من سورها الذي هو اليومَ السِّتارة، وكانوا مع ذلك يؤدُّون الطاعة لبني إدريس، حتّى افتتحها عبدُ الرحمن الناصرُ، ودخلها قائدُه فَرَج بن عُفَيْر يوم الجمعة لليلةٍ خَلَتْ من شعبان من سنة تسع عشرة وثلاث مئة.

---

(١) هذا حديث موضوع، لا يصح بحال عن النبي ﷺ، وكلام ابن حمادة لا قيمة له.

(٢) في أ: «بردوش»، وسيأتي بعد قليل في ر١ باسم «مردنوش»!

(٣) في أ: «فقتلوه».

(٤) في أ: «بردوش»، وفي ر١: «مردنوش»، وفي م: «تودوش».

ذِكْرُ مَن وَلِيَ سَبْتة لبني أُميَّـة

فوليها من قِبَل الناصر فَرَجُ بن عُفَيْر سنة تسع عَشْرة وثلاث مئة المذكورة. ثمّ وليها أحمد بن عبد الصَّمَد الغرناطيُّ، ثمّ وليها محمَّد بن حِزْب الله سنة ثلاث وعشرين وثلاث مئة، ثمّ عُزِل. ووليها محمد بن مَسْلَمة في سنة ست وعشرين وثلاث مئة، ثمّ عُزل. ووليها ابن مَسْلَمة أيضًا إلى سنة ثلاثين وثلاث مئة. ثمّ وليها ابن مُقاتِل إلى أن أُسِر في شوَّال سنة اثنتين وثلاثين وثلاث مئة، أسره عندهم بنو محمد الأدارِسة، إلى أن لَـحِقَهم قاضِيها محمد بن أبي عيسى[١] في رمضان سنة ثلاث وثلاثين وثلاث مئة، فجنح بنو محمد إلى السَّلْم على يدي القاضي، فأطلقوا ابن مُقاتِل، وبعثوا رَهائنَهم إلى أمير المؤمنين الناصر بقرْطُبة. ولم يزل وُلاةُ الناصر يَتَداوَلُونها إلى سنة ست وأربعين وثلاث مئة.

وفي سنة عشرين وثلاث مئة: سارَ أميرُ الغرب إلى محمد بن خَزَر أمير زَنَاتة فألفاهُ على حين غَفْلة وهَزَمه وقتلَ أصحابَهُ، ثم انصرفَ إلى جَرَاوة، ولم يُظْهر موسى بن أبي العافية الدعوة للناصر الأُموي إلا بعدما تَغَلَّب على نكُور ودخلها بالسَّيف وبعد أن حاصرَ مدينة حَجَر النَّسْر حتى صالحوه.

وفي سنة إحدى وعشرين وثلاث مئة: وَلي سِجِلْماسة أبو المنصور سِمْعُون[٢] بن الـمُعتز بن محمد، وهو ابن ثلاث عشْرةَ سنة، فمكثَ في ولايته شهرَيْن. وقام عليه ابن عمِّه محمد بن الفَتْح الـمُسمَّى بالأمين، فحارَبَه، وتغلَّب عليه، وأخرجه من سِجِلْماسة، وتملَّكها. وكان سُنِّـيًّا يُظْهِر العدلَ، إلّا أنّه تَسَمَّى بأمير المؤمنين، وتلقَّب بالشاكِر لله، وضربَ بذلك الدنانير والدراهم، وذلك سنة اثنتين وأربعين وثلاث مئة، فمكث كذلك إلى أن قَرُبَتْ منه عساكرُ أبي تَـمِيم مَعَد العُبَيْديّ.

ذِكْر مَنْ وَلِـيَ سِجِلْماسة من حين فَتَحَها الشيعيُّ

ولَّى عليها الشيعيُّ الـمَزَاتيَّ المتقدِّم ذكْرُه في سنة ثمان وتسعين ومئتين، فقتله أهل سِجِلْماسة بعد إقامته خمسين يومًا. ووليها أبو الفتح بن الأمين سنـتَيْن وأشْهُرًا،

---

(١) تنظر ترجمته في جذوة المقتبس (١٠٧) والتعليق عليه.

(٢) في أ: «سمغول».

ثمّ وليها أحمد بن الأمين سنة ثلاث مئة، وبقي بها إلى أن حاصره مَصَالة بن حَبُوس، وافتتحها عنوةً، وقتله، في محرَّم سنة تسعٍ وثلاث مئة. وولَّى مَصالة على سِجِلْماسة الـمُعْتَزَّ بن محمَّد من بني مِدْرار، وبقي بها إلى سنة إحدى وعشرين وثلاث مئة المؤرَّخة، وتُوفِّي، فوليها[1] أبو المنصور المذكور.

وفي سنة اثنتين وعشرين وثلاث مئة: تُوفِّي عُبيد الله الـمَهْديُّ ليلةَ الثلاثاء للنّصف من ربيع الأوَّل، فكانت مُدَّتُه أربعًا وعشرين سنَّة وعشرةَ أشْهُر ونِصْفًا[2]. وكان وصولُه إلى مِصْرَ في زِيّ التِّجار سنة تسع وثمانين ومئتين. وظهر بسِجِلْماسة في ذي الحجَّة سنة ست وتسعين ومئتين. وسُلِّمَ عليه بالإمامة. وانفصل إلى رَقَّادة في ربيع الآخر من سنة سبع وتسعين ومئتين. وبَنَى المهديَّة، واستقرَّ بها سنة ثمان وثلاث مئة. ولما انتقلَ إلى المهديَّة، دخل رقَّادة الوَهْنُ، وانتقل عنها ساكِنوها، فلم تَزَلْ تَـخْرَب شيئًا بعد شيء، إلى أن وَلي معدُّ بن إسماعيل، فخرَّب ما بقي منها.

ذكر رَقّادة

وكانت رَقَّادة دارَ مُلْك بني الأغْلَب، ويذكرون أنّ من دخلها لم يزل ضاحكًا من غير سَبَبٍ، وأنّ أحدَ مُلوك بني الأغْلَب شَرَدَ عنه النَّوْم، فلما وصل إليها، نامَ، فسُمِّيَتْ رقَّادة، فاستوطنها إبراهيم بن أحمد، وانتقل إليها من القصر القديم، فبَنَى بها قُصورًا عجيبةً، وجامِعًا وحمَّامات، وغير ذلك.

وكان تأسيسها سنة ثلاث وستين ومئتين، وتأسيسُ القصر القديم سنة أربعٍ وثمانين ومئة. وكان ابن الأغْلَب مَنَعَ بَيْعَ الشراب بالقَيْرَوان، وأباحه برقَّادة، فقال بعضُهم في ذلك [من المنسرح]:

يا سَيِّدَ الناسِ وابـن سيِّدِهِمْ ... ومـن إليـه الرِّقـابُ مُنْقَـادَهْ

مـا حَـرَّمَ الـخَمْرَ في مَـدِينَتنا ... وهْـوَ حـلالٌ بـأرضِ رَقَّـادَهْ

---

(١) في را: «فولي».

(٢) الكامل لابن الأثير ٨/ ٢٨٤.

ذِكْر الـمَهْدِيَّة والقَيْرَوان

وأمّا الـمَهْدِيَّة، فهي منسوبةٌ إلى المهديّ عُبيد الله الشيعيّ، فإنّه[1]، لما تغلب على الـمُلْك، تلقَّب بالـمَهْديّ، وسَمَّى مدينته التي بناها بلَقَبه، وبينها وبين القَيْرَوان ستُّون ميلًا. وقَوِيَتْ في أيَّامه وأيَّام ابنه أبي القاسم، وحفيده إسماعيل، وصَدْرًا من دولة معدّ بن إسماعيل، حتّى انتقل منها معدٌّ إلى القاهرة، لما ملك مِصْرَ وبنَى القاهرة الـمُعِزِّيَّة، نسبةً إلى لقَبِه الـمُعِزّ بالله. فضَعُفَتْ إذ ذاك المهديَّة إلى أن استوطنها الـمُعِزُّ بن باديس[2] آخر أيَّامه لـمّا خَرِبَت القَيْرَوان بهزيمة الـمُعِزّ المذكور، إلى أن تُوفِّي بها، ووليها بعده ابنه تَـمِيم[3] بن الـمُعِزّ، وصارت دار ملكه، وولدُه يحيى[4] بن تَـمِيم بعده، وولده عليُّ[5] بن يحيى بعده، وولدُه[6] الحسَنُ بن عليّ بعدَه، إلى أن تغلَّب عليها الروم سنةَ ثلاث وأربعين وخمس مئة، ومكثوا بها نحو ثماني سنين إلى أن أخرجهم منها عبدُ المؤمن[7] بن عليّ بعد الـمُحاصَرة، وبقيت للإسلام إلى الآن. وبها دارُ صَنْعة الإنشاء العجيبة: يَخرج الـجَفْنُ مغمورًا من خلف السُّور، فلا يُعلم به حتّى يَفْجأ العدوَّ القاصدَ، فيُحيطَ به، فلا يَقربُها العدوُّ لأجل ذلك.

وأمّا القَيْرَوان، فكانت أعظَم مُدُن المغرب طُرًّا، وأكْثَرَها بشَرًا، وأيْسَرَها أموالًا، وأوْسعها أحوالًا. وكان الغالِبُ على أهلها التمسُّكَ بالخير والتَخَلّي عن الشُّبُهات، واجتنابَ الـمَحارِم، إلى أن توالى الدَّمار[8] عليها بدخول العَرَب لها، على ما يأتي ذِكْرُه[9]

---

(١) من هنا إلى قوله: «بلقبه» ليس في أ.

(٢) ينظر عنه تاريخ الإسلام ١٠/ ٤٣.

(٣) ترجمته في تاريخ الإسلام ١١/ ٢٤.

(٤) تاريخ الإسلام ١١/ ١٣٢.

(٥) تاريخ الإسلام ١١/ ٢٤٣.

(٦) من هنا إلى قوله: «ثماني سنين» سقط من أ، م.

(٧) تاريخ الإسلام ١٢/ ١٣٩.

(٨) في أ: «توالت الجوائح».

(٩) ليست في ر١.

في موضعه، فلم يَبْقَ بها إلّا أطلالٌ دارِسة، وآثارٌ طامِسة. ويُذْكَرُ أنّها ستعودُ إلى ما كانت عليه. وهي الآنَ في وقتنا هذا، وهو[1] آخرُ المئة السابعة، قد ابتدأت بالعمارة[2].

ومَلَكَ عُبيد الله الشيعيُّ إفريقيةَ، وجميعَ المغرب، وأطْرابُلُس، وبَرْقة، وجزيرة صِقِلِّية، وكانت عُـمّاله على ذلك كلّه[3]. وصَيَّـرَ وَلَدَهُ وليَّ عهده إلى مِصْرَ، ففتحها، وكانت الكُتُب تنفُذ في أيّامه باسم ولده. وكان له ستَّةُ أولاد: أكْبَرُهم وليُّ عهده أبو القاسم عبد الرحمن بن عُبيد الله وكان عُمُرُ عُبيد الله الشيعيّ، المتلقّب بالمهديِّ، يومَ مات، ثلاثًا وستينَ سنةً[4].

ذكْرُ[5] ولاية أبي القاسم بن عُبيد الله إفريقيّة

بُويع له يومَ مات أبوه منتصَفَ ربيع الأوَّل من سنة اثنتين وعشرين وثلاث مئة المؤرَّخة، وتلقَّب بالقائم بأمر الله. وتُوُفّي يومَ الأحد الثالثَ عشَر لشَّوال سنة أربع وثلاثين وثلاث مئة. فكانت دولتُه اثنَتَيْ عشْرةَ سنةً وسبعة أشْهُر[6]، وعُمُرُهُ خمسٌ وخمسون سنةً[7]. أولادُه الذكور سبعة. حاجِبُه: جعفر بن عليّ. ومن قُضاته: ابن أبي الـمِنْهال. ولم يركب أبو القاسم طُولَ إمارته بمِظَلَّة[8]، فقام[9] بسيرة أبيه، وأظهر من الـحُزْن عليه ما لم[10] يُعْهَد لمثلِه، وواصل[11] الـحُزْنَ لفَقْده، وأدامه من بعدِه؛

---

(١) في ر١: «وهي».

(٢) هذا نص مهم في إثبات الزمن الذي أُلِّف فيه الكتاب.

(٣) قوله: «وكانت عماله على ذلك كله» ليس في ر١.

(٤) في أ: «أبو القاسم عبد الرحمن بن عبيد الله الشيعي المتلقب بالمهدي، وعمره، أعني عبيد الله، ثلاث وستون سنة»، وما أثبتناه من ر١ وهو أجود.

(٥) لفظة «ذكر» ليست في ر١.

(٦) في ر١: «وسبعة عشر يومًا»، وهو غلط يؤكده ما ذكر من تاريخ توليه وتاريخ وفاته.

(٧) وينظر اتعاظ الحنفا ١/ ٧٤.

(٨) في ر١: «ولايته».

(٩) في أ: «قفا».

(١٠) في أ، م: «لا».

(١١) في ر١: «وأوصل»، وهو تحريف.

فما ركب دابَّةً من باب قصره مُنْذُ مات أبوه سوى مرَّتَيْن إلى أن هلَكَ[1]. وافْتُتِحَتْ في أيَّامه مَدائنُ كثيرةٌ من[2] مدائن الرُّوم بصِقِّلية[3]، وثار عليه عدَّةُ ثوَّار، فنُصِرَ عليهم وتمكّن منهم[4]. وممّن ثار عليه ابن طالُوت القُرَشيُّ، فسار إلى ناحية أطْرابُلُس ليَأخذَها هو في عَدَد كثير؛ فقاتلوه وقَتلوا جملةً من أصحابه، وزعم أنّه ابن الـمَهْديّ، فقام معه البربر، واتَّبعوه. فلمّا تبيَّن لهم أمْرُه، قَتلوه وأتَوْا برأسه إلى القائم بأمر الله[5]. وكان أوَّلُ ما بدأ به أبو القاسم الشيعيُّ أنْ أمَرَ عُـمَّالَه في سائر البُلدان[6] بعمل السلاح وجمع الآلات الحربيَّة، وأخرج مَيْسورًا الفتَى في عددٍ عظيمٍ إلى المغرب، فانتهى إلى فاس، وهزم ابن أبي العافية، وأخذَ أبنَهُ أسيرًا. وأخرجَ يعقوب بن إسحاق في الأُسْطُول إلى بلد الروم، فافتتح جَنَوةَ[7]. وأقرَّ أبا جعفرٍ البغداديَّ على البريد والكتابة، وفوَّض إليه كثيرًا من أمور المملكة.

وفي سنة ثلاث وعشرين وثلاث مئة: بعث القائمُ بأمر الله عسكرًا إلى بَرْقة، قوَّد عليه زَيْدانَ، وبعث معه عامِرًا الـمَجْنُون، وأبا زُرارة، وجماعةً من عساكر بَرْقةَ الذين بها من كُتامة، إلى مِصْرَ، فدَخَلوا إلى الإسْكَنْدَرِيَّة، فأخرج إليهم[8] محمدُ بن الإخْشِيد جيشًا فيه خمسةَ عشَرَ ألفًا، فأسَر منهم خَلْقًا كثيرًا.

وفي هذه السنة: مات الفَضْل بن عليّ بن ظَفَر، وكان أديبَ دَهْرِه، وظريفَ عَصْرِه، عِلْمًا وفِقْهًا وأدبًا ووَفاء[9].

---

(١) في أ، م: «منذ مات أبوه إلى أن قبض سوى مرتين».

(٢) في ر١: «بعض» بدلًا من «مدائن كثيرة من».

(٣) ليست في أ.

(٤) في أ، م: «فأمكنه الله منهم».

(٥) في ر١: «أبي القاسم بن عبيد الله».

(٦) في ر١: «البلاد».

(٧) الكامل لابن الأثير ٨/ ٢٨٥.

(٨) في أ، م: «إليه».

(٩) ينظر الوافي للصفدي ٨/ ٣١٨.

وفي هذه السنة: وصل مَيْسور الصِّقْلَبيُّ إلى مدينة فاس، فخرجَ إليه صاحبُها أحمدُ بن أبي[1] بَكْر بن أبي سَهْل الـجُذاميُّ؛ فغَدَره وقبض عليه وبعث به إلى المهديَّة؛ فقدَّموا على أنفسهم أهلُ فاس[2] حسنَ بن قاسم اللَّوَاتيَّ، وحارَبَ أهلُ فاس مَيْسُورًا سبعة أشْهُر، فلم يَقْدِرْ عليهم، ثمّ حاصَرَ ابن أبي العافية، واستعان ببني إدريسَ عليه، واعتنى بهم، ووفَّى لهم حقَّهم، فانجلى ابن أبي العافية أمامَهم إلى الصَّحْراء، وصار كلُّ ما كان لبني العافية لبني إدريس. وكانت الرِّياسةُ فيهم لبني محمد بن القاسم، وهم: حَسَن، وقَنُّون، وإبراهيم، وكان إبراهيم[3] المعروفَ بالرَّهُونيّ، وقَنُّون اسمُه القاسِم، وكان يَلْزَم مدينة صَخْرة النّسر.

ذِكرُ أخبارِ الأدارِسة، رحمهم الله وسَبَبِ دخولهم إلى[4] المغربَ، وبنائهم مدينةَ فاس، ومَن وَلِيها منهم ومِن غيرهم إلى هذه السّنة

ذكَر العُذْريُّ وغيرُه أنّ إدريسَ وسُليمان ابنَيْ عبد الله بن حسن بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب[5] رضي الله عنهم فرُّوا من الوقعة التي كانت في أيّام أبي جعفر[6] المنصور، وهي وقعةُ فَخٍّ[7]، وكانوا ستّةَ إخوة: إدريسُ، وسُليمان، ومحمَّد، وإبراهيم، وعيسى، ويحيى. أمّا محمد[8]، فخرج بالحجاز، وقُتِلَ. وأمّا إبراهيم[9]، فقام بالبَصرة

---

(١) ليست في أ.

(٢) هكذا في النسختين، وفي م: «فقدم أهل فاس على أنفسهم»، وهي من صياغة الناشرين.

(٣) قوله: «وكان إبراهيم» من ر١.

(٤) ليست في ر١.

(٥) قوله: «ابن علي بن أبي طالب» ليس في ر١.

(٦) سقطت من م.

(٧) هكذا في الأصل، والمحفوظ أنّ وقعة فخ كانت في عهد الهادي لا المنصور، ينظر تاريخ الطبري ٨/ ١٩٢-٢٠٣.

(٨) هو المعروف بالنفس الزكية (تاريخ الإسلام ٣/ ٩٦٤).

(٩) تاريخ الإسلام ٣/ ٧٩٤-٨٠٠.

من العِراق، فقُتِلَ في أيّام المنصور. وأمّا يحيى[1]، فقام في الدَّيْلَم، في خلافة الرشيد، وهبَط على الأمان، ثمّ سُمَّ ومات. وأمّا إدريس، ففرَّ إلى المغرب، ودخَل إليه في أيّامه من الطالِبيّين[2] أخوه سُليمان، فاحتلَّ تِلِمْسان[3]، وداود[4] بن القاسم بن إسحاق بن عبد الله بن جعفر أبي طالب، ثمّ رجع داودُ إلى المشرق، وبقيت ذُرِّيتُه بالمغرب. واحتلَّ إدريس بن عبد الله بالمغرب سنة سبعين ومئة، واستوطن وَلِيلَى[5]، وكانت أزَلِيَّةً. وكان وصولُه معَ مولاه راشد، ثمّ نزل على إسحاق بن عبد الحميد سنة اثنتين وسبعين ومئة، فقدَّمه قبائلُ البربر، وأطاعوه. وبلغ خَبَرُه هارونَ[6] الرشيد، فدسَّ إليه الشَّمّاخ فسمَّه[7]، وهرب إلى المشرق. ومات إدريسُ في سنة خمس وسبعين ومئة، فقامَ بأمر البربر مَوْلاه راشِدٌ. وترك إدريسُ جاريةً بربريَّةً اسْمُها كَنْزة، فولدت له غُلامًا سُمِّيَ باسْمِ أبيه. فولي إدريسُ[8] بن إدريس سنة سبع وثمانين ومئة وهو ابن إحدى عشْرةَ سنةً، وقيل: أكثر من ذلك، وبايَعه جميعُ القبائل. وكانت عُدوةُ القَرَويِّينَ غِيَاضًا، في أطرافها بيوتٌ من زُواغة، فأرسلوا إليه، ودَبَّرَ في البناء عندهم. فكان ابتداءُ بناء مدينة فاسَ سنة ثلاث وتسعين ومئة، وذلك عُدوةُ القرويّين[9].

وغزا إدريسُ بن إدريس نَفْزة، ووصَل إلى تِلِمْسان، ثمّ رجع، ووصَل إلى وادي نَفِّيس، فاستفتَح بلاد الـمَصَامِدة، وتُوفِّي مسمومًا سنة ثلاثَ عشْرةَ ومئتين، واخْتُلِفَ في

---

(١) تاريخ الإسلام ٤/ ١٠٠٢.

(٢) قوله: «من الطالبيين» ليس في ر١.

(٣) في م: «بتلمسان»، محرفة.

(٤) تاريخ الإسلام ٦/ ٧٩.

(٥) الروض المعطار ٦٠٩.

(٦) ليس في ر١.

(٧) في أ، م: «فدس إليه من سمه، وكان المدسوس إليه رجلًا يقال له: الشماخ فسمّه»، والعبارة التي أثبتناها من ر١ أوجز وأوضح.

(٨) ينظر عنه الوافي للصفدي ٨/ ٣١٤.

(٩) معجم البلدان ٤/ ٢٣٠.

كَيْفِيَّة موته. قال ابن حَـمَاده، والبَكْريُّ، وغيرُهما: ترَكَ من الولد اثنَيْ عشَر، وهُمْ: محمد، وأحمد، وعبدُ الله، وعيسى، وإدريس، وجعفرٌ، ويحيى، وحَـمْزة، وعبدُ الله، والقاسم، وداود، وعمر، فولي منهم محمدُ بن إدريس، ففرَّق البلادَ على إخوته بأمر جدَّته كَنْزة، فأعطى القاسم طَنْجةَ وما يليها، وأعطى عُمَر صُنْهاجةَ الـهَبْط وغُمارة، وأعطى داود هَوَّارةَ تامْلِيت، وولّى عيسى ويحيى وعبدَ الله بلادًا أُخَرَ، وبقي الصغارُ من إخوته[1]. فثارَ عليه عيسى، ونكثَ طاعَتَه، فكتب الأميرُ محمدُ بن إدريس إلى أخيه القاسم، يأمرُه بمُحارَبَته، فامتنع، وكتَبَ أيضًا[2] إلى أخيه عُمر، فأجابه وسارعَ إلى نُصرته، وكان تقدَّم بين عمرَ وعيسى تَنازُعٌ. وتُوفّي عمر ببلد صُنْهاجة، ونُقِلَ إلى فاس، وهو جدُّ الـحَمُّوديِّين.

ثمّ توُفّي الأميرُ محمد بن إدريس، رحمه الله، فوليَ يحيى بن محمد بن إدريس، فولَّى يحيى أعمامَه وأخوالَه أعْمالًا؛ فولَّى حُسَيْنًا القِبْلَةَ من مدينة فاس إلى أغْمات، وولّى داودَ المشرقَ من مدينة فاس: مِكْناسةَ، وهَوَّارة، وصَدينة، وولَّى القاسم غَرْبيَّ فاس: لماية وكُتامة. وتَشاغَلَ يحيى عمّا كان يحقُّ[3] عليه من سياسة أمرِه[4]. فمَلَكَ إخوتُه أنْفُسَهم، واستمالوا القبائل، وقالوا لهم: إنّما نحن أبناء أبٍ واحد، وقد ترَوْنَ ما صار إليه أخونا يحيى[5] من إضاعة أمره. فقدَّمهم البربرُ على أنفسهم تقديمًا كُلِّـيًّا. وكان يحيى مُنْهَمِكًا في الشراب، مُعْجَبًا بالنساء، ذُكِرَ أنَّه دخلَ يومًا الحَمّامَ على امرأة، فتغيَّر عليه أهلُ فاس، فكان ذلك سَبَبَ هلاكه، فهرب إلى عُدوة الأنْدَلُس، فمات بها. وكانت زَوْجُه بنت[6] عليّ بن عمر جدِّ الـحَمُّوديّين.

ثمّ ولي عليُّ بن عمرَ بن إدريس، وذلك أنّه لما هلك يحيى، أتى صِهْرُه عليٌّ هذا، فدخَل عُدوةَ القَرَويّين وملكها، وانتقل الأمْرُ عن بني محمد بن إدريس إلى بني عمرَ

---

(١) قوله: «وبقي الصغار من إخوته» ليس في ر١.

(٢) ليست في ر١.

(٣) ليست في ر١.

(٤) في ر١: «الملك».

(٥) ليس في ر١.

(٦) في أ: «بنته زوج».

بن إدريس[١]. ثمّ قام عليه عبدُ الرزّاق الخارِجيُّ الصُّفْريُّ من مَدْيُونةَ، فدارت بين عليّ وعبد الرزّاق حروبٌ كثيرة، إلى أن هزمه الخارجيُّ، واستولى على فاس. ومرَّ عليٌّ إلى أوْرَبة، وملك عبدُ الرزّاق عُدوةَ الأنْدَلُسيِّين، ولم يملِكْ عُدوةَ القَرَويين، فبعثوا إلى يحيى بن القاسم بن إدريس الذي يُعرف بالعَدَّام[٢] وقدَّمه على أنفسهم أهلُ عُدوة القَرَويّين، ثمّ ملَكَ بعدَ ذلك عُدوةَ الأنْدَلُسيّين، وأخرج منها عبدَ الرزّاق هذا[٣] في خبرٍ طويل. وطالت أيّامُ يحيى هذا بفاسَ وما والاها من البلاد والأقطار والقِلاع، إلى أنْ قتَلَه رَبيعُ بن سليمان سنة اثنتين وتسعين ومئتين[٤].

ثمّ ولي يحيى بن إدريس بن عُمرَ بن إدريسَ بن إدريس، وذلك أنّه لما مات يحيى بن القاسم تقدَّم إلى فاسَ يحيى بن إدريس، وملَكَها[٥]. ورجع الأمرُ إلى بني عُمر بن إدريس خمسَ عشْرةَ سنة، إلى أن قَدِمَ مَصَالةُ بن حَبُوس في سنة سبع وثلاث مئة، وذلك أنّ مَصَالةَ قد قدِمَ الغَرْبَ في المرة[٦] الأولى سنة خمس وثلاث مئة، فابتدأ بالإحسان والإكرام لموسى بن أبي العافية، وقدَّمه على ما استولى عليه من بلاد الغرب. وكان يحيى بن إدريس، صاحبُ فاس، يُغير عليه، ويقطع عنه[٧] أمَلَه. فلمّا رجع مَصَالةُ في سنة سبعٍ وثلاث مئة، أقام بالغَرْب خمسة أعوام، فكان ابن أبي العافية يسعى في ضِرار[٨] يحيى وحَنَقِه عند مَصَالة لِـمَا تقدَّم بين موسى ومَصَالة من المودَّة، ولِـمَا كان بين موسى ويحيى بن إدريسَ من العداوة. فعزم مَصَالةُ على القَبْض على يحيى، فلم يزَلْ يتحيَّلُ عليه، حتّى أقبل إلى معسكرِه، فغدَرَه وقبض عليه،

---

(١) العبارة في ر١: «وانتقل الأمر إلى بني عمر بن إدريس عن بني محمد بن إدريس».

(٢) هكذا في النسخ، وفي م: «العوام».

(٣) ليست في أ، م.

(٤) تاريخ ابن خلدون ٤/ ١٥.

(٥) تاريخ ابن خلدون ٤/ ١٦.

(٦) في أ: «الردة»، وفي م: «حركته»!

(٧) في ر١: «عليه».

(٨) في ر١: «ضرر».

وانتزع ما كان بيده[1]، وأمره باستجلاب مالِه؛ فأحضره، وأخرجه[2] من فاس، وولي فاسًا عامِلُ مَصَالة. وانفصل مَصَالةُ من الغرب، وبقي موسى بن أبي العافية في الغرب أميرًا.

ثمّ قام حَسن بن محمد سنة ثلاث عَشرة وثلاث مئة[3]، وهو حَسَن بن محمد بن القاسم بن إدريسَ بن إدريس، الملقَّبُ بالـحَجَّام، فأوقع بموسى بن أبي العافية. وكان بينه وبين رُؤساء القبائل وقعةٌ شنيعةٌ، لم يكن بالغَرْب بعد دخول إدريس الكبيرِ مِثْلُها، قُتِلَ فيها من البربر نحوُ أَلْفَيْ قتيل، وقُتِلَ لموسى في جُملتهم وَلَدٌ يُسَمّى مَنْهَلًا. وملَكَ حسنٌ هذا فاسًا وما يليها نحوَ سنتَيْن، ثمّ قام عليه أهْلُ فاس وغَدَروه وقدَّموا حامِدَ بن حَـمْدان الـهَمْدانيَّ، وكان يُعْرَفُ باللَّوْزيّ، وهي قريةٌ بإفريقيةَ نُسب إليها تُسمّى لَوْزة، فأخذ حامِدٌ حَسَنَ بن محمد وسجنه، وأرسل إلى موسى بن أبي العافية، فأتاه بجيوشه، ودخل فاسًا، وتغلَّب عليها، وأراد قَتْلَ حَسَنٍ لأجل ابنه مَنْهَل الذي كان السَّبَبَ في قتله، فدافعه حامِدٌ عنه، وكره الـمُجاهَرَة بقتله. ثمّ سُمَّ بعدَ ذلك، وقيل: أخرجه حامدٌ على السُّور فسقط عنه وانكسرت رِجْلُه، ووصل إلى عدوة الأنْدَلُسيّين فمات بها[4]، رحمه الله.

واستولى موسى بن أبي العافية على مُلْك فاس وبلاد الغَرْب بعد موت حَسَن الـحَجّام، وسُمِّيَ بذلك لأنّه حارَبَ بني عمِّه، فضرب رجلًا بحَرْبة صادفَ بها موضعَ الحجم؛ ثمّ صادَفَ ضربةً أُخرى لشخصٍ آخر في موضع الـمَحاجِم أيضًا، وكذلك ثالثةً، فقال ابن عمِّه أحمدُ: صار ابن عمّي حجّامًا، فسُمِّي بذلك. ومن قوله [من الطويل]:

وسُـمِّيْتُ حَجَّامًـا ولـستُ بِحـاجِمِ ولكنْ لِـضَرْبي في مكـانِ الـمَحاجِمِ

---

(١) في ر١: «بين يديه».

(٢) في أ: «فأحضره له».

(٣) هكذا في النسخ، وغيّرها ناشر (م) إلى «٣١٠».

(٤) في ر١: «حتى مات» بدلًا من «ووصل إلى عدوة الأندلسيين فمات بها».

ولـمّا استولى ابن أبي العافية على فاس، قَتل عبدَ الله بن ثَعْلَبة بن مُـحارِب الأزْديَّ[١]، وقَتل أخاه[٢] محمَّدًا، وهرب والدُهما ثَعْلَبةُ بن مُحارِب إلى قُرْطُبة. وأراد موسى بن أبي العافية قَتْلَ حامِد الذي كان السَّبَبَ في دخوله فاسًا، فهرب منه وحَصَلَ في المهديَّة. وأجلى موسى بني إدريسَ أجمعين عن مواضعهم، وصاروا في مدينة حَجَر النَّسْر مَقْهورين، وهو حِصْنٌ مانِعٌ بناهُ إبراهيمُ بن محمد بن القاسم بن إدريس. وعزم موسى على مُحاصَرتهم في هذا الحصن واستئصالهم[٣]، فأخذ عليه في ذلك أكابِرُ أهْلِ المغرب، وقالوا له: قد أجْلَيْتَهم، وأفْقَرْتَهم، أتُريدُ أن تقتلَ بني إدريسَ أجمعين، وأنت رجلٌ من البربر؟ فانكسر عن ذلك[٤]، ولاذ عنهم بعسكرِه، وتخلَّف لمراقبتهم[٥] قائدُه أبو[٦] قَمْح، فكانت محلَّتُه قريبًا منهم، فضيَّق عليهم، واستخلف ابن أبي العافية ابنَه مَدْيَن على فاس، فبقي بها حتّى قدم حُمَيْد بن يَصَل. ولـمّا وصَل حُـمَيْدٌ إلى بلاد الغرب[٧]، ولَّى على فاسٍ حامِدَ بن حَـمْدان. وكان ولدُ موسى لـمّا سمع بقدوم حُـمَيْد وحامِد، هَرَبَ من فاس. وتظاهَرَتْ بنو إدريسَ على قائد موسى ابن أبي العافية فهزموه وغنموا أكثرَ عسكرِه، وذلك سنة سبعَ عشْرةَ وثلاث مئة[٨]. ثمّ قام بفاس أحمد بن بكر بن أبي سَهْل الـجُذاميُّ[٩]، فقتل حامِدَ بن حَـمْدان، وبعث برأسه إلى موسى بن أبي العافية وبرأس ولده، فبعث بهما موسى إلى قُرْطُبةَ معَ سعيد الزَّرّاد. وكان حُـمَيْد بن يَصَال، لـمّا رجع من بلاد المغرب إلى إفريقية، ترك

---

(١) ينظر تاريخ ابن خلدون ٤/ ١٦.

(٢) في ر١: «ابنه»، وهو خطأ، لما سيأتي بعد من قوله «والدهما».

(٣) ليست في أ.

(٤) في ر١: «فانكسر لذلك».

(٥) في ر١: «وخَلَّف لمحاصرتهم».

(٦) في ر١: «أبا».

(٧) في ر١: «المغرب».

(٨) تاريخ ابن خلدون ٤/ ١٦-١٧.

(٩) تاريخ ابن خلدون ٤/ ٤٠.

موسى بن أبي العافية بغير عَهْدٍ من أمير إفريقية، فكان ذلك سَبَبًا لسجنه بإفريقية، إلى أن هرب إلى الأَنْدَلُس. وكان موسى يَمِيلُ لصاحب قُرْطُبَةَ من أُمراء بني أُمَيَّة.

وفي سنة أربع وعشرين وثلاث مئة: خرَّب عليُّ بن حَـمْدُون المعروفُ بابن الأَنْدَلُسيّ[١] مدينةَ الـمَسِيلَة. وكان بينَها وبين طُبْنة مَرْحَلَتانِ، وكان بقرب الـمَسِيلَة مدينة للأوَل تُسَمَّى الرُّمَّانِيَّة، يطلُّ عليها جَبَلُ أوْراس، وهو مسيرةُ سبعة أيَّام، وفيه قِلاعٌ كثيرةٌ يسكنها هَوَّارة، وهم على رأي الـخَوارِج. وفي هذا الجبل كان مُسْتَقَر الكاهِنة، وفيه ظهر أبو يزيد مَـخْلَد بن كَيْداد، وقامَ على أبي القاسم الشيعيّ.

وفي سنة خمس وعشرين وثلاث مئة: قَدَّم أبو القاسم بن عُبَيْد الله الشيعيُّ على صِقِلِّيَّة خليلَ بن إسحاق[٢]، فعَمِل بها ما لم يعمَلْه[٣] أحَدٌ قبْلَه ولا بَعْدَه من المسلمين، أهلكهم[٤] قتلًا وجوعًا، حتّى فرُّوا إلى بلاد الروم، وتنصَّر كثيرٌ منهم[٥]، وبقي بصِقِلِيَّة أربعةَ أعوام. ولـمّا قَدِم منها سنة تسع وعشرين، قال يومًا، مفتخرًا بظُلمه، في مَـجْلِسٍ حَضَرَهُ جماعةٌ من وجوه الناس تكلَّموا فيه معه في أُمورٍ شَتَّى، ثمّ جرى ذِكْرُ خروجه إلى صِقِلِيَّة، فقال: إني قتلتُ وأهلكت[٦] ألفَ ألف، يقولُه[٧] الـمُكَثِّر، والـمُقلِّل يقول: مئة ألف، في تلك السَّفرة، ثمّ قال: لا والله إلّا أكْثَرَ، فقال له أبو عبد الله المؤدِّب: يا أبا العبَّاس، لك في قَتْلِ نَفْسٍ واحدةٍ ما يكفيك، وكان خليلٌ هذا يُكْنَى أبا العبَّاس[٨]، وكان عُبيد الله الشيعيُّ[٩] يُصَرِّفه[١٠] في الأعمال وجِبايات الأموال

(١) ينظر تاريخ ابن خلدون ٤/ ٨٢.

(٢) تنظر الحلة السيراء ١/ ٣٠٢.

(٣) في ر١: «يعمل».

(٤) في ر١: «أهلك المسلمين» بدلًا من «من المسلمين، أهلكهم».

(٥) في أ: «أكثرهم».

(٦) «وأهلكت» ليست في أ.

(٧) في ر١: «يقول».

(٨) قوله: «وكان خليل هذا يكنى أبا العباس» ليس في ر١.

(٩) ليس في ر١.

(١٠) في ر١: «يصرّف خليلًا هذا».

ومحاسبة الدواوين والعُـمَّال[١]. ثمّ وقعت فيه أقوالٌ سيّئة[٢]، فكرهه عُبيدُ الله وأبغضَهُ، ولولا ابنُه أبو القاسم لأهلَكَهُ. ومن قول خليل هذا[٣] في عُبيد الله الشيعيّ، لعنهما الله[٤]، وتوَغُّلِهِ فيه[٥] [من الكامل]:

إنَّ الإمــامَ أقــامَ سُــنَّةَ جَـدِّهِ ... للمسلمينَ كما حذوتَ نِعالَــها

أحيــا شَرائعَــهُ وقــوَّم كُتْبَهــا ... وفُروضَها[٦] وحرَامَهـا وحَلالَــها

وكان الأميرُ أبو القاسم بن عُبيد الله أمر ببناء مدينة الـمَسِيلة سنة ثلاثَ عشْرةَ وثلاث مئة[٧]، وجعل الـمُتَوَلّـيَ لبنائها ابنَ الأنْدَلُسيّ، واستعْمَلَه بعد ذلك عليها، إلى أن هلك في فتنة أبي يزيد مَـخْلَد بن كَيْداد سنة ست وعشرين وثلاث مئة، وبقي ابنُه جعفرٌ في الـمَسِيلة، وصار أميرًا على الزَّاب كلّه، إلى أن خرج عنها في سنة ستين وثلاث مئة في فتنة زِيرِي بن مَنَاد[٨]. والشيعةُ تُسَمِّي الـمَسِيلةَ: الـمُحَمَّديَّةَ، قال المروي [من الرجز]:

ثُــمّ إلى مدينــةٍ مَرْضِــيَّهْ ... أُسِّتْ على التَّقْوى محمَدِّيَّـهْ

وأمّا مدينة أشير[٩]، فبناها زِيرِي بن مَناد الصُّنْهاجيُّ، والدّليلُ على ذلك ما أنشَده عبدُ الملك بن عَيْشون، وهو قوله [من السريع]:

يَا أيُّها السَّائلُ عن حربنا ... وعن مَـحَلِّ الكُفْر أَشِيرِ

---

(١) في م: «ومحاسبات العمال» بدلًا من «ومحاسبة الدواوين والعمال».

(٢) ليست في أ، م.

(٣) ليست في أ، م.

(٤) من ر١.

(٥) قوله: «وتوغله فيه» ليس في ر١.

(٦) في ر١: «وفروعها».

(٧) ينظر الروض المعطار ٥٥٨.

(٨) ينظر عنه الوافي للصفدي ١٥/ ٥٩.

(٩) معجم البلدان ١/ ٢٠٢.

عـن دارِ فِسْقٍ ظالِـمٍ أهْلُهـا   قـد شُـيِّدَتْ للكُفْـرِ والـزُّورِ
أسَّـسها الـمَلْعُونُ زِيرِيُّهـا   فلعنَـةُ الله عـلى زِيـرِي

وخرَّبها يوسفُ بن حـمَّاد الصُّنْهاجيُّ واستباح أموالها بعد الأربعينَ والأربع مئة.

وفي سنة سبع وعشرين وثلاث مئة: قام بالمغرب الأقصى، ويُقالُ له: السُّوسُ[١] الأدنى، وهو موضِعُ تادَلا وتامَسْنا، أبو الأنصار بن أبي عُفَيْر البَرْغَواطيُّ بعد موت أبيه، وكان يَفِي بالعَهْد والوَعْد. وسأذْكُرُ بعضَ أخبارهم إن شاء اللهُ تعالى.

ومن أخبارِ أبي يزيدَ مَـخْلَدِ بن كَيْداد اليَفْرَنيِّ الزَّناتيّ[٢]

هو مَـخْلَد بن كَيْداد بن سَعْد الله بن مُغِيث بن كَرمان بن مَـخْلَد بن عثمان بن وُرِيمَّت بن تبقراسن[٣] بن سميدان بن يَفْرَن، ويَفْرَن هو أبو الكاهنة وينتسب إلى جانا بن يحيى أبو[٤] زَناتَة كُلِّها.

قال ابن حـمَّادُه: كان أبو القاسم الشيعيُّ لـمّا مات أبوه عُبَيْد الله أظهر مَذْهَبَه، وأمر بسَبِّ الغارِ والعَباء وغيرِ ذلك من الضّلالة[٥] وتكذيب كِتاب الله تعالى، فمن تكلَّم عُذِّبَ وقُتِلَ، واشتدَّ الأمْرُ على المسلمين. ثمّ إنّ أبا يزيد هَبَطَ من جبل أوْراس، يدعو إلى الحقّ بزعمه، ولم يَعلم الناسُ مَذْهَبَه[٦]، فرَجَوْا فيه الخيرَ والقيام بالسُّنَّة، فخرج على الشيعة، ودخل إفريقية، وخرَّب مُدُنَها ودوَّخها، وقتل من أهلها ما لا ينحصر.

وفي سنة اثنتين وثلاثين وثلاث مئة: اشتدَّ أمرُ أبي يزيدَ بإفريقية حتّى فرَّ أمامَهُ أبو القاسم الشيعيُّ إلى الـمَهْديَّة من رَقَّادة. وكان أبو يزيدَ أحَدَ أئمَّة الإباضيَّة النُّكَّار بالمغرب، قال الرَّقيق: وقرأ على عَمَّار الأعْمَى، وكان يركبُ الـحِمارَ، وتَسَمَّى شَيْخ

---

(١) في أ: «اليوم».

(٢) ذكر خبره موسعًا المقريزي في اتعاظ الحنفا ١/ ٧٥-٨٥.

(٣) في ر١: «تنظر س».

(٤) سقط من م.

(٥) ليست في أ، م.

(٦) «مذهبه» ليست في ر١.

المؤمنين. قال ابن سَعْدُون: فبعث اللهُ على أبي القاسم الشيعيّ مَخْلَدَ بن كَيْداد الخارجيَّ، فقهَرَه وقتل جنودَه، وقام المسلمون معه، وخرج الفقهاء والعُبَّادُ مع أبي يزيدَ لحربِه. وسَمَّاهم ابن سعْدُون في كتابه رَجُلًا رَجُلًا. فركبوا معه، فنهض[1] إلى القَيْرَوان فدخلها في صَفَر العام، وأظهر لأهلها خيرًا وترحَّم على أبي بكر وعُمَر رضي الله عنهما، ودعا الناسَ إلى جهاد الشيعة، وأمرهم بقراءة مَذْهَب مالِك، فخرج معه[2] الفقهاءُ والصُّلحاءُ معلنين[3] في الأسواق بالصلاة على النبيِّ ﷺ والرِّضا عن أبي بكر وعمر وسائرِ الصّحابة[4] حتّى ركزوا بنودَهم عند الجامع. فلما كان يومُ الجُمعة، اجتمعوا بالمسجد الجامع، وركبوا معَ أبي يزيدَ بالسلاح، ومعهم البنودُ والطبولُ، منها بَنْدانِ أصْفَران[5]، مكتوبٌ في أحدهما[6] البسملة و«محمَّد رسولُ الله»، وفي الآخر[7]: «نَصْرٌ من الله وفَتْحٌ قَرِيبٌ، على يدَي الشيخ أبي يَزيد. اللَّهُمَّ انْصُرْ وليَّك على من سبَّ أولياءك»، وبَنْدٌ آخرُ مكتوبٌ عليه: ﴿فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ﴾ [التوبة: ١٢]، وبَنْدٌ آخرُ فيه مكتوب: ﴿قَٰتِلُوهُمۡ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ بِأَيۡدِيكُمۡ وَيُخۡزِهِمۡ وَيَنصُرۡكُمۡ عَلَيۡهِمۡ﴾ [التوبة: ١٤]؛ وبَنْدٌ آخر مكتوبٌ فيه بعد البسملة أيضًا: «محمد رسولُ الله، أبو بكر الصِّدِّيق، عُمَر الفارُوق»، وبَنْدٌ آخر، وهو السابع، فيه «لا إلهَ إلّا الله محمَّد رسولُ الله ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذۡ أَخۡرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠]. فلمّا اجتمع الناسُ، وحضر الإمامُ، وطلع على المِنبَر، خطب خطبةً أبْلَغَ فيها، وحرَّض الناسَ على جهاد الشيعة، وأعلمهم بما لهم فيه من الثواب، ثمّ لعن عُبيدَ الله الشيعيَّ وابنَه[8]،

---

(١) في أ، م: «ونهضوا».

(٢) ليست في أ، م.

(٣) من ر١.

(٤) في أ، م: «بالصلاة على النبي ﷺ وعلى أصحابه وأزواجه»، وما أثبتناه من ر١، وهو أبين.

(٥) في ر١: «أحمران».

(٦) في ر١: «فيهما».

(٧) في ر١: «الثاني».

(٨) في ر١: «عبيدًا وابنه».

ثمّ نزل، فخرج وخرج الناس معه لقتال الشيعة الفُجّار[١]. فلم يَزلْ قاهرًا لهم، غالبًا عليهم، قاتلًا لجنودِهم، حتَّى لم يَبْقَ لهم من بلاد إفريقيّةَ إلَّا اليسيرُ.

ولما رأى أبو يزيدَ أنَّه قد استولَى على الأمر، أو كادَ، وأنَّ الشيعيَّ قد كاد يَبيدُ، أو بادَ، قال لجنوده: إذا التَقيتُم مع القوم فانْكَشفوا عن أهل القَيْرَوان، حتَّى يتمكَّن أعداؤُكم من قَتْلهم، فيكونوا هُمُ الذين قتلُوهم لا نَحْنُ، فنستريحَ منهم؛ أرادَ أن يتبرَّأَ من مَعَرَّة قتلهم عند الناس، وأراد الراحةَ منهم، لأنَّه فيما ظنَّ، إذا قُتِل شيوخُ القَيْرَوان وأئِمَّةُ الدين، تَمَكَّنَ من أتْباعِهم، فيدْعُوهم إلى ما شاءَ، فيتَّبعونه. فقُتِل من صُلَحاء القَيْرَوان وفُقَهائِها مَنْ أراد اللهُ بسَعادته وشَهادته، وسُقِطَ في أيدي الناس، وقالوا: قَتَلَ أولياءَ الله شُهَداء[٢]. ففارَقوه، واشتدَّ بُغْضُهم له، أعني لأَبي يَزيد[٣]. ومات أبو القاسم الشيعيُّ محصورًا.

وفي سنة ثلاث وثلاثين وثلاث مئة: قَتل أبو يزيد مَيْسَرةَ الفَتَى قائدَ أبي القاسم الشيعيّ[٤]؛ وكان بين أبي القاسم وأبي يزيد[٥] حروبٌ كثيرةٌ. وفيها كانت الوقعةُ المشهورةُ بينَهما في وادي المِلْح، قُتِلَ فيها من أصحاب أبي القاسم[٦] عَدَدٌ لا يُحْصَى.

وفي سنة أربع وثلاثين وثلاث مئة: تُوُفِّي أبو القاسم بن عُبيد الله الشيعيُّ، المتلقِّب[٧] بالقائم بأمر الله، وذلك يومَ الأحد لثلاثَ عشْرةَ خَلَتْ من شوَّالٍ من السنة المذكورة، فكانت مدَّتُه اثنتَيْ عشْرةَ سنةً[٨].

---

(١) «الفجار» ليست في أ.

(٢) ليست في ر١.

(٣) عبارة: «أعني لأبي يزيد» ليست في ر١.

(٤) «قائد أبي الحسن الشيعي» ليست في ر١، وينظر اتعاظ الحنفا ١/ ٧٧.

(٥) في ر١: «بينه وبين أبي يزيد».

(٦) في ر١: «الشيعي» بدلًا من «أبي القاسم».

(٧) سقطت من أ.

(٨) الكامل لابن الأثير ٨/ ٤٥٥.

ولاية[1] إسماعيل بن أبي القاسم بن عُبيد الله الشِّيعيّ[2]

كُنْيَتُه: أبو الطاهِر. لَقَبُه: المنصور. وكان والدُه وَلاَّه عَهْدَه في رمضان وَدَعا له على المنابِر بإفريقية، وكان مَوْلِدُه بالمهديَّة سنة اثنتين وثلاث مئة، وَوَلِيَ وسِنُّه اثنتان وثلاثون سنةً، وكان فصيحًا بليغًا.

وفي سنة خمس وثلاثين وثلاث مئة: وصل أبو يزيد إلى المهديَّة، ثمَّ نهض[3] إلى سُوسة، فناوشَهُ أهْلُها؛ فقِيلَ فيه [من الوافر]:

أَلَـمَّ بِـسُوسةَ وبَغَـى علَيْهـا	ولكـنَّ الإلـهَ لها نَـصِيرُ[4]
مدينـةُ سوسـةَ الغَـرْب ثَغْـرٌ	يَدينُ لها الـمَدائنُ والقُـصورُ[5]
لقَدْ لُعِـنَ الَّـذِينَ بَغـوْا عَلَيْهـا	كـما لُعِنَـتْ قُرَيْظَـةُ والنَّـضِيرُ
أعَـزَّ الـدِّينَ خـالِقُ كُـلِّ شَيْءٍ	بِسُوسةَ بَعْدَما التَوَتِ الأُمـورُ

فرفع أبو يزيد عنها، ورجعَ إلى المهديَّة. فلما وصلها، دفع حتَّى ضرب برُمحه في بابها؛ فدخل رَجُلٌ[6] القصرَ على إسماعِيل؛ فوجده يلعب بسِلْباحة في الصِّهْريج. فقال له: تلعبُ، وأبو يزيد يركُزُ رُمحه بالباب! فقال له: أوَقَدْ فَعَلَ؟ قال: نَعَمْ. قال: والله لا عاد إليها أبدًا وقد جاءَ حَتْفُه، كذا رَأيْنا في كُتُبنا. ثمَّ أمر في الحين بالركوب والخُروج إليه.

وفي سنة ست وثلاثين وثلاث مئة من الهجرة: أمر المنصور أبو الطاهر ببناءِ صَبْرة[7]، واختطَّها، وسمَّاها الـمَنْصوريَّة. قال البَكْرِيُّ: ولم تزل الـمَهْدِيَّة دارَ مُلْك

---

(١) في أ: «إمارة» وما هنا من ر١.

(٢) ليست في ر١. وتنظر الحلة السيراء لابن الأبار ٢/ ٣٨٧.

(٣) في ر١: «وصل».

(٤) في ر١: «فلا كان الإله له نصير».

(٥) هذا البيت ليس في ر١.

(٦) في أ، م: «راجل» وما هنا من ر١ وهو أوفق للمعنى.

(٧) معجم البلدان لياقوت ٣/ ٣٩١.

بني عُبيد إلى أن سار منهم أبو الطاهر إلى القَيْرَوان بعد قَتْله لأبي يزيد، وبنَى مدينة صَبْرة، واستوطنها، وخَلَتْ أكثرُ أرْباض المهديَّة وتهدَّمت. ونقل أبو الطاهر سُوقَةَ القَيْرَوان إلى صَبْرة. وكان لها أربعة أبواب. وبينها وبين القَيْرَوان نَحْوَ نِصْفِ مِيلٍ. وكان[1] من المهديَّة إلى مدينة سَلَّقْطة[2] ثمانية أميال؛ ومنها زحف أبو يزيد إلى المهديَّة أيَّامَ حصاره. وكانت محلَّةُ أبي يزيد بتَرْنُوط[3]. وفي كُتُب الحِدْثان: إذا ربط الخارِجيُّ خَيْلَه بتَرْنُوط، لم يَبْقَ لأهل السَّوَاد محلولٌ ولا مربوطٌ! وَيْلٌ لأهل السَّوَاد من محلَّة ابن كَيْداد![4] وامتحن أهلُ باجة أيَّامَ أبي يزيد بالقَتْل والسَّبْي. وقيل في أبي يزيد [من الرجز]:

وبَعْـدَها باجـةَ أيـضًا أفْـسَدا وأهْلَهـا أخْـلَى ومنهـا شَرَّدا

ولما عزمَ المنصورُ على مُقاتَلته ومُحاربته[5]، أعطى جنوده، وحشد حشوده، وخرج إليه في عساكره. فمرَّت الهزيمة على أبي يزيد. وأمر إسماعيل الناس باتِّباعه إلى أن دخل بلادَ كُتامة. فتعلَّق بالجبل المعروف بحِصْن أبي يزيد، وأُثْخِن بالجِراح، وقُبض عليه حيًّا؛ فجُعِل في قَفْص من[6] حديد، وجيءَ به إلى المنصور[7] إلى المهديَّة[8]. فقتله، وصلبه على الباب الذي ضرب فيه برُمْحه. قال القُضاعيُّ[9]: مات أبو يزيد في محرَّم من سنة ست وثلاثين وثلاث مئة المذكورة.

قال: وأمر بسَلْخِه، وحَشْي جلده قطنًا، وصَلْبِه[10].

---

(١) من هنا إلى قوله: «حصاره» ليس في ر١.

(٢) ينظر عنها الروض المعطار ٣١٨.

(٣) الروض المعطار ١٣٣.

(٤) ينظر المصدر السابق.

(٥) في ر١: «ولما عزم أبو الطاهر على محاربته لما قيل له قد وصل إلى الباب».

(٦) ليست في ر١.

(٧) في أ: «وجاء به».

(٨) في ر١: «أبي الطاهر».

(٩) قول القضاعي هذا كله ليس في ر١.

(١٠) في ر١: «وصُلب».

وقال ابن حَمَادَة: ولما ظفر بأبي يزيد[1]، نهض إلى القَيْرَوان؛ فدخلها في هذه السنة[2]؛ فقتل من أهلها خَلْقًا، وعذَّب آخَرين؛ ولم يزالوا معه في الامتحان إلى أن هلك.

قال القُضاعيُّ[3]: وكان انتقال المنصور إلى المنصوريَّة في سنة سبع وثلاثين وثلاث مئة.

وفي سنة تسع وثلاثين وثلاث مئة: تحرَّك أبو الطاهر المنصور بن أبي القاسم بن عُبيد الله الشيعيُّ[4] إلى بلاد المشرق؛ وردَّ الحَجَر الأسود إلى مكانه من الرُّكْن من بيت الله الحَرَام، وذلك بعد خمسة أعوام من دولة الـمُطِيع. وكان الذي اقتلعه سُليمان بن الحسن القِرْمِطيُّ - لعنه الله! - في سنة[5] سبع عشرة وثلاث مئة، في أَيَّام المقتدر العبَّاسيّ، رحمه الله، والذي تولَّى قَلْعَة بيده بأمر القَرْمَطيّ جعفر بن أبي عِلاج، لعنه الله، ولما مات القِرْمِطيُّ، وجَّه إخْوَتُه الحَجَرَ، فرُدَّ إلى موضعه في هذه السنة؛ ووَضَعَهُ بيده حُسينُ ابن الـمَرُّوذيّ الكِناني[6]. وكان غَيْبَةُ الحَجَر من يوم قَلْعِهِ إلى يوم رَدِّه اثنتين وعشرين سنةً أو نَحْوَها. وَرِيَّ الحَجَرُ الأسودُ، في أيام ابن الزُّبَيْر، ناصِعَ البياض إلَّا وَجْهَه الظاهر. وكان اسْوِدادُه من لَطْخ الـمُشركين له بدَم القَرابين، ولِـمَسِّهم له[7] بأيديهم، مع طُول الدهر. قال الذَّهَبيُّ[8]: حضرتُ يومَ قَلْعِه، ويومَ رَدِّه.

---

(١) في ر١: «صلب أبو يزيد» بدلًا من: «لما ظفر بأبي يزيد».

(٢) «في هذه السنة» ليست في ر١.

(٣) قول القضاعي هذا ليس في ر١.

(٤) «بن أبي القاسم بن عبيد الله الشيعي» ليس في ر١.

(٥) «في سنة» ليست في ر١.

(٦) هكذا هذه الرواية، وفي تاريخ الإسلام للذهبي أن الذي وضعه بيده هو سنبر بن الحسن بن سنبر، نقل ذلك عن المسبحي (٧/ ٦٤٠-٦٤١).

(٧) ليست في ر١.

(٨) في أ: «الذئبي» وهو بعيد فهذه النسبة قلّما عُرف بها أحد العلماء، وعُرف بها سطيح الكاهن، والذهبي نسبة عرف بها عدد من العلماء يتعذر علينا معرفة المقصود منها، وخبر رد الحجر في هذه السنة مذكور في كتب الحوليات مثل المنتظم والكامل وتاريخ الإسلام وغيرها.

وفي سنة أربعين وثلاث مئة: وَلَّى أبو الطاهر إسماعيل العُبَيْديُّ ولدَه مَعَدًّا الـمُكَنَّى بأبي تَـمِيم عَهْدَه. وخرجَ أبو الطاهر مُتَنَزِّهًا إلى جَلُولا، ورجعَ منها مُعْتَلًّا، وصلَّى عيد الفطر مَريضًا.

وفي سنة إحدى وأربعين وثلاث مئة: تُوفِّي أبو الطاهر إسماعيل، الـمُلَقَّب[1] بالمنصور، ابن أبي القاسم الملَقَّب بالقائم، ابن عُبيد الله المهديّ[2]؛ وذلك مُنْسَلَخ شَوّال من العام، وله تسعٌ وثلاثون سنة. فكانت ولايتُه سبع سنين وخمسة عشر يومًا. حاجِبُه جعفر بن عليّ[3].

ثم وَلِـيَ المملكة مَعَدُّ بن إسماعيل الـمُعِزُّ لدين الله العُبَيْديُّ

وهو مَعَدُّ بن إسماعيل بن أبي القاسم[4] بن عُبيد الله. كُنيتُه: أبو تَـمِيم. لَقَبُه: الـمُعِزُّ لدين الله. مولدُه: بالمهديَّة في رمضان من سنة تسع وعشرة وثلاث مئة. وَولِيَ، وله اثنتان وعشرون سنة[5]. وهو أوَّلُ من ملك مِصْرَ من بني عُبَيْد؛ وذلك أنَّه، لما تُوفِّي كافُور الإخْشِيديُّ أميرُ مِصْرَ، بعث الـمُعِزُّ لدين الله القائدَ[6] أبا الـحَسَن جَوْهَرًا إلى مِصْرَ. وكان جَوْهَرٌ غُلامَ والِدِه إسماعيل، وأصْلُه رُوميٌّ، جَلَبَهُ خادِمٌ اسمُه صابرٌ؛ ثمَّ انتقلَ إلى خَفِيفٍ الخادِم، فحمله إلى إسماعيل المنصور، فظهر[7] عنده، فأرسله الـمُعِزُّ بالعساكر إلى مِصْرَ، فافتتحها يومَ الثلاثاءِ لسبع عشرة ليلةٍ خَلَتْ من شعبان[8]. وهرب أعيانُ الإخْشِيديَّة من مِصْرَ إلى الشام قبل وصول جَوْهر[9]، وأُقيمت الدعوة للـمُعِزِّ،

---

(١) من هنا إلى قوله: «العام» ليس في ر١.

(٢) الكامل لابن الأثير ٨/ ٤٩٧.

(٣) «حاجبه جعفر بن علي» ليست في ر١.

(٤) قوله: «المعز لدين الله العبيدي، وهو معد بن إسماعيل بن» ليست في ر١.

(٥) الحلة السيراء ٢/ ٣٩١.

(٦) «القائد» ليست في ر١.

(٧) في ر١: «وظهر».

(٨) الحلة السيراء ٢/ ٣٩١.

(٩) «قبل وصول جوهر» ليست في أ.

يومَ الجمعة الموَفي عِشْرين لشعبان من سنة ثمان وخمسين وثلاث مئة، في الجامع العتيق؛ وكان الخطيب أبو محمَّد الشِّمْشاطيُّ. ودُعِيَ له[1] بمكَّة في مَوْسِم هذه السنة، ودعا أبو مُسْلِم العَلَويُّ بالمدينة للمُعِزّ. وسار جعفر بن فَلاح إلى الشام، وقبض على الحُسين بن عبد الله، وأنفذه إلى جَوْهَر، فانفذ جَوْهرٌ الحسينَ المذكورَ مع جماعة من الإخْشِيدِيَّة مع هديَّةٍ إلى المُعِزّ؛ فوصلت إلى إفريقية مع وَلَده جعفر في رَجَب من سنة تسع وخمسين وثلاث مئة.

وفي سنة اثنتين وأربعين وثلاث مئة: فُلِجَ خطيبُ القَيْرَوان على المِنْبَر، ومات، وتَمَّمَ الخُطبةَ أبو سُفيان الفقيهُ.

وفي سنة أربع وأربعين وثلاث مئة: وُلِدَ للمُعِزّ أبي تَمِيم وَلَدٌ سمَّاهُ نِزارًا[2].

وفي سنة ست وأربعين وثلاث مئة: وَلِيَ مدينةَ سَبْتة والٍ من قِبَل الناصر عبد الرحمن، أميرِ[3] الأنْدَلُس، وأَمَرَهُ بتحصينها وبناء سُورها؛ فبناه بالكَذَّان[4].

وفي سنة سبع وأربعين وثلاث مئة: دخل جوْهرٌ قائدُ أبي تَمِيم إلى الغَرْب[5]، واستولى على مدينة فاس. ثمَّ توجَّه إلى تِيطَّاوِن[6]، ووصل إلى مَضيق سَبْتة، فلم يَقْدر عليها، ورجعَ عنها، وقصدَ بعساكره إلى سِجِلْماسة، ففرَّ أمامَه صاحِبُها محمَّدُ ابن الأمير[7] الفَتْح[8]، وتَحَصَّن في حِصْنٍ على اثني عَشَر ميلًا من سِجِلْماسة، بأهله وماله وبعض أصحابه. وكان يُلَقَّبُ الشاكِرَ لله؛ وقد تقدَّم بعضُ خبره. واستولى جَوْهَرٌ

---

(١) في ر١: «ودعا للمعز».

(٢) تاريخ الإسلام للذهبي ٨/ ٦٠١.

(٣) في ر١: «صاحب».

(٤) الكذّان: الحجارة التي ليست بصلبة (اللسان: كذن).

(٥) في ر١: «المغرب».

(٦) في ر١: «تطاون»، وينظر الروض المعطار ١٤٥، وهي المعروفة اليوم باسم «تطوان».

(٧) في أ: «الأمين».

(٨) في ر١: «أبي الفتح»، وسيأتي بعد قليل على الوجه.

على سِجِلْماسة؛ فملكها. وخرج محمَّدُ بن الفَتْح من الـحِصْن في نفرٍ يسيرٍ، ليتعرَّف الأخبار، مُسْتَتِرًا، فغدره قومٌ من مَدْغَرة عَرَفوه، وأتوا به إلى جَوْهَرٍ؛ فقتله في رَجَب. وبقي جَوْهَرٌ في الغَرْب نَحْوَ سنةٍ، وتوجَّه إلى إفريقية[1].

وفي هذه السنة: وصل إلى قُرْطُبة الـحَسَنُ بن قَنُّون[2]، من بني إدريس، فارًّا بنفسه أمام جَوْهَرٍ قائدِ أبي تـمِيم المذكور. وكان بنو[3] محمَّد بن القاسم من بني إدريس بن إدريس، رحمهم الله، أجمعوا على هَدْمِ تِيطَّاوِن[4]؛ فهدموها[5]، ثمَّ ندموا على ذلك، وشرعوا في بنائها، فضَجَّ أهْلُ سَبْتة لذلك، لأنَّ بِناءَها ضَرَرٌ بهم، فبعثَ إليهم عبدُ الرحمن الناصر جيشًا برَسْمِ مُحاربة بني محمَّد، وقوَّد[6] على الجيش أحمد[7] بن يَعْلَى. وكتب الناصِرُ إلى حُمَيْد بن يَصَل[8]، صاحبِ تِيكيساس وتلك الجهاتِ كُلِّها، أن يُعِينَ القائدَ المذكورَ على بني محمَّد، فتخلَّى بنو محمد عن بناء تِيطَّاوِن[9] لـمَّا اجتمع العسكران عليهم، وبعثوا أولادَهم[10] مَرَاهِنَ إلى قُرْطُبة.

وفي سنة ثمان وأربعين وثلاث مئة: وصلَ كتابُ صاحب سَبْتة إلى أمير الأنْدَلُس[11] عبد الرحمن الناصر، يُعَرِّفُه بما فُتِحَ عليه في عسكر جَوْهَرٍ قائدِ الشيعيِّ.

---

(١) الكامل لابن الأثير ٨/ ٥٢٤.

(٢) في ر١: «جعفر»، وقد ذكر ابن خلدون أخباره في تاريخه ٦/ ٢١٨-٢١٩.

(٣) في ر١: «أبو»، خطأ.

(٤) في ر١: «تطاون».

(٥) في ر١: «فهدمها».

(٦) سقطت الواو من أ، م.

(٧) في ر١: «محمد».

(٨) في ر١: «مصل».

(٩) في ر١: «تطاون»

(١٠) في ر١: «أولاده».

(١١) في ر١: «سلطانه» بدلًا من: «أمير الأندلس».

وفي سنة تسع وأربعين وثلاث مئة: وجَّه أبو تَـمِيم الـمُعِزُّ لدين الله القاضي إلى أئمَّةِ المساجد والمؤَذِّنين، يأمُرُهم إلاّ يؤَذِنوا إلَّا ويقولوا فيه: «حيَّ[١] على خَيْرِ العَمَل» وأن يَقْرَؤُوا: «بسم الله الرحمن الرحيم» في أوَّلِ كُلِّ سورةٍ، ويُسَلِّموا[٢] تَسْليمَتَيْنِ، ويكَبِّروا على الجنائز خمسًا[٣]، ولا يؤَخِّروا العَصْرَ، ولا يُبَكِّروا بالعشاء الآخرة، ولا تَصيحَ امرأَةٌ وراءَ[٤] جنازةٍ، ولا يقرأ العُمْيَانُ على القبور إلَّا عند الدَّفْن.

وفي سنة خمسين وثلاث مئة: تُوفِّي حُسينُ بن أحمد بن إبراهيم بن محمَّد بن إدريس الـحَسَنيُّ بقُرْطُبة وكانَ رهينًا بها، وخَلَّفَ ابنينِ يُسَمَّيان: محمدًا وحُسينًا، فلم يزالا مستَقَرِّينَ بقُرْطُبة إلى خلافة الـحَكَم، فبَعَثَهُما إلى إخوانهما، فوصلا في رَجَب سنة تسع وخمسين وثلاث مئة، واستقرَّا ببلادهما بالغَرْب[٥].

وفي سنة إحدى وخمسين وثلاث مئة: أخذَ الرُّومُ مدينةَ الـمِصِّيصة ومدينةَ طَرَسُوس[٦]، واستولوا عليهما[٧].

وفي سنة اثنتين وخمسين وثلاث مئة: وفد على الـحَكَم الـمُسْتَنْصِر بالله[٨] أبو صالِح زَمُّور البَرْغَوَاطِيُّ[٩] رَسُولًا من أمير بَرْغَوَاطة أبي منصور عيسى بن أبي الأنصار، وذلك في شهر[١٠] شَوَّال من هذه[١١] السنة. وكان الـمُتَرْجِم عنه باللسان

---

(١) في ر١: «إلا بالحي».

(٢) سقطت من أ.

(٣) سقطت من ر١، ولا بد منها إذ لا معنى من غيرها.

(٤) في ر١: «خلف».

(٥) في ر١: «واستقروا ببلاد الغرب».

(٦) في ر١: «مدِينتي المصيصة وطرسوس».

(٧) ذكر ابن الأثير في الكامل أن استيلاء الروم على المصيصة وطرسوس كان سنة ٣٥٤ (الكامل/ ٨/ ٥٦٠)، وهو الأصح.

(٨) انظر الحلة السيراء ١/ ٢٠٠.

(٩) هو زمور بن صالح بن هاشم بن وراد، وينظر تاريخ ابن خلدون ٦/ ٢٠٧.

(١٠) ليست في ر١.

(١١) ليست في ر١.

العربيّ[١] عيسى بن داود الـمَسْطَاسِيُّ[٢]. فسأله الحَكَمُ عن نَسَب بَرْغَوَاطة ومَذْهبهم[٣]؛ فأخبره[٤].

خَبَر بَرْغَوَاطة[٥]

ومن أخبار بَرْغواطة ما خَبَّرَ[٦] زَمُّورٌ أنَّ طَرِيفًا كان أبا مُلوكهم. وهو من وَلَد شِمْعُون بن يعقوب بن إسحاق، عليهم السلام، قال: وكان طَرِيفٌ من أصحاب مَيْسَرَة مَلِك الـمَغْرِب الذي تقدَّم ذِكْرُه[٧]؛ فلما قُتل مَيْسَرة، وافترق[٨] أصحابُه، احتلَّ طَرِيف ببلاد[٩] تامَسْنَا فقدَّمه[١٠] البَرْبَرُ على أنْفُسهم، فوَلِيَ أمْرَهم، وكان على دين الإسلام، وإليه تُنْسَبُ جزيرةُ طَرِيف[١١]. فبقي أميرًا عليهم، إلى أن هلك، وترك أربعة أولاد. فوَلِيَ الأمْرَ من[١٢] بعده صالِحُ[١٣] بنُ طَرِيف، وكان مولدُه سنة عشر ومئة من الهجرة، فتنبَّأ فيهم، وشَرَعَ لهم ديانةً، وسمَّى نَفْسَه صالِحَ المؤْمنين، وعَهِدَ إلى ابنه إلْيَاس بديانته، وأمره ألاَّ يُظْهِر ذلك إلَّا إذا قَوِيَ أمْرُه، وحِينَئِذٍ يدعو إلى مَذْهَبه، ويقتل من خالَفَه فيه من قومه. وأمَرهُ بموالاة أمير الأنْدَلُس. وخرج صالِحٌ إلى الـمَشْرِق، وزعم

(١) في ر١: «بالعربية» بدلًا من «باللسان العربي».

(٢) في تاريخ ابن خلدون ٦/ ٢٠٧ اسمه: داود بن عمر المسطاسي.

(٣) في ر١: «ومذاهبهم».

(٤) تاريخ ابن خلدون ٦/ ٢٠٧.

(٥) العنوان من ر١.

(٦) في ر١: «فأخبر» بدلًا من: «ومن أخبار برغواطة ما خبّر».

(٧) في ر١: «خبره».

(٨) في ر١: «وتفرّق».

(٩) في ر١: «ببلد».

(١٠) في ر١: «فقلده».

(١١) الروض المعطار ٣٩٢.

(١٢) ليست في ر١.

(١٣) تاريخ ابن خلدون ٦/ ٢١٠.

أنَّه يعود إليهم في دولة السابع من ملوكهم، وزعم أنَّه هو الـمَهْدِيُّ الأكْبَرُ الذي يخرج في آخر الزمان لقتال الدَّجَّال، وأنَّه يملأُ الأرض عدْلًا كما مُلِئَتْ جَورًا، وتكلَّم لهم في ذلك بكلام كثير نَسَبَه لموسى، عليه السلام، ولسَطِيح الكاهِن وغَيْرِهِ.

ثمَّ وَلِيَ[1] بعده إلْيَاس بن صالِح بن طَرِيف، فأظهر ديانَة الإسلام والعَفاف، وبقي أميرًا خمسين سنةً إلى أن هلك، وترك جماعةً من الأولاد. فوَلِيَ ابنُه يُونُس بن إلْيَاس، وذلك بعدما وصل من الـمَشْرِق، وحجَّ، ولم يَحُجَّ أحَدٌ من أهل بيته. فأظهر ديانةَ جَدِّه، ودعا إليها، وقتل من لم يدخل فيها، حتَّى أخلى ثمان مئة مَوْضِع من مواضع البَرْبَر، قيل: إنَّه قتلَ منهم سبعةَ آلاف ونحو السبع مئة. وهلك بعد أن ملك نَحْوَ أربعين سنةً، وخرج الأمر عن بنيه.

وقام أبو عُفَيْر محمد[2] بن مُعاذ بن اليَسَع بن صالِح بن طَرِيف؛ فاستولى على ملك تلك البلاد، ودَانَ بديانة آبائه. واشتدَّت شَوْكتُه، وعَظُمَ أمره. وكانت[3] له وقائع في البَرْبَر مشهورةٌ، منها وقعة تامَغْرا[4]، أقام القَتْلَ فيها ثمانية[5] أيَّام. ومنها وقعة بَهْت، عجز الإحصاءُ عن عَدِّ[6] من قتل فيها. وكانت لأبي عُفَيْر من الزَّوجات أربع وأربعون، وكان له من الأولاد بعَدَدِهِنَّ. ومات بعد أن ملك تسعًا[7] وعشرين سنة.

ثم وَلِيَ عبدُ الله بن أبي عُفَيْر، وهو أبو الأنصار، وذلك عند تمام المئة الثالثة، وكان شيخًا[8] ظريفًا، يَفِي بالوَعْد والعَهْد، ويحفظ الجارَ ويُكافِئ على الهَدِيَّة بأضْعافِها[9].

---

(١) في ر١ : «وولي».

(٢) في أ، م: «يحمد» وسيأتي كما أثبتنا من ر١ بعد قليل في النسختين «محمد».

(٣) في ر١ : «وكان».

(٤) في م: «تامعزا»، وفي البكري: «تِيمغسَن».

(٥) في ر١ : «ثلاثة».

(٦) في ر١ : «عدد».

(٧) في ر١ : «سبعًا».

(٨) في أ، م: «سخيًا».

(٩) ليست في ر١.

وصِفَتُه: أفْطَسُ، شديدُ أدمة الوجه[1]، ناصِعُ بياضِ الـجِسْمِ، طويلُ اللِّحْية. وكان يلبس السَّراويلَ والـمِلْحَفَةَ، ولا يلبس القَمِيصَ، ولا يعتمُّ إلا في الحرب، ولا يعتمُّ أحدٌ من قومه إلَّا الغرباءَ عندهم. وكان في كلِّ عام[2] يَحْشُدُ[3] ويُظْهِرُ أنَّه يَغْزو من[4] يَلِيهِ من القبائل؛ فيُهادونه[5]، فيترك حَرَكَتَه. فملك في دَعة نحو اثنتين وأربعين سنة.

ثمَّ وَلِيَ أبو مَنْصُور عيسى بن أبي الأنصار، الذي بعث زَمُّورًا هذا إلى الـمُسْتَنْصِر بالله الأمَويّ سنة اثنتين وخمسين وثلاث مئة، وهو عيسى بن أبي الأنصار عبد الله بن أبي عُفَيْر محمَّد بن مُعاذ بن اليَسَع بن صالِح بن طَرِيف. وكان سِنُّهُ إذ وَلِيَ اثنتين وعشرين سنة، فسار بسيرة أبيه، ودان بديانته. واشتدَّت شَوْكَتُه، وعَظُمَ سلطانُه. وكان أبوه قد وَصّاه عند موته بموالاة أمير الأنْدَلُس، وقال له: «أنْتَ سابعُ الأُمراءِ من أهل بيتك، وأرجو أن يأتيك جَدُّك صالِحُ كما وعد». انتهى ما اختصرتُه من كلام زَمُّور.

وقال أبو العبَّاس الـمَذْحِجيُّ: إنَّ يُونُسَ القائمَ بدين بَرْغَواطة أصْلُه من شَذُونة[6]، من جِهَة وادي بَرْبَاط؛ وكان قد رحلَ إلى المشرق في[7] عام أحدٍ ومئتين مع عبَّاس[8] بن ناصِح، وزيد بن سِنان[9] الزَّنـاتيّ صاحب الواصِلِيَّة، وبَرْغُوث[10] بن سعيد[11] وَكيلِ الصُّفْرِيَّة، ومَناد صاحِبِ القلعة الـمَنادِيَّة، قريبًا من

(١) في أ، م: «الأدمة في الوجه».

(٢) في ر١: «سنة».

(٣) في ر١: «يجيش».

(٤) في أ، م: «لمن».

(٥) في ر١: «فينادونه»، محرفة.

(٦) الروض المعطار ٣٣٩.

(٧) ليس في ر١.

(٨) ينظر الوافي بالوفيات للصفدي ١٦/ ٦٤٤.

(٩) قوله: «بن ناصح، وزيد بن سنان» سقط من ر١.

(١٠) في ر١: «برغوت» بالتاء ثالث الحروف.

(١١) أضاف ناشر (م) بعد هذا من البكري: «التراري وجد بني عبد الرزاق ويعرفون ببني»، والنص مستقيم من غير هذه الزيادة.

سِجِلْماسة[١]، وآخَرَ ذَهَبَ عَنّي اسمُه. فأربعةٌ منهم[٢] فَقُهوا في الدين. وادَّعى[٣] يُونُس صاحبُ بَرْغَواطة النُّبُوَّة. قال: وكان يُونُس شَرِبَ دواءً لِلحِفْظِ، فحَفظَ كلّ ما سَمِعَهُ، وطلب عِلْمَ النجوم والكِهانة، ونَظَرَ في الـجَدَل[٤]، وانصرف؛ فنزل بين هؤُلاء القوم؛ فرأى جَهْلَهم. وكان يُخْبِرُهم بأشياءَ قبل كَوْنِها، مـمَّا يَدُلُّ عليه التنجيم؛ فيكون كما قال[٥]، أو قريبًا منه، فعظُم عندهم. فلما رأى ذلك منهم، وعلم ضَعْفَ عقولهم وكثرة جَهْلهم، أظهر ديانته، ودعا إلى نبوَّته، وسمَّى من اتَّبعه برباطيٍّ؛ ثمَّ أحالُوهُ بألْسِنَتهم، وردُّوه «بَرْغَواطيّ» بلغتهم[٦]. وكان يُونُس قد قتلَ خَلْقًا كثيرًا من البَرْبَر، حتَّى أطاعوه، وعلى دينه تابَعُوه[٧]. وقال سعيد بن هشام[٨] الـمَصْمُوديُّ في وقعة بَهْت قصيدةً طويلةً، منها [من الوافر]:

قِفِـي قَبْـلَ التَّـفَرُّقِ فاخْبِـرِينا ... وقُولي واخبري خَبَرًا مُبِينـا[٩]

هُموم[١٠] بَرابرٍ خَـسـرُوا وضَـلُّوا ... وخَـابُوا لا سُـقُوا مـاءً مَعِينـا

يقُولـون: النبـيُّ أبـو عُفَيْـرٍ ... فـأخْزَى اللهُ أُمَّ الكاذِبينـا

أَلَـمْ تَسْمَعْ ولَـمْ تَـرَ يَـوْمَ بَـهْتٍ ... عـلى آثـارِ خَـيْلِهمُ رَنِينـا

رَنِـينَ الباكِيَـاتِ بِهِـم ثُـكالَى ... وعَاوِيـةٍ ومُـسْقِطةٍ جَنِينـا

---

(١) في ر١: «وهي قلعة حماد» بدلًا من: «قريبًا من سجلماسة».

(٢) ليست في ر١.

(٣) الواو من ر١.

(٤) في أ، م: «الجدال»، وما هنا من ر١ وهو الأصح.

(٥) «أو كما قال» ليست في ر١.

(٦) سقطت من أ، م.

(٧) في ر١: «وتابعوه على دينه».

(٨) في ر١: «هاشم».

(٩) هذا الشطر في ر١: «بقولٍ صادقٍ لا تكذبينا».

(١٠) في ر١: «بأمر».

هُنالِـكَ يُـونُسٌ وبنـوا أبِيـهِ يُوالُــونَ البَــوَارَ مَعَظِّمينــا
فلَـيْسَ اليَـوْمَ رِدَّتُكـم ولكـن لَيَــالِيَ كُنْــتُمُ مُسْتَيْــسِـرِينا

يعني بقوله: «مُسْتَيْسِرِينَ» من الـمَيَاسَرة أصحابَ مَيْسَرَة الحقير[١]. فأمَّا الضلالُ الذي شَرَعَ لهم، فإنَّهم يَقِرُّون بنُبُوَّة صالِح بن طَرِيف، وأنَّ الكلام الذي أَلَّفَ لهم هو[٢] وَحْيٌ من الله تعالى، لا يشكُّون فيه ـ تعالى اللهُ عن قولهم ـ وفَرَضَ لهم صَوْمَ رَجَب[٣]، وأكْلَ رَمَضان، وخَـمْسَ صَلَوات في اليوم، وكذلك في الليلة، والضَّحِيَّة اليَوْمَ الحادي عشر من المحرَّم، وفي الوضوء غَسْلَ السُّرَّة والخاصِرَتَيْن، ثمَّ الاستِنْجاءَ والـمَضْمَضَةَ، وغَسْلَ الوجه، ومَسْحَ القَفَا، وغَسْلَ الذِّراعَيْنِ والـمَنْكِبَيْنِ، ومَسْحَ الرأْس ثلاثَ مرَّات، ومَسْحَ الأُذُنَيْنِ كذلك، ثمَّ غَسْلَ الرِّجْلَيْنِ من الرُّكْبَتَيْنِ[٤]. وبعضُ صلاتهم[٥] دون سُجود، وبعضُها على كَيْفِيَّة صلاةِ المسلمين. وهُمْ[٦] يسجُدُون ثلاثَ سجدات[٧] متَّصِلات، ويرفعون وُجُوهَهم وأيديهم من الأرض مِقْدارَ نِصْفِ شِبْرٍ، ويَقْرَؤُون نِصْفَ قراءتهم[٨] في وقوفهم، ونِصْفَها في ركوعهم، ويقولون في تَسْلِيمهم بكلامهم: «الله فَوْقَنا، لم يَغِبْ عنه شيءٌ في الأرض، ولا في السماء» ثم يقولون: «مُقُرْ بَاكُشْ» خمسًا وعشرين مرَّة، وتفسيرُه: «الكبيرُ اللهُ» ويقولون: «ايسمن باكُش» تفسيرُه: «بسم الله» وغير ذلكَ من الباطل[٩]. ويتزوَّج الرجلُ منهم ما استطَاعَ من النساء، ويُطَلِّقُ[١٠]

(١) ليست في أ، م.
(٢) ليست في ر١.
(٣) في ر١: «شهر رجب».
(٤) «ثم غسل الرجلين من الركبتين» ليست في ر١.
(٥) في ر١: «صلواتهم».
(٦) ليست في ر١.
(٧) في ر١: «صلوات»، خطأ.
(٨) في أ، م: «قرآنهم»، ولا تصح.
(٩) في أ، م: «وغير هذا».
(١٠) في ر١: «ويفرق».

ويُراجِع ما أحبَّ. ويُقْتَلُ[1] السارِقُ بالإقرار والبَيِّنة، ويُرْجَم الزاني، ويُنْفَى الكاذِبُ، ويُسَمُّونه الـمُغيِّرَ. والديَّةُ عندهم مئة رأس من البَقَر، و[رأس] كلِّ حيوانٍ[2] عليهم حَرَامٌ؛ ولا يُؤكَلُ الحوتُ عندهم إلَّا أن يُذكَّى؛ والديكُ والبيضُ عندهم حَرَامٌ؛ والدَّجاجُ مكروهةٌ إلَّا أن يُضْطَرَّ إليها. وليس عندهم أذانٌ، ولا إقامةٌ؛ وَهُمْ يكتفون في معرفة الأوقات بصراخ الدِّيَكة، ولذلك حَرَّموها. ويتبرَّكون ببُصاقِه، أي: بُصاقُ صالح. وكانوا أعْلَمَ الناس بالنجوم.

وكانوا أجْمَلَ الناس رجالًا ونساءً. وقُرْآنهُم الذي وَضَعَ لهم صالِحٌ ثمانون سُورةً، أكْثَرُها منسوبةٌ إلى أسماءِ النبيين، أوَّلُها سورة أيُّوب، وآخِرها[3] سورة يُونُس. وغيرُهما من أسماء الأنبياء، عليهم السلام، وفيها سورةُ فِرْعَوْن، وسورةُ الدِّيك، وسورةُ الـجَراد، وسورةُ الـجَمَل، وسورةُ هارُوت ومارُوت، وسورةُ الـحَشْر[4]، وسورة غرائب الدُّنيا، وفيها عِلْمٌ عَظِيمٌ عندهم[5]. ولم يزل كثيرٌ من القبائل على مَذْهَبِهم إلى عام اثنين وخمسين وثلاث مئة.

رَجْعُنا إلى نَسَق التأريخ: كان الـحَكَم أميرُ[6] الأنْدَلُس وَلِيَ الخلافةَ بها سنة خمسين وثلاث مئة[7]. فطاعَ له المغرب كلُّه. وتـمَّم بناءَ سُور سَبْتة في عام إحدى وخمسين وثلاث مئة.

وفي سنة ثلاث وخمسين وثلاث مئة: كتب الـحَكَمُ الـمُسْتَنْصِرُ بالله سِجِلًا إلى أهل سَبْتة، رَفَعَ عنهم فيه جميعَ الوَظائفِ الـمَخْزَنِيَّةِ والـمَغارِمِ السُّلْطانِيَّةِ. قال ابن حَمادُه: رأيتُ هذا السِّجِلَّ عند القاضي عِيَاض رحمه الله مؤرَّخًا بشهر صَفَر من العام

---

(١) من هنا إلى نهاية الفقرة لم يرد في ر١.

(٢) الذي عند البكري: «ورأس كل حيوان»، وهو الصواب، لذلك زدناها بين حاصرتين.

(٣) ليست في ر١.

(٤) «وسورة الحشر» ليست في ر١.

(٥) في ر١: «وفيها عندهم علم كبير».

(٦) في ر١: «ملك».

(٧) تنظر الحلة السيراء ١/ ٢٠٠.

المذكور؛ ذكر[١] فيه: «وما وَقَعَ عليها من الـمُؤَنِ السُّلطانيَّة في التَّقْسيط، فهو مضروبٌ على شَرَفِ إشْبيلِيَة».

وفي سنة أربع وخمسين وثلاث مئة: تُوفِّي أبو الطَّيِّب الـمُتَنبِّي[٢]، وكان مَوْلِدُه بالكوفة سنة ثلاث وثلاث مئة، وعُمُرُه إحدى وخمسون سنةً، وكان أشْهَرَ من أن يُذْكر[٣].

وفي سنة سبع وخمسين وثلاث مئة: تُوفّي الأُستاذ كافُور[٤] بمِصْرَ.

وفي سنة ثمان وخمسين وثلاث مئة: بعث الـمُعِزُّ أبو تَـمِيم مَعَدُّ ابن المنصور العُبَيْديُّ أبا الـحَسَن جَوْهَرًا إلى مِصْرَ، لـمَّا تُوفِّي كافُور الإخْشِيديُّ أميرُ مِصْرَ، فلما وصلها جَوْهَرٌ، فتحها في شعبان[٥].

وفي سنة تسع وخمسين وثلاث مئة: أنفذ جَوْهَرٌ إلى الـمُعِزّ لدين الله هَدِيَّةً حَفِيلة[٦] صُحْبَةَ وَلَده جَعْفَر في رَجَب.

وفي سنة ستين وثلاث مئة: وصل الـحَسَن بن أحمد القِرْمِطيُّ إلى دِمِشْق[٧]، وقتل جعفر بن فَلاح[٨]، وتغلَّبَتْ القَرامِطة على دِمِشْق، وصاروا إلى الرَّمْلة[٩].

وفي سنة إحدى وستين وثلاث مئة: خرج أبو تَـمِيم من الـمَنْصوريَّة راحلًا إلى الـمَشْرِق، في أواخِر شوَّال، لثمانٍ بَقِين منه، واستخلف على إفريقية أبا الفُتُوح الصُّنْهاجيَّ[١٠].

---

(١) في ر١: «قال».

(٢) ترجمته في تاريخ الإسلام للذهبي ٨/ ٦٥.

(٣) «وكان أشهر من أن يذكر» ليست في ر١.

(٤) ترجمته في تاريخ الإسلام ٨/ ١٠٥.

(٥) الحلة السيراء ٢/ ٣٩٢.

(٦) في م: «جميلة»، محرفة.

(٧) أخباره في تاريخ دمشق ١٣/ ٦-٨، وتاريخ الإسلام للذهبي ٨/ ٢٥٤.

(٨) ترجمته وأخباره في وفيات الأعيان ١/ ٣٦١-٣٦٢، وتاريخ الإسلام ٨/ ١٤٢ وهو أول والٍ على دمشق لبني عُبيد.

(٩) ينظر الكامل لابن الأثير ٨/ ٦١٤.

(١٠) الكامل لابن الأثير ٨/ ٦٢٠، ونهاية الأدب للنويري ٢٤/ ٨٥.

ابتداءُ الدولة الصُّنْهاجيَّة بإفريقية[١]

ولاية أبي الفُتوح يوسف بن زِيرِي بن مَناد الصُّنْهاجيِّ[٢] إفريقية

لما خرج أبو تـمِيم المعز[٣] من إفريقية إلى الـمَشْرِق[٤]، استخلفَ يوسفَ المذكورَ[٥] وأمر الكُتَّاب أن يكتبوا إلى العمَّـال وولاةِ الأشْغال بالسَّمْع والطاعة لأبي الفُتوح[٦]. ورحل أبو تَـمِيم[٧] إلى مِصْرَ، فاحتلَّها[٨]، وأمَّن أهلها، وبنى القاهرةَ الـمُعِزية نسبةً إليه[٩]، واتَّخذها دارَ مُلْكه. وبقي أبو الفُتوح أميرًا على إفريقية والـمَغْرِب كلِّه من جهته[١٠]. قال القُضاعيُّ: لما وصل المعز[١١] أبو تَـمِيم إلى الإسْكَنْدَرِيَّة، توجَّه إليه من مِصْرَ القاضي، والشهودُ، وأعيانُ أهل[١٢] البَلَد، مُهَنِّين، وداعين، ومسَلِّمين. ثمَّ استقرَّ المعز بقصره[١٣] في السابع لرمضان.

وفي سنة ثلاث وستين وثلاث مئة: وصل القِرْمِطيُّ إلى الطَّوَاحِين، في جُمادى الأولى، وانهزم في شعبان من هذه[١٤] السنة.

---

(١) هذا العنوان ليس في ر١.

(٢) «ابن مناد الصنهاجي» ليس في ر١.

(٣) من ر١ فقط.

(٤) في ر١: «إلى ملك مصر»، وما هنا أصح لأن مصر كانت قد ملكت له.

(٥) بعد هذا في ر١: «عليها».

(٦) نهاية الأرب للنويري ٢٤/ ٩٣.

(٧) في ر١: «المعز».

(٨) هكذا في النسخ، وإنما احتلها قائده جوهر، وكذلك بناء القاهرة، إنما بناها قائده جوهر.

(٩) قوله: «وبنى القاهرة المعزية نسبة إليه» ليست في أ، م.

(١٠) «من جهته»: ليست في أ، م.

(١١) من ر١.

(١٢) ليست في ر١.

(١٣) في أ، م: «بقصر المعز»، وما هنا من ر١ وهو الأحسن.

(١٤) ليست في ر١.

وفي سنة خمس وستين وثلاث مئة: تُوفِّي أبو تَـمِيم الـمُعِزُّ لدين الله[١] العُبَيْديُّ، في يوم الـجمعة الحادي عشر لربيع الآخر[٢]، فكانت ولايتُه ثلاثًا وعشرين سنة، وخمسة أشْهُر، وأيَّامًا، منها مُقامُه بمِصْرَ سنتان وسبعة أشْهُر[٣].

ولاية العزيز بالله نِزَار

فوَلِيَ الإمارة بمِصْرَ العزيزُ بالله نِزَار[٤]، الـمُكْنَى بأبي المنصور، ابن مَعَدّ الـمُكْنَى بأبي تَـمِيم[٥]. وُلِدَ بالـمَهْدِيَّة في محرَّم سنة أربع وأربعين وثلاث مئة؛ ووَلِيَ العَهْدَ بمِصْرَ في العاشر لربيع الأوَّل سنة خمس وستين[٦]، وسُتِرَتْ وفاةُ أبيه، وسُلِّمَ عليه بأمير المؤمنين. وقد[٧] ذكرنا بعض أخباره في أُمراء مِصْرَ في «أخبار الـمَشْرِق».

وفي جُمادى الآخرة من سنة خمس ستين وثلاث مئة: بعث[٨] أبو الفُتوح أميرُ إفريقية إلى العزيز بالله هدِيَّةً؛ فشَيَّعَها. وعادَ أبو الفُتوح إلى رَقَّادة، فخرج إليه أهل القَيْرَوان، فتلقَّاهم بأحسنِ قَبُول، وأنزلهم أجْمَلَ نُزول وبعد ذلك عزم أبو الفُتوح

---

(١) «لدين الله» ليست في ر١.

(٢) «في يوم الجمعة الحادي عشر لربيع الآخر» ليست في ر١. وذكر ابن الأثير أن وفاته كانت في سابع عشر ربيع الآخر (الكامل ٨/ ٦٦٣) وقال ابن خلكان: «توفي يوم الجمعة الحادي عشر من شهر ربيع الآخر، وقيل: الثالث عشر، وقيل: لسبعٍ خلون منه» (وفيات الأعيان ٥/ ٢٢٨).

(٣) بعد هذا في ر١: «وولي بعده ولده نزار».

(٤) «فولي الإمارة بمصر العزيز بالله نزار» ليست في ر١.

(٥) في ر١: «ابن معد بن إسماعيل بن أبي القاسم بن عُبيد الله الشيعي».

(٦) هكذا في النسختين، وهو وهم بَيِّن، فأبوه توفي في ربيع الآخر فكيف يتولى هو في ربيع الأول؟! وذكر المقريزي أنه ولي العهد بمصر وبويع لسبع بقين من ربيع الآخر سنة خمس وستين وثلاث مئة (اتعاظ الحنفا ٩٣). وهذا يتفق مع مَن قال: إنه توفي لسبع خلون منه، كما نقلنا قبل قليل من وفيات الأعيان لابن خلكان.

(٧) من هنا إلى نهاية الفقرة ليس في ر١.

(٨) في ر١ بدلًا مما تقدم: «وفيها بعث».

على الانتقال إلى فَحْص أبي صالِح، فخرج لتوديعه القُضاةُ والشيوخ[1] لثلاث بقين من رجب من السنة المؤَرَّخة.

وفي ذي الحِجَّة: أمر أبو الفُتوح العامِلُ على إفريقية والِيَهُ عبدَ الله بن محمَّد الكاتِبَ أن يُقيم أُسْطُولًا بالمهديَّة مُعَدَّةً من الرجال والسلاح. فخرج عبدُ الله إلى المهديَّة، وأخذ في حَشْد البَحْرِيِّين في كلّ بلدة، وأمر أن يُؤْخَذَ كلُّ مَنْ لُقي منهم بالقَيْرَوان وغيرها وملأَ بهم السُّجون. وأدْرَكَ خاصَّةَ البلد وعامَّتَهم من الخوف ما لزموا له البيوت، وانتهى حالُهم إلى أنَّه[2]، إذا مات أحَدٌ عندهم[3]، لا يُخْرِجُهُ إلَّا النساء.

وفي سنة ست وستين[4] وثلاث مئة: خرجَ الأُسْطُولُ من المهديَّة في أوَّل المحرَّم، فتعذَّرت الريح عليهم[5]؛ فأقاموا حتَّى فَرَغَتْ أزوادُهم في البَحْر[6] وعَدِمُوا الماءَ؛ فهرب جميعُ من فيها[7] من النَّواتِيَة والبَحْرِيَّة[8]، وصاروا إلى البَرّ؛ فنهبوا ما في المراكب من عُدَّةٍ وسِلاحٍ، وهربوا إلى كلِّ ناحية. فجعل عبد الله يطلبهم[9]؛ فمن ظُفِر به[10]، قُتِلَ.

وفي[11] هذه السنة: تُوفِّي زيادةُ الله بن القُدَيْم في سجن عبد الله بن محمَّد الكاتب؛ وقيلَ: إنَّه قتله بأنواع من العذاب[12].

---

(١) في ر١: «والأشياخ في آخر رجب»، وما أثبتناه من أ، وينظر نهاية الأرب للنويري ٢٤/ ٩٤.

(٢) «إلى أنه» ليست في أ.

(٣) «أحد عندهم» ليست في ر١.

(٤) في ر١: «وثلاثين»، وليس بشيء.

(٥) في م: «عليها».

(٦) «في البحر» ليست في ر١.

(٧) في ر١: «بها».

(٨) في ر١: «البحريين والنواتية».

(٩) في ر١: «الطلب عليهم».

(١٠) في ر١: «وُجِدَ منهم».

(١١) هذه الفقرة ليست في ر١.

(١٢) ينظر نهاية الأرب للنويري ٢٤/ ٩٤.

وفي هذه السنة: نادَى عامِلُ إفريقية والقَيْرَوان، وهو عبدُ الله الكاتِب؛ فاجتمع الناسُ إليه، فأخذ من أعيانهم نحوَ الست مئة رَجُلٍ[1] وأغْرَمَهم الأموالَ بالتَّعْيِين: يأخُذُ من الرجل الواحد عشرة آلاف دينار، ومن آخر دينارًا واحدًا. فاجتمعت له بالقَيْرَوان أموالٌ كثيرةٌ. وعمَّ هذا الغُرْمُ سائرَ أعمال إفريقية ما عدا الفُقَهاء والصُّلَحاءَ والأُدَباء وأولياءَ السلطان[2]. وكان الذي جَبَى من القَيْرَوان نَيِّفًا على أربع مئة ألف دينار عَيْنًا. وبقي الأمر كذلك في الطَّلَب، إلى أن وصل الأمر من مِصْرَ إلى أبي الفُتوح برَفْع الغُرْم عن الناسِ، فأطلقهم عبدُ الله الكاتبُ في أواخرِ شوَّال.

وفي سنة سبع وستين وثلاث مئة: بعثَ عبدُ الله الكاتِبُ عاملُ إفريقية هذا المال[3] إلى ملَك مِصْرَ العزيز بالله بأمر أبي الفُتوح صاحِبِ إفريقية من قِبَل العزيز بالله، وكتبَ على كلّ صُرَّة اسْمَ صاحبها. فكان خروجُ هذا المال من المنصوريَّة لخمسٍ بَقِين من جُمادى الآخرة. ولما وصل المال إلى مِصْر، ردَّ العزيز بالله بعضَ الصُّرَر لأربابها.

وفي هذه السنة: أنعم العزيزُ بالله على أبي الفُتوح بأطْرابُلُس ونواحيها[4]. فَقَدَّم عليها أبو الفُتوح يحيى بن خَلِيفة الـمِلْيَانيَّ، فأقام بها شهورًا، ثمَّ عَزَلَهُ.

وفيها: زحف خَزْرُون بن فُلْفُل[5] بن خَزَر الزَّناتيُّ إلى سِجِلْماسة، في عَدَد عظيم؛ فخرج إليه الـمُعْتَزُّ، فاقتتلوا قتالًا شديدًا، فقُتِل الـمُعْتَزُّ، لخمس بَقِين من رمضانَ، وملك[6] خَزْرُون سِجِلْماسة، وأخذ فيها أموالًا جليلةً. وبعث خَزْرون برأس الـمُعْتَزِّ إلى الأنْدَلُس واستحكم بها مُلْكُ زناتة وأتباعِهم[7].

---

(١) بعد هذا في أ، م: «من أغنيائهم».

(٢) قوله: «ما عدا الفقهاء والصلحاء والأدباء وأولياء السلطان» ليس في ر١.

(٣) بعد هذا في ر١: «المبارك».

(٤) الكامل لابن الأثير ٨/ ٦٦٥.

(٥) هكذا سماه، وفي كامل ابن الأثير ٨/ ٦٦٥، وتاريخ ابن خلدون ٧/ ١٩، وصبح الأعشى للقلقشندي ٥/ ١٦٢: «فلفول».

(٦) في أ: «وحكم».

(٧) الكامل لابن الأثير ٨/ ٦٦٥.

وفي هذه السنة: وصل أبو الفتوح صاحِبُ إفريقية إلى سَبْتة، فحاصَرَها. وبعثَ إليه ابنُ أبي عامِر برأس جعفر بن عليّ، أراد أن يُرْضِيَهُ بذلك. وكان ابن أبي عامِر قد قتل[1] جعفر بن عليّ بن حَمْدُون المعروفَ بابن الأنْدَلُسيّ. ويأتي خَبَرُ قتلِه في أخبار ابن أبي عامِر من أخبار الأنْدَلُس.

وفي سنة ثمان وستين وثلاث مئة: خرجَ العزيزُ من مِصْر إلى الشام في عَدَدٍ عظيم، ونزل بالرَّمْلة. وكان بين يدَيْه ألف بَنْد وخمس مئة طَبْل. وكان جَوْهَرٌ قائدُه خرج في العام الفارط إلى الشام، فهزمه أفتكين[2] التركيُّ ورجعَ إلى مِصْر مَفْلولًا. فخرج العزيزُ بالله في هذه السنة بنفسه[3]، فلما نزل الرَّمْلة، خرج إليه التُّرْكيُّ. فكانت بينهم حروبٌ عظيمةٌ؛ فانهزم التُّرْكيُّ[4]، وأُخِذَ أسيرًا؛ فسِيقَ إلى العزيز بالله بحَبْلٍ في عُنُقه، ولما وصل إلى مِصْرَ، عفا عنه، ومات بعد ذلك.

وفي هذه السنة: دخل أبو الفُتوح صاحِبُ إفريقية من قِبَل العزيز بالله[5] بلادَ الغَرْب، واستولى عليها، وهدم مدينة البَصْرة، ومحا رَسْمَها بعد طُول مُدَّتها وكثرةِ عِمارتها. وكان رحيلُ أبي الفُتوح من إفريقية إلى الغَرْب يوم الأربعاء لخمسٍ بَقين من شعبان من سنة ثمان وستين وثلاث مئة[6]؛ فوصل بجيوشه الضَّخْمة[7] إلى فاس، فاستولى عليها، وملك سِجِلْماسة وبلاد الهَبْط كلَّها، وطرد من جميعها[8] عُمَّال بني أُمَيَّة[9]. ثم رحل

---

(١) في ر١: «قتله»، ولم ترد فيها بقية الفقرة.

(٢) ويقال فيه: «هفتكين» أيضًا كما في تاريخ الإسلام ٨/ ٢٩٧ وجاء في النسختين: «أفتيكن»، خطأ.

(٣) «فخرج العزيز بالله في هذه السنة بنفسه» ليست في ر١.

(٤) في ر١: «أفتيكن صاحب الشام من قبل الخليفة العباسي»

(٥) «صاحب إفريقية من قبل العزيز بالله» ليست في ر١.

(٦) «وكان رحيل أبي الفتوح من إفريقية إلى الغرب يوم الأربعاء لخمس بقين من شعبان من سنة ثمان وستين وثلاث مئة» لم يرد في ر١.

(٧) ليست في ر١.

(٨) في ر١: «جميعهم»

(٩) الكامل لابن الأثير ٨/ ٦٦٥.

إلى سَبْتة في طَلَب من لجأ إليها من زَناتة. فلما أشرف عليها، تَأَمَّلَ الوصولَ إليها، فرأى من تحصينها[1] ومنعتها ما لا يُستطاعُ إدراكُه[2] إلَّا بالمراكِب البحرية[3]؛ فرجع عنها، ولم يُعْوِزْهُ من بلاد المغرب غيرُها. ومَضَى[4] يُريد البَصْرة؛ وكان فيها عِمارةٌ عظيمةٌ بالأنْدَلُس والبَرْبَر. فلما دخلها، أمر بهَدْمها، ونَهَبَ ما كان فيها من الأموال والأمْتِعة وجَميع الأسباب. فاستحالت الجيوشُ والأُمَمُ[5] عليها، فصارت كأنْ لم تَغْنَ بالأمس، فلم[6] تكن بَصْرةٌ بالمغرب إلى الآن؛ ودثر رسمُها، وكانت قديمةً أزَلِيَّةً. وقد تقدَّم ذِكْرُها. ثمَّ صار منها إلى أَصِيلاَ.

ذِكْرُ مدينة أَصِيلاَ[7]

وأمَّا أَصِيلاَ، فهي مُحْدَثةٌ. وكان سَبَبُ بنائها أنَّ الـمَجُوسَ خرجوا بساحِلها، وزعموا أنَّ لهم بها أموالًا وكُنوزًا، تَرَكَها لهم الأوائلُ الذين كانوا يسكُنون السواحِلَ وأخرجهم منها عامَّةُ القبائل. فلما نزلوا في البرّ لأخذِ أموالهم، اجتمع البَرْبَرُ لقتالهم؛ فقالوا: «لم نأْتِ لحربٍ[8]، وإنَّما لنا كُنوزٌ في هذا الموضع. فكُونوا ناحِيةً حتَّى نستَخْرِجَها، ونُشارِكُكم فيها». فاعتزل البربرُ عنهم لما سمعوا ذلك منهم. فحفر الـمَجُوسُ مواضِعَهم، واستخرجوا دُخْنًا كثيرًا عَفِنًا. فلما رآه البربرُ، ظنُّوه ذَهبًا؛ فبدروا[9] إليهم. وهرب الرُّومُ إلى مراكِبهم، فأصاب البَرْبَرُ الدُّخْنَ، فندموا، ورغبوا إلى الـمَجُوس في الرجوع واستِخْراجِ المال، فأبوا، وقالوا: «قد نَقَضْتُم العَهْدَ» وساروا إلى الأنْدَلُس؛ فحينئذٍ

---

(١) في ر١: «حصانتها».

(٢) في ر١: «الوصول إليها».

(٣) ليست في ر١.

(٤) في ر١، م: «فرجع»، وما أثبتناه من أ.

(٥) ليست في ر١.

(٦) من هنا إلى قوله: «ذكرها» لم يرد في ر١.

(٧) الروض المعطار ٤٢.

(٨) في ر١: «لحربهم».

(٩) في ر١: «فبرزوا».

خرجوا بإشبيلية على ما يأتي ذِكْرُه في أخبار الأنْدَلُس[١]. فاتَّخَذَ الناسُ موضِعَ أصِيلاَ رباطًا، وانتابوا إليه من جميع الأمصار. فكانت تَقُومُ فيه سُوقٌ جامِعةٌ ثلاث مرَّات في السنة: في رمضان، وفي العَواشِر، وفي عاشُوراءَ.

ومِـمَّا قَيَّدْتُهُ واخْتَصَرْتُهُ من «كتاب الـمَسَالِك والـمَمَـالِك» لمحمَّد بن يوسف القَرَويّ، رحمه الله، قال[٢]: ومن الـمُدُن القديمة على ساحِل بحر الغَرْب، أصِيلاَ[٣]؛ وهي في سَهْلةٍ من الأرض، كانت مدينةً للأُوَل. ثمَّ تغلَّب عليها البَحْرُ. ثمَّ بُنيَتْ بعد ذلك؛ وكان سَبَبُ بنائها أنَّ الـمَجُوس خَرَجوا في مَرْساها مَرَّتَيْن:

أمّا الأُولى، فإنَّهم قصدوا إليها، زاعمين أنَّ لهم بها مالًا وكُنوزًا؛ فاجتمع البربر لقتالهم حَسْبَما ذكرتُ ذلك.

وأمَّا خروجهُم الثاني، فإنَّ الريح قَذَفَتْ بهم إليها[٤] وعطَبَتْ لهم أجفانٌ كثيرةٌ عليها، حتَّى كان يُعرف ذلك الموضع بباب الـمَجُوس. وكان مَوْضِعُها مِلْكًا لقبائل لَوَاتة. فابتناها قومٌ من كُتامة، فأوَّلُ ما ابتدروا به مسجدًا. ثمَّ بَنَى لَوَاتة مسجدًا ثانيًا، وشاعَ أمرُها، فَبَنَى الناسُ شيئًا بعد شيْءٍ، فقصدها التُّجار من الأمصار بضروب الـمَتاجِر في أوقاتٍ معلوماتٍ لأسواق[٥] الغُبار.

فأوَّلُ من قَدِمَ عليها من الملوك القاسمُ بن إدريس، فإنَّه ملكها، وقامت دعوتُه بها إلى أن تُوفّي، رحمه الله، ثمَّ وليها ابنُه إبراهيم بن القاسم، فجَرَتْ بينه وبين عُمر[٦] بن حَفْصُون الثائر بِبُبَشْتر من الأنْدَلُس مُراسلات ومُكاتبات في شأن النفاق على الخليفة الأمَويّ بقُرْطُبة، إلى أن هلك. ثمَّ وليها ابنُه حُسين بن إبراهيم بن القاسم، فاضطرب أمرُه، وضَعُفَتْ طاعتُه، وكانت مُدَّتُه خمسًا وعشرين سنة في قبائل لَوَاتة.

---

(١) «في أخبار الأندلس» لم ترد في ر١.

(٢) المسالك والممالك للبكري ٢/ ٧٩٠ فما بعد.

(٣) في ر١: «مدينة أصيلا».

(٤) في ر١: «بها إليهم».

(٥) في ر١: «لأوقات».

(٦) ينظر تاريخ ابن خلدون ٤/ ١٣٤.

وكان أخوه أحمد الـمُتَوَلِّي لأمر كُتامة، وكان يُعرف بأبي الأُذُنَيْن. وكان صاحبَ البَصْرة حينئذٍ أخوهما عيسى بنَ إبراهيم بن القاسم، إلى أن قتله أبو العَيْش جَـنُّون[1] من بني إدريس، رحمه الله، فتزوَّج أخوه أحمد الملقَّبُ بأبي الأُذُنَيْن زَوْجتَه، وملك مَكانَه. وقيل إنَّ زَوْجَتَه سَمَّتهُ، فقَتلَتْه. فصار أمْرُ كُتامة وأمْرُ البَصْرة إلى يحيى بن إبراهيم بن القاسم المعروف بابن بَرْهُوية؛ فاختلفت عليه كُتامة، وكان ذلك سببَ دخول بني محمَّد بَلَدَ كُتامة وهَوَّارة وتلك الناحية، واستجاشوا بحسن بن محمَّد المعروف بالحَجَّام، فقام بأمرهم، وهلك القاسم بن حَسَن بن القاسم بن إدريس صاحبُ أصِيلاَ.

ودخل بنو[2] محمَّد من بني إدريس مدينةَ أصِيلاَ؛ فاستأْثر بها حَسَن الحجَّام دون بني عَمِّه، فولَّى عليها رجلًا من خاصَّته يُقال له: حَجَّاج بن يوسف فأحسن السيرة فيهم إلى أن هلك. فطلب ولايتَها رجلٌ من أهلها يُقال له: محمَّد بن عبد الوارث، فعدا طَوْرَهُ فيها، ويُقال: إنَّه أصاب بأصِيلاَ كَنْزًا بداره، ونُمِيَ ذلك إلى حسن المعروف بالحجَّام، فطمع في ذلك المال، وعَزَلَه عن أَصِيلاَ. ثمَّ وليها إبراهيم بن الغَلِّ الـمِكْناسيُّ؛ وكان ساكنًا بها، بعدما أعطى مالًا لحَسَن الحجَّام. فلما وصل إلى أصِيلاَ، سار محمَّد بنُ عبد الوارث إلى حَسَن بمالٍ كثيرٍ، فعزل إبراهيمَ وأعاد ابن عبد الوارث. فسار إبراهيم بهديَّة إلى حَسَن، فعزل محمَّدًا وولاَّه عليها. ثمَّ عزل إبراهيمَ وولَّى محمَّد بن عبد الوارث. وكانت عَزْلَتُهما وولايَتُهما نَحْوَ سنتَيْن، إلى أن استقرَّ فيها محمَّدٌ هذا. وسُمِّيَ فَارَ الصِّهْرِيج، يَعْنُون الكَنْزَ الذي أصاب فيه. وتبيَّن لابن عبد الوارث رَغْبةُ حَسَنٍ في ماله، فأعطاه. واستقامت له معه جميعُ أحواله مُدَّةً[3]. ثمَّ عزله، وولَّى إبراهيم بن الغَلِّ المذكورَ؛ فبقي[4] بها إلى أن حصر ابنُ أبي العافية بني محمَّد في حصن النَّسْر، فأتاه أهلُ أصِيلاَ، وطلبوا منه واليًا من قِبَلِهِ؛ فولاَّها سعيد[5] ابن الشيخ الإشبيليَّ. وهرب

(١) وضع تحت الجيم ثلاث نقط فقط علامة الكاف الأعجمية، وربما تكتب بالقاف أيضًا.

(٢) في ر١: «ودخلها أبو» وليس بشيء.

(٣) في ر١: «واستقامت الحال بينهما مدة».

(٤) في ر١: «وأقام».

(٥) في ر١: «فوليها سعد».

إبراهيم بن الغَلِّ إلى مَدْيَن بن موسى بن أبي العافية، فوفد عليه، وهاداه، وانقطعَ إليه، فولاَّه أصِيلاَ، فأحسن السيرة، ورفقَ بالرعية. وانصرفَ إلى تَسُول، بعدما استخلفَ على حرب بني محمَّد رجلًا من أصحابه يُعرف بأبي قَمْح، فحاصَرهم حصارًا شديدًا. فلما ضاقَ عليهم الأمر، هجموا عليه ليلًا، فهرب أبو قَمْح، وملك بنو محمد محلَّتَه. واجتمعت قبائلُ كُتامة بقَلْعةٍ هناك، فزحف إليهم بنو محمَّد الأدارِسةُ، فحاربوهم حتَّى دخلوا القلعة، وقتلوا من كان فيها، فكان أوَّلَ فتح بني محمَّد بن إدريس الـحَسَني.

وبلغَ ذلك إلى[1] أهل أصِيلاَ؛ فكتبوا إلى ابن أبي العافية، وذلك في سنة اثنتين وعشرين وثلاث مئة، في حين خروجِ مَيْسُور إلى أرض الـمَغْرِب. فجاوَبَهم موسى بن أبي العافية، وأمرهم أن يتحصَّنوا في بلدهم، وكتب إلى قبائل كُتامة، ولَوَاتة، وهَوَّارة، وصُنْهاجة، يأمرهم بمَعُونتهم على البنيان، فانقسموا على سُور المدينة، وبَنَوْه في ستَّة أشْهُر. فهرب وجوهُ القبائل إلى أصِيلاَ، واجتمع بها مَلأٌ عظيمٌ منهم، فزحف إليهم بنو محمَّد الأدارِسة بعساكرهم، فكانت بينَهم حربٌ عظيمةٌ، فاستمدُّوا ابن أبي العافية، فاعتذر إليهم، وقال لهم: «اكتبوا إلى أمير المؤمنين، فأنا وأنتم رعيَّتُه وتحت طاعتِهِ»، فكتبوا إلى أمير المؤمنين عبد الرحمن الناصر، وكانت مدينة[2] سَبْتة تحت طاعته. فبعثَ إليهم الرُّماةَ الأنْجادَ، واتَّصلَ ذلك ببني محمَّد، فحشدوا الأحشاد، وزحفوا إلى أصِيلاَ، فحارَبوها أربعين يومًا. فخاف وجوهُ أهلها، فجازوا إلى الأنْدَلُس. ودخل بنو محمَّد أصِيلا، وذلك سنة ست وعشرين وثلاث مئة وملكوها، فأمَّنوا من بقي بها من أهلها، وعاد من جاز إلى الأنْدَلُس إليها.

وحَوْلَها من القبائل لَوَاتة في القِبْلة، ومن هَوَّارةَ قومٌ يُعرفون ببني زِيَاد، بينهم كُدْيَةُ رَمْلٍ عاليةٌ. قال إبراهيم بن محمَّد الأصِيليُّ من قصيدة له [من الوافر]:

تُسَقِّي غَرْبِيَّ أرْضِ بنـي زِيـادٍ … سَحَائبُ ما يَجِفُّ لها غُـرُوبُ

ولا زالَ النَّعِـيمُ يَعُـمُّ قَوْمًـا … إزاؤُهُمْ مـن الـشَّرْقِ الكَثِيـبُ

وحوْلَـها من القبائل من جهة الغرب هَوَّارة الساحِل.

---

(١) ليست في ر١.

(٢) ليست في ر١.

ذِكْرُ مَنْ وَلِيَ مدينةَ البَصْرة[1]

أُسِّسَت البَصْرة في الوقتِ الذي أُسِّسَتْ فيه أصِيلاً. وعلى ثمانية أميال منها جَبَلٌ يُقال له صَرْصَر، كثيرُ المياهِ والثِّمارِ، يَسْكُنه مَصْمُودة. وأوَّلُ من مَلَكها[2] إبراهيمُ بن القاسم بن إدريس نَحْوَ أربعين سنة. ثمَّ وليها ابنُه عيسى بن إبراهيم. ثمَّ أخوه أحمد بن إبراهيم[3]. ثمَّ بَرْهُون بن عيسى بن إبراهيم. ثمَّ أحمد بن القاسم بن إدريس. ثمَّ بَرْهُون بن عيسى ثانيةً. ثمَّ سعيد، غلامُ الـمُظَفَّر من قِبَلِ مَصالة بن حَبُوس. ثمَّ حسن بن محمَّد الحجَّام. ثمَّ محمَّد بن يحيى بن القاسم وَلَدُ الـجُوطيّ. ثمَّ عيسى بن أحمد المعروف بأبي العَيْش. ثمَّ أحمد بن القاسم ثانيةً. ثمَّ والٍ من قِبَل ابن أبي العافية. ثمَّ أبو العَيْش بن أحمد ثالثةً. ثمَّ أحمد بن أبي العَيْش إلى سنة سبع وأربعين وثلاث مئة.

وكانت مدينةٌ يُقال لها كُرْت، في جَبَل يُسمَّى كذلك[4] به إلى وقتنا هذا[5]، خَرَّبَها بنو محمَّد؛ وهي كانت قاعِدَة أحمد بن القاسم، الذي يقول فيه بَكْر بن حمَّاد [من الكامل]:

إنَّ السَّماحة والـمُرُوءَةَ والنَّـدَى	جُمِعُوا لأحمدَ من بُنَـي القاسِـمِ
وإذا تَفاخَرَتِ القبائلُ وانتمَتْ	فافْخَرْ بفَضْلِ محمَّـدٍ وبفَـاطِمِ
وبجَعْفَر الطَّيارِ في دُرَجِ العُـلَى	وعَلِيٍّ العَضْبِ الحُسامِ الصَّارِمِ
إنِّي لَـمُـشتاقٌ إلَيْـكَ وإنَّمــا	يَسْمُو العُقابُ إذا سَمَـا بقَـوادِمِ
فابْعَثْ إليَّ بمَرْكبٍ أسـمُو بـه	علِّي أكُـونُ عَلَيْـكَ أوَّلَ قـادِمِ
واعْلَـمْ بأنَّـك لَـنْ تَنَـالَ محبَّـةً	إلَّا بـبَعْضِ مَلابِـسٍ ودَرَاهِـمِ

(١) ينظر عنها: الروض المعطار ١٧٦.

(٢) في ر١: «ملك البصرة».

(٣) من قوله: «بن إدريس» إلى هنا سقط كله من ر١.

(٤) من ر١.

(٥) «إلى وقتنا هذا» ليست في ر١.

فبعث إليه ببغلةٍ سنيَّةٍ وصِلَةٍ جَزْلةٍ. وكان له فيه أمداحٌ كثيرةٌ.

وكان على وادي وَرْغَة حِصْنٌ كبيرٌ يسكُنُه البربرُ، فسكن عندهم شخصٌ من الـحَضَر، فقال في نفسه[1] [من الطويل]:

ألا هَلْ أتى أهْلُ المدينـةِ أنَّنِـي ... بِوَرْغَةَ بين الأعْجَمِينَ غريـبُ

إذا قلتُ شيئًا قِيلَ: ماذا تُريـدُه؟ ... لَـهُمْ بَيْنَ أحرازِ الوُجوهِ قُطُوبُ

وكان هُناك حِصْنٌ أيضًا يُعرف بسُوق عُكَّاشة، قريبٌ من وَرْغة، لمحمَّد بن حسن من بني إدريس، رحمهم الله، وجَنْيَارة[2] حِصْنٌ كبيرٌ في جَبَل يُعرف بالجَبَل الأشْهَب؛ وهي لبني حَصِين. وفي ذلك الـجَبَل قُرًى كثيرةٌ، وهو[3] بمقربة من فاس. ومن أصِيلاَ إلى مدينة فاس خمسةُ أيَّام على طريق البَصْرة. ويَلي أصِيلاَ من جهة الشرق مدينةُ طَنْجة. وكان صاحبُ طَنْجة القاسم بن إدريس. ومن طَنْجة إلى فاس على طريق أصِيلاَ ستَّة أيَّام.

وفي مدينة فاس عُدْوَتان، أُسِّسَتْ عُدْوة الأنْدَلُسيِّين سنة اثنتين وتسعين ومئة من الهجرة، أسَّسها[4] أهلُ رَبَض قُرْطُبة إذ فرُّوا من الحَكَم الرَّبَضِيّ. وأُسِّسَت عُدْوة القَرَوِيِّين بعدها بسنَةٍ. قال الشاعر [من البسيط]:

يا عُدْوةَ القَـرَوِيِّينَ التـي كَرُمَـتْ ... لا زالَ جانِبُكَ الـمَحْبُورُ مَـمْطُورا

لا أمْسَكَ اللهُ عنها صَوْبَ نِعْمَتِهِ ... أرْضٌ تَجَنَّبَـت الآثـامَ والـزُّورا

ولما خرَّب أبو الفتوح يوسف بن زِيرِي الصُّنْهاجيُّ[5] أميرُ إفريقية مدينةَ البَصْرة، رحل بعساكره إلى بلد[6] بَرْغَوَاطة. وكان مَلِكُهم صالِح بن عيسى بن أبي الأنْصار،

---

(١) «في نفسه» ليست في ر١.

(٢) الروض المعطار ٧٦.

(٣) في ر١: «وهي».

(٤) من هنا إلى قوله «عدوة» سقط من أ.

(٥) ليست في ر١.

(٦) كذلك.

وكان فصيحًا[١] شاعِرًا، فأطاعوه حتَّى جعلوه نبيًّا، وشرع لهم شريعةً، فاتَّبعوه، فضلَّ، وأضَلَّهم. فغزاهم أبو الفُتوح، فكانت بينهم حروبٌ لم يجرِ قبلُها مثلُها كان الظَّفَرُ فيها لأبي الفتوح. وقتلَ اللهُ الكافِرَ ابنَ عيسى، وانهزمت عساكرُ بَرْغَواطة، فَقُتِلوا قَتْلًا ذَرِيعًا، وسُبِيَ من نسائهم وذراريهم ما لا يُحْصَى عَدَدُهم. وأرسل أبو الفُتوح سَبْيَهم إلى إفريقية، فلَقِيَهم عامِلُه عبدُ الله الكاتبُ، مع أهل القَيْرَوان والـمَنْصوريَّة. وملك أبو الفُتوح بلاد الغَرْب مع بلاد إفريقية[٢]. فكانت السِّجِلاَّت تَرِدُ عليه من مِصْرَ، فتَصِلَه على البَريد إلى فاس أو غيرها، ثُمَّ يُرْجَعُ بها إلى عامِل إفريقية، فتُقْرأُ بعد مُدَّةٍ من تأريخها. وأقام أبو الفُتوح في بلاد الغَرْب، وهو قد ملكها[٣]، وأهْلُ سَبْتة منه خائفون، وزَناتة مُشَرَّدون، وذلك من سنة ثمان وستين وثلاث مئة المؤَرَّخة إلى سنة ثلاث وسبعين وثلاث مئة.

وفي سنة تسع وستين وثلاث مئة: تُوفِّي أحمد بن أبي خالد، الطبيبُ الكبيرُ المعروفُ بابن الـجَزَّار[٤].

وفيها: كانت الـحُمْرة التي ظَهَرَتْ في السماء ليلةَ الأربعاء لخمس خَلَوْن من ربيع الأوَّل، فخرج الناسُ إلى المساجِد للضَّجيج والتضرُّع إلى الله تعالى.

وفي غَدِ تلك الليلة، هرب كَبَّاب ومَغْنين ابنا زِيري بن مَنَاد من قَصْر أخيهما السلطان أبي الفُتوح الذي كانا فيه محبوسَيْن، وقد لَبِسا ثيابَ النساءِ، وخرجا في نِسْوةٍ دَخَلْنَ إليهما لزيارتهما، فوَجَدا[٥] عبيدَهما قد أعدُّوا لهما خَيْلًا وسلاحًا، فركبا، ومضيا نَحْوَ الـمَشْرِق، حتَّى وصلا مِصْرَ، فأنزلهما العزيزُ بالله، وخلعَ عليهما، ووَصَلَهما، وبَقِيا هُنالِك بقيَّةَ هذه السنة.

---

(١) كذلك.

(٢) «مع بلاد إفريقية» من ر١.

(٣) «وهو قد ملكها» ليست في ر١.

(٤) تنظر ترجمته في عيون الأنباء ٤٨١.

(٥) في ر١: «فوجدوا».

وفي سنة سبعين وثلاث مئة: صرفَ العزيز بالله كبَّابًا ومغنينًا ابنَيْ زِيرِي إلى أخيهما[1] أبي الفُتوح يوسف بن زِيرِي أمير إفريقية، وأمره أن يعفو عنهما، ولا يتعرَّض لهما. ففعل ذلك.

وفيها: تمكَّنت حالُ يعقوب بن يوسف بن كِلِّس[2] مع العزيز بالله، فأذَلَّ كُتامة، وقهرَهُم، وقدَّم التُّرْكَ والإخْشيديَّة، وعزل الوزراء جَوْهَرًا وغَيْرَه.

وفي سنة إحدى وسبعين وثلاث مئة: دخل سَبْيُ البَرْغَوَاطِيِّين إلى المنصوريَّة يومَ السبت لثمان خَلَوْن من ربيع الأوَّل، فرأى أهْلُ إفريقية من السَّبْي ما لم يَرَهُ أحَدٌ منهم لكثرته، وطِيفَ بهم في المنصوريَّة والقَيْرَوان.

وفي هذه السنة: وصل بادِيس بن زِيرِي من مِصْرَ برسالةٍ إلى أبي الفُتوح، يأمره بتَخَيُّر ألف فارس من إخوته الأبطال صُنْهاجة، منهم حَبُوس ومَاكْسَن وزَاوِي وحَمَامة بنو زِيرِي، وبنو حَمَامة بن مَنَاد، وزَاوِي بن مَنَاد، ونُظَرائِهم. فكتب إليه من بلاد الغَرْب يُعَرِّفه بتغلُّب بني أُمَيَّة أمراء الأنْدَلُس على بلاد الغَرْب، وأنَّ الدُّعاءَ لهم فيه على الـمَنابِر، وأنَّه قد خرج لـمُحاربتهم بهؤُلاء الرجال الذين سمَّاهم أميرُ المؤمنين؛ فإن عزم على بَعْثِهم إليه، تَرَكَ الغَرْبَ، وسار بنفسه في جُمْلَتهم، فلم يُعِدْ إليه جوابًا فيهم.

وفي جُمادى الأُولى من هذه السنة: كان بالمهديَّة زَلازِلُ دامت الشهرَ كلَّه وعشرة أيَّام بعده، تُزَلْزِلُ في كلِّ يوم مرَّات، حتَّى هربَ أكثرُ أهلها، وأسلموا ديارهم وما فيها.

وفي سنة اثنتين وسبعين وثلاث مئة: قُتِلَ أمير صِقِلِّيَةَ أبو القاسم عليُّ بن حَسَن الـحَسَنيُّ في مُقابلته مع الإفْرَنْج. وكانت ولايتُه بها إحدى عَشرة سنةً. ثمَّ وَلِيَ ابنُه جابِرٌ سنةً واحدةً[3].

وفي سنة ثلاث وسبعين وثلاث مئة: اشترى عبدُ الله بن محمَّد الكاتِبُ عامِلُ إفريقية العَبِيدَ السُّودان، وجعل على كلّ عامِلٍ مِن ثلاثين عبدًا إلى ما دون ذلك،

---

(١) ليست في أ، م.

(٢) تنظر ترجمته في وفيات الأعيان ٧/ ٢٧-٣٤، وتاريخ الإسلام ٨/ ٤٨٦-٤٨٧.

(٣) ذكر ابن الأثير هذا الخبر بتفصيل في الكامل ٩/ ١٣-١٤، ولكن في حوادث سنة ٣٧١.

وكذلك على أصحاب الـخَرَاج ووُجوهِ رجاله. فاجتمعَ له منهم أُلُوفٌ، وأسكنهم بالمنصوريَّة.

وفيها: عمل عبد الله بَيْتَ الحديد، ومَلأهُ أموالًا، ثمَّ عَمِلَ بَيْتَ خَشَبٍ ومَلأه أموالًا أيضًا. واستخلف على المنصوريَّة جَعْفَر بن حَبِيب، وخرج إلى المهديَّة على عادته في كلّ سنة.

ذِكْر وفاة أبي الفُتوح[1] يوسف بن زِيرِي بن مَنَاد الصُّنْهاجيّ

وفي هذه السنة: تُوفِّي أبو الفُتوح[2] عند قفوله من قتال بَرْغُوَاطة، وقد انفصل من سِجِلْماسة، فمات بموضع يُقال له واركنفو، يومَ الأحد لتسع بَقِين من ذي الحجَّة؛ وذلك أنَّ ابن خَزْرُون الزَّناتيَّ ضربَ على سِجِلْماسة؛ فدخلها، وأخذ ما كان فيها من الأموال[3]؛ وكان بها عامِلُ أبي الفُتوح؛ فأتاه الخبرُ بذلك، فرحل إليها، فاعتلَّ في طريقه بقُولَنْج، فمات بالموضع المذكور. فأوصَى لأبي زَعْبَل بن هشام. وكان من خاصَّته، فأرسلَ إلى المنصور يُعَرِّفه بوفاة والده[4] أبي الفُتوح[5].

ولاية أبي الفَتْح[6] المنصور بن أبي الفُتوح إفريقية[7]

وَلِيَ الإمارة[8] في أوائل سنة أربع وسبعين وثلاث مئة بمدينة أشِير، وتُوفِّي يوم الخميس لخمس خلَوْنَ من ربيع الأوَّل من سنة ست وثمانين وثلاث مئة، فكانت مدَّتُه اثنتي عشرة سنة، ودُفن بالمنصوريَّة. وكان كريمًا، سَمْحًا، جَوَادًا، صارِمًا، عازِمًا.

---

(١) اقتصر العنوان في ر١ على هذا القدر.

(٢) «أبو الفتوح» ليست في ر١.

(٣) «من الأموال» ليست في ر١.

(٤) في ر١: «والدته».

(٥) ينظر الكامل لابن الأثير ٩/ ٣٤.

(٦) في ر١: «الفتوح»، خطأ.

(٧) ليست في ر١.

(٨) كذلك.

قال الرَّقِيق: وقد ذكرتُ سيرتَه، وحروبَه، وعطاياه في كتابٍ مُفْرَدٍ لأخبارِ جَدِّه وأبيه وأخبارِه. وكان لقَبُه عُدّة العزيز بالله بن يوسف سيف[1] العزيز بالله.

وفي هذه السنة، وهي سنة أربع وسبعين وثلاث مئة: بعث المنصور أخاه يَطُّوفَت من مدينة أشير، لـمَّا بلغه موتُ أبيه، وأمره أن يَطْوِي المراحِل إلى القَيْروان والمنصوريَّة برَسْمِ القبض على عبد الله بن محمَّد الكاتِب، وكان بالمهديَّة، ونائباه على المنصوريَّة جَعْفَر بن حَبيب، وعلى القَيْرَوان بَرْهُون العامِل، فصَبَّحَهم يَطُّوفَت سَحَرَ يوم الثلاثاء منتصف المحرَّم. فنظر يَطُّوفَت إلى الخزائن مُغْلَقةً وإلى بيت المال مُقْفَلًا، فأخذ المفاتيح، وفتح بيت المال وبيت السلاح، وفرَّق على أصحابه، ورَكَّب من كان مُتَرَجِّلًا من الصُّنْهاجيّين بالمنصوريَّة. ثمَّ خرج، والتقى مع عبد الله الكاتِب في بعض الطريق؛ فوثَبَ عليه، وأرْجَله عن فَرَسه، وانْتُهِبت أسبابُه، واعْتُقِل بالمنصوريَّة أيَّامًا. ثمَّ أمر المنصور بإطلاقه، ورَفَعَ يَدَه عن البلد. ثمَّ عاد الأمرُ إلى عبد الله، فأمر بالقُضاة ووُجوهِ الناس من شيوخ القَيْرَوان وغيرهم، وتوجَّه معهم برسم التَّهْنِئَة والتَّعْزِيَة للمنصور، فوصلوا إليه، وسلَّموا عليه بمدينة أشير، فقال لهم المنصور: «لقد شَقَّ عليَّ تعبكم في حَرَكتكم، غَيْرَ أنَّ سُروري في رُؤْيَتِكم». ثمَّ شكرَ عبدَ الله الكاتبَ، وذَمَّ فِعْلَ أخيه به، ثمَّ أمر عبدَ الله الكاتبَ أن يدفع للوافدين عليه عشرة آلاف دينار ضيافتهم. فدَعَوْا له، وانصرفوا. ثمَّ استدعاهم بعد ذلك، وقال لهم: «إنَّ أبي وجَدِّي أخذا الناسَ بالسيف قَهْرًا، وأنا لا آخُذُهم إلَّا بالإحسان، وما أنا في هذا الـمُلْك مِـمَّن يُوَلَّى بكتاب أو يُعْزَلُ بكتاب، لأنِّي ورثتُه عن آبائي وأجدادي، وورثوه عن آبائهم[2] وأجدادهم حِـمْيَر!» وكلام في هذا المعنى كثير[3]؛ ثمَّ أمرهم[4] بالانصراف مع عبد الله الكاتب، فكانت مدَّة مَسِيرهم ورجوعهم خمسة وثلاثين يومًا.

---

(١) «سيف» ليست في أ، م.

(٢) ليس في ر١.

(٣) في ر١: «أو كلامًا هذا معناه».

(٤) في ر١: «أذن لهم».

وفي رجب، قَدِمَ المنصور إلى رَقَّادة، فتلقَّاه عبدُ الله الكاتب في خَلْق عظيم من أهل القَيْرَوان؛ فأظهر للناس الـخَيْرَ، ووعدهم بكلِّ جميل، وأتاه الـعُمَّال بالهدايا والأموال، وأعطاه عبد الله هدايا جليلةً. ثمَّ أخذ المنصور في جِهاز هديَّةٍ بعثها إلى مِصْرَ مع زَرْوال بن نَصْر. فقيل: إنَّ قيمة ما كان فيها من الأمْتِعة والدوابِّ والطُّرَف ألْفُ ألْفِ دينار عَيْنًا. وأقام المنصور برَقَّادة، فأمر بعمل سَرْج مكلَّل بالدُّرِّ والياقوت، فخرج به إلى العيد في أحسن زيّ؛ وخرج إليه من القَيْرَوان خلْقٌ عظيمٌ، فصلَّى بالـمُصَلَّى، وخطب القاضي ابنُ الكُوميّ، وانصرف المنصور إلى قصره. ووُلِدَ له وَلَدٌ سمَّاه بادِيس[1] ابن المنصور، ليلةَ الأحَد لثلاث عشرة خلت[2] من ربيع الأوَّل من هذه السنة.

وفيها: أعطى المنصور لأخيه يَطُّوفَت العساكِرَ، وجَّهه إلى مدينتي فاس وسِجِلْماسة، يطلب ردَّهما وردَّ تلك البلاد الغَرْبيَّة، إذ كانت خرجت عن طاعة صُنْهاجة عند وفاة أبي الفُتوح، فوصل إلى مدينة فاس. وكان بها زِيرِي بن عَطِيَّة الزناتيُّ الـمُلَقَّب بالقَرْطاس[3]. فلما أحسَّ بوفادة يَطُّوفَت بن أبي الفُتوح، عاجَلَ بالخروج إليه والهجومِ عليه، فقاتله قتالًا شديدًا، حتَّى انهزم يَطُّوفَت، وظفرت زَناتة بصُنْهاجة؛ فاتَّبعوهم، وقتلوا منهم خَلْقًا كثيرًا، وأَسَروا آخرين، وهرب الباقون إلى تِيهَرْت. وهزم في هذه الوقعة قائدان له، اسمُهما ابنُ شعبان وابن عامِل، فسُمِّرَ ابنُ شعبان على باب فاس؛ وقُتِلَ ابنُ عامِل شَرَّ قِتْلةٍ. وبقي زِيرِي بن عَطِيَّة مالِكًا لفاس وما حَوْلَـها. ولما بلغ المنصورَ هزيمةُ أخيه، من المنصوريَّة يوم الأربعاءِ لثلاث عشرة ليلة خَلَتْ من ذي الحجة برسم الغَرْب، وخرجَ[4] ومعه عبدُ الله الكاتِب، واستخلف عبدُ الله على القَيْرَوان ابنَه يوسف، ثمَّ رجع عبدُ الله بعد ذلك بعِمالةِ إفريقية كلِّها. وبعث المنصور إلى أخيه يَطُّوفَت بجيش آخر، فتلقَّاه بتِيهَرْت، ولم يتعرَّض المنصورُ بعد ذلك إلى بلاد زَناتة[5].

---

(١) ينظر عنه وفيات الأعيان ١/ ٢٦٥.

(٢) من ر١.

(٣) ينظر نهاية الأرب للنويري ٢٤/ ١٠٦.

(٤) سقطت من م.

(٥) نهاية الأرب ٢٤/ ٩٨.

وفي سنة خمس وسبعين وثلاث مئة: أمر أبو الفَتْح المنصور أن يُعْمَلَ بجامع[1] القَيْرَوان أبوابٌ من[2] حديد، وأمر ببناء قصره الكَبِير.

وفيها[3]: كان مَوْلِدُ أبي عليّ منصور[4]، وقيل: المنصور، ابن نِزار العزيزِ بالله، بمدينة القاهرة، في يوم الخميس لسَبْع بَقِين من ربيع الأوَّل.

وفي سنة ست وسبعين وثلاث مئة: ظهر أبو الفَهْم الـخُراسانيُّ الداعِي[5]؛ واجتمع إليه خَلْقٌ كثيرٌ من كُتامة. وكان يوسف بن عبد الله بن محمد[6] الكاتب قد أعطاه مالًا وخَيْلًا، فتوجَّه بذلك لبَلَد كُتامة، فدعاهم، فأجابوه، وتقرَّرَتْ أُموره عندهم، حتَّى صار يركب الخيل[7]. ويجمع العساكر، ويعمل البُنُود، ويضرب السِّكَّة، فعظم أمرُه، وشاعَ خَبَرُه.

وفيها: جدَّ يوسف بن عبد الله الكاتِب في بناءِ قصر المنصوريَّة للمنصور أبي الفَتْح، فبلغ إنفاقُه فيه قبل تَـمامِهِ مئةَ ألف دينار.

وفي سنة سبع وسبعين وثلاث مئة: وصل المنصور أبو الفَتْح صاحِبُ إفريقية[8] إلى المنصوريَّة، فنزلَ في قصره الذي بُنِيَ له، وأتى معه عبدُ الله الكاتِب وجُموع عساكره، ووجوهُ بني عَمِّه ورجاله.

وفي هذه السنة: كان مَقْتَلُ عبد الله بن محمد[9] الكاتِب وابنه يوسف؛ وذلك أنَّ عبد الله المذكور[10] بلغ مع المنصور بن أبي الفُتوح ما لم يَبْلُغْه أحَدٌ من قَرابته وأهلِ

---

(١) ليست في م.

(٢) ليست في ر١.

(٣) هذه الفقرة كلها ليست في ر١.

(٤) ترجمته في وفيات الأعيان ٥/ ٢٩٢-٢٩٨، وتاريخ الإسلام ٩/ ١٩٨-١٩٩.

(٥) ينظر كامل ابن الأثير ٩/ ٥٣-٥٤.

(٦) من ر١.

(٧) في ر١: «الحمار».

(٨) «صاحب إفريقية» ليست في ر١.

(٩) ليست في أ، م.

(١٠) في أ، م: «عبد الله بن محمد الكاتب» وما أثبتناه من ر١ هو الأوفق.

بيته ودولته، وانحصرَتْ أُمورُه كلُّها تحت قَبْضَته، فجمع الأموالَ، ورتَّب الأحوالَ والأعمالَ، وأعطى السياسةَ والرياسةَ حَقَّها. فحسده كُبَراء[1] أهل الدولة، وألقى عنه حَسَنٌ ابنُ خالَتِه إلى المنصور أُمورًا من القَدْح في دولته، وأنَّه كان السَّبَبَ في خروج الداعِي الثائر[2] أبي الفَهْم بكُتامة، وأنَّه كان يُصَغِّر خَبَرَه حتَّى تَفاقَمَ أَمْرُه، وغير ذلك من الأسباب الـمُهْلِكات. وكان عبد الله الكاتِبُ، لثِقَتِهِ بنفسه، لا يُدَارِي أحدًا من أولاد زِيرِي ولا أكابِرِ الدَّوْلة. فلما أحَسُّوا من المنصور بَعْضَ التغيُّر عليه، أكثروا من الذَّمِّ[3] فيه والوشي به إليه، فقال له أبو الفتح المنصور: «اعتزِل عن عَمَل إفريقية، واقْتَصِرْ على الكِتابة، وكلُّ من تولَّى مُتَصَرِّفٌ بين يديك وتحت أمرك[4]» فكان جوابُه أن قال: «القَتْلة ولا العَزْلة!» فلما كان يوم الأحد لإحدى عَشرة ليلة خَلَتْ من رَجَب، غَدَا إلى دِيوانٍ كان قد بناه، فجلس فيه لانتظار رُكوب المنصور، وبيده جُزْءٌ من القُرْآن، يقرأُ فيه، حتَّى قيل له: «قد رَكِبَ» فأطلقه، وركب فَرَسَه برَسْم لقائه، وهو يقول: [من الطويل]:

ومَنْ يأْمَنِ الدُّنيا يَكُنْ مِثْلَ قابِضٍ   على الماء خَانَتْهُ فُـروجُ الأَصَابِــعِ

فلما وصل إليه المنصور، نزل عبدُ الله إليه، وسلَّم عليه، ثمَّ وقف، فدار بينهما كلامٌ كثيرٌ، لم يقف أحَدٌ على صِحَّتِهِ، ثمَّ طَعَنَهُ المنصورُ برُمحه، فجعل أكمامَه على وَجْهه، وقال: «على مِلّة الله ومِلَّةِ رسولِه» لم يُسْمَع له غيرُ ذلك. وضربه عبدُ الله أخو المنصور برُمْح بين كَتِفَيْه، فسقط إلى الأرض مَيِّتًا. ثمَّ أُتي بابنه يوسف، فضربه المنصورُ ومَاكْسَنُ بنُ زِيرِي، فسقط مَيِّتًا. وكان عبد الله[5]، لما تنكَّر له المنصور، لا يزال يتمثَّل بهذا البيت: [من الطويل]:

---

(١) في ر١: «كبار».

(٢) «الداعي الثائر» ليست في ر١.

(٣) من هنا إلى قوله: «المنصور» سقط كله من م.

(٤) «وتحت أمرك» ليست في ر١.

(٥) ليس في ر١.

أرى أَلْفَ بانٍ لا يَقُومُ لهادمٍ ... فَكَيْفَ بِبانٍ حَوْلَهُ أَلْفُ هادِمِ

وكان يتمثَّل أيضًا[1] بقوله [من الكامل]:

لي مُدَّةٌ لا بُدَّ أبْلُغُها ... حتَّى إذا قَضَّيْتُها مِتُّ

لَوْ صارَعَتْني الأُسْدُ ضارِيةً ... لَصَرَعْتُها ما لَمْ يَجِ الوَقْتُ

ولما مات عبدُ الله وابنُه، دار العَسكرُ على الناس، فانتهبوهم وسلبوهم، وقطعوا الطُّرُقَ، فأخذوا كلَّ من وجدوا من الـمُسافِرين وغيرِهم، ومالوا إلى وادي القصَّارين وإلى باب تونُس، أحَدِ أبوابِ القَيْرَوان، فنهبوا ما كان عند القصَّارين، فذهبَتْ في ذلك اليوم أموالُ المسلمين، وقُتِل خَلْقٌ ممَّن دافع عن نفسه وماله. ودُفن عبدُ الله في الإصْطَبْل دُونَ غَسْلٍ ولا كَفَنٍ. ووَلِيَ أعمالَ إفريقية من قِبَل أبي الفَتْح المنصورِ: يوسفُ بن أبي محمَّد، وكان عامِلًا على قَفْصة، فأعطاه البُنُودَ والطبولَ خلعَ عليه، وولاَّه إفريقية مَكانَ عبد الله، يومَ الخميس لخمس بَقِين من شعبان من السنة المؤَرَّخة[2].

وفي سنة ثمان وسبعين وثلاث مئة: تحرَّكَ أبو الفَتْح المنصورُ بعساكره إلى بلاد[3] كُتامة. فمرَّ على مِيله[4]، وأمر بخرابها، وهَدْم سورِها، وأمر أهلها بالـمَسير منها إلى باغاية، فاجتمعوا وساروا إليها. فلَقِيَهم ماكْسَن بن زِيري بعسكره، فأخذ ما كان معهم من مالٍ وغيرِه. وكان المنصورُ في هذه الحَرَكَة لا يمرُّ بمَنْزِلٍ ولا قَصْرٍ ولا دارٍ إلَّا أمر بهَدْمه. ولما وصلَ المنصور إلى كُتامة، حارَبُوه، فظَفِرَ بهم، وقتلهم، واستأصلهم. وهرب الثائرُ أبو الفَهْم إلى جَبَلٍ وَعْرٍ، فأرسل إليه المنصورُ مَنْ أخذه. فلما صار بين يديه، أمر به؛ فلُطِمَ لَطْمًا شديدًا، ونُتِفَتْ لِحْيَتُه، حتَّى أشرف على الموت[5].

---

(١) «وكان يتمثل أيضًا» ليس في ر١.

(٢) الكامل لابن الأثير ٩/ ٥١ في حوادث سنة ٣٧٦.

(٣) في ر١: «بلد».

(٤) انظر عنها معجم البلدان ٥/ ٢٤٤.

(٥) الكامل لابن الأثير ٥/ ٥٣-٥٤.

وذلك أنَّه، لما صار بين يدَيْه، وعَمِلَ به ما تقدَّم ذكرُه، أمر بخروجه، وقد بقيت فيه حُشاشةٌ من الرُّوح. فأخذه بعضُ رجاله؛ فنحرَهُ، وشقَّ بَطنه، وأُخْرِجَتْ كَبِدُه، فشُوِيَتْ وأُكِلَتْ. وأخذه عبيدُ المنصور، فشرَّحوا لَـحْمَه، وأكلوه، حتَّى لم يَبْقَ إلَّا عِظامُه مُتَجَرِّدَةً؛ وذلك يومَ الثلاثاء لثلاث خَلَوْنَ من صَفَر. وقُتِلَ بسَببه وَالِي مِيلة وجماعة من كُتامة، ونزل بكُتامة الذُّلُّ والهَوانُ. وبقيَتْ مِيلة خَرابًا، ثُمَّ عَمُرَتْ بعد ذلك. ورحل أبو الفَتْح المنصورُ قافِلًا إلى المنصوريَّة والقَيْرَوان.

وفي هذه السنة: دخل الوادي[1] إلى المنصوريَّة وهدم دُورَها.

وفي سنة تسع وسبعين وثلاث مئة: وصل إلى المنصور سعيدُ بن خَزْرُون الزَّناتيُّ من الغَرْب، فأعطاه وأرضاه، وقال له يومًا: يا سعيد، هل تعرف من هو أكرم مِنِّي؟ قال: نعم. قال: ومن هو؟ قال: أنا! قال له المنصور: ولِـمَ ذلك؟ قال: لأنَّك جُدتَّ عليَّ بالمال، وجُدتُ أنا عليك بنفسي. فولَّى سعيدًا هذا[2] مدينة طُبْنة. وقَدِمَ عليه بعد ذلك جماعةٌ من الزَّناتيّين، فأكرمهم، وأعطاهم، وزوَّج المنصورُ ابنتَه من وذُو بن سعيد[3].

وفي هذه السنة: خالَفَ أبو البَهار بن زِيري، فزحف إليه المنصورُ إلى تِيهَرْت، ففرّ أبو البَهار أمامه إلى الغَرْب. ودخل عسكرُ المنصور تِيهَرْت، فنهبوا وقتلوا، ثمَّ أمَّنهم بعد ذلك[4]. ورجع المنصورُ عن تبع عمِّه أبي البَهار، وولَّى على تِيهَرْت أخاه يَطُّوفَت ومضى المنصورُ إلى مدينة أشِير. وكتب أبو البَهار إلى ابن أبي عامِر، يسألُه الدخول في طاعته، وأن يكتب له إلى زِيري بن عَطِيَّة الزَّناتيّ[5] صاحب فاس أن يكون عنده، وكان ابن عَطِيَّة مُوَالِيًا ومُصَافيًا لابن أبي عامِر، فكتب ابنُ أبي عامر إلى أبي البَهار:

---

(١) يعني: السيل.

(٢) في ر١: «فولاه» بدلًا من «فولى سعيدًا هذا».

(٣) في الكامل لابن الأثير ٩/ ٦٧-٦٨ أن المنصور زوج ابنه بعض بنات سعيد.

(٤) الكامل لابن الأثير ٩/ ٦٨.

(٥) ليست في ر١.

إن كنتَ على نيَّةٍ فيما وصَفْتَهُ عن نفسك، فأرْسِلْ إليَّ ابنكَ، يكونُ رَهينةً عندي، وأفعلُ لك ما أحْبَبْتَهُ. فوجَّه إليه ابنَه في مَرْكَبٍ مع مَيْمون المعروف بابنِ الدَّابَّة كاتِبِه. فعُطِبَ المَرْكَبُ، وماتا جميعًا في البحر. فوجَّه إليه ولدَه الآخر، فوصل إليه، فوجَدَ ابنُ أبي عامِر لأبي البَهار أموالًا وكُسًى، وكَتَبَ إلى زِيرِي بن عَطِيَّة في حَقِّهِ أن يُعاضِدَه، ويَنْصُرَهُ ويكونَ معه. فلما بلغَ ذلك أبا البَهار، وصلَ إلى فاس، واتَّفق مع زِيرِي بن عَطِيَّة صاحِبِها.

وأمَّا العامِلُ على إفريقية، يوسفُ بن أبي محمَّد المتقدِّم الذكر، فكان مُشْتَغلًا بالأَكْل والشُّرب، فإذا دخل الوَرْدُ، اصطبح عليه، فلا يَظْهَرُ حتَّى يفنى الوَرْدُ وينقطِعَ. وكان يجلسُ فيه، ويَنامُ عليه، فسُمِّيَ شَيْخَ الوَرْد. وأسلم الأُمورَ لابن البُونيّ، فكان أهلُ الحاضِرة معه في أمنٍ وعافيةٍ، وأهلُ البادية في عَذابٍ وغَرامةٍ. وكان جبّارًا عَنِيدًا، وسَمْحًا جَوادًا، وكان يخرج في كلّ سنة، فيدورُ على كُوَر إفريقية، ويُجْبي الأموالَ، ويأخذ الهدايا من كلِّ بلد، ويرجع.

قال الرَّقيق: كُنَّا إذا دُرْنا مع يوسُف بن أبي محمَّد على البُلْدان، واستطاب موضِعًا، وأعجبه حُسْنُه، أقام فيه مُصْطَبِحًا الشَّهْرَ والشَّهْرَيْن، وأبو الحسن البُوني يَجْبي الأموالَ، ويقبضُ الهدايا، ويقوم بأُمور دِخْلَة[1] يوسف وعسكره. وكان يعطي لخاصَّة يوسف في كلِّ يوم خمسةَ آلاف دِرْهَم، وينفق على يوسف لـمَطْبَخَتِه وفاكِهَتِه نَحْوَ هذا المال المذكور.

وفيها: تُوفِّي عامِلُ صِقِلِّيَّة عبدُ الله بن محمَّد بن أبي الـحَسَن، ووَلِي ابنُه يوسف، فكان الناسُ في أيَّامه على أفضل ما يَشْتَهُون؛ واستقامت له الأُمورُ، وأداخَ بلادَ الرُّوم، وظهرَ من كَرَمه وجُوده وعَدْله ما هو معدومٌ في كثير من البُلْدان.

وفي سنة ثمانين وثلاث مئة: تُوفِّي الـمَرْصَديُّ[2]، صاحبُ خَراج القَيْرَوان. وأمر أبو الفَتْح المنصور بولاية محمَّد بن عبد القاهر بن خَلَف الـخَراجَ مع سَلامة بن عيسى، فجَلَسَا معًا في ديوان خَراج المنصورية.

---

(١) يعني: أسرار يوسف وعسكره.

(٢) هو حسين بن خلف المرصدي، ينظر تاريخ ابن خلدون ٤/ ٤٩.

وفي سنة إحدى وثمانين وثلاث مئة: تُوفِّي القائدُ جَوْهَر بمِصْرَ[1]، وهو الذي فتحها. فلم يَبْقَ شاعِرٌ بمِصْرَ[2] إلَّا رَثَاهُ، وذَكَرَ ما فتحه شَرْقًا وغَرْبًا.

وفيها: وصل المنصورُ إلى المنصوريَّة، ودخل قصره الجديد؛ فخرج إليه أَهْلُ القَيْرَوان، يتلقَّونه، فأدناهم، وأثنَى عليهم، ووعدهم خيرًا. ثمَّ رُفِعَ له في عَبْدٍ من عَبيده أَنَّه قَرَفَ[3] بعض الصَّحابة، رضي الله عنهم، فأمر بقتله وصَلْبِ جُثَّته، ونُودِيَ على رأسه بمدينة القَيْرَوان.

وفي سنة اثنتين وثمانين وثلاث مئة: طُهِّرَ أبو مَناد بادِيس بن أبي الفَتْح المنصور بقصر والده، وأهدى إليه جماعةٌ من الناس على قدر أحوالهم[4].

وفيها: ترك المنصور البغايا[5] للرَّعايا.

وفيها: قَبَضَ على البُونيِّ وابنِه، وطلبَ منهما مالًا كثيرًا، فأنكراه، وكان المنصور قدَّر أنَّه يأخُذُ منهما أموالًا يفتَخِر بها على أضيافٍ كانوا عنده في يوم طَلَبها، وقال لهم: «لو أنَّ عَبْدًا من عَبيدي طُلِبَ منه بيوتُ مالٍ، لَوُجِدَ ذلك عنده»، فصادَفَ إنكارُ البُونيِّ ذلك الـمَحَلَّ؛ فأمر بذبْحِ البونيّ. وعَزَلَ يوسف بن أبي محمَّد عن عِمالة إفريقية، وولَّى مكانَهُ محمَّد بن أبي العَرَب[6] الكاتب.

وفيها: وصل سِجِلٌّ من العزيز بالله بولاية العَهْد لأبي مَناد بادِيس بن المنصور، فسُرَّ المنصورُ بذلك، وجاءتْه الهَدَايا من البُلْدان، ومن كلِّ جهة ومكان.

وفيها: كان وصولُ سعيد بن خَزْرُون من مدينةِ طُبْنة إلى الـمَنْصورية فلقِيَهُ المنصورُ وعانَقَهُ ثم دخلَ معهُ إلى قَصْره وأنزلَهُ وأجْرَى عليه الأرزاقَ الواسعةَ، فاعتَلَّ سعيد بن خَزْرون أيَّامًا، ومات في أوَّل رَجَب، فكفَّنه المنصور بسبعين ثوبًا.

---

(١) الكامل لابن الأثير ٩/ ٩٠.

(٢) ليست في ر١.

(٣) قرف: عاب، وتحرف في م إلى: قذف.

(٤) في ر١: «حالهم».

(٥) في م: «البقايا» بالقاف، وهو تحريف.

(٦) في ر١: «المعرف»، خطأ.

وفيها[1]: وصلت هَدِيَّةٌ من بَلَد السُّودان، فيها زرافةٌ؛ فخرج المنصور حتى دخلَتْ بين يَدَيْه.

وفيها: وصلَ إلى المنصور فُلْفُل بن سعيد بن خَزْرُون بعد موت أبيه، فأعطاه ثلاثين حِـمْلًا من المال، وثمانين تَخْتًا من أنواع الكُسَى، وخَيْلًا بسُروج مُحَلاَّة، وعَشرة من البُنود الـجُدُد الـمُذَهَّبة، ورَدَّهُ إلى مدينة طُبْنة أميرًا عليها[2].

وفي سنة ثلاث وثمانين وثلاث مئة: خرجَ باديس ابن المنصور إلى مدينة أشِير.

وفيها: وصل إلى المنصور كتابُ أخيه يَطُّوفَت، يُخْبِره بوصول عَمِّه أبي البَهار إليه، فكتب إليه المنصور أن يبعثه، فكان وصولُ أبي البَهار إلى المنصوريَّة ليلة الاثنين مُنْتَصَفَ شعبان؛ فأعطاه المنصور كُسًى، وجوارِيَ، وفُرُشًا، وسُرَّ به أعْظَمَ سُرورٍ، وأنزله أحْسَنَ نُزولٍ.

وفي سنة أربع وثمانين وثلاث مئة: كان دخولُ أبي مَناد باديس ابن المنصور إلى المنصوريَّة من جهة الغَرْب، وهي أوَّل حَرَكة، فتلقَّاه أبوه بالعساكر وأهل القَيْرَوان وغيرهم.

وفيها: كان وصولُ الهَدِيَّة من مِصْرَ مع جَعْفَر بن حَبِيب، ومعه فِيلٌ عظيمٌ[3].

وفي سنة خمس وثمانين وثلاث مئة: مات الأمير عبد الله بن يوسف بن زِيرِي بن مَناد[4].

وفيها: كان خروجُ القائد يوسف بن أبي محمَّد عامِلًا على مَتِّيجة.

وفي جُمادى الآخرة: وصل قاسم بن حجَّاج إلى المنصوريَّة من مِصْرَ برؤُوس الرُّوم الذين قتلهم مارِقٌ الكُتاميُّ بحَلَب.

---

(١) في أ، م: «وفي هذه السنة».

(٢) الكامل ٩/ ٦٨.

(٣) جعلها ناسخ ر١ في سنة خمس وثمانين وثلاث مئة.

(٤) هذه الفقرة ليست في ر١.

وفي سنة ست وثمانين وثلاث مئة: تُوفِّي أبو الفَتْح المنصورُ عُدَّةُ العزيز بالله ابن يوسف سيف العزيز بالله بن زِيرِي بن مَناد الصُّنْهاجيّ[1] في يوم الخميس لثلاث خَلَوْنَ من ربيع الأوَّل، ودُفِنَ بقصره الجديد الخارج عن المنصوريَّة. وكانت أيَّامُه أحْسَنَ أيَّام[2].

إمارة[3] أبي مَناد باديس بن أبي الفَتْحِ بن أبي الفُتوح يوسف بن زِيرِي بن مَناد[4]

ولما صارت الأُمور إليه، أتاه الناس من كلِّ ناحية بإفريقية للعزاء والتَّهْنِئَة. وكان بنو زِيرِي وبنو حَـمامة قد همُّوا بأمورٍ، وخالفوا من جاء معهم[5] على ما عقدوه؛ فما تَرَكَهم عَبِيدُ باديس وعَبِيدُ أبيه إلى شيء مِـمَّا أرادوه. ووصل أبو بيباش يَطُّوفَت بن أبي الفُتوح إلى المنصوريَّة للعزاء والتهْنِئَة، ثمَّ رجع إلى طُبْنة وجِهَةِ الغَرْب في أواخِر شعبان.

وفي هذه السنة: تُوفِّي أبو المنصور نِزار العَزِيز بالله العُبَيْديُّ صاحبُ مِصْرَ في حَوْض الحـمَّام، وكانت به عِلَّةُ الـحَصَا، وشربَ دواءً في الحوض، وأدركَهُ أجَلُه فيه، فمات. وولي مكانَهُ أبو عليّ، وَلِـيُّ عهده، الـمُلَقَّب بالحاكِم بأمر الله[6]. وكان أبو مَناد قد هَيَّأ هديَّةً ليبعثها للعزيز، فبرزت الهديَّةُ من المنصوريَّة إلى رَقَّادة مع جعفر بن حبيب لِستّ خَلَوْنَ من رَمَضان. وكان العزيز بالله قد بعث سِجِلًّا إلى أبي مَناد، يأمره فيه برفع القاضي محمَّد بن عبد الله بن هاشِم إلى مِصْرَ، فوصل السِّجِلُّ، والقاضي مريضٌ، فأمره أبو مَناد بالخروج مع الهديَّة، فاعتذر بعِلَّته، فبعث إلى داره محمَّد بن

---

(١) قوله: «بن زيري بن مناد الصنهاجي» ليست في ر١.

(٢) الكامل لابن الأثير ٩/ ١٢٧.

(٣) في ر١: «ولاية».

(٤) «يوسف بن زيري بن مناد» ليست في ر١.

(٥) في ر١: «على من كان معهم».

(٦) الكامل لابن الأثير ٩/ ١١٦.

أبي العَرَب وجماعة رجال الدولة، وذلك لثلاث خَلَوْنَ من ذي القعدة، ووقفَ العسكرُ بباب أبي الربيع وظنُّوا أنَّ أهل القَيْرَوان يمنعه منهم، ويَحُولون بينه وبينهم؛ فهجموا عليه، وحملوه بِبِساطه الذي كان مريضًا عليه في ثيابه التي يلبسها في داره، لأنَّهم فاجَؤوه، وخرجوا به محمولًا، وقد اجتمعَ عند داره خلقٌ عظيمٌ، ولم ينطق أَحَدٌ منهم، ومشوا به إلى رَقَّادة، وخَلْفَه غُلامٌ نصرانيٌّ يُمْسِكُه، وأولادُه وقربتُه يمشون خَلْفَه، واغتمَّ بمسيره سائر الناس، وظهرَ عليهم الحزنُ والأسفُ لفقده، وكَثُرَ الدعاءُ له والثناءُ عليه. ثمَّ جاءت الأخبار بوفاة العزيز بالله؛ فأمر أبو مَناد برجوعه إلى داره مُكَرَّمًا مُعَظَّمًا.

وفي هذه السنة: توفي[1] الفقيه أبو محمَّد بن أبي زيد، رحمه الله.

وفي سنة سبع وثمانين وثلاث مئة: تواترت الأخبار بموت العزيز بالله.

وفيها: رجع القاضي إلى داره، وهو مريضٌ، فازداد مقدارُه عند الناس.

وفي صفر: عقد أبو مَناد ولايةَ أشير لحمَّاد بن أبي الفُتوح يوسف بن زِيرِي بن مَناد، فخرج عاملًا عليها، وأعطاه خيلًا كثيرةً وكُسًى جليلةً، ثمَّ اتَّسعت عمالتُه، وكثرت عساكرُه، وعظم شأنُه[2].

وفي ربيع الآخر: وصل القاضي الباهِريُّ من مِصرَ إلى المنصوريَّة[3]، فبرز أبو مَناد بعساكره عليه، وخرج بجميع رجاله إليه، فرأى ما لم يَرَ مثله. ووصل المذكورُ بسِجِلَّيْنِ، فَقُرِئَا بجامع القَيْرَوان والمنصوريَّة: أَحَدُهما بولاية أبي مَناد، وتَلْقِيبِه نَصِير الدولة، والثاني بوفاة العزيز بالله وخلافةِ الحاكِم بأمر الله، والجواب عن وفاة المنصور عُدَّة العزيز بالله. وكان معه سِجِلٌّ ثالثٌ بأخْذ العَهْد على باديس وجماعة بني مَناد للحاكِم. فجلس أبو مَناد ودعا وجوهَ الصُّنْهاجِيّين وأخذ عليهم البيعة. ثمَّ رجعَ القاضي الشريف الباهِريُّ إلى مِصْرَ، بعد أن وصله أبو مَناد بمال جليل.

---

(١) في أ، م: «مات».

(٢) نهاية الأرب للنويري ٢٤/ ١٠٢.

(٣) ذكر النويري أن الذي وصل من مصر هو الشريف الداعي علي بن عبد الله العلوي المعروف بالتيهرتي (نهاية الأرب ٢٤/ ١٠٣).

وفي هذه السنة: خرج نَصِير الدولة إلى الـمُصَلَّى بِزَيٍّ جليلٍ، وهَيْئةٍ حَسَنةٍ، وبين يَدَيْه الفِيلُ، وزرافتانِ، وجَمَلٌ أبيض ساطعُ البياض، لم يَرَ الناس مثله قَطُّ[١].

وفي سنة ثمان وثمانين وثلاث مئة: وصلت إلى نَصِير الدولة هَدِيَّةٌ من مِصْرَ تشتمل على الـجَوْهَر والأعلاق النفيسة، فتلقَّاها، ودُخِلت بين يدَيْه إلى المنصوريَّة.

وفيها: كانت وقعةٌ بمِصْرَ بين التُّرْك والكُتاميّين، وكان الظَّفَرُ للتُّرْك عليهم.

وفي سنة تسع وثمانين وثلاث مئة: زحفِ زِيرِي بن عَطِيَّة صاحبُ فاس وما والاها من بلاد الغَرْب إلى مدينة تِيهَرْت، فنزل عليها وحاصرها. وكان يَطُّوفَت بن يوسف بن زِيرِي صاحبَها، فكتب إلى ابن أخيه أمير[٢] إفريقية، يستمدُّه، فبعث إليه محمَّد بن أبي العَرَب.

ذكر هزيمة عسكر إفريقية واستيلاء زِيرِي بن عَطِيَّة عليه، وظهورِ زَناتة على صُنْهاجة

لـمَّا وصل كتابُ يَطُّوفَت إلى باديس نَصِير الدولة، أمر نَصِيرُ الدولة[٣] محمَّدَ بن أبي العَرَب الكاتبَ بالخروج بالعساكر إلى[٤] زَناتة؛ فكان تبريزُه في مُنْتَصَف صَفَر من هذه السنة. ونهض بالعساكر حتَّى بلغ أشِير، وبها حَـمَّاد بن يوسف بن زِيرِي، عاملًا عليها، ومعه عسكرٌ عظيمٌ، فأقام بها يسيرًا، ثمَّ رحل، ورحل حـمَّاد معه بعسكره، حتَّى وصلا إلى تِيهَرْت، فاجتمعا بيَطُّوفَت، ومعه أيضًا عسكرٌ عظيمٌ، وكان اجتماعُهم بتِيهَرْت غُرَّةَ جُمادى الأولى. وكان بتِيهَرْت زِيرِي بن عطيَّة نازلًا بموضع يُقال له آمَسَّار[٥]، على مرحلتَيْن من تِيهَرْت؛ فزحفوا إليه. فكانت بينهم حربٌ شديدةٌ وكان

---

(١) في ر١: «لم يُرَ مثله».

(٢) في ر١: «صاحب».

(٣) «نصير الدولة» ليس في ر١.

(٤) من هنا إلى قوله «بالعساكر» سقط من ر١، كأنه قفز نظر من الناسخ.

(٥) في نهاية الأرب للنويري ٢٤/ ١٠٣: «أمسان»!

مُعْظَمُ عسكر حَـمَّاد الوتُلْكاتِيّينَ؛ وكان قد أساءَ عِشْرَتَهُم. فلما حَمَى الوَطيسُ واشتدَّ البأْسُ، وَلَّوا مُنْهَزِمين، فاتَّبعهم جميعُ العساكر الإفْرِيقيَّة. فرامَ ابن أبي العَرَب رَدَّ الناس، فلم يقدر، فولَّت الهزيمةُ على الجميع، حتَّى وصلوا إلى أشير، وقد أسلموا مَحَلاَّتِهم ومَضارِبَهم، وكلَّ ما فيها من الأموال والسِّلاح وغير ذلك، فاحتوى زِيرِي بن عَطِيَّة وإخوانُه على جميع ما ذكرنا. وقُتل منهم خلقٌ كثيرٌ، وأُخذ أُسارَى كثيرةٌ، فوعدَهم بجميل، ثمَّ أطلقهم عند وصوله إلى تِيْهَرت، فمضوا حتَّى وصلوا إلى أَشير. وبقي ابن أبي العَرَب وحَـمَّاد ويَطُّوفَت بأشير. وبقي زِيرِي بن عَطِيَّة الزناتيُّ[1] على حصار[2] تِيهَرْت. وكانت[3] هذه الوقعة والهزيمة يومَ السبت لأربعٍ خَلَوْنَ من جمادى الأُولى من هذه السنة[4]. ووصل الخبر إلى الـمَنْصُوريَّة لعشر بَقِينَ منها[5]، فخرج نَصِيرُ الدولة صاحبُ إفريقية[6] من المنصوريَّة للقاء زِيرِي بن عَطِيَّة يوم السبت لليلتَيْن خَلَتا من جُمادى الآخِرة، ورحل[7] حتَّى وصل إلى طُبْنة، فبعث في طلب فُلْفُل بن سعيد بن خَزْرون الزَّناتيّ؛ وكان على طُبْنة، فخافَ منه، وبعثَ يعتذرُ له، ويسألُه أن يكتبَ له سِجِلًّا بولاية طُبْنة، فكتبه له، وبعثَ به إليه، ورحلَ عنه نَصِير الدولة بَادِيس[8]، وتمادى في رحيله. فلما بلغ فُلْفُلًا أنَّه قد أبعدَ عنه، ضرب على[9] جِهَةٍ من جهاته، فأكل ما حَوْلها، ونهبَ، وأفسدَ، ومضَى إلى باغاية، فحاصَرَها، وأفسد تلك الجهات كلَّها، وأكلَ ما وَالاها، ونَصيرُ الدولة في هذا كُلِّه مُتَمادٍ على سيره، حتَّى

---

(١) ليست في ر١.

(٢) ليست في أ، م.

(٣) من هنا إلى قوله: «هذه السنة» ليست في ر١.

(٤) نهاية الأرب للنويري ٢٤/ ١٠٣-١٠٤.

(٥) «لعشر بقين منها» ليست في ر١.

(٦) «صاحب إفريقية» ليست في ر١.

(٧) «يوم السبت لليلتين خلتا من جمادى الآخرة، ورحل» ليست في ر١.

(٨) ليس في ر١.

(٩) في ر١: «في».

وصل أشِير. ولما وصل إلى الـمَسِيلة، رحلَ زيري بن عطيَّة عن تِيهَرْت[1]. فصمَّم إليه نَصِير الدولة. ثمَّ وصله الخبر أنَّه توجَّه إلى ناحية فاس، فعند ذلك رجع نَصِير الدولة إلى تِيهَرْت وأشير، واستخلف يَطُّوفَت على تِيهَرت ابْنَه أيُّوبَ في أربعة آلاف فارس. وبلغ نَصِيرَ الدولة ما فعل فُلْفُلُ بن سعيد؛ فأرسل من أشير عساكِرَ تقدَّمت إليه، ثمَّ رحل بَعْدَهم، ومعه أبو البَهار بن زِيري، حتَّى وصل إلى الـمَسِيلة، فعَيَّدَ بها عِيدَ الفِطْر. ووصل إلى أبي البَهار فيه الـخَبَرُ بأنَّ إخْوَتَهُ ماكْسَن وزَاوي ومَغْنين نافقوا بأشِير، وأنَّهم قد[2] قبضوا على يَطُّوفَت، فرحل أبو البَهار هاربًا في بنيه ورجاله وعياله. ورحل نَصِيرُ الدولة ثالِثَ شوَّال إلى إفريقية. فلما بلغ إلى[3] بَلَزْمة، بلغه أنَّ فُلْفُلَ بن سعيد تمادى إلى القَيْرَوان، فرحل إلى باغاية، فعرَّفوه ما قَاسَوْهُ من قتال فُلْفُل وأنَّه حاصَرَهم خمسة وأربعين يومًا. فرحل من باغاية في طلب فُلْفُل، فالتقى معه لعشرٍ خَلَوْنَ من ذي القَعْدة، فكانت بينهم حروبٌ لم يُسْمَعْ بمثلها. وكان قد اجتمع لفُلْفُل من البَرْبَر ما لا يُحصى عَدَدًا وكثرةً[4]، فانهزم فُلْفُل إلى جَبَل الحناش، حَسَبَما أذكُرُه[5]، واتَّبعته صُنْهاجة والعَبِيد. فلما رأوه تمادَىٰ مُنْهَزِمًا، رجعوا عنه، ونهبوا محلَّته. وقُتِلَ في ذلك اليوم نَحْوُ سبعة آلاف من زَناتة[6]. وأرسل نَصِير الدولة كتاب الفتح إلى مدينة القَيْرَوان.

وفي سنة تسعين وثلاث مئة: خرج نَصِيرُ الدولة في طَلَب فُلْفُل بن سعيد. فلما علم فُلْفُل أنَّه لا طاقة له بلقائه[7]، هرب إلى الرِّمال، وافترق جَمْعُه. فرجعَ نَصِيرُ الدولة

---

(١) نهاية الأرب للنويري ٢٤/ ١٠٤.

(٢) ليست في ر١.

(٣) كذلك.

(٤) في ر١: «ما لا يحصى عَدّه».

(٥) «حسبما أذكره» ليست في ر١.

(٦) نهاية الأرب للنويري ٢٤/ ١٠٥ وفيه أن عدد القتلى من زناتة تسعة آلاف.

(٧) في ر١: «به».

إلى إفريقية، ومعه أبو البَهار بن زِيري، وقد اعتذرَ له ممّا فعل إخوانه[1]، فقَبِل عذره. ثمَّ رجع فُلْفُل إلى أطْرَابُلُس، وتمادى نَصِير الدولة إلى أن وصل[2] قَصْرَ الإفْرِيقيِّ، فبلغه حينئذ أنَّ بني زِيرِي رجعوا إلى الغَرْب خَوْفًا منه، وأنَّه لم يَبْقَ مع فُلْفُل منهم سوى مَاكْسَن وابْنِهِ مُحْسِن، فرجع نَصِير الدولة إلى المنصوريَّةِ حضرتِهِ. وفي أوّلِ رَجَب من هذه السنة خَرَجَ نصيرُ الدَّولةِ إلى رَقَّادة، متوجِّهًا لقتال زِيرِي بن عَطِيَّة[3] الزَّناتيّ أمير الغَرْب، لما بلغه أنَّه أتى إلى أشير. ثمَّ جاءَ الخبر برحيل زِيرِي بن عَطِيَّة إلى الغَرْب، فرجع نَصِيرُ الدَّولة إلى المنصوريَّة.

وفي سنة إحدى وتسعين وثلاث مئة: خرجَ نَصِيرُ الدولة في طلب فُلْفُل ثانيةً. ووصل كتابُ يوسُف بن عامِر عامِل قَابِس، يذكر فيه أنَّ فُلْفُلًا رحل إلى أطْرابُلُس من على قابس لستٍّ بَقِينَ من رَجَب. ولما وصل فُلْفُل إلى أطْرابُلُس، خرج إليه فُتُوح بن عليّ[4] وجماعة أهلها، فتلقَّوْه، وأدخلوه البلد، فاستوطنها من ذلك الوقت[5].

وفي هذه السنة: وصل رسولُ حَمَّاد بن يوسف العزيز بالله، يذكر أنَّه زحفَ إلى عَمِّه مَاكْسَن بن زِيرِي ومَن معه، فقُتِل مَاكْسَن وَوَلَداهُ مُحْسِن وباديس بعد حروب شديدة، وذلك بعد ثلاث خَلَوْنَ لرمضان المعظَّم[6].

وفيها: تُوفِّي زِيرِي بن عَطِيَّة الزَّناتيُّ، صاحب فاس والغَرْب كلِّه، وذلك في الثاني عَشَر من رمضان المذكور من السنة المؤَرَّخة، بعد قتل ماكْسَن بتسعة أيَّام[7].

---

(١) في ر١: «إخوته».

(٢) في ر١: «بلغ».

(٣) قفز نظر ناسخ ر١ من هنا إلى «عطية» الآتي، فسقط ما بينهما.

(٤) ذكره المقريزي في اتعاظ الحنفا ٢/ ٣٤.

(٥) نهاية الأرب للنويري ٢٤/ ١٠٥.

(٦) المصدر السابق.

(٧) نهاية الأرب ٢٤/ ١٠٦.

بعض أخبار زَناتة ودَوْلتهم بالغَرْب إلى حين ظهور الـمُرابِطين

وذلك أنَّ زَناتة كانت تَقُوم بدعوة الأمَوِيِّين، لِـمَا تقدَّم لهم من هِجْرة جَدِّهم خَزَر بن صُولات، وإسلامه على يد عُثمان بن عفَّان، رضي الله عنه، وكانت صُنْهاجة تقُوم بدعوة العُبَيْدِيِّين. ووقع بينهم حروبٌ كثيرةٌ[1]. وقام ببلاد الغَرْب زِيرِي بن عَطِيَّة الـخَزَريُّ الـمَغْراويُّ، وملكَ فاسًا وغَيْرَها، وصارَ أميرَ زَناتة كلِّها في ذلك الوقت. وكان يَدْعُو لبني أُمَيَّة في دولة هشام المؤَيَّد، إذ كان الـمُقِيمُ لها محمد[2] بن أبي عامِر حاجِبَه، وهو يُحارِب أعداءَه وأضداده صُنْهاجة أُمراء إفريقية. قال ابنُ حَـمَّادُه: وكان قد وصلَ إلى قُرْطُبة، واجتمعَ مع ابن أبي عامر سنة تسع وسبعين وثلاث مئة، وكان بأرض الغَرْب في خِدْمته من تلك السنة ومُوالاتِهِ مع سَعَة مُلْكِه وبُعْد صِيتِه إلى أن فسد ما بينهما سنة سبع وثمانين وثلاث مئة، ووقعَ بينه وبين الـمُظَفَّر حُروبٌ يطولُ ذِكْرُها.

قال ابنُ حَيَّان: ثمَّ إنَّ زِيرِي بن عَطِيَّة الـمَغْراويَّ نكثَ على ابن أبي عامر بعد الحُبِّ الشديد، والوفاء[3] الأكيد، وطعن على ابن أبي عامر[4] سَلْبه لملك هشام، وامتعض لهشام الـمُؤَيَّد، وغلبة ابن أبي عامر عليه، فأنفذ له ابنُ أبي عامر واضِحًا فتَاهُ في جيش كثيف[5]، فقاومه بالمغرب. ودارت بينهم حروبٌ عظيمةٌ. ثمَّ أردفه ابنُ أبي عامر بولده عبد الـمَلِك، وهبط هو إلى الجزيرة الـخَضْراء يُـمِدُّهم بالقُوَّاد والأجناد[6]. وبرز[7] عبد الملك من طَنْجة إلى زِيرِي، ودارت بينهم حربٌ لم يُسمع بمثلِها في الحروب الغابرة[8]، أجْلَتْ عن هزيمةِ زِيرِي واستئصال رجالِه وحالِه. ونجا هو مُثْخَنًا بالجراح.

---

(١) في ر١: «عظيمة».

(٢) ليس في أ، م.

(٣) في ر١: «الولاء».

(٤) في ر١: «وطعن عليه»، وما هنا أبين.

(٥) في ر١: «عظيم».

(٦) في ر١: «والأنجاد».

(٧) في ر١: «وفرّ» وما هنا أصح.

(٨) في ر١: «الغاربة»، وهو تحريف.

وانبسط مُلْكُ عبدِ الملك بن أبي عامر على الغَرْب وما والاهُ إلى سِجِلْماسة، وعلى تِلِمْسان وتِيهَرْت. وقفل إلى الأنْدَلُس سنة تسع وثمانين وثلاث مئة، واستخلف على بلاد الغَرْب واضِحًا الغازِي[1]، فأقام بفاس مُدَّةً، وانصرف[2] إلى الأنْدَلُس، وخَلَّف على فاس عبد الله بن أبي عامر، ابن أخي الـمَنْصور، ثمَّ تَلاهُ إسماعيل ابن البُوريّ[3]؛ ثمَّ تلاهُ أبو الأحْوَص مَعْن بن عبد العزيز[4]، وبقي فيها إلى أن تُوفِّي محمَّد بن أبي عامر؛ فصرفَها ابنُه عبد الملك[5] المظفَّر إلى الـمُعِزّ بن زِيري بن عَطِيَّة، وقد استحكمت ثِقَتُه به وحَسُنَ رأيُه فيه، فولاَّه على فاس[6] سنة سبع وتسعين وثلاث مئة، على أن يعطيه الـمُعِزُّ عِدَّةً من الـخَيْل والسلاح، يحملها كلَّ سنة إلى حضرة[7] قُرْطُبة، وقبض على ابنه المسمَّى مُعَنْصَر رهينةً[8]. فاستقامت طاعةُ الـمُعِزِّ، وأقام ابنُه بقُرْطُبة إلى أن نشأت الفِتْنة، وانقَرَضت الدولة العامِريَّة، فانصرف مُعَنْصَر إلى أبيه، ومَضَى[9] أبوه على رأيه في موالاة مَنْ ظهر بالأنْدَلُس من الـمَرْوانية[10]، إلى أن هلك بعد صَدْرٍ من الفِتْنة، وأورث وَلَدَه حَمامة مُلْكَ فاس وما والاها.

وقد ذكر[11] الوَرَّاق ذلك، وشرحه شرحًا كافيًا[12]، وقال: لما تُوفِّي زِيري بن عَطِيَّة في سنة إحدى وتسعين وثلاث مئة، أقام بنو عَمِّه ابْنَه الـمُعِزَّ مكانَه. وذكر

(١) في أ: «المغاري».

(٢) في ر١: «ثم انصرف».

(٣) ذكره القلقشندي في صبح الأعشى ٥/ ١٧٩.

(٤) صبح العشى ٥/ ٢٥٦.

(٥) المعجب للمراكشي ٨٥.

(٦) تاريخ ابن خلدون ٧/ ٣٤.

(٧) من ر١.

(٨) تاريخ ابن خلدون ٧/ ٣٤.

(٩) في ر١: «وبقي».

(١٠) في ر١: «الأموية».

(١١) في ر١: «شرح»

(١٢) قوله: «وشرحه شرحًا كافيًا» ليس في ر١.

استجداءَ[1] الـمُعِزِّ للـمُظفَّر بن أبي عامِر، وإرساله إليه، وتقليدَ المظفَّر له ولاية المغرب، على ما تضمَّنه من خيلٍ[2] وسلاحٍ وغيرِ ذلك؛ ورَهَنَهُ الـمُعِزُّ وَلَدَيْه حَـمامة ومُعَنْصَرًا. وذكر موت المظفَّر، وتقديمَ أخيه عبد الرحمن[3] لحجابة هشام المؤيَّد[4]، وبلغ الـمُعِزَّ بن زِيرِي ذلك، فاحتفل في هديَّة عظيمة يهديها له[5]، وذلك سبع مئة من عتاق[6] الخيلِ وأحمالٌ كثيرةٌ من دَرَق اللَّمْط وجُمْلَةٌ كبيرةٌ من المال، والسلاح، وسائر ما بالمغرب من الطُّرَف، ووصل قُرْطُبة مع هذه الهدِيَّة فِتْيانٌ من بني عمِّه وجملةٌ من شيوخ القبائل ووجوه فاس؛ فسُرَّ عبدُ الرحمن بن أبي عامر[7] بذلك، وشكر الـمُعِزَّ، وَسرَّح ابنَيْه إليه، بعد أن كساهما، وأرضاهما، وكتب للـمُعِزِّ عَهْدَه بتجديد ولاية المغرب كلِّه إلَّا مدينة سِجِلْماسة، فإنَّه كان قد عقد ولايتها لواضِح الفَتَى قبل ذلك، وولَّاها واضِحٌ وَانُودِين بن خَزْرُون اليَفْرَنِيِّ[8] وابْنَ عمِّه زِيرِي بن فُلْفُل على مالٍ ضَمِناه إليه وعدَّةٍ من الـخَيْل والدَّرَق معلومة، وجملةٍ من المال في كلِّ سنة. ورَهَنَهُ كلُّ واحد منهما ابْنَه. فامتثل الـمُعِزُّ بن زِيرِي ما أمره به عبدُ الرحمن بن أبي عامر.

وبقي الـمُعِزُّ أميرَ الـمَغْرب إلى أن انْقَرَضَت الدولة العامِريَّة، ثمَّ انْقَرَضَت الدولة المروانيَّة وانشقَّت عَصَا الأُمَّة، ومَرِجَ أَمْرُ الناس بالأنْدَلُس، وصار المسلمون شِيَعًا مُتَفَرِّقِينَ، يقتل بعضُهم بعضًا وينهب. وفعل أهلُ المغرب مثل ذلك؛ فكثر فيه الشَّتات، وشَنُّ الغارات بعضُهم على بعض[9]. وأقام الـمُعِزُّ بن زِيرِي يُداري أمره،

---

(١) في ر١: «استخدام».

(٢) في ر١: «على مالٍ يعطيه وخيلٍ».

(٣) المعجب ٨٦.

(٤) ليس في ر١.

(٥) في ر١: «العبد الرحمن».

(٦) ليست في أ، م.

(٧) «بن أبي عامر» ليست في أ، م.

(٨) ينظر تاريخ ابن خلدون ٧/ ٣٨.

(٩) «بعضهم على بعض» ليس في ر١.

إلى أن حانت وفاتُه سنة ست عشرة وأربع مئة. ووَلِيَ مكانَه[1] ابنُه أبو العَطَّاف حَمَامة بن الـمُعِزِّ[2] بن زِيرِي بن عَطِيَّة، وكان له حَظٌّ من المعرفة والأدَب وحُسن السياسة، فكانت مدينة فاس في أيَّامه هادِنةً راخيةً، وكان الشعراء يقصدونه من الأَنْدَلُس. وجَرَتْ له حروبٌ كثيرةٌ إلى أن حانت وفاتُه سنة ثلاث وثلاثين وأربع مئة. وولي ابنُه دُوناس بن حَمَامة، فقام عليه بنو عَمِّه؛ ولم يزل أمرُهم يَضْعُف، ودولَتُهم تُدْبِر، إلى أن قام بمدينة فاس أميرَانِ بالعُدْوَتَيْن، وكانت الحرب تقوم بينهما. وجَرَتْ بين ذلك أمورٌ وخطوبٌ، لا يحسن ذِكْرُها لشناعتها، إذ الدُّوَل، إذا أدبرت، كُلُّ ما يجري فيها يقبح ذكرُه[3]، إلى أن شاع خَبَر[4] خروج لَـمْتُونة من الصَّحْراء، واستيلائهم على بلاد الـمَصَامِدة، وخَلْعهم لملوكهم وناموس عدلهم[5]، ودخل عبد الله بن ياسِين مدينة أغْمات وما يَلِيها، فخافت زَناتة، وأجفلت[6] عن جهة الشَّرْق حيث مستقرُّها. ولما قُتِل عبد الله بن ياسين، رجعت زَناتة إلى المغرب، وقتلوا كلَّ من اتَّهموه بالميل إلى أصحاب اللِّثام، فحارَبَهم الصحراويُّون. ووجَّه أبو بكر بن عُمَر[7] يوسُفَ بن تاشُفِين[8]، فحارَبَ رُؤَساء القبائل، واستفتح بلادًا كثيرةً.

وفي خلال ذلك كان الجوعُ الشديد الذي يُعْرَف «بسنة أوقِيةٍ بدِرْهَم» من الدراهم الخندوسيَّة، وذلك في سنة أربع وأربعين وأربع مئة. ورجع الفتوح بن مُعَنْصَر الزَّناتِيُّ من الـمَشْرِق، وكسر عَسْكَرَ مدينة فاس سنة أربع وخمسين وأربع مئة.

---

(١) في ر١: «بعده».

(٢) ذكر ابن خلدون أن حمامة هو ابن عم المعز وليس ابنه، وقد زعم بعض المؤرخين أنه ابنه (تاريخ ابن خلدون ٧/ ٣٥).

(٣) قوله: «وجرت بين ذلك» إلى قوله: «يقبح ذكره» ليس في ر١.

(٤) ليس في ر١.

(٥) «وخلعهم لملوكهم وناموس عدلهم» ليس في ر١.

(٦) من هنا إلى نهاية الفقرة لم يرد كله في ر١.

(٧) البداية والنهاية لابن كثير ١٢/ ١٣٤.

(٨) انظر عنه تاريخ الإسلام ١٠/ ٨٣٢-٨٣٩.

وفيها: كُسِرَتْ مِكْناسة ولَوَاتة: كَسَرَهُما قائدُ أبي بكر بن عُمَر اللَّمْتُونيِّ.

وفي سنة أربع وخمسين وأربع مئة: وطئ بُلُجّين بن مُحَمَّد بن حَـمَّاد الصُّنْهاجيُّ جميع الغَرْب ودوَّخَهُ بجيوش عظيمة.

وفي سنة تسع وخمسين وأربع مئة: دخل إبراهيم بن مَلِيح الـجَزْنائيُّ مدينةَ فاس، وأخرج منها مُعَنْصَر بن حَـمَّاد إلى الشَّرْق. ثمَّ رجع إلى فاس، وقتل كلَّ من اتَّهمَهُ بالميل إلى الـمُلَثَّمِين. ثمَّ رجع يوسُف إلى الـمَغْرِب، وهرب مُعَنْصَر. وقتل يوسف سَدْرَاتة ودخل مدينة فاس، واستولى عليها وعلى أكثر الغَرْب. هكذا ذكر أبو مروان عَبْد الـمَلِك بن موسى الوَرَّاق في كتابه «الـمِقْباس في أخبار فاس».

وأمَّا يوسف الـجَزْنائيُّ، صاحبُ مِكْناسة، فتُوفِّي سنة اثنتي عشرة وأربع مئة.

وأمَّا تَوَالَى، فتُوفِّي بالقَلْعة، وولي ابنُه مَهْدي في هذه السنة.

وأمَّا ابنُ أبي العافية إبراهيم، فتُوفِّي في سنة خمسين وأربع مئة، وولى ابنُه عبد الله؛ وكان بنو أبي العافية أصحابَ تَسُول ومَلْوِيَّة ونكُور، وهي الـمَزِمَّة؛ وتُوفِّي عبد الله سنة ستين وأربع مئة، وولي ابنُه محمَّد بن عبد الله بن إبراهيم بن موسى بن أبي العافية.

وأمَّا تِلْمِسان والزَّاب، فكان فيها يَعْلَى الزَّناتيُّ، ومات في هذا التاريخ، أو قريبًا منه، وقام فيها بنوه. وما وراء الزاب من بلاد الغَرْب، لم يملكه العبَّاسيُّون قَطُّ، أمَّا تِلْمِسان وأنظارُها، فوليَها محمَّدُ بن سُليمان بن عبد الله بن حَسَن بن الـحَسَن بن عليّ، رضي الله عنه، ومن ولده أبو العيش عيسى بن إدريس بن محمَّد المذكور.

وأمَّا فاس وأنظارُها، فكان فيها[1] شِيعةٌ؛ ثمَّ آلَ أمْرُها إلى إدريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن عليّ، رضي الله عنه.

وأمَّا تَامَسْنا، فكان فيها أولادُ صالح بن طَرِيف على ضلالتهم.

وأمَّا سِجِلْماسة، فنزلها عيسى بن سَمْغون، رَئيس الصُّفْرِيَّة. فهذه هي البِلادُ المتَّفَقُ عليها. وأمَّا الـمُخْتَلَفُ فيها، فإفريقية: قيل إنه كان فيها عبد الرحمن بن حبيب ثائرًا، وبالأنْدَلُس يوسف الفِهْريّ أميرًا.

---

(١) قفز نظر ناسخ ر١ إلى مثيلتها «فكان فيها» التي تليها في الفقرة التي تليها فسقط ما بينهما.

رَجْعُ الـخَبَرِ إلى نَسْق التأريخ:

وفي سنة اثنتين وتسعين وثلاث مئة: تُوفِّي أبو طالب شيخ الـمُعْتَزِلة ولسانُهم، وله تسعٌ وسِتُّون سنة.

وفي هذه السنة: كان خروج يحيى بن عليّ ابن الأَنْدَلُسيّ من مِصْرَ بالعسكر، فكان وصولُه إلى أطْرابُلُس يوم الـجُمعة لتسع خَلَوْنَ من ربيع الأوَّل. وكان مُتَوَلِّي التدبير في الوقت زَيْدَان الصِّقلِّيّ، فاختلفت عليه أمور العسكر مع سُوءِ عَقْله، وضَعْفِ تدبيرِه، ووصل إلى فُلْفُل، فاستخفَّ به، واحتقره.

وفيها[1]: في رمضان المعظَّم، تُوفِّي المنصور بن أبي عامِر رحمه الله[2]، على ما يأتي في موضعه[3].

وفي سنة ثلاث وتسعين وثلاث مئة: وصل يحيى بن علي ابن الأَنْدَلُسيّ، ومعه فُلْفُل بن سعيد، وفُتُوح بن عليّ إلى مدينة قابِس؛ فحصروا عَطِيَّة بن جعفر. وخرج في تلك الأَيَّام إلى قابِس عشرون رجلًا من الناشبة، فعُرِّف بهم فُلْفُل، فبعث في طلبهم؛ فلما أُتِـيَ بهم، ضرب أعناقهم، وكان[4] وصولُهم إليها يوم الاثنين لأربع عشرة خَلَوْنَ من شعبان من هذه السنة. ثمَّ انصرفوا راجعين إلى أطْرابُلُس. ولما رأى يحيى بن عليّ اختلال الحال عليه، ولم يَجِدْ ما يُعطي لرجاله، عاد ببقيَّتهم إلى مِصْرَ، بعدما أخذَ فُلْفُل وأصحابُه ما أحبُّوه من خيولهم، بين شراءٍ وغَصْبٍ، فلمـا وصلَ إلى صاحب مِصْرَ الحاكِم بأمر الله، أرادَ الإيقاع به، وبعد ذلك عفا عنه، وقَبِلَ عُذْره[5].

وفي سنة أربع وتسعين وثلاث مئة: قَتَلَ الحاكِمُ بأمر الله مُنَجِّمَهُ البَكْريَّ بمِصْرَ، وكان ضعيفَ العقل، أحمق، وكان له بصرٌ بالقضايا.

وفيها: قتل الحاكِمُ جماعةً كبيرةً من وجوه رجاله، وأحرقهم بالنار.

---

(١) ليست في ر١.

(٢) من ر١.

(٣) «على ما يأتي في موضعه» ليس في ر١.

(٤) من هنا إلى قوله: «أطرابلس» لم يرد في ر١.

(٥) الكامل لابن الأثير ٩/ ١٧٧.

وفيها: قُتِلَ المعروفُ بابن خَرِيطة.

وفيها: قُتِلَ ابن الغازِي الـمُنَجِّمُ.

وفي سنة خمس وتسعين وثلاث مئة: كانت بإفريقية شدَّةٌ عظيمةٌ، انكشفَ فيها السَّتور، وهلك فيها الفقير، وذهب مالُ الغنيّ، وغَلَت الأسعار، وعُدمت الأقوات. وجَلِيَ أَهْلُ البادية عن أوطانهم، وخَلَتْ أكثر المنازل، فلم يبقَ لها وارثٌ، ومع هذه الشدّة، وباءٌ وطاعونٌ، هلك فيه أكثرُ الناس من غَنِيٍّ ومُحْتاج، فلا تَرَى مُتَصَرِّفًا إلَّا في عِلاج، أو عيادةِ مريضٍ، أو آخِذًا في جِهاز مَيِّتٍ، أو تشييعِ جنازةٍ أو انصرافٍ مِنْ دَفْنٍ. وكان الضُّعَفاءُ يُجْمَعون إلى باب سالم، فتُحْفَر لهم أخادِيدُ ويُدْفَنُ المئةُ والأكْثَرُ في الأُخْدُود الواحد؛ فمات من طبقات الناس وأهل العلم والتجار والنساء والصبيان ما لا يحصِي عَدَدَهم إلَّا خالِقُهم تعالى[1]، وخَلَت المساجدُ بمدينة القَيْرَوان، وتعطّلت الأفران والحمَّـامات[2]. وكان الناس يُوقدون أبوابَ بيوتهم وخُشُبَ سقوفهم. وجاء خَلْقٌ من أهل الحاضرة والبادية إلى جزيرة صِقِلِّيَّة. وكانت الرُّمَّانة بدِرْهَمَيْن للمريض في ذلك الوقت[3]، والفَرُّوج[4] بثلاثين دِرْهمًا. وقيل: إنَّ أهل البادية أكَلَ بَعْضُهم بَعْضًا. كذا ذكر أبو إسحاق الرَّقيق[5].

وفي سنة ست وتسعين وثلاث مئة: كَثُر الـخِصْبُ بإفريقية، ورخصت الأسعار، وارتفع الوباء عن الناس.

وفيها: ثار ببَرْقة الوليدُ بن هِشام، وادّعى أنَّه من بني أُمَيَّة من وَلَد الـمُغيرة، وكان ظهورُه في العام الفارط عن هذه، وكان مُعَلِّمًا ببَرْقة، فرأى في أهل بَرْقة فُرْصةً؛ فانتسب لهم وعَرَّفَهم أنَّ عنده روايات وعِلْمًـا، وأنَّه هو الذي يملك مِصْرَ ويقتلُ الـجَبَابِرة، وأعانه على ذلك قومٌ من لَوَاتة وزَناتة، فنصبوه إمامًا، واجتمعوا عليه.

---

(١) في ر١: «لا يُحْصَى عَدَدُهم».

(٢) أشار ابن الأثير في الكامل إلى هذا الوباء ٩/ ١٨٥.

(٣) «في ذلك الوقت» ليست في ر١.

(٤) في ر١: «وكان الفروج».

(٥) قوله: «ذكر ذلك أبو إسحاق الرقيق» ليس في ر١.

ثمَّ أقبل البرابر من كلّ ناحية إليه، فزحف إلى بَرْقة وحاصرَها حتَّى فتحها، وذلك في رَجَب من العام الفارط، ثمَّ قَوِيَ أمره في هذه السنة، فأخرج الحاكِمُ إليه جيشًا، فكان بينهم قتالٌ شديدٌ، إلى أن هُزم عَسْكَرُ مِصْرَ وقُتل قائدُه.

وفيها: تُوفِّي عامِلُ إفريقية محمَّد بن أبي العَرَب.

وفيها: قتلَ الحاكِم قاضيَه وأحرَقهُ بالنار على أكْلِه أموال الأيتام.

وفي سنة سبع وتسعين وثلاث مئة: استفحل أمْرُ الثائر ببَرْقة الوليد بن هشام، وكَثُرت جموعُه وأتباعُه. فأخذه الحاكِمُ بالحيلة، فدعا وجوه رجاله وقُوّاده، وأمرهم أن يكاتبوه ويعرِّفوه أنّهم على مَذْهَبِهِ، وأنَّه، إن قرب منهم، صاروا في جملته. فلما تواتر ذلك عليه، وَثِقَ به وزحف بكلّ من معه من قبائل البربر إلى مِصْر، فخرجت إليه عساكر مِصْرَ؛ فهزموه، ولحق بأرض السودان. ثمَّ أُخذ أسيرًا وأُدخل مِصْرَ على جَمَل، فطِيفَ به بثياب مُشَهَّرة؛ ثمَّ قُتل شَرَّ قِتْلةٍ في منتصف شوَّال.

وفيها: ولي عمالةَ إفريقية القاسم بن محمَّد بن أبي العَرَب بعد موت أبيه، فأقرَّ رجاله على مراتبهم، واستعان بهم.

وفي سنة ثمان وتسعين وثلاث مئة: تُوفِّي صاحب المَظالِم بإفريقية محمَّد بن عبد الله، وكانت وَطْأتُهُ قد اشتدَّت على أهل الرِّيب والفساد بالضرب والقتل وقطْع الأيدي والأرْجُل، لا تأخذُه فيهم لَوْمةُ لائمٍ.

وفي سنة تسع وتسعين وثلاث مئة: هرب أولاد محمَّد بن أبي العَرَب من المنصوريَّة، يريدون فُلْفُل بن سعيد بن خَزْرُون الزَّناتيَّ بأطْرابُلُس، فأرسل نَصير الدولة إلى صاحب قابِس، يأمره أن يَقْطع بهم، فلحق بهم المذكور، وأخذ منهم عليًّا ويوسف، فقطع رُؤُوسهما، ووجَّه بها إلى المنصوريَّة مُنْسَلَخَ المحرَّم. ووصل القاسم بعد ذلك، فعفا عنه.

وفي سنة أربع مئة: تُوفِّي فُلْفُل بأطْرابُلُس بعلَّةٍ أصابَتْه، وَوَلِيَ مكانَه أخوه وَرُّو، وأطاعَتْه زَناتة[1].

---

(١) نهاية الأرب للنويري ٢٤/ ١٠٦.

وفيها: رحل أبو مَناد نَصِير الدولة بعساكر عظيمة إلى أطْرابُلُس في طلب زَناتة، فكان وصولُه إلى ظاهر أطْرابُلُس يوم الاثنين لسبع خَلَوْن من شعبان، فتلقَّاه أهْلُها مسرورين، داعين، مستبشرين، فضُربت له فَسَاطِيطُ الديباج والقِبابُ الجليلة، ونزل، فأخذ الناسَ ريحٌ عظيمٌ خرَّق جميع المضارب ومَزَّقها وذهب بها. ودخل نَصِير الدولة إلى قصر فُلْفُل. وجاءت رُسُلُ وَرُّو بن سعيد أخي فُلْفُل راغبةً في الأمان والعفو، فعفا عنهم، وأشهد بذلك على نفسه، ثمَّ صدر إلى المنصوريَّة ظافِرًا[١]. ووصل النعيمُ بن كنُّون وطائفةٌ معه إلى المنصوريَّة؛ فأعطاهم نَصِيرُ الدولة، وأفضل عليهم أتمَّ الإفضال، وأمر للنعيم بالبنود والطُّبول والبَرَاذِين والسروج، وصرفه إلى البلاد التي أعطاه، وقاعِدَتُها قَصْطِيلية، فأقام بها مَلِكًا بالطبول والبنود والجيش.

وفي سنة إحدى وأربع مئة: كان موت عَزْم بن زِيرِي بن مَناد بالقَيْرَوان.

وفيها: تُوفِّي القائد[٢] جعفر بن حبيب.

وفيها: أمر الحاكِم بأمر الله بالـحُسين بن جَوْهر قائد القُوَّاد وصهرِه القاضي على مِصْرَ عبد العزيز بن محمَّد بن النعمان، فقُتلا جميعًا في وقت واحد.

وفي شوَّال من هذه السنة: خالف ابنُ جَرَّاح على الحاكم بأمر الله، وبعث رُسله إلى أمير مكَّة يستدعيه للخلاف عليه معه، فخالف؛ وتسمَّى بأمير المؤمنين، وتابعه على ذلك أهْلُ مكَّة وبنو عمِّه وغيرُهم، وتمادى أمرهم على ذلك بقيَّة هذه السنة.

وفيها: رجع أهْلُ مِصْرَ ومن كان معهم من المغارِبة وغيرهم برسم التوجُّه إلى مَكَّة، زادها الله تكريمًا وتشريفًا[٣]، وذلك عند وصولهم للقُلْزُم بلغهم ما فعل ابنُ جَرَّاح وأبو الفُتوح[٤] الـحَسَن بن جعفر بن محمَّد[٥]، فلم يَحُجَّ منهم أحَدٌ. ولم يَحُجَّ

---

(١) المصدر السابق.

(٢) ليس في ر١.

(٣) في ر١: «شرفها الله».

(٤) ليس في ر١.

(٥) كذلك، والحسن بن جعفر هذا ترجمه ابن الجوزي في المنتظم ٨/ ١٠٠.

في هذه السنة أَحَدٌ من الشام، ولا العِراق، ولا خُراسان، ولا سائر الآفاق، إلَّا أهْلُ اليَمَن ونَفَرٌ يسيرٌ مـمَّن كان بمكَّة مُجاوِرًا.

وفي سنة اثنتين وأربع مئة: قدم المنصوريَّة خَزْرُونُ بن سعيد بن خَزْرُون الزَّناتيُّ، أخو فُلْفُل المتقدِّم ذِكْرُه. وكان سَبَبَ وصوله اختلافٌ جَرَى بينه وبين أخيه وَرُّو، فقصد إلى نَصِير الدولة، فقبله أحسن قبول، وكان معه نحو سبعين فارسًا من زَناتة، فأنزلهم وأحسن إليهم، ثمَّ، بعد ذلك بأيَّام، أعطاهُ مدينةً، فخرج إليها بالبُنُود والطبول[1].

وفي سنة ثلاث وأربع مئة: وصل إلى الـمَهْدِيَّة مَرْكَبٌ فيه هديَّةٌ جليلةٌ من الحاكِم إلى نَصير الدولة بادِيس صاحبِ إفريقية، وإلى ولده منصور عزيز الدولة. فتلقَّاها المنصورُ مع أهل القَيْرَوان على قَصْر الماء بالبنود والطبول، ووصلت سِجِلاَّت منه إلى نَصِير الدولة بإضافة بَرْقة وأعمالها إليه.

وفيها: تُوفِّي أبو الحسن القابِسيُّ الفقيه العالم[2].

وفيها: عزل نَصِير الدولة يوسف بن أبي حَبُوس الصُّنْهاجيّ عن أمْر الجيوش وغيرها.

وفيها: تُوفِّي مُفَرِّج بن الـجَرَّاح[3] ببلاد الشام، وبقي أولاده مكانه.

وفيها: عاد صاحبُ مكَّة إلى طاعة الحاكِم، وهو الحسن بن جعفر المتقدِّم الذِّكر، الذي قام به، ودعا لنفسه، وتسمَّى بأمير المؤمنين الراشِد بالله، ثمَّ تاب مما فعل في هذه السنة، وصعد المنبر، وتبرَّأ مما كان ادَّعاه، وكتب بذلك إلى الحاكِم بأمر الله؛ فقبل منه، وأنفذ إليه أموالًا عظيمة، وأمر الناسَ أن يسافروا إلى مكَّة بالطعام وسائر المرافق.

وفي هذه السنة: ظهر بإفريقية ثائرٌ اسمُه عبدُ الله بن الوليد بن الـمُغِيرة؛ وكان متسترًا[4]، مُشْتَغِلًا بالتعليم، ثمَّ دعا إلى نفسه، فأُخذ وسيق إلى القَيْرَوان مع صاحبٍ له،

---

(١) ينظر الكامل لابن الأثير ٩/ ١٧٧.

(٢) هو علي بن محمد بن خلف الفقيه المالكي عالم إفريقية، ترجمته في تاريخ الإسلام ٩/ ٦١-٦٢ وغيره.

(٣) هو أمير طيء وسائر العرب بأرض فلسطين (تاريخ ابن خلدون ٤/ ٥٣).

(٤) في أ، م: «خاملًا».

وحُملا على جَمَلَيْن، وطِيفَ بهما، ثمَّ ضُربت أعناقُهما، ورُفعا، فصُلِبا. ووُجِدَتْ عنده خَرِيطةٌ فيها كتابٌ بخطٍّ يده لبعض أشياخ القبائل، يقول فيها: «من عبد الله أبي محمَّد الناصر لدين الله، أمير المؤمنين، إلى فلان»، ثمَّ يذكر له أنَّ تمامَ أمره وظهورَه يكون بكُتامة، ويأمره أن يتلقَّاه في أوَّل صفر من سنة أربع وأربع مئة فإنَّها آخِرُ دولة صُنْهاجة، وبها تَنْقَطِعُ دولتُهم. فتمكَّن منه صُنْهاجة كما ذَكَرْنا.

وفي سنة أربع وأربع مئة: وصل سِجِلٌّ من الحاكِم إلى نَصِير الدولة، يذكر فيه أنَّه جعل ولاية العَهْد في حياته لابن عمِّه أبي القاسم عبد الرحمن[1] بن إلْياس. فقُرِئَ بجامع القَيْرَوان والمنصوريَّة، وأُثبت اسمُه مع اسم الحاكِم في البُنود[2] والسِّكَّة. فعَظُمَ ذلك على نَصِير الدولة، وقال: لولا أنَّ الإمام لا يُعْتَرَضُ على تدبيرٍ، لكاتَبْتُهُ ألاَّ يَصْرِفَ هذا الأمْرَ من ولده إلى ابن عمّه[3].

وفي سنة خمس وأربع مئة: أخرج نَصِير الدولة هديَّةً جليلةً إلى الحاكِم، وشيَّعها بالطُّبول والبنود عن المنصوريَّة، فوصلت إلى الـمَهْدِيَّة، وركب البحر بها يَعْلَى بن فَرَج. وكان فيها مئة فَرَس ولها سروجٌ مُحلاَّةٌ شُدَّتْ في ثمانية عشر حِـمْلًا أقْفاصًا، وكان فيها ثمانية وعشرون حِمْلًا من الخَزِّ والسَّمُّور والـمَتاع السُّوسِيّ الـمُذَهَّب النفيس، وعشرون وصيفةً بارعة الـجَمال[4]، وعشرةٌ من الصَّقالِبة، وغيرُ ذلك. ووَجَّهت السيّدةُ أُمُّ مَلاَّل أُخْتُ نَصِير الدولة إلى السيّدة أُخت الحاكِم هديَّةً أيضًا. ولما وصلت تلك الهدايا إلى جهة بَرْقة، أخذها العَرَب، وهربَ يَعْلَى بن فرج، وأسلمها بجميع ما فيها.

وفيها: نادَى مُنادٍ في القَيْرَوان بانتقال مَن كانَ يسكنُ فيها من الصُّنْهاجيّين إلى المنصوريَّة. ثمَّ نادَى مُنادٍ آخَرُ بعد ذلك بإغلاق الحوانيت بالقَيْرَوان وفَنادِقِها؛ فأُغْلِقَتْ،

---

(١) هكذا سَمّاه، والصواب في اسمه: «عبد الرحيم»، كما في ترجمته من تاريخ دمشق لابن عساكر ٣٦/ ١٢٧-١٢٩، وتاريخ الإسلام للذهبي ٩/ ١٩٥، واتعاظ الحنفا للمقريزي ٢/ ١٠١ وغيرها.

(٢) بعد هذا في ر١: «والطبول».

(٣) اتعاظ الحنفا ٢/ ١٠١.

(٤) «بارعة الجمال» ليست في أ.

ولم يَبْقَ بها إلَّا بعض حوانيت الأحْباس. وبلغ كراءُ حانوت بالمنصوريَّة مئتي دِرْهم لبيع الكَتَّان، وما سُمع بذلك في كراءِ حانوت بالقَيْرَوان؛ فكان ذلك أوَلُ أسباب خَرابها[١].

وكان الحاكِم لقَّب المنصورَ بن نَصِير الدولة بعزيز الدولة، وقُرِئَ سِجِلُّه بذلك، فأراد نصير الدولة أن يُرَشِّحَه، ويُضيفَ إليه أعمالًا يستخدِم فيها أتباعَه وصنائعَه. وكان نَصِير الدولة اتَّصل به عن إبراهيم بن سيف العزيز بالله هَنَاتٌ أنكرها عليه، فأراد اختبارَها، فكتب كتابًا إلى حَـمَّاد يأمرُه فيه بتسليم عَمَل أبي زَعْبَل قَصْر الإفْرِيقيّ ومدينة القُسْطَنْطِينَة إلى مُسْتَخْلَف عزيز الدولة، وكان قد خلع على هشام بن جعفر، وأعطاه الطبول والبُنُود، وأمره بالخرج إلى هذا العمل، فخرج بخزائنَ وعُدَدٍ جليلة. وبعث نَصِير الدولة إلى إبراهيم بن سيف العزيز بالله يشاوِرُه فيمن[٢] يمضي بكتابه إلى حـمَّاد، فتسرَّع إبراهيم إلى المسير بالكتاب بنفسه، وقال: لا يَجِدُ مَوْلانا عَبْدًا من عَبيدِه أنْهَض بخدمته مِنِّي وتضمَّن ذلك، وأخذ على نفسه المواثيق أنَّه لا يُقِيمُ في مضيِّه وعَوْده إلَّا أقَلَّ من عشرين يومًا، فأشار على نصِير الدولة مَنْ يقرب منه بأن يعتقل إبراهيم، ولا يَدَعَهُ لِـمَا يريد من السَّفَر، حتَّى يَرَى ما يكون من طاعة أخيه حَـمَّاد ومُسارعته إلى ما يأمره[٣]، فأبى[٤] نَصِيرُ الدولة من ذلك، وقال لإبراهيم: امْضِ إلى أخيكَ حَـمَّاد، فإنْ صَدَقْتَ فيما قُلْتَ، ووَفَّيْتَ بما وعدتَ، وإلَّا فافْعلا ما أرَدتُـما. وخرج إبراهيمُ بن سيف العزيز بالله بماله ورجاله وجميعِ ذخائره، ولم يَعُقْهُ في ذلك عائقٌ من نَصِير الدولة وإلَّا فَقَدْ كان خُروجُه بأثقاله وجُمْلة رجاله دليلًا على خلاف ما أظهر. وكان خروجه في شوَّال، وصَحِبَه هاشِمُ بن جعفر، ثمَّ أحسَّ هاشِم أنَّه سيغدره إذا قَرُبَ من أخيه، فاعتذر له أنَّ حاجةً بقيَتْ له بِباجةَ، وعدل إلى طريقها، ووعده أن يلحقه سريعًا. فنجَّاه الله من غدره. ومضى إبراهيم

(١) في أ: «سبب خرابها»، وما هنا من ر١، وهو أجود.

(٢) في أ، م: «على من».

(٣) قوله: «مسارعته إلى ما يأمره» ليس في ر١.

(٤) في أ، م: «به» وما أثبتناه من ر١ وهو الأوجه والأبين للمعنى.

حتَّى وصل تامْدِيت، وكتب إلى أخيه، فنهض إليه حَـمَّاد في عساكر عظيمة، واجتمعت كلِمَتُها، وخلعا أيديهما من الطاعة.

وانتهى ذلك إلى نَصِير الدولة، فرحل في أواخر ذي حجَّة، ونزل برقَّادة، ووضع العطاءَ لعساكره، وأخرج عياله وأثقاله وأُخْتَه السيّدة أُمَّ مَلاَّل، وأولاده، وعَبِيده إلى الـمَهْدِيَّة، ورحل في السابع منه. وأمر بالقبض على يوسف بن أبي حَبُوس وإخوته، فقُبِض عليه. وكان نَصِير الدولة لم يمْضِ له يومٌ من الأيَّام إلَّا جَدَّدَ عليه كرامةً وإحسانًا، ولا كان يُهْدَى إليه فَرَسٌ أو ثَوْبٌ من ثياب الخلافة إلَّا آثره بذلك على نفسه، مع ما أعطاهُ[1] من الضياع والرِّباع بكلِّ كُورة من كُوَر إفريقية، وما زال يَرْفَعُ من قدره، ويزيد في التنويه بذكره، حتَّى نال من أعلى المراتب ما لم يَنَلْهُ بعيدٌ ولا قريب، وسما[2] من رفيع الدرجات ما لم يَسْمَ له حميمُ ولا نسيب. وكان، والله أعلم، تُسَوِّلُ له نفسُه الفَتْكَ بالأمير نَصير الدولة، وإنَّه همَّ بذلك مدَّةً من الزمان، فلم يُعِنْهُ الله عليه، بل خَيَّبَ سعيَهُ، وَرَدَّ في نحره بغيَهُ[3]. فتقرَّر ذلك عند نَصِير الدولة، فقبض عليه. وكان في قبضه عليه ما أوْهَنَ اللهُ به كَيْدَ الأعْداءِ، وخَيَّبَ آمالهم، وأضلَّ أعمالهم[4]. ورحل نَصِير الدولة ثانيَّ عيد الأضْحَى بعسكره[5] لحـمَّاد المذكور.

وفي سنة ست وأربع مئة، في صَدْر المحرَّم: وصل عزمٌ وفُلْفُل ابنا حَسُّون بن سنون، وماكْسَن بن بُلُقِّين، وعَدْنان بن مُعْصَم في عدَّةٍ من الفرسان من عسكر حـمَّاد. فخلع عليهم، وأحسنَ إليهم. وما زال نَصِير الدولة يرحل مرحلةً بعد مرحلة إلى أن وصل إلى تَامْدِيت. ثمَّ وردت عليه الأخبار بوفاة وَلَده المنصور عزيز الدولة؛ وذلك أنَّه كان في حين حَرَكته إلى المهديَّة[6] عرضَتْ له حُمَّى، وظهر به جُدَرِيٌّ؛ فأقامَ سبعة عشر يومًا،

---

(١) في أ، م: «حمل له».

(٢) من هنا إلى قوله: «نسيب» ليس في ر١.

(٣) «بل خيب سعيه، ورد في نحره بغيه» ليست في ر١.

(٤) «وخيب آمالهم وأضل أعمالهم» ليست في ر١.

(٥) في ر١: «بعساكره».

(٦) «إلى المهدية» ليست في ر١.

وتُوفِّي فكُتِم عن نَصِير الدولة أمْرُه خوفًا أن يبدو منه جَزَعٌ، يكون فيه وَهْنٌ على الدولة فيما هو بسبيله من مقابَلة عدوِّه. فبلغ خَبَرُه إبراهيمَ وحمَّادًا، فبعثا إليه، وقالا له: إنَّ ولدك، الذي طلبتَ له ما طلبتَ، قد تُوفِّي. فما ضَعْضَعَهُ ذلك، ولا حَرَّكه[1]؛ وكتب إلى السيِّدة يسألُها عن ذلك[2]، فورد كتابُها بوفاته والتعزيةِ عنه، وتَصِفُ سلامةَ المُعِزِّ وحُسْنَ حاله. فكان من صَبْرِ نَصِير الدولة وحُسْن عزائه ما كَثُرَ التعجُّبُ منه. وجَلَس مَجْلِسًا عامًّا للعزاء، فكان لا يَرَى من أحَدٍ جَزَعًا وبكاءً[3] إلَّا سَلاَّه وهَوَّن عليه، فزاد ذلك سرورًا لأوليائه، وكَمَدًا لِحسَدَتِه وأعدائه.

ثمَّ رحلَ من تامْدِيت لستٍّ خَلَوْنَ من صَفَر، وتمادَى رحيلُه إلى أن وصلَ المُحَمَّدِيَّة، وهي مدينة المَسِيلة، فتلقَّاه أهْلُها داعِين شاكِرين على ما مَنَحهم من العَدْل والأمان، وكشفَ عنهم من الجَوْر والعُدوان. فأقامَ بها ستَّةَ أيَّام. ثمَّ رحلَ، فعبر وادِي شَلَف، ثمَّ تمادى مَشْيُه حتَّى قرُب من عساكر حمَّاد وحشوده من زَناتة وغيرهم في العُدْوة الأُخرى من الوادي، فباتَ على تحفُّظٍ واحتراس.

ولما كان في غَدِ نزوله، برز في عساكره ومشى عليها، ورتَّبها، وأقام كلَّ قائدٍ من قُوَّاده في مركزه. وقدْ تقارب الفريقانِ، وتَراءَى الجَمْعانِ، فالتقيا[4] فهُزِمَ حمَّادٌ، وانْتُهِبَ عسكرُه. فقيل: إنَّ الذي انْتُهِبَ من الدَّرَق عشرة آلاف دَرَقة. وكان اشتغالُ العساكر النَّصِيرِيَّة برَفْع الغنائم والأموال والأثقال سَبَبًا لنَجاةِ حَمَّاد المذكور، لِتَرْكِهم اتِّباعه[5]. وأخذ الناس من الأموال والغنائم ما لا يُحصى عَدَدًا وكثرةً، ووُجِد رُقْعتان فيهما: إنَّ الذي عند القائد فلان صندوقٌ فيه خمسونَ ألف دينار وسبع مئة، ومن الوَرِق ألف ألف وخمس مئة ألف درهم، ومن الأمْتِعة خمسون صُندوقًا غير ما كان في بيت حَمَّاد وخزائنه.

---

(١) في ر١: «وأوهنه».

(٢) في أ: «يعرفها بذلك»، ولا يستقيم المعنى بقوله بعد: فورد كتابها بوفاته... الخ.

(٣) ليس في ر١.

(٤) ليس في أ، م.

(٥) ينظر كامل ابن الأثير ٩/ ٢٥٤-٢٥٥.

قال أبو إسحاق: وُجِدَ رَجُلٌ بَيْنَ يَدَيْه بَغْلٌ يسوقُه، ففتَّشه بعضُ الوُصْفان بين أيدينا، فوجد في حَشْوِ بَرْذَعَته وصُوفِها ثمانية آلاف دينار، ومثلُ هذا ما لا يُحصى كثرةً.

وعَرَضَتْ لي أبياتٌ بعد أن صعدنا من الوادي[1]، وقد لقينا به مشقَّةً شديدةً[2]، غير أنَّ حلاوةَ الظَّفَر والفَوْز بالسلامة أنْسَى ذلك، هي [من البسيط]:

لَـمْ أنْـسَ يومًـا بـشَلفٍ راعَ مَنْظَـرُهُ ... وقَـدْ تَـضايَقَ فيـه مُلْتَقـى الـحَدَقِ

والـخيل تَعْـبُرُ بالهامـاتِ خائـضةً ... من سافحِ الدَّمِ مجْرَى قانـئ العَلَـقِ

والبيضُ[3] في ظُلُمـاتِ النَّقْع بارِقـةٌ ... مِثْلَ النُّجوم تهاوَتْ في دُجَى الغَسَقِ

وقَـدْ بَـدا مُعْلـمًـا بـادِيسُ مُـشْتَهِرًا ... كالشمس في الجوِّ لا يَخْفَى عن الحَـدَقِ

وإنَّ راحَتَـهُ لـو فـاضَ نائلُهـا ... وبأْسُها في الوَرَى أشفوا على الغَـرَقِ

تَجْلُـو عِمـامَتُه الحمـراءُ غُرَّتَـهُ ... كأنَّـه قَمَـرٌ في حُمْـرةِ الـشَّفَقِ

لَوْ صُوِّرَ الـمَوْتُ شَخْصًا ثُمَّ قِيلَ لَـهُ ... «أبـو مَنـاد تَبَـدَّى» مـاتَ مِـنْ فَـرَقِ

وأصبح نَصِير الدولة يومَ الاثنين لليلَتَيْن خَلَتا من جُمادى الأُولى، فبعث في طلب حـمَّاد بن باديس بن سيف العزيز بالله، وقد تحصَّن في القَلْعة مع أخيه، فأقاما بها ثلاثةَ أيَّام حتَّى استراحا وأراحا دوابَّهما ومن كان معهما. فعرَّفه إبراهيم بحاجته[4] إلى الازدياد من الطعام والـمِلْح؛ فخرج حـمَّاد في جميع[5] من كان معه ومع أخيه، فسار بهم حتَّى دخل مدينة دَكْمة[6]؛ وقد كان نقم على أهلها، وكان نَصِير الدولة في أثره؛ فتَصَايَحَ أهْلُ الموضع بساقته، فاعترضهم بالسيف، وقتل منهم نحو ثلاث مئة رجل.

---

(١) في أ: «بعد انصرافنا».

(٢) في ر١: «عظيمة».

(٣) في ر١: «والنقع».

(٤) في ر١: «بالاحتياج».

(٥) ليست في ر١.

(٦) معجم البلدان ٢/ ٤٥٩.

فخرج إليه[1] أحمد بن أبي تَوْبة فَقِيهُ هذه المدينة وصالِحُها، فخوَّفَه بالله، ووَعَظَه، وقال له: يا حَـمَّاد إذا لاقَيتَ الجموعَ هَرَبْتَ منها، وإنْ قاوَمَتْك الجيوشُ، فَرَرْتَ عنها، وإنَّمـا قُدْرَتُك وسُلْطانُك على أسيرٍ يكون في يَدَيْك، لا ناصِرَ له عليك. فلما سمع كلامَه، أمر بضرب عُنُقه. ووقف إليه شيخٌ صالحٌ منها، فقال له: يا حـمَّاد اتَّقِ اللهَ فإنِّي حَجَجْتُ حَجَّتَيْنِ. فقال له: أنا أزيدُك عليهما الشهادةَ. وأمر به، فضربت عُنُقه. ووقف إليه جماعةٌ من التجار الـمُسافرين، فقالوا له: نحن قومٌ غُرَباءُ، ولا نَدْرِي ما جَنَى أَهْلُ هذه المدينة عليك. فقال لهم: اجتَمِعوا وأنا أُعَرِّفُكم، فاجتمعوا[2] ودخل معهم غيرُهم مـمَّن طمع في الـخَلاص معهم. فلما وصلوا إليه، أمر بهم؛ فضُربت رقابُهم أجمعين. وأخذ جميع ما كان بتلك المدينة من طعام ومِلْح، وعاد به إلى قلعته.

وأمَّا نَصِير الدولة، فيَوْمَ هزيمةِ حـمَّاد، أَخْرَجَ بَكَّارَ بن جَلالة الوَتْلَكَاتيَّ؛ وكان قد أخذه أسيرًا، وكان بَكَّار كثيرًا مَّا يَنْطَلِقُ به لسانُه. وكان يوسف بن أبي حَبُوس مُعْتَقَلًا أيضًا عند نصِير الدولة، فأُخْرِج بَكَّار بمحضر يوسف، وحُلِقَتْ لحيتُه، ويوسف ينظر إليه، ثمَّ أمر: فحُلِقَتْ لحيةُ يوسف، فصارا مُثْلةً في العالَم.

قال الرَّقيق: لـمَّا عايَنَّا يوسف، وقد حُلِقَتْ لحيتُه، تَحَدَّثْنا سِرًّا بيننا، وقُلْنا: قد كُنَّا نَرْجو ليوسف الحياة، لأنَّ الملوكَ تَعْفو بعد العقوبة! وأمَّا الـمُثْلة، فما نَرَى أنَّ بعدها إبْقاءً! فلمحَنا نَصِير الدولة وقال: ما خُضْتُما فيه؟ فصَدَقْناه سِرًّا، فقال: ما أبْعَدْتُـما. وبعد ثلاث، أمر بإحضاره؛ فعدَّد عليه مَساوِئَ أفعاله وقبائحَ أعماله، ثمَّ أمر به؛ فجُدِع أنفُه، وقُطِعَتْ أُذُنُه، ورُفِع من بين يَدَيْه. ثمَّ أُعيد إليه؛ فأمر به فقُطِعَتْ يداه جميعًا. ثمَّ أمر به إلى موضع اعتقاله؛ فبات مُشَحَّطًا في دمائه. فحكى بعضُ الـحَرَسِ أنَّه سَمِعَه يُرَغِّبُ أخاه أن يذبحه ويُريحَه، خِيفةَ أن يُخْرَج من الغَدِ ويُزاد في عَذابه أمام أعدائه، فقال له أخوه: اصْبِرْ على قضاءِ الله وقَدَرِه. فقال لبعض الـحَرَس: خُذْ بيدي

---

(١) في أ، م: «إليهم» وما أثبتناه من ر١، وهو الأوفق.

(٢) من ر١.

أَخْرُج لقضاءِ الحاجة، فأخذ بيده ووقفَ، فضرب ضربةً عظيمةً بجَبْهَته في عَمودٍ، نَدَرَتْ[1] منها عَيْناه، وجَرَى دِمَاغُه، وخَرَّ إلى الأرض مَيِّتًا.

ورحل نَصِير الدولة من وادي شَلَف.

قال الرَّقِيق: ومن عجيب ما سَمِعْناهُ عن مَناخ وادي شَلَف أنَّ شيخًا كبيرًا من البَرْبَر حدَّثنا أنَّه يُعْرَفُ بِوَادِي[2] المِحَن، وأخذ يذكُرُ لنا مَنْ هُزِمَ فيه ومَنْ قُتِل فيه من مُلوك زَناتة. وكُنَّا على ظَهْر الطريق، فلَمْ نَكْتُبْ ذلك، إلى أن قال: آخِرُ مَنْ مات فيه زِيرِي بن عَطيَّة، وآخِرُ مَنْ هُزِمَ فيه حَمَّاد، وبه قُتِل يوسف بن أبي حَبُوس، وحُمِلَ منه مُعادِلًا لأخيه ورِجْلاه باديتانِ؛ ثمَّ أمر به فدُفِن هُناك.

وفي هذه السنة: مات وَرُّو بن سعيد في شوَّال، فاختلفت كَلِمةُ الزَّناتيّين، ومالت فَرْقةٌ مع خَلِيفة بن وَرُّو، وفَرْقةٌ مع خَزرُون، ابْنِ عَمِّه، وأوقع اللهُ فيهم الشَّتاتَ[3].

ذكر وفاة نَصِير الدَّولة بادِيس ابن المنصور

لما كان يوم الثلاثاء لليلةٍ بَقِيَتْ من ذي القَعْدة، أمر بالتَّمْييز؛ فبرزَ كلُّ قائد في عَسْكَرِه. وجلسَ نَصِيرُ الدولة في القُبَّة وأمر أيُّوب بن يَطُّوفَت بالطواف على العساكر وحِسابِها، وانتظره حتَّى فرغ من حسابها وَعَدِّها، فجاءَه[4]، فعرَّفه بما سَرَّه وأبهجه، وانصرف إلى قصره. ثمَّ ركب عشيَّةَ هذا اليوم، وهو قد تَناهَى إقبالًا، واستوى حُسْنًا وجَمَالًا، فلعبوا بين يَدَيْه، فكُلَّما هزَّ رُمحًا، كَسَرَهُ وأخذ غَيْرَه. ثمَّ عاد إلى قصره أفْسَحَ ما كان أمَلًا، وأشَدَّ سُرورًا وجَذَلًا، فطَعِمَ وشَرِبَ مع خاصَّته وقرابته؛ فعايَنُوا من طَرَبِه ما لم يعهدُوه منه. فلما مضَى نحو النصف من ليلة الأربعاءِ انقضاءَ[5] ذي القعدة، قضى نَحْبَه، رحمه الله[6].

---

(١) في م: «فذرت»، وهو تحريف.

(٢) في أ: «بمناخ».

(٣) الكامل لابن الأثير ٩/ ٢٥٥.

(٤) في ر١ : «وعددها وجاءه».

(٥) في ر١ : «وانقضاء».

(٦) الكامل لابن الأثير ٩/ ٢٥٦.

وبُعِثَ في الوَقْت إلى حبيب بن أبي سعيد، وباديس بن حَـمَامة، وأيُّوب بن يَطُّوفَت. فأُعْلِموا بوفاته خاصَّةً من بين جميع صُنْهاجة وغيرهم، فانصرفوا على أن يكتُموا أمره حتَّى يجتمع رأيُهم، وأصبح وجوهُ العساكر للسلام على عادتهم، وليس عندهم خبرٌ، وقد عزموا أن يُعَرِّفوا الناسَ أنَّه أخذ دواءً، وتقدَّموا إلى سائر[1] قُوَّاد العساكر أن يحضروا بعُدَّتِهم، فقد بَلَغَهم أنَّ حـمَّادًا يضرب في المحلَّة، فلما شَعَروا أن خرجَ الخَبَرُ من مدينة المحمَّديَّة بوفاة السلطان، وأنَّهم أغلقوا أبوابهم، وصَعِدوا على أسوارهم. فظهرَ ما لم يستطيعوا إخفاءَه، فكأنَّمـا نُودِيَ في الناس بإشاعته، فاضطربت العساكر، وماجَ بعضُهم في بعض، وخَشَوْا من اختلاف الكَلِمـة، فاجتمعَ رأْيُهم على تقديم كَرامة[2]، فأخذ عليهم العُهُود، وأمر بالكُتُب إلى بعض البلاد. فلما رأى ذلك عَبِيدُ نَصِير الدولة، ومن انضاف إليهم من سائر الـحَشَم[3]، أنكروا ذلك، وقالوا: إنَّما قدَّمناه ليحوط الرجال ويحفظ الأموال، حتَّى يدفع ذلك إلى مستَحِقِّه الـمُعِزِّ ابنِ مولانا نَصِير الدولة[4]، ومشَى ليلًا بعضُهم إلى بعض، وتحالفوا على بيعة الـمُعِزِّ. فلمّا تَمَّ لهم ما عَقَدُوه، أعلنوا به يومَ السبت لثلاث خَلَوْنَ من ذي الحجَّة. وتحالفت العساكرُ على ذلك طائفةً بعد طائفةٍ، واتَّفقت آراؤُهم على خروج كَرامة إلى أشِير ليحشد قبائل صُنْهاجة وتَلْكاتة، ويعودَ بهم إلى المحمَّديَّة. ثم رحلت العساكر بتابوت نَصِير الدولة[5].

ولاية الـمُعِزّ بن بَادِيس إفريقية ومُدَّته

كانت ولايتُه بالـمَهْدِيَّة في يوم السبت المذكور من سنة ست وأربع مئة، وسِنُّه ثماني سنين وأربعة[6] أشهر، وولايتُه بالـمَهْدِيَّة وبيعتُه بها لتسع[7] بقِينَ من ذي الحجَّة.

---

(١) في ر١: «جميع».

(٢) هو كرامة ابن المنصور أخو باديس (الكامل لابن الأثير ٩/ ٢٥٦).

(٣) «ومَن انضاف إليهم من سائر الحشم» ليست في ر١.

(٤) «نصير الدولة» ليست في ر١.

(٥) الكامل لابن الأثير ٩/ ٢٥٦-٢٥٧.

(٦) في نهاية الأرب ٢٤/ ١١١: «وسبعة».

(٧) في نهاية الأرب: «لسبع».

وذلك لـمّا وَصَل الخبر بوفاة أبيه، والسيِّدةُ أُمّ مَلاَّل بالـمَهْديَّة، خرجَ إليها منصور بن رَشِيق، وقاضي القَيْرَوان والمنصوريَّة، وشيوخُها، ومن كان بها من الصُّنْهاجيّين، فعزَّوْها في أخيها. وخرج الـمُعِزّ بالبُنُود والطُّبول، فنزل إليه الناسُ يهنِّئونه[1] جميعًا، وبايعوه، وهنّأوه، وعَزَّوْه، وابتهلوا بالدُّعاء له. وعادَ إلى قصره. ودخلَ الناس يهنِّئون السيِّدة بولايته، فصرف أهْلَ القَيْرَوان والمنصوريَّة. وبقي الـمُعِزّ بالمهديَّة، يركب في كلّ يوم، ويعود إلى قُبَّة السَّلام، وينطعم الناسُ بين يَدَيْه، وينصرف[2] إلى قصره[3].

وفي يوم السبت بموافقة عيد الأضحى، رحلت العساكر من المحمَّديَّة بعد أن أضرمُوا النارَ في الأبنية والبيوت والزُّروب، وقدَّموا التابوتَ أمام البُنود والطُّبول. فأشرفَ حـمّادٌ على العساكر، وهي تمرُّ كالسيل بين يدي التابوت، فقال لأخيه وخاصَّته: مِثْلُ هؤلاء يخدمُ الملوكَ، وَصَلْتُ أنا إلى إفريقية في ثلاثين ألف فارس، ما منهم إلَّا مَنْ أحسنتُ إليه، وأنعمتُ عليه، فعُدتُ إلى القَلْعة، وما بقي معي منهم إلَّا أقلَّ من ست مئة، وأنا بين أظْهُرهم أُرْجَى، وهذا مَيِّتٌ أطاعه هؤُلاء كما كان حَيًّا. وكان وصولُ العسكر إلى المهديَّة لثمان بَقِينَ من ذي الحجَّة، وبرزت العساكرُ على باب المهديَّة. وركب الـمُعِزُّ، فوقفَ، ونزل الناسُ إليه فَوْجًا فَوْجًا حتَّى كمل سلامُهم[4].

وفي سنة سبع وأربع مئة: رحل الـمُعِزُّ بن باديس من المهديَّة، فكان دخولُه المنصوريَّة يوم الجمعة للنصف من محرَّم، فدخل أجْمَلَ دخول، وبين يَدَيْه البُنُود والطبول، واحتلَّ بقصره أفْضَلَ حُلول، وقد سُرَّ به الخاصُّ والعامّ[5].

وكان بمدينة القَيْرَوان قومٌ بحَوْمَةٍ تُعْرَف بدَرْب الـمُعَلّى[6]، يتستَّرون بمَذْهَب الشيعة، من شِرار الأُمَّة، فانصرفت العامَّة إليهم من فَوْرهم، فقتلوا منهم خَلْقًا رجالًا

---

(١) ليست في ر١

(٢) في ر١: «ويعود».

(٣) نهاية الأرب للنويري ٢٤/ ١١١.

(٤) نهاية الأرب للنويري ٢٤/ ١١١.

(٥) المصدر نفسه.

(٦) هكذا في النسختين، وفي كامل ابن الأثير ٩/ ٢٩٤، ونهاية الأرب ٢٤/ ١١١: «درب المقلى».

ونساءً، وانبسطت أيدي العامَّة على الشيعة، وانتهبت دورَهم وأموالَهم. وتفاقَمَ الأمرُ، وانتهى إلى البلدان، فقُتل منهم خلقٌ كثيرٌ. وقُتل مَن لم يُعرف مذهبُه بالشُّبهة لهم. ولجأ من بقي بالمهدية منهم إلى المسجد الجامع، فقُتِلوا به عن آخرهم رجالًا ونساءً. واجتمعت العامَّة على أبي البَهار بن خَلُّوف لشدَّته عليهم وقهره لسُفَهائهم، فلجأ إلى المنصوريَّة، فانتهبوا داره. وبلغ ذلك عساكرَ ابن أخيه، فركب لينصر عمَّه أبا البَهار، فقتلَتْه العامَّة، ومثَّلوا به، وقتلوا كلَّ من كان معه، وزحفوا إلى المنصوريَّة، فهدموها. واجتمع بدار محمَّد بن عبد الرحمن نحوَ ألف وخمس مئة رجل من الشيعة، فإذا خرج أحدٌ منهم لشراءِ قُوتِهِ قُتِل، حتَّى قُتِل أكثرهم. ثمَّ أُخرجوا إلى قصر السلطان بعيالهم وأطفالهم، فسُرَّ المسلمون بما رأوه فيهم، وذلك لـمَّا ظهرت[1] الكُتُبُ التي وُجِدت[2] في ديار المسالمة، كان فيها من الكُفْر والتعطيل للشريعة وإباحة المحارم شيءٌ كثيرٌ، فتحصَّنوا في هذا القصر أواخر جمادى الأولى وجمادى الآخرة.

وفي أواخر هذه السنة: وصل الـمُعِزَّ ابنَ بادِيس سِجِلٌّ من الحاكِم، خاطَبَه فيه بشَرَف الدولة، وركب الـمُعِزُّ بالبنود والطبول.

وفي سنة ثمان وأربع مئة: كانت حروبٌ عظيمةٌ بين عساكر شَرَف الدولة الـمُعِزِّ بن باديس وبين عساكر حـمَّاد، وذلك شيءٌ يطول ذكرُه[3].

وفي سنة تسع وأربع مئة: خرجت طائفةٌ من الشيعة نحو مئتي فارس بعيالهم وأطفالهم، يريدون المهديَّة للركوب منها إلى صِقِلِّيَّة، وبُعِثَتْ معهم خيلٌ تُشَيِّعهم. فلما وصلوا إلى قَرْية كامل، وباتوا بها، تنافر أَهْلُ المنازل عليهم، فقتلوهم وفضحوا بَعْضَ شَوابِّ النساءِ ومن كان لها منهنَّ جمالٌ، ثمَّ قتلوهنَّ.

وفيها: كان بإفريقية غلاءٌ كثيرٌ[4] وحروبٌ كثيرةٌ[5].

---

(١) في ر١: «وجدت».

(٢) في ر١: «وظهرت».

(٣) في أ: «أمره»، وينظر نهاية الأرب للنويري ٢٤/ ١١٤.

(٤) ليست في ر١.

(٥) كذلك.

وفي سنة عشر وأربع مئة: وصل زاوِي بن زِيرِي الصُّنْهاجيُّ[1] من الأَنْدَلُس إلى إفريقية في أهْله ووَلَده وحشَمه، بعد أن اغترب بها اثنتين وعشرين سنةً، وقاسَى حُروبَها وفِتَنَها، واحتوى على نِعَم ملوكها وذخائرهم. فخرج إليه[2] يومَ صوله شَرَف الدولة الـمُعِزُّ بن باديس بِزِيّ عظيم، فترَجَّل له الشيخُ زاوِي، ونزل شَرَفُ الدولة، فسلَّم عليه، وسار معه حتى أنزله بالمنصوريَّة[3].

وفي سنة إحدى عشرة وأربع مئة: ورد على الـمُعِزِّ بن باديس أبو القاسم بن اليزيد، رسولًا من الحاكِم إليه، بسيف مكلَّل بنفيس الجوهر، وخلعةٍ من لباسه لم يَرَ الناسُ مثلها، فلقيه شَرَف الدولة[4] الـمُعِزُّ في أجمل زِيّ وأكمل هيئة. فقُرِئَ عليه سِجِلٌّ فيه من التشريف ما لم يَصِلْ لأحد قبله، فسُرَّ بذلك[5].

وفيها: ورد أيضًا محمَّد بن عبد العزيز بن أبي كُدْيَة بسِجِلٍّ آخر من الحاكِم، جوابًا للـمُعِزِّ عمَّا كان فيه من أخبار الأندلُس، وانقراضِ الدولة الأُمَوِيَّة منها، وقيام القاسم بن حَـمُّود فيها، فشكره على ذلك، وبعث إليه خمسة عشر عَلَمًا منسوجةً بالذهب. وركب الـمُعِزُّ بن باديس، والأعلام المذكورة بين يَدَيْه، يومَ الأحد لليلتَيْن بَقِيَتا من ربيع الآخر. وجاءت سَحابةٌ شديدةُ الرعد، فأمطرتْ حَجَرًا لم يَرَ أهْلُ إفريقية مِثْلَه كِبَرًا وكثرةً، ووقعت معه صاعِقتانِ.

وفيها: وصل الخبر بوفاة الحاكِم أمير مِصْرَ، وولي الظاهِرُ بَعْدَهُ[6].

وفي سنة اثنتي عشرة وأربع مئة: تُوفِّي[7] باديس بن سَيْف العزيز بالله، وصلَّى عليه شَرَفُ الدولة، وكان له مشهدٌ عظيمٌ.

---

(١) انظر عنه الإحاطة ١/ ٥١٣ فما بعد.

(٢) في ر١: «إليهم».

(٣) ذكر ابن الخطيب أن زاوي انصرف من الأندلس سنة ٤١٦ (الإحاطة ١/ ٥١٧).

(٤) «شرف الدولة» ليست في ر١.

(٥) قوله: «فسر بذلك» ليست في ر١.

(٦) ينظر الكامل لابن الأثير ٩/ ٣١٢-٣١٧.

(٧) هذه الفقرة ليست في ر١.

وفيها: تُوفِّيت السيِّدة زوجة نَصِير الدولة، وكُفِّنَتْ فيما لم يُذْكَرْ أنَّ مَلِكًا من الملوك كُفِّنَ في مثله، فحكى من حضره من التجار أنَّ قيمته مئة ألف دينار، وجُعِلَتْ في تابوت من عود هنديّ قد رُصِّعَ بالجوهَرْ. وكانت لها جنازةٌ لم يُرَ مِثْلُها، دُفِنَتْ بالمهديَّة. وكانت مسامير التابوت بألفي دينار.

وفي سنة ثلاث عشرة وأربع مئة: تَعَرَّسَ الـمُعِزُّ شَرَف الدولة. فكان له عرسٌ ما تهيَّأ قَطُّ لأحدٍ من ملوك الإسلام. وقد شرحه الرَّقِيقُ في كتابه وتَرَكْناه اختصارًا.

وفي سنة أربع عشرة وأربع مئة: وردت الأخبار وتتابعت[1] بإفريقية بأنَّ خَلِيفَةَ بن وَرُّو ومن معه رَمَوْا في البحر مَراكِبَ كثيرةً، وأنَّهم رحلوا من أطْرابُلُس في طلب الفُتُوح بن القائد، وقد كان كاتَبَ شَرَفَ الدولة الـمُعِزَّ بن باديس في الانحياش إليه والدخول في طاعته، فأعطاه مدينة نَفْطة[2] من عمل قَصْطيلية[3]. فخرج شَرَفُ الدولة، فاجتازَ بسُوسة، ثمَّ إلى المهديَّة، وذلك يوم الخميس لأربع خَلَوْن من المحرَّم. وأمر بالنداءِ في حشد البَحْرِيّين، وكتب أن يَلْحِقَ به كلُّ من يَتَخَلَّفُ عنه من عساكره ليكونَ رحيلُه من المهديَّة إلى سَفاقُس[4]، ثمَّ إلى قابِس[5]، قاصدًا إلى أطْرابُلُس. وأمر بالاحتفاز[6] في إصلاحِ القطائع وعمارةِ دار الصناعة، وأخذ في إنشاء العُدَد الحربيَّة، فأُنْشِئَ منها في المدَّة القريبة ما لم يَتِمَّ مِثْلُه في الزمن البعيد. ثمَّ رأى الوصولَ إلى المنصوريَّة ليأخذ الناسُ عُدَدَهم وما يحتاجون إليه، فكان وصولُه يوم الاثنين لستٍّ بَقِينَ من المحرَّم من العام.

ووردت الأخبار من المشرق بأنَّ أميرَ المؤمنين الظاهِرَ لإعْزازِ دين الله أمر بإحضارِ سَيْفِ الدولة ذي الـمَجْدَيْن حُسَيْنِ بنِ علي بن دَوَّاس الكُتَاميّ. فلما دخل[7] القصر،

---

(١) في ر١: «تتابعت».

(٢) ينظر عنها معجم البلدان ٥/ ٢٩٦، والروض المعطار ٥٧٨.

(٣) في ر١: «قسنطينة»، وينظر الروض المعطار ٥٧٨ حيث قال: نفطة في قسطيلية من بلاد الجريد.

(٤) معجم البلدان ٣/ ٢٢٣.

(٥) معجم البلدان ٤/ ٢٨٩.

(٦) في ر١: «بالجد».

(٧) في ر١: «أدخل».

ولم يكن يدخله قبل ذلك حَذَرًا على نفسه، أُخْرِجَ من ساعته مقتولًا؛ فأقام ثلاثةَ أيّام، ومُنادٍ يُنادي عليه: هذا جزاءُ من غَدَرَ مَوَالِيه، ثمَّ دُفِعَ إلى عَبِيده، فدفنوه[1].

ثمَّ جاء الخبر في الوقت بوفاة السيِّدة الشريفة[2] بنت العزيز بالله. وصلَّى عليها الظاهِر لإعزاز دين الله[3] بمِصْرَ. وكانت قد ضَبطت المملكة، وقَوَّمت الأُمور بحسن رأي وتدبير. وكان الوزير عمّار فُوِّضَ إليه الأمرُ في[4] النَّظَر في الدواوين والأموال والكتابة وغير ذلك من خدمة الخلافة، فأمَرَتْ بقتله، فقُتِل. وباشَرَتْ تدبير المملكة، فلا يُنْفَذُ أمْرٌ جَلَّ أو قَلَّ إلَّا بتوقيعٍ يخرج عنها بخطّ أبي البيان الصَّقْلَبيّ عَبْدِها.

وفي هذه السنة: وصل محمَّد بن عبد العزيز، من قِبَل الظاهِر أمير مِصْرَ، بتشريف عظيم لشَرَف الدولة. فقُرِئَتْ به سِجِلاَّت ما وصل قَبْلَها مِثْلُها أجَلَّ حالًا ولا أعلى مَقالًا. وزادَهُ لَقَبًا إلى لَقَبه، فسمَّاه شَرَفَ الدولة وعَضُدَها، وبشَّره بمَوْلُودَيْنِ وُلِدا له: إسماعيل[5] أبو الطاهر، وعبد الله أبو محمَّد، وبعث إليه مع ذلك ثلاثة أفراس من خيل ركوبه بسُرُوجٍ جليلة وخلعة نفيسة من نفيس ثيابه، ومَنْجُوقَيْن منسوجَيْن بالذهب على قَصَبِ فِضَّةٍ، ما دخل إفريقية مِثْلُها قَطُّ، وعشرين بَنْدًا مُذَهَّبةً ومفضَّضةً. فلقيها شَرَف الدولة[6] أجْمَلَ لقاءٍ، وأعطاها حقَّها من الإكرام والاعتناء، وقُرِئَت السِّجِلَّات بين يَدَيْه، ثمَّ قُرِئَتْ بجامع القَيْرَوان، وأمر بنسخها، وأُنْفِذَتْ إلى الآفاق، فكان لها من السرور ما لا يوصف.

وبعد ذلك، في هذه السنة، وصل سِجِلٌّ آخر بزيادة لقَبٍ آخر، تشريفًا لشَرَف الدولة، وأمر أن يُكاتَب: «من الأمير شَرَف الدولة وعَضُدِها» ويُخاطَبَ بمثل ذلك.

---

(١) ذكر ابن الأثير والمقريزي أن أخت الحاكم هي التي دبرت قتله في خبر طويل (الكامل ٩/ ٣٢٠، واتعاظ الحنفا ٢/ ١١٥-١١٧).

(٢) «الشريفة» ليست في ر١.

(٣) «لإعزاز دين الله» ليست في ر١.

(٤) «الأمر في» ليست في ر١.

(٥) ليس في أ، م.

(٦) بعد هذا في ر١: «وعضدها».

فلقيه أحسن لقاء، وخلع عليه، وحمله. وجَرَت الـمُكاتَبة من ذلك الوقت بهذا التشريف الجليل.

وفي هذه السنة: اعتلَّت السيّدة أمُّ مَلاَّل بنت عُدَّة العزيز بالله أيَّامًا، والأمير شَرَف الدولة يَصِلُ إليها في كل يوم عائدًا ومفتقِدًا، فيجلس عندها، ويأذن لرجاله وعَبِيده يدخلون إليها، ثمَّ ينصرفون. فلما كان ليلة الخميس مُنْسَلَخ رجب، قبضها الله، وصُلِّيَ على[1] جنازتها بالبُنُود والطبول والعَمَّارِيَّات، والسيّدتان الجليلتان الوالِدةُ والأُخْتُ بحال من التشريف لهذه الجنازة، لم يُرَ لـمَلكٍ ولا لسُوقةٍ مِثْلها.

وفوَّض الأمير[2] شَرَفُ الدولة جباية الأموال، وولاية العُمَّـال، والنظر في العساكر وسائر الأشغال لأبي البهَار بن خَلُّوف يومَ الثلاثاء لخمس بَقِينَ من جمادى الأُولى[3]، فحسُنت الأُمور، وضُبِطَت الأطراف والثغور. واستقام التدبيرُ، ورأى الأمير شَرَفُ الدولة من حَزْمِه، وكفايته، وعَزْمه، وشهامته، ما لم يقم به غيره، ولا وُجِدَ عند سِواه بوَجْهٍ.

وفي سنة خمس عشرة وأربع مئة في صفر منه: وُلد للأمير شَرَف الدولة وَلَدٌ سمَّاهُ كَبَّابًا.

وفي شهر رجب: تزوَّجت السيدة أُمُّ العُلُوّ بنت نَصِير الدولة، أُخْتُ شَرَف الدولة. فلما كان يوم الأربعاء غُرَّةَ شعبان المكرَّم، زُيِّنَ الإيوانُ الـمُعَظَّم للسيِّدة الجليلة أُمِّ العُلُوّ، ودخل الناسُ خاصَّةً وعامَّةً، فنظروا من صُنوف الجَوْهر والأسلاك والأمْتِعة النفيسة وأواني الذهب والفضَّة ما لم يُعْمَلْ مِثْلُه، ولا سُمِع لأحدٍ من الملوك قَبْلَه؛ قال أبو إسحاق الرَّقِيق: فبَهَرَ عيونَ الخلق حالُ ما عايَنوه، وأبْهَتَهم عظيمُ ما شاهَدوه، وحُمِلَ جميعُ ذلك إلى الموضع الذي ضُرِبَتْ فيه الأبنية والقِباب والأخبية، وحُمِلَ الـمَهْرُ في عَشْرة أحمال على أبْغُل على كلِّ حِمْل جاريةٌ حَسْناء، وجملتُه مئة ألف دينار عَيْنًا، وذكرَ بعضُ حُذَّاق التُّجار أنّه قوَّم ما هو لها فكانَ زائدًا على ألف ألف دينار، وهذا ما لم يُرَ قطُّ

---

(١) في ر١: «توفيت فخرج إلى».

(٢) ليست في ر١.

(٣) قوله: «يوم الثلاثاء لخمس بقين من جمادى الأولى» ليست في ر١.

لامرأة قَبْلَها بإفريقية[1]. وزُفَّت العَرُوس في يوم الخميس، ومضى بين يَدَيْها عَبِيدُ أخيها شَرَف الدولة وأبيها نَصِير الدولة وجَدِّها عُدَّة العزيز بالله، ووجوهُ رجال الدولة، فكان يومًا سارت الرُّكْبانُ بمحاسن آثاره، وامتلأت البلدانُ بعجائب أخباره.

وفي هذه السنة: وقف شَرَف الدولة لهديَّة صَنْدَل والي بِسْكِرة[2]، فعُرِضَتْ عليه، وهي ثلاث مئة حصان، ومئة فرس أُنْثَى، وبغلات منها عشرون بِسُرُوج مُحَلاَّة، ومئة حِمْل من المال. فخلع عليه وجدَّد له الولاية على بِسْكِرة.

وفي سنة ست عشرة وأربع مئة: تُوفِّي أيُّوب بن يَطُّوفَت، وحضر جنازته شَرَفُ الدولة وعَضُدُها، وهو الـمُعِزُّ بن باديس، بالبنود والطبول[3].

وفي سنة سبع عشرة وأربع مئة: وُلِدَ للأمير شَرَف الدولة وعَضُدِها مَوْلُودٌ سمَّاه نِزارًا. وكتب إلى سائر عُمَّـاله بالبشارة بذلك.

ذكْر قيام الـمُعِزّ شَرَف الدولة[4] بالإمارة وقَطْعِه الدَّعْوة العُبَيْديَّة الشيعيَّة[5] من إفريقية

كان الـمُعِزُّ بن باديس صغيرًا إذ ولي، وهو ابنُ ثمانية أعوام، وقيل: ابن سبعة أعوام. ورُبِّيَ في حِجْر وزيره أبي الـحَسَن بن أبي الرِّجال، وكان ورعًا زاهدًا. وكانت إفريقية كلُّها والقَيْرَوان على مَذْهَب الشيعة وعلى خِلاف السُّنَّة والجماعة، من وقت تملُّك عُبَيْد الله المهديّ لها. فحرَّض ابن أبي الرِّجال الـمُعِزَّ بن باديس على إقامة السُّنَّة[6]، وأدَّبَه، ودلَّه على مذهب مالِك وعلى السُّنَّة والجماعة[7]، والشيعةُ لا يعلمون ذلك،

---

(1) «وهذا ما لم يُر قط لامرأة قبلها بإفريقية» ليست في ر١.

(2) معجم البلدان ١/ ٤٢٢، والروض المعطار ١١٣-١١٤، وهي بكسر الكاف.

(3) هذه الفقرة خلت منها ر١.

(4) «شرف الدولة» ليس في ر١.

(5) ليست في ر١.

(6) «على إقامة السنة» ليست في أ، م.

(7) «وعلى السنة والجماعة» ليست في ر١.

ولا أهْلُ القَيْرَوان. فخرج الـمُعِزُّ في بعض الأعياد إلى الـمُصلَّى في زينته وحُشوده، وهو غلامٌ، فكبا به فَرَسُه، فقال عند ذلك: «أبو بكر وعُمَر رضي الله عنهما» فسَمِعَتْه الشيعةُ التي كانت في عسكره، فبادروا إليه ليقتلوه، فجاءَه[1] عَبيدُه ورِجالُه ومن كان يَكْتُمُ السُّنَّة من أهل القَيْرَوان، ووُضِع السيفُ في الشيعة، فقُتل منهم ما ينيف على الثلاثة آلاف، فسُمِّيَ ذلك الموضع بِرْكَةَ الدَّمِ إلى الآن. قال أبو الصَّلْت: وصاح بهم في ذلك الوقت صائحُ الموت، فقُتِلوا في سائر بلاد إفريقية. فوافَقَ ذلك ما قالهُ الشُّعَراء فيهم على وجه التطهير لهم، كقول القاسم بن مروان [من الوافر]:

وسَـوْفَ يُقَتَّلُـون بكُـلِّ أرْضٍ　　　كـما قُتِلُـوا بـأرض القَـيْرَوانِ

وكقول الآخر [من الرمل]:

يا مُعِزَّ الـدينِ عِشْ في رِفْعَـةٍ　　　وسُرورٍ واغتبـاطٍ وجَـذَلْ

أنْتَ أرْضَيْتَ النبيَّ الـمُصْطَفَى　　　وعَتيقًا في الـمَلاعِينِ السِّفَلْ

وجَعَلْـتَ القَتْـل فـيهم سُـنَّةً　　　بأقاصِي الأرْضِ في كلِّ الدُّوَلْ

وكقول الآخر [من الطويل]:

وكانتْ لهم بالشَّرْقِ نارٌ فأُطْفِئَـتْ　　　فما مَلَكُوا بالكُفْرِ شَرْقًا ولا غَرْبـا

وحُكِيَ في قَتْل الروافِض حكاياتٌ كثيرةٌ مـمَّا رآه الـمُعِزُّ في منامه، وتأويلُ ذلك وغيره ألْغَيْنا هنا عن ذكره خوفَ التطويل[2]. ولم يزل الـمُعِزُّ يُعمل فِكْرَه في قطع الدعوة لهم إلى أن كانت سنة أربعين وأربع مئة.

وفي سنة عشرين وأربع مئة: زحفت جموعُ زَناتة تُريدُ حضرة القَيْرَوان، طَمَعًا منها في الـمُلك. فلمّا بلغ ذلك الـمُعِزَّ، خرجَ إليهم بجنوده، فاقتتلوا قتالًا شديدًا، فانهزمت زَناته، وقُتل منهم خَلْقٌ كثيرٌ، وفرَّ باقيهم إلى الغَرْب[3].

---

(١) في ر١: «فحماه»، ولها وجه.

(٢) في ر١: «تركنا ذكره خوف التطويل»، وعبارة: «خوف التطويل» لم ترد في أ، م.

(٣) ينظر كامل ابن الأثير ٩/ ٣٧٧.

وفي سنة إحدى وعشرين وأربع مئة: وقعت في القَيْرَوان بين الأجناد والعامَّة فتنة، فقُتل من العامَّة نحوُ المئتين.

وفي سنة اثنتين وعشرين وأربع مئة: كثر الخِصْبُ والرخاءُ والأمانُ بإفريقية.

وفي سنة ثلاث وعشرين وأربع مئة: وصلت من مَلِك السودان إلى الـمُعِزِّ هديَّةٌ جليلةٌ، فيها رقيقٌ كثيرٌ، وزرافات، وأنواعٌ من الحيوان غريبةٌ.

وفي سنة خمس وعشرين وأربع مئة: كانت بإفريقية مجاعةٌ شديدةٌ[1].

وفيها: خرج الفقيه[2] أبو عِمْران الفاسيُّ إلى الحجاز[3].

وفيها: مات الظاهِر صاحبُ مصر[4] بمِصْرَ، وولي ابنه الـمُسْتَنْصِر[5].

وفي سنة ست وعشرين وأربع مئة: وصلت إلى الـمُعِزِّ بن باديس من مَلِك الرُّوم هديَّةٌ لم يُرَ مثْلُها في كثرة ما اشتملت عليه من أمتِعة الديباج الفاخِر وغير ذلك.

وفي سنة سبع وعشرين وأربع مئة: زحفت زَناتة في جيوش عظيمة وجموع كثيفة، تُريد المنصوريَّة. فلقيَتْها جيوشُ الـمُعِزِّ واقتتلوا[6]، فظهرت زَناتة عليها، فانهزمتْ، ووصلت إلى ما بَيْن المنصوريَّة والقَيْرَوان. ثمَّ تلاقوا في الغَد من ذلك اليم، فثبتَتْ صُنْهاجة وثبتَتْ زَناتة[7].

وفي سنة ثمان وعشرين وأربع مئة: كسر الـمُعِزُّ زَناتة، وهزمهم وقتل منهم خَلْقًا كثيرًا.

---

(١) الكامل لابن الأثير ٩/ ٣٧٧.

(٢) ليست في أ، م.

(٣) هو فقيه المالكية الأشهر أبو عمران موسى بن أبي عيسى بن أبي حاج الفاسي نزيل القيروان المتوفى سنة ٤٣٠هـ (الصلة لابن بشكوال ١٣٣٧، وتاريخ الإسلام ٩/ ٤٨١-٤٨٢) وقد حج حججًا كثيرة.

(٤) من ر١.

(٥) ذكر ابن الأثير والذهبي المقريزي أن وفاة الظاهر كانت سنة ٤٢٧ (الكامل لابن الأثير ٩/ ٤٤٧، وتاريخ الإسلام للذهبي ٩/ ٤٢٧، واتعاظ الحنفا ٢/ ١٢٤) فما هنا غلط محض.

(٦) ليست في أ، م.

(٧) الكامل لابن الأثير ٩/ ٤٥٠.

وفي سنة تسع وعشرين وأربع مئة: خرج عسكر[1] الـمُعِزّ من القَيْرَوان إلى الزَّاب، فقتل من البربر خلقًا كثيرًا[2].

وفي سنة ثلاثين وأربع مئة: كثُر الخِصْب ببلاد إفريقية.

وفيها: مات أبو عِمْران الفاسيُّ[3] بعد عوده من المشرق.

وفي سنة إحدى وثلاثين وأربع مئة: دخلت جيوشُ مَالِطة جزيرةَ جَرْبة[4]، ففتحتْها وقَتلتْ خلقًا كثيرًا من أهلها.

وفي سنة اثنتين وثلاثين وأربع مئة: خرج الـمُعِزُّ إلى قَلْعة حمَّاد وحاصَرَها مدَّة سنتَيْن، وأخذ بمخنق حـمَّاد فيها[5].

وفي سنة ثلاث وثلاثين وأربع مئة: أظهر الـمُعِزُّ الدولةَ العبَّاسيَّةَ، وورد عليه عَهْدُ القائم بأمر الله[6].

وفيها: نُكِبَ محمَّد بن محمود بن السكَّاك، وكان المتولِّي لأشغال أُمِّ الـمُعِزِّ، واستولى بها على دولته[7].

وفي هذه السنة: وصل الأميرُ نِزار بن الـمُعِزِّ إلى الحضرة، قافِلًا من سَفَره الذي هزم فيه زَناتة، فأنشده ابن شَرَف قصيدتَه التي أوَّلُها [من الكامل]:

طَلَعَتْ مـن الغَـرْبيّ شَـمْسُ الـدِّين ... بالـسَّعْدِ والإقبـالِ والتَّمْكـينِ

---

(١) ليست في ر١.

(٢) الكامل في التاريخ ٩/ ٤٦٠-٤٦١.

(٣) ينظر عيون الإمامة ونواظر السياسية لأبي طالب المروان ١٦٧ وتعليقنا عليه.

(٤) ينظر عنها معجم البلدان ٢/ ١١٨.

(٥) ينظر الكامل لابن الأثير ٩/ ٤٩٢-٤٩٣.

(٦) ذكر ابن الأثير أن المعز أظهر الدعاء للدولة العباسية سنة ٤٣٥هـ وليس في هذه السنة (الكامل ٩/ ٥٢١)، وسيأتي أن الخطبة لم تقطع لصاحب مصر إلا سنة ٤٤٠، والعجيب أن ابن الأثير ناقض نفسه وذكر في موضع آخر أن المعز بن باديس إنما خطب للقائم سنة ٤٤٠ (الكامل ٩/ ٥٦٦).

(٧) هذه الفقرة ليست في ر١.

وفي سنة ست وثلاثين وأربع مئة: مات الـجَرْجَرائيُّ[1] بمِصْرَ، وكان الحاكِم بأمر الله العُبَيْديُّ قطع يَدَيْه جميعًا، لجنْيةٍ جناها، فلم يَجْزَعْ لما أصابه. فقيل: إنَّه عَصَّب يَدَيْه إِثْرَ قطعهما، وانصرف من وقته إلى ديوانه، وجلس لخدمته على عادته. فلما تُعُجِّب منه، قال: إنَّ أمير المؤمنين لم يعزلني، وإنَّما عاقبني بجنايتي! فلما بلغ ذلك الحاكِم، أقَرَّه على عمله.

وفي سنة سبع وثلاثين وأربع مئة: وردت رُسُلُ الـمُعِزِّ إلى القَيْرَوان، يُخْبِرُ أنَّه أوقع بلَوَاتة، وقَتل منهم عددًا، وغنم منهم أموالًا، فضُرِبت الطبولُ على ذلك، وفي ذلك يقولُ ابن شَرَف من قصيدةٍ أوَّلُها[2] [من المنسرح]:

بالیُمْنِ والسعْدِ عُـدْ وبـالظَّفَرِ مُوَفَّـقَ الـوِرْدِ غـانِمَ الـصَّدَرِ

وفيها: بُني سور المنصوريَّة.

وفيها: هبَّت ريحٌ عاصفٌ بإفريقية، قَصَفَتْ ما مرَّتْ به من الشجر لقوَّتها وشدَّتها.

وفي سنة ثمان وثلاثين وأربع مئة: كانت وفاة نِزار بن الـمُعِزِّ بن باديس في رَجَب، وكان عُمُره إحدى وعشرين سنة وأشهرًا.

وفيها: ولَّى الـمُعِزُّ وَلَدَه الآخر أبا القاسم، وكنَّاه العزيزَ بالله، وهو إذ ذاك ابنُ ثمانية أشهر، وتوفِّي بعد ذلك، وهو ابن سنة واحدة وثلاثة أشهر.

وفي سنة تسع وثلاثين وأربع مئة: نُكِب حبُوس بن حُمَيْد الصُّنْهاجيّ والي نَفْطة، وطُولِب بمال كثير، ونِيلَ بالمكروه والهَوَان.

وفيها: نُكِب أحمدُ بن حجَّاج قاضِي قَفْصة، فبادر بعشرة آلاف دينار، وكان مُتَصاونًا.

---

(١) هو أبو القاسم علي بن أحمد الجرجرائي وزير الديار المصرية (الذهبي: تاريخ الإسلام ٩/ ٥٦٦، وسير أعلام النبلاء ١٥/ ١٨٥).

(٢) «من قصيدة أولها» ليست في ر١.

وفي سنة أربعين وأربع مئة: قُطِعَت الخُطْبة لصاحب مِصْرَ[1]، وأُحْرِقَتْ بُنودُه. قال ابن شَرَف: وأمر الـمُعِزُّ بن باديس بأن يُدْعى على منابر إفريقية للعبَّاس بن عبد الـمُطَّلِب وتُقْطع دعوةُ الشيعة العُبَيْدِيِّين، فدعا الخطيبُ للخلفاء الأربعة، وللعبَّاس، ولبقيَّة العشرة رضي الله عنهم.

ذكر السبب في قَطْع الدعوة العُبيْديَّة من الخطبة بالقيروان وغيرها[2]

لـمّا رحل بنو عُبَيْد إلى مِصْرَ، لم يزلَ ملوكُ صُنْهاجة يخطبون[3] لهم بإفريقية، ويذكرون[4] أسماءَهم على المنابر. وتمادى الأمر على ذلك حتَّى قطع أَهْلُ القَيْرَوان صلاةَ الجُمُعة فِرارًا من دعوتهم، وتبديعًا لإقامتها بأسمائهم، فكان بعضُهم، إذا بلغ إلى المسجد، قال سِرًّا: «اللَّهُمَّ اشْهَد! اللَّهُمَّ اشْهَد» ثمَّ ينصرف، فيصلِّي ظُهْرًا أَرْبعًا، إلى أن تناهى الحال حتَّى لم يحضر الجمعة من أهل القَيْرَوان أحدٌ. فتعطَّلت الجُمُعة دَهْرًا، وأقام ذلك مُدَّةً إلى أن رأى الـمُعِزُّ بن باديس قَطْعَ دعوتهم، فكان بالقَيْرَوان لذلك سُرورٌ عظيم.

ذِكْر وُقوع التَّصْريح بلَعْنتهم في الـخُطَب بجميع إفريقية وخَلْعهم[5]

قال ابن شَرَف: وأمر الـمُعِزُّ بِلَعْنهم في الخُطَب وخَلْعِهم. ولـمّا كان عيد الأضحى، أمر الخطيب أن يسُبَّ بني عُبَيْد، فقال: «اللَّهُمَّ وَالْعَنِ الفَسَقة الكِبار، المارقين الفُجَّار، أعداءَ الدين، وأنصارَ الشيطان، المخالفين لأمرك، والناقضين لعهدك، الـمُتَّبِعين غيرَ سبيلك، المبَدِّلين لكتابك! اللَّهُمَّ وَالْعَنْهُم لَعْنًا وَبِيلًا، واخْزِهِمْ خِزيًا عريضًا طويلًا! اللَّهُمَّ وإنَّ سيِّدنَا أبا تَـمِيم الـمُعِزَّ بن بادريس ابن المنصور القائم لدينك، والناصر لسنَّة نبيِّك، والرافع للواء أوليائك، يقول مُصَدِّقًا لكتابك، وتابعًا لأمرك، مدافعًا

---

(١) ينظر الكامل لابن الأثير ٩/ ٥٦٦، وسبق أن ذكر أن ذلك كان في سنة ٤٣٥ (الكامل ٩/ ٥٢١).

(٢) في ر١: «بأقطار إفريقية ولعنهم».

(٣) في ر١: «تخطب».

(٤) في ر١: «وتذكر».

(٥) لم يرد هذا العنوان كله في ر١.

لمن غيَّر الدين، وسلك غَيْرَ سبيل الراشدين المؤمنين: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ ① لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ [الكافرون: ١-٢]»، هكذا ذَكَرَ بإسقاطِ «قُلْ» وآخِرِها. قال: وأمر الأمير أبو تميم[1] الـمُعِزُّ بن باديس الخطيبَ أن يسُبَّهم على مِنْبَر القَيْرَوان بأشْنَعَ من هذا السبّ. فلما كان في الجمعة الأُخرى، أبلغ في ذلك بما فيه شفاءٌ لنفوس المؤمنين.

وفي سنة إحدى وأربعين وأربع مئة: تحرَّك الأمير أبو تَـمِيم إلى بلاد المغرب الأقصى، وترك ولده أبا الطاهر تميمًـا ابن الـمُعِزِّ على حضرة القَيْرَوان بالمنصوريَّة.

وفيها: بُنِيَت الـمُصَلَّى بالمنصوريَّة.

وفيها: ضُرب الدينار المسمَّى بالتجاريّ.

وفيها: ركب الـمُعِزُّ بن باديس المذكور[2] في أحفل جمع وأحسن[3] زيّ، وخرج إلى ظاهِر مدينة[4] القَيْرَوان. وأُخْرِجَت السِّباع بين يَدَيْه، فأُفْلِت منها سَبُعٌ، فانهزمَ الناسُ أمامه، ووقع بعضُهم على بعض، فمات منهم نحو المئتين؛ ووثب السَّبُع على رجل من كُتَّاب باب الغَنَم يُدعى بالكَراميّ، فقتله.

ذكر تبديل السكّة عن أسماءِ بني عُبَيْد

قال ابن شَرَف: وفي هذه السنة، أمر الـمُعِزُّ بن باديس بتبديل السكَّة في شهر شعبان، فنُقِشَ على الأزواج[5] في الوَجْه الواحد: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]، وفي الوَجْه الثاني: لَا إِلَٰهَ إِلَّا الله مُحَمَّدٌ رَسُولُ الله، وضُرب منها دنانيرُ كثيرةٌ. وأمر أيضًا بسَبْك ما كان عنده من الدنانير التي عليها أسماءُ بني عُبَيْد، فسُبِكت، وكانت أموالًا عظيمة. ثمَّ بَثَّ في الناس قَطْعَ سكَّتهم، وزوالَ أسمائهم من جميع الدنانير والدراهم بسائر عمله. وقد كان قَطَع أسماءَهم من

---

(١) «الأمير أبو تميم» ليست في ر١.

(٢) «بن باديس المذكور» ليست في ر١.

(٣) في ر١: «وأكمل».

(٤) ليست في ر١.

(٥) «على الأزواج» ليست في ر١.

الرايات والبنود. وكان مُبتدأ ضَرْبِ السكك بأسماء بني عُبَيْد الله ورَسْمِها في الرايات والطّرز سنة ست وتسعين ومئتين، إلى أن قطعها الـمُعِزُّ المذكور سنة إحدى وأربعين وأربع مئة المذكورة، وذلك مئة سنة وخمس وأربعون سنة.

وفي شوَّال من هذه السنة: نادى مُنادٍ بأمر السلطان أبي تميم: إنَّه مَنْ تصرَّف بمال عليه أسماءُ بني عُبَيْد نالَتْه العقوبةُ الشديدة، فضاقت الحالُ بالفقراء والضعفاء، وغلت الأسعار بالقَيْرَوان. وكان الدينارُ القديم بأربعة دنانيرَ ودرهمَيْن، وكان صَرْفُ الدينار الجديد خمسة وثلاثين درهمًا.

وفي هذه السنة: نُكِبَ القائد عبَّاد بن مروان الملقَّب بسيف الـمُلْك، وكان من الخاصَّة، ودُفع إلى أعدائه، وأُمر باستخراج أمواله، والقبض على جميع من استعمله في أعماله، وبعد ذلك، أُلْقِيَ في سِرْداب مُظْلِم حتَّى مات فيه.

وفيها: وردت الأخبار بالقَيْرَوان بموت القائد حمَّادٍ بقلعته، فقال ابنُ شَرَف من قصيدة [من الخفيف]:

لا جُنُودٌ إلَّا جنُود السُّعودِ مُغْنِياتٌ عَنْ عُدَّةٍ وعَدِيدِ

وفي سنة اثنتين وأربعين وأربع مئة: اصطلح أهْلُ القَيْرَوان وأهْلُ سوسة، وقد كانت جَرَتْ بينهم وَحْشَةٌ، فصنعَ القَيْرَوانيُّون للسُّوسيّين دَعَواتٍ غُسِلَتْ فيها الأيدي بماء الورد، ومُسحت بمناديل الشرب.

وفي هذه السنة: ولَّى الأميرُ أبو تميم ولده أبا الطاهر بن الـمُعِزِّ عَهْدَه.

ذكر ولاية العَهْد لتميم ابن السلطان[1] الـمُعِزّ بن باديس

قال ابن شَرَف: وخطب الخطيبُ يومَ الجمعة على جامع القَيْرَوان، فدعا للسلطان الـمُعِزّ بن باديس لولده أبي الطاهر وَلِيّ عهده، ثم قال: «اللَّهُمَّ أصْلِحْ عبدك ووليَّك أبا الطاهر تميمَ ابن الـمُعِزّ، الطاهرَ من كُفر مَعَدّ ابن الظاهر!» يعني صاحبَ مصر.

وفيها: كان خروج الفقيه الزاهد الواعظ أبي عبد الله بن عبد الصَّمَد من القَيْرَوان في شهر رَجَب، ووَكَّلوا به رجالًا توجَّهوا معه إلى مدينة قابس، وكانت الرفقة خارجةً

(١) ليست في أ، م.

من القَيْرَوان إلى مِصْرَ، فأمر أن ينتظرَها بمدينة قابس إلى أن يصحبها. وكُوتب عاملُ قابسَ بأن لا يترك من يدخل إليه، ولا من يُسلِّم عليه، ولا يخرج من موضعِ نزوله إلَّا في[1] يوم سَفَره، فخرج وهو غير آمِنٍ على نفسه، ثمَّ قُتِلَ[2] في طريقه ذلك، وكان رجلًا واعظًا، يَعِظُ الناس، فيجتَمِعون إليه، ويسمعون كلامه، وكان له لسانٌ وحِدَّةٌ فحذَّره الـمُعِزُّ. واجتمع عليه بعضُ فقراء القَيْرَوان، واستبشعوا ألفاظًا ذكرها، فرفعوا رِقاعَهم إلى الـمُعِزِّ بذلك، فكان سَبَبَ نَفْيِه وحَتْفِه. وكان أبوه يَعِظُ بجامع مِصْر في ذلك الوَقْت، إلى أن نُعِيَ له ابنُه هذا، فحجَّ في تلك السنة، فقيل: إنَّه كان يطوفُ بالكعبة، ويصيح[3]، فيقول: «يا رَبِّ الـمُعِز عليك به! يا رَبِّ عليك بابن باديس!» فكانت الهزيمة على الـمُعِزِّ في اليوم الثاني من دُعائه، وكان ذلك سَبَبَ خَراب مُلكه ودمار القَيْرَوان حضرته[4]، فلم يشكَّ أحدٌ في إجابة دَعْوَته.

وفي سنة ثلاث وأربعين وأربع مئة: كان لباسُ السواد بالقَيْرَوان، والدعاءُ لبني العبَّاس؛ قال ابن شرَف: وفي جُمادى الآخرة، أمر الـمُعِزُّ بن باديس بإحضار جماعة من الصبَّاغين، وأخرج لهم ثيابًا بِيضًا من فُنْدَق الكَتَّان، وأمرهم أن يصبغوها سُودًا، فصبغوها بأحْلَكِ السَّواد، وجمع الخيَّاطين، فقطعوها أثوابًا[5]، ثمَّ جمع الفقهاءَ والقُضاةَ إلى قصره، وخَطِيبَي القَيْرَوان وجميعَ الـمُؤذِّنين، وكساهم ذلك السواد، ونزلوا بأجمعهم، وركب السلطان بعدَهم حتَّى وصل إلى جامع القَيْرَوان، ثمَّ صَعِدَ الخطيبُ الـمِنْبَرَ، وخطب خُطْبَةً أتى فيها على جميع الأمر بأجزل لَفْظ وأحسن مَعْنى، ثمَّ دعا لأبي جعفر عبدِ الله القائم بأمر الله العبَّاسي، ودعا للسلطان الـمُعِزِّ بن باديس، ولولده أبي الطاهر تَـمِيمٍ[6] وَليِّ عهده من بعده، ثمَّ أخزى بني عُبَيْد الشيعة ولَعَنَهم.

---

(١) ليست في ر١.

(٢) في ر١: «فقتل».

(٣) ليست في ر١.

(٤) كذلك.

(٥) كذلك.

(٦) كذلك.

ذكرُ ما قيل من أخبارهم

قال أبو عبد الله محمَّد بن سَعْدُون بن عليّ في تأليفه[1] «في تعْزِية أهْل القَيْرَوان بما جرى على البُلْدان من هَيَجان الفِتَن وتَقَلُّب الأزمان»، قال فيه: بابٌ أذْكُرُ فيه أوَّلَ من وضع هذه الدعوةَ التي شرع فيها عُبَيْد الله وذُرِّيتُه، والسببَ الذي دعاهم لذلك، وبابٌ أذْكُرُ فيه تَسْيِيرَهم الرُّكْبان بدَعْوتهم ودُعاتهم إلى البلدان، وبابٌ أذْكرُ فيه عُبَيْد الله ونَسَبَه وانْتِماءَه إلى النبيِّ ﷺ كاذِبًا وسَبَبَ مِلْكِهِ الـمَغْرِبَ كلَّه[2].

قال: فأوَّلُ من نصب هذه الدعوة، جَدُّ عُبيد الله وهو عبد الله بن مَيْمون القدَّاح الأهْوازيُّ[3]، لعنه الله، وكان أبوه ميمون تنتسب إليه فرقةٌ من أصحاب أبي الخطَّاب، تُعرف بالـمَيْمُونيَّة. وذكر من جُملة كلامه قال: وكان عبدُ الله ادَّعى لنفسه النُّبُوة، فقُصِد لسفك دمه، فاختفى، ثمَّ هربَ من وطنه، وفرَّ على وجهه، متنقلًا في البلاد، مستترًا، يستر اسمَه ومذهَبه؛ لئلاَّ يُقتل إن عُرف، إلى أن وافته منيَّتُه بأقبح علَّة في الشام، وأراحَ اللهُ منه. وأُخذ جماعةٌ من أصحابه، فقُتلوا عن آخرهم.

ثم ذكر دُعاتَهم، وما كان منهم مع غُواتهم، فقال: فمنهم رَجُلانِ، أحَدُهما يُعرف بالنجَّار الكُوفيّ، فخرجا من الشام، وتغلَّبا على اليَمَن، فأنزل الله عليه الأكِلَة، فتقطَّع قِطَعًا حتَّى مات، وخلَّف ابنًا له، فكان يكتب إلى أصحابه: «مِن ابْنِ رَبِّ العالمين» تعالى اللهُ عن قوله، فسار إليه ابنُ نُصَيْر، فأظفره الله به، فقتله، ودخل مدينته، فانتهبها، وسباها. وأمَّا الكوفيُّ، فرماه اللهُ تعالى بداء في جوفه، فكانت أمْعاؤُه تخرج من دُبُره، حتَّى مات.

وأمَّا بالشام، فذكر جماعةً أبادهم اللهُ تعالى، وكذلك بالبَحْرَيْن أيضًا. ثمَّ قال: وإنَّما دعاهم لهذا الكفر عبدُ الله بن مَيْمون القدَّاح؛ لأنَّه صحب قِرْمِطًا، ودعاه إلى مذهبه، فطاوعه على ذلك، وقد اشتهرَ استخفافُهم بالدِّين، وكثرت به الأخبار والأحاديث. وكان مـمَّن أظهر مذهبهم، وأعلن به: أبو عُبَيْد الـجَنَّابِيّ، وَقْتَ تغلُّبه على البَحْرَيْن،

(١) بعد هذا في أ: «وتصنيفه».

(٢) ليست في ر١.

(٣) ينظر تاريخ الإسلام للذهبي ٤/ ١١٤٢.

فإنَّه وضع عنهم جميعَ الفرائض، وأعلن بالزنا، واللواط[1]، والكَذِب، وشُرْب الخمر، وتَرْكِ الصلاة. وكذلك صَنَعَ الأَصْبَهانيُّ، وحرَّم على الغِلْمان[2] الامتناع مـمَّن أراد أن يفعل بهم[3]، وجعل حَدَّ من امتنعَ منهم الذَّبْحَ، لعنه الله، وكانت له ليلةٌ تُسمَّى الإمامية، يجمع فيها نساءَه ونساءَهم، فمن وُلِدَ من تلك الليلة يسمَّى وَلَدَ الإخوان.

قال: وقد ادَّعى الحاكِمُ من بني عبيد الله الرُّبوبيَّة[4]، وجعل رجلًا سمَّاه بالهادي يدعو الناس إلى ذلك، وادَّعى معَدٌّ منهم النبوة، وجعل من نادَى فوق صَوْمَعة جامع القَيْرَوان: «أشهدُ أنَّ مَعَدًّا رسولُ الله!» فارتجَّ البلدُ لذلك، وداخَلَ أهْلَه الرُّعْبُ، فأرسل من سَكَّنَ الناسَ، وكلُّ مَن كانوا يرسلونه إلى بلدٍ، فإنَّما يأمرونه بإظهار الإسلام والخير، حتَّى يتمكَّن مـمَّا يُريد.

وأمَّا نَسَبُ عُبَيْد الله الذي تلقَّب[5] بالـمَهْديِّ، فإنَّ اسْمَه سعيد، وإنَّما تسمَّى بعُبَيْد الله ليُخْفِي أمره؛ لأنَّه كان عليه الطلبُ من الحُسين بن أحمد بن محمَّد. وكان لمحمَّد هذا ولدٌ يُلَقَّب بأبي السلَعْلَع[6] بن عبد الله بن مَيْمون القدَّاح، فبعث بداعِيَيْنِ أخَوَيْنِ إلى المغرب، فنزلا في قبيلة تُعرف بكُتامة، فدَعَوا أهْلَها، فاستجابوا لهما[7]: أحدُهما حُسَيْنٌ، يُكْنَى بأبي عبد الله الشيعيّ، وسمَّوه الـمُعَلِّم، والآخر سمَّوه الـمُحْتَسِب، وهو أبو العبَّاس المخطوم[8]، المتقدِّم ذكرُهما[9] فأظهرا من أنفسهما الزُّهْد والوَرَع،

---

(١) ليست في ر١.

(٢) في ر١: «الصبيان».

(٣) ليست في ر١.

(٤) في هذا مبالغة، وقد ذكر الذهبي أن الحاكم أراد أن يدعي الإلهية وشرع في ذلك، فكلمه أعيان دولته وخوفوه بخروج الناس كلهم عليه، فانتهى (تاريخ الإسلام ٩/ ١٩٩).

(٥) في أ، م: «تسمى»، وما أثبتناه من ر١، هو الأوفق.

(٦) في ر١: «بالبلعلع».

(٧) ليست في أ.

(٨) ليست في أ.

(٩) «المتقدم ذكرهما» ليست في ر١.

حتَّى افتتحا بالكَذِب والخُرْبة بلادَ إفريقية. وسار أبو عبد الله إلى سِجِلْماسة، فأخرج عُبَيْدًا من حَبْسها، فلما اجتمع به، سلَّم الأمر إليه، وانسلخ[1] له منه، فلم يلبث إلَّا يسيرًا وقتله بنو أخيه.

ولـمّا وصل عُبيد الله، لعنه الله، إلى رَقَّادة، أرسل إلى القَيْرَوان من أتاه بأبي إسحاق إبراهيم بن محمَّد المعروف بابن البِرْذَوْن وبابن هُذَيْل، وكانا من العُلماء الخاشعين لله. فلمّا وصلا إليه، وجداه على سرير مُلكه جالسًا، وعن يمينه أبو عبد الله الشيعيُّ الذي وَلَّاه الـمُلك وسلَّم له فيه، وعن يساره أبو العبَّاس أخوه. فقال لهما أبو عبد الله وأخوه: «اشهدا أن هذا رسولُ الله» فقالا جميعًا بلفظ واحد: «والله الذي لا إله إلَّا هو لو جاءَنا هذا، والشمسُ عن يمينه، والقمرُ عن يساره، وينطقان، فيقولان: إنَّه رسولُ الله، ما قلنا: إنَّه هو»، فأمر عُبيد الله، لعنه الله، عند ذلك بذبحهما وربطهما في أذناب الخَيل، وأن يُشَقَّ بهما سِماطُ القَيْرَوان، ففُعل ذلك بهما، رحمة الله عليهما.

وقال أبو عبد الله الشيعيُّ يومًا لأبي عثمان سعيد ابن الحدَّاد العالِم: «القرآن يُخبِر أنَّ محمَّدًا ليس بخاتم النبيِّين في قوله: ﴿وَلَـٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، فخاتمُ النبيين غيرُ رسول الله. فقال أبو عثمان: هذه الواو ليست من واوات الابتداء، وإنَّما هي من واوات العَطْف، مثلُ قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْـَٔاخِرُ وَٱلظَّـٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ [الحديد: ٣]. وقال له مرَّةً أُخرَى: إنَّ الله أخبر أنَّ أصحاب محمَّد ﷺ يَرْتَدُّون لقوله: ﴿أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِـلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٤٤]»، فقال أبو عثمان: هذا إنَّما هو على الاستفهام، كقوله سُبْحَانَهُ: ﴿أَفَـإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَـٰلِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٤].

ولـمّا تمكَّن عُبَيْد الله الشيعيُّ من الـمُلْك، قتل أبا عبد الله الداعيَ، وأخاه، وانتقم اللهُ منهما على يدَيْ مَنْ سَعَيَا له، وقتلا الخَلْقَ بسببه، حتَّى أخرجاه من حَبْس سِجِلْماسة، وسلَّما له في الـمُلْك، ولم يُقيما معه إلَّا سنةً أو نَحْوَها، ثمَّ سلَّطه اللهُ على كبار كُتَامَةَ الذين سَعَوْا في إقامة مُلْكه، فقتلَ جميعَهم. ثمَّ تمادت دولته ودولةُ أبنائه نحو ثلاث مئة سنة، ملكوا من مَضِيق سَبْتَة إلى مَكَّة، شرَّفها الله؛ لأنَّ[2] عُمَّـاله

---

(١) من هنا إلى آخر الفقرة ليست في ر١.

(٢) من هنا إلى قوله: «ويرجعون» ليست في ر١.

كانوا يَصِلُون إلى مَضِيق سبتة، فيعاينوها، ومن هناك يرجعون. وهذا دليلٌ على هَوَانِ[1] الدنيا على الله وصِغَرِ قَدْرها عنده؛ إذ مَكَّنَ فيها لهؤلاءِ الكَفَرة الفُجَّار يَسومون أوليَاءَ الله سُوء العَذَاب، والمعادُ القيامة، والحاكم الله[2].

وخرجَ في دولة عُبَيْد الله شيخٌ للسَّفَر، ومعه خيلٌ، فباتوا في مسجد بخيولهم. فقِيلَ لهم: كيف تُدْخِلون خيولَكم المسجدَ؟ فقال لهم الشيخ وأصحابُه: إن أرواثَها وأبوالَها طاهرةٌ؛ لأنَّها خيلُ الـمَهْديّ. فقال لهم القَيِّم بالمسجد: إنَّ الذي يَخرج من المهديّ غير طاهر[3] فكيف الذي يَخرج من خيله؟ فقالوا له: طَعَنْتَ على المهديّ. فأخذوه وذهبوا به إليه، فأخرجه عشيَّةَ جُمُعةٍ، فقتله. فلمّا قُرِّب للموت، دعا عليه، فأجاب الله دُعاءَه. فامْتَحَنَه بعِلَّةٍ قبيحةٍ يُقال لها: حبُّ القَرْع، وهي دُودٌ على صورة حَبِّ القَرْع في آخِرِ مَخْرَجه، تأكل أحشاءَه وما والاها، فكان يُؤتى بأذناب الكِباش العظيمة، فيستدخلُها في نفسه، لتشتغل عنه الدُّود بها، فيَجِدُ لذلك بعضَ راحةٍ لشُغْلها بالأذناب، ثمَّ يُخرج الأذناب، وقد هَتَكَتْها الدُّود، يُدخل أُخرى في دُبُره، ثمَّ لم تزل الدُّودُ تأكل حتَّى انقطعت مَذَاكِرُهُ، وهَلَكَ. ولـمّا هلك، أُتِيَ بابن أُخْتِ الغَسَّانيّ الـمُقْرِئ ليقرأ عند رأسه، وكان من أطْيَب الناس قراءَةً، وحَوْلَ عُبَيْد الله أبناؤُه يبكون عليه، فقال البَغْدَاديُّ للغَسَّانيِّ: اقْرأ. قال: فطلبتُ ما أقرأُ من القرآن، فلم أتذكَّرْ منه إلا قَوْلَه تعالى: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَأَوْرَدَهُـمُ ٱلنَّـارَ﴾ [هود: ٩٨]، إلى آخر الآية. قال: فطلبتُ غير هذه الآية أقرأُهُ، فلم أقدر، فكنتُ أُرَدِّدُها حتَّى خشيتُ على نفسي أن يُفيقوا من بُكائهم، فيتأمَّلُون قِراءَتي، فيقتلوني، فتسلَّلْتُ وخرجتُ.

وذُكِرَ أنَّ الحَجَر الأسود أرْسَلَهُ اللعين الـجَنَابيُّ إلى عُبيد الله بالمهديَّة، فلم يلبَثْ إلَّا أيَّامًا وهلك كما ذكرنا. فلما دُفن، طَرَحَتْه الأرض، ثمَّ دُفن[4]، فطَرَحَتْه الأرض ثلاثًا.

---

(١) في أ، م: «أن هوان»، وما هنا من ر١، وهو أوفق.

(٢) «والعماد القيامة والحاكم الله» ليست في ر١.

(٣) في ر١: «نجس».

(٤) «ثم دفن» ليست في ر١.

فقيل لابنه أبي القاسم: إنَّ هذا لأجْل هذا الـحَجَر، فارْدُدْهُ حيث كان. فأمر بإخراجه وردِّه إلى موضعه، فعند ذلك استقرَّ عُبيد الله[1] في قبره.

ثمَّ ولي ولدُه أبو القاسم من بعده، فلم يزل في شُغْل وحُزْن، وبعثَ الله عليه أبا يزيدَ مَخْلَد بن كَيْدَاد، فقهرَهُ وخرجَ عليه وقتل جنودَه، وقام المسلمون معه[2] عليه، كما تقدَّم ذكره. ولـمّا كان يومُ جُمُعةٍ، طلع الإمام على المنبر، وهو أبو إبراهيم أحمدُ بن محمَّد بن أبي الوليد، فخطب خطبةً بليغةً، وحرَّض الناسَ على جهاد الشيعة، ثمَّ قال: «اللَّهُمَّ إنَّ هذا القِرْمِطيَّ الكافرَ المعروفَ بعُبيد ادَّعى الرُّبُوبيَّة من دون الله، جاحِدًا لنعمتك، كافرًا برُبُوبيَّتك فانصرنا اللَّهُمَّ عليه، وأرِحْنا منه ومن دولته، وَاصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا، بعد أن تجعلَه في دُنياه عِبْرَةً للسائلين، وأحاديثَ في الغابرين، وأهْلِكِ اللَّهُمَّ شيعتَه، وشَتِّتْ كلِـمَتَه!» ومات أبو القاسم بن عُبيدالله مَحْصُورًا، وفي نفسه مقهورًا[3].

ثمَّ ولي بعده ابنُه إسماعيل، فأظهرَ للعامَّة الجميلَ. فلمَّـا استَفْحَلَ أمْرُه، وقويتْ شوكتُه، أرادَ أن ينتقمَ من الـمُسلمين فيما تقدَّم لهم من حَرْبه وحرب أبي القاسم والدِه، فحالَ الله، عزَّ وجلَّ، بينه وبين ما أرادَ، وأجاب دعاءَ المؤمنين فيه، فأهلكه الله بالعطش، حتَّى ماتَ.

ثمَّ وَلِيَ ابنُه مَعَدٌّ، فادَّعى النُّبُوَةَ، وصوَّت المؤَذِّنُ بذلك فوق صَوْمَعة القَيْرَوان بأمره، فضجَّ المسلمون لذلك، فلمّا بلغه ذلك[4]، داخله الرُّعْبُ، وأرسل إلى الناس يُـهَدِّؤهم إلى أن خرجَ إلى مِصْرَ، فدخلها بالـمُنْكَر والبَغْي، فابْتَلاه اللهُ بعِلَّةِ الاستِسْقاء، فكان الذي يقعد عند رأسه لا يَرَى رجلَيْه، وسالت عَيْناهُ، وسقطت أسنانُه، وأراه اللهُ العِبْرَةَ في نفسه، ثمَّ مات.

---

(١) ليست في ر١.

(٢) كذلك.

(٣) «وفي نفسه مقهورًا» ليست في ر١.

(٤) ليست في ر١.

وولي بعده نِزارٌ الـمُكْنَى بأبي المنصور، فحَدَثَ في أيَّامه من سَبِّ الصحابة - رضي الله عنهم - ما حَدَثَ، ثمَّ تشوَّفت نفسُه مع أحواله الدنيَّة، إلى أن يستحضر العلماءَ من أهل القَيْرَوان، ثمَّ حدث عليه بالشام ما أشغله، فخرج إليها، فلما وصل إلى بِلْبيس[1]، مات في مِرْحاض الحمَّام.

ثمَّ ولي بعده الحاكِم، فأظهر أكْثَرَ مذهبهم، فكان ممَّا أحدث أنَّه بنى دارًا، وجعل لها أبوابًا وطِباقًا، وجعل فيها قُيُودًا وأغلالًا، وسمّاها جَهَنَّمَ، فمن جَنَى جِنايةً عنده، قال: أدْخِلُوهُ جَهَنَّمَ!، وأمر أن يُكتب في الشَّوَارِع والجوامِع بسبِّ الصحابة، ولعْنِهم - رضي الله عنهم - أجمعين. ثمَّ أرسل داعيًا إلى مكَّة، فلمّا طلع المنبر، وذكر ما ذكر، اقتحم عليه بنو هُذَيْل، فقُطِّع قِطْعَةً قِطْعَةً، وكُسِر المنبرُ، وفُتِّتَ، حتَّى لم يجتمع منه شيءٌ. ثمَّ أرسل رجلًا خُراسانيًّا من بني عَمِّه، فضَرب الحَجَرَ الأسود بدَبُّوس، فقُتِل من حينه، وأخذه الناسُ قِطْعةً قطْعةً، وأُحرق بالنار. وأرسل، لعنه الله، إلى مدينة الرسول ﷺ مَنْ يَنْبش القبر المعظَّم، فسَمِعَ الناس صائحًا يقول: «القبر يُنْبَش» ففتَّشه الناسُ، فوجدوه وأصحابَه، فقتلوهم. ثمَّ إنَّه ادَّعى الرُّبُوبيَّة من دون الله، وجعلَ داعيًا يدعو الناسَ إلى عبادته، وسمَّاه المهديَّ، فكتبَ داعيه الكتابَ، وكان اسمُه حمزة، وذلك في[2] سنة عشر وأربع مئة، وقُرِئَ بحضرة الحاكِم لعنه الله، على أهل مملكته، ذكر فيه، تعالى اللهُ عن إبطال الـمُبْطِلين علوًّا كبيرًا: «الحمدُ لمولاي الحاكِم وَحْدَهُ، باسمك اللَّهُمَّ الحاكِم بالحقِّ» ثمَّ تمادى، فقال: «توكَّلتُ على إلهي أميرِ المؤْمنين، جَلَّ ذِكْرُهُ وبه نَسْتَعينُ في جميع الأُمور»، ثم طوَّل في الكتاب بالتخليط: فمرَّةً يجعله أميرَ المؤمنين، ومرَّةً يجعله الإلٰهَ، وقال فيه: «وأمرني بإسقاط ما لا يلزمكم اعتقادُه من الأديان الماضية، والشرائعِ الدارسة» وذكر قبائحَ[3] يطول ذكرُها. وكانت

---

(١) في م: «السبر» وفي ر١: «المنسير» وكله تحريف صوابه ما أثبتناه من وفيات الأعيان ٥/ ٣٧٤، وتاريخ الإسلام ٨/ ٦٠١ وغيرهما.

(٢) ليست في ر١.

(٣) في أ، م: «أشياء».

له رايةٌ حمراءُ تحت قصره، فاجتمع إليه خلقٌ نحو خمسة عشر ألف رَجل فيما قيل، ثمَّ إنَّ رجلًا من التُّرْك قتل كاتِبَه حَمْزة، فأظهر الحاكِمُ أنَّه أمر بقتله. وكان الحاكِمُ كثيرَ التصرُّف بالليل إلى جبل الـمُقَطَّم على حمار، فخرج ليلةً[1]؛ فقُتِلَ هو وحمارُه.

ثمَّ وَلِيَ بعده عليٌّ المتلقِّب بالظاهِر، فكان مشتغلًا بالشُّرب، منهمكًا فيه، يلبس ثياب النِّساء، حتَّى يظنَّه الناسُ إذا مشى مَعَهُنَّ امرأةً، ثمَّ أصابه الاستسقاءُ، حتَّى صار كالعَدْل، فمات.

ثمَّ ولي بعده مَعَدٌّ الملقَّب بالـمُسْتَنْصِر، فمرَّةً يُظهر السبَّ، ومرَّةً يكفُّ ويُسكِّنُ الناسَ، فإذا مشى في جنوده، كان بين يديه الشَّبَّابة ومَنْ يُنشد الشِّعر. وذُكر أنَّه أرسل مَن كتب السَّبَّ في أستار الكعبة في ليلةٍ ظَلْمَـاءَ، فأصبح الناس، فوجدوه، فضجَّ المسلمون لذلك، وأكثروا البكاءَ لسبِّ الصحابة، رضي الله عنهم.

قال ابن سَعْدُون: وعلى هذا بَنَوْا أصْل مَذْهَبهم[2] أنَّهم يُظهرون الدِّين والخير، حتَّى يتمكَّنوا. قال المؤَلِّفُ: انتهى ما لَـخَّصْتُه من كتاب ابن سَعْدُون.

وذكر ابن القَطَّان عنهم أنَّهم قومٌ من الرافِضة، يَدَّعُون النَّسَب إلى عليّ، رضي الله عنه، وأكثرُ اعتقاداتهم كُفْرٌ. ولـمّا مات الـمُسْتَنْصِر ابن الظاهِر، وَلِيَ بعده ولدُه[3] الملقَّب بالـمُسْتَعْلِي[4]، وكان أشْبَهَ من غيره سياسةً، لا دينًا. فلما توفِّي هو، ووزيرُه الأفْضَل، استبدَّ ولدُه وتسمَّى بالآمِر بحُكْمِ الله[5]. وكان جبَّارًا عنيدًا ظالـمًا جائرًا، وكَثُرَ في زمانه دَعْوَى الباطل، ونَصْرُ الظالم على المظلوم، وإعانَتُه على ظلمه. واستخلص لنفسه فَتَـيَيْنِ من الفِتْيان الوضاءِ[6] الوجوه، اتَّخذهما للفاحشة، وكان رِزْقُ كلّ واحد

(١) في أ، م: «ليلًا».

(٢) في أ: «أصلهم».

(٣) ليست في ر١.

(٤) المنتظم لابن الجوزي ٩/ ١٣٣.

(٥) ينظر اتعاظ الحنفا ٣/ ٢٩ وهو الآمر بأحكام الله.

(٦) في ر١: «الحسان».

منهما ألفَ دينار في كلّ يوم، وكان يعمل النزاهة[1]، ويبيح للناس فيها المحظُورات، فلا يشاءُ مُؤْمِنٌ أن يعاين مُنْكَرًا مُباحًا إلاّ عايَنَهُ.

ثمَّ ولي بعده عبدُ المجيد، الملقَّب بالحافِظ لدين الله[2]، ابن الـمُستنصِر، بويع في اليوم الذي قُتل فيه الآمِر، وخُطِب له على المنابر، ووزر له أبو عليّ أحمد[3] ابن الأفضل أمير الجيوش، ثمَّ استولى أبو عليّ على الأمِر.

وجملة الحال من سنة ست وعشرين إلى سنة اثنتين وثلاثين وخمس مئة، كانت لهم فيها محاولات شنيعةٌ وأمورٌ فظيعةٌ، منها[4] قَتْلُ الآمِر، وانتزاءُ قاتِله حِرْزِ الـمُلوك، وقَتْلُه، واستيلاءُ ابن الأفْضَل، وقَتْلُه، وظهورُ عبد المجيد، وما كان من الأُسْقُف من النَّفْر، والأمر بعبادة عبد المجيد وقَتْله، ثمَّ استيلاءُ حُسين بن عبد المجيد، والقيامُ عليه، إلى أن قَتَلَ نفسه بسمٍّ، ورجوعُ عبد المجيد إلى الولاية.

رَجْعُ الخَبَر: وفي سنة ثلاث وأربعين وأربع مئة: وردت الأخبار أنَّ محمَّد بن جَعْفَر الكُومِيَّ ولي القضاءَ بمصرَ، ولُقِّبَ قَاضِيَ القُضاة ودَاعِي الدُّعاة. قال ابن شَرَف: فنعوذُ بالله من سوءِ العاقِبة! لأنَّ قاضيَ القوم منهم وعلى مذهبهم، يعني الشيعة.

وفيها: وصلت إلى القَيْرَوان مُكاتَبةٌ من الأمير جُبَارة بن مُختار العَرَبيّ[5] من بَرْقة بالسَّمْع والطاعة للمُعِزِّ بن بادِيس، وأخبر أنَّه وأهْلَ بَرْقة قد أحرقوا المنابِرَ التي كان يُدْعَى عليها للعُبَيْدِيَّة، وأحرقوا راياتِهم، وتبرَّؤوا منهم، ولعنوهم على منابرهم، ودعَوْا للقائم بأمر الله العبَّاسيّ.

وفي هذه السنة: كان أوَّلُ الفتنة بإفريقية.

---

(١) في ر١: «النزاهات».

(٢) اتعاظ الحنفا ٣/ ١٣٥.

(٣) ينظر الكامل لابن الأثير ١٠/ ٦٧٢-٦٧٣، وتاريخ الإسلام للذهبي ١/ ٤٣٣-٤٤٤ في وفيات سنة ٥٢٦هـ.

(٤) بعض ما يأتي كان قبل سنة ٥٢٦ مثل قتل الآمر.

(٥) في ر١: «العز في» وليس بشيء، وجبارة بن مختار هذا أمير عرب برقة، وينظر الكامل لابن الأثير ٩/ ٥٦٦ فما بعدها.

ذِكْرُ طرَفٍ من الفِتْنة العظيمة[1] ودمارِ القَيْرَوان

قال ابن شَرَف: لـمّا آل الأمر إلى التَّصريح بلعنة بني عُبَيْد على المنابِر، وأمرِ الـمُعِزِّ بن باديس بقتل أشياعهم، أباح بنو عُبَيْد للعَرَبِ مجازَ النِّيل، وكان قَبْلَ ذلك ممنوعًا، لا يجوزُه أحَدٌ من العَرَب، ثمَّ أمر لكلِّ جائزٍ منهم بدينار، فجاز منهم خَلْقٌ عظيم، من غير أن يأمرهم بشيء؛ لعلمه أنَّهم لا يحتاجون لِوَصِيَّةٍ، فجازوا أفواجًا، وأقاموا بناحية بَرْقة. ومضت الأيَّامُ على ذلك مُدَّةً. ثمَّ قدم منهم مُؤْنِس بن يحيى الرِّيَاحيُّ[2] على المعزّ، وكان الـمُعِزُّ كارهًا لإخوانه صُنْهاجة، مُحِبًّا للاستبدال بهم، حاقدًا عليهم، ولم يكن يُظهر ذلك لهم. فلَطُفَ عنده محلُّ مُؤْنس هذا، وكان سَيِّدًا في قومِه، شجاعًا، عاقلًا، فشاوره الـمُعِزُّ في اتِّخاذ بني عَمِّه رِيَاح جُندًا، فأشار عليه بأن لا يفعل ذلك، وعرَّفه بقلَّة اجتماع القوم على الكَلِمة، وعَدَمِ انقيادِهم إلى الطاعة، فألَحَّ عليه في ذلك، إلى قال له الـمُعِزُّ: إنَّما تريد انفرادَك؛ حَسَدًا منك لقومك. فعزم مؤنس على الخروج إليهم، بعدما قدَّم العُذْرَ، وأشْهَدَ بعضَ رجال السلطان، ثمَّ رحل متوجِّهًا نحوهم، فنادى في القوم، وحَشَدَهم، ووعدهم، وغبطَهم، ووصف لهم كرامةَ السلطان والإحسان لهم، ثمَّ قَدِم في رَكْبٍ منهم، لم يعهدوا نعمةً، ولا طالعوا حاضرةً، فلمَّا انتهوا إلى قَرْيةٍ، تنادَوْا: «هذه القَيْرَوان!» ونهبوها من حينها.

فلمّا ورد الخبر على القَيْرَوان، عظم الأمر على الـمُعِزّ بن بادِيس وقال: إنَّما فَعَلَ مُؤْنِسٌ هذا[3] ليُصَحِّحَ قَوْلَه، ويُظْهِرَ نُصْحَهُ. فأمر بِثِقاف أولاده وعياله[4]، وختم على داره، حتَّى يعلمَ ما يكون من أمره، فلمَّا بلغ مُؤْنِسًا ما فعل بأهله وولده، اشتدَّت نِكايتُه، وعَظُمَ بلاؤُه، وقال: قَدَّمْتُ النصيحة فحَاقَ الأمْرُ بي، ونُسِبَت الخطيئَةُ إليَّ! فكان أشَدَّ إضرارًا من القوم. وكان قد علم عَوْراتِ القَيْرَوان. ثمَّ أخرج السلطانُ

---

(١) «العظيمة» ليست في ر١.

(٢) له ذكر في تاريخ ابن خلدون ٤/ ٦٢-٦٣، ١٥٩، واتعاظ الحنفا ٢/ ٢١٧.

(٣) ليست في ر١.

(٤) هكذا في النسختين، وكأنه يريد: بالتحوط على أولاده وعياله.

إليهم بَعْضَ الفُقهاء، ومعهم مكاتبات وشروطٌ ووَصَايا، وأعلموهم أنَّ السلطان قد[1] دفع عِيَالاتِهِم لهم، وأخذوا عليهم العهود والمواثيق بالرجوع إلى الطاعة، وأرسلوا شيوخًا منهم بذلك، ثمَّ بعد ذلك نكثوا[2] على السلطان، واستولَوْا على الفساد بكلِّ جهة ومكان.

ذكر هزيمة العَرَب للمُعِزّ بن بَادِيس[3]

لـمّا كان ثاني عيد الأضْحَى من هذه السنة، كانت الداهيةُ العُظْمَى والـمُصيبة الكُبْرَى، وذلك أنَّ السلطان عيَّد يومَ الاثنين، ومَشَى صباحَ هذا اليوم إلى ناحية قرية تُعرف ببني هِلاَل، فلما كان نصف النهار، أتَتْه الأخبار أنَّ القومَ قد قربوا منه بأجمعهم. فأمر بالنزول في أوعارٍ وأوديةٍ، فلم يستتمَّ النزول حتَّى حَمَلَ العَرَبُ عليهم حملةَ رَجُلٍ واحدٍ، فانهزم العسكر[4]، وصبر الـمُعِزُّ صبرًا عظيمًا، إلى أن وصلت رماحُ العَرَب إليه، ومات من العَبِيد[5] بين يَدَيْه خلقٌ عظيمٌ فَدَوْه بأنفسهم. وأمَّا بنو مَنَاد وجميعُ صُنْهاجة وغيرُهم من القبائل، فإنَّهم فرُّوا وانتَهبت العرَبُ مضارِبَهم، ودخل العَرَبُ مُعَسْكَر الـمُعزّ[6]؛ فحازُوه، وفيه من الذهب والفضَّة والأمتعة والأسباب والأثاث والخفّ والكراع ما لا يعلم عَدَدَه إلَّا الله. وكان فيه من الأخبية وغيرها ما يتجاوز عشرة آلاف، ومن الـجِمال نحوُ خمسة عشر ألفًا، ومن البغال ما لا يُحْصيه قولٌ. فما خَلُص لأحد من الـجُند عِقَالٌ فما فَوْقَهُ، وسلك أكثرُ الناس الجبلَ المعروف بحَيْدَرَان، فافترقوا فيه. ثمَّ رجع بعضُهم على بعض، وليس عند أهل القَيْرَوان خبرٌ بذلك، إلَّا أنَّهم كانوا تحت توقُّع وتشوُّف. فلمّا كان ثالثُ العيد، قَدِم فارسان مع ابن

---

(١) ليست في ر١.

(٢) «ثم بعد ذلك نكثوا» ليست في أ.

(٣) بعد هذا في ر١ : «السلطان».

(٤) في ر١ : «جيش المعز».

(٥) في ر١ : «عبيده».

(٦) بعد هذا في أ، م: «السلطان».

البَوَّاب، وهم قد غلبَتْ عليهم الكآبةُ وكسوفُ البال، وحالُهم تُغْنِي عن السؤال، وكثر أيضًا سؤَالُ الناس عن السلطان، فذكروا أنَّه في حَيِّز السلامة، فلم تَكُ إلَّا ساعةٌ حتى دخل قصْرَه هو وولدُه. ثمَّ تساقَطَ الناسُ بعده آحادًا وجموعًا، وتخلَّف عن الوصول خلقٌ عظيمٌ، فمنهم من عُلِمَ خَبَرُه، ومنهم من لم يُعْلَم. ثمَّ ذُكِرَ أنَّ العَرَب أخذوا خلقًا كثيرًا من الصُّنْهاجيّين وغيرهم.

قال ابن شَرَف: وكان عَدَدُ العسكر المهزوم ثلاثين[١] ألف، ومن الرَّجَّالة ما يَلِيقُ بذلك. وكانت خيلُ العَرَب ثلاثةَ آلاف فارس، ومن الرَّجَّالة ما يَلِيقُ بذلك[٢]. وفي ذلك يقولُ عليُّ بن رِزْق من قصيدة له في ذلك، أوَّلُها[٣] [من الطويل]:

لقَدْ زَارَ وَهْنًا من أُمَـيْمَ خَيَـالُ ... وأيْدِي الـمَطَايا بالذَّميلِ عِجَـالُ

إلى أن قال[٤]:

ثَلَاثُـون أَلْفًـا مِـنْكُمُ هَـزَمَتْهُمُ ... ثلاثـــةُ آلافٍ انَّ ذَا لَنكــــالُ

ووصل العَرَبُ إلى نواحي القَيْرَوان، وجعل كلُّ مَنْ سَبَقَ إلى قريةٍ يُسَمِّي نَفْسَه لهم، ويُؤَمِّنُهم، ويُعطيهم قَلَنْسُوتَه أو رُقعةً يكتبها لهم علامة[٥]؛ ليُعلم غيره أنه سبقه. وبات الناسُ ليلَتَيْن بالقَيْرَوان تحت ما لا يعلمه إلا الله تعالى من الخوف. لا يدرون ما ينزل بساحتهم. وأقامَ الناسُ يومَيْن، لا يدخل إليهم داخلٌ ولا يخرجُ منهم خارجٌ، وخيلُ العَرَب تسرحُ حَوْلَ القَيْرَوان في كلِّ جهة ومكان، والناسُ يرونهم عيانًا بيانًا. وخرج السلطان سابعَ عيد الأضحى بجنوده، وخرجَ عامَّةُ القَيْرَوان معه، فلم يَتَعَدَّ بهم المصلَّى. ورجع العَرَبُ في أمانهم الذي أعطَوْا أهلَ البوادي، وانتهبوا جميعها، وانتقل أهلُها إلى القَيْرَوان. وأمر السلطان كافَّةَ الناس بانتهاب الزُّروعات المحيطة

---

(١) في أ، م: «ثمانين»، وسيأتي في الشعر ما يصحح الثلاثين.

(٢) في ر١: «بهم».

(٣) قوله: «في ذلك أولها» ليس في ر١.

(٤) في أ، م: «وفيها».

(٥) ليست في ر١.

بالقَيْرَوان وصَبْرَة، وهي المنصوريَّة، فسُرَّ المسلمون[1] بذلك. وحَسِبوها من أرزاقهم. وكان مَصِيرُها إلى ما قدَّر الله من فسادها وأكْل البهائم لها.

وفي السابع عشر لذي حجَّة: ظهرت خيلُ العَرَب على ثلاثة أميال من القَيْرَوان. فنزل السلطان يمشي فيها، ويُوصي أهلَها بالاحتفاظ والبناءِ، وأخذ الناسُ في بناءِ دُورهم. وأمر السلطان الـمُعِزُّ أن ينتقل عامَّةُ أهلِ صَبْرة وسُوقَتِها إلى القَيْرَوان، ويُخْلوا الحوانيت كلَّها بصَبْرة، وأمر جميع مَن بالقَيْرَوان من الصُّنْهاجيّين وغيرهم من العسكر، أن ينتقلوا إلى صَبْرة، وينزلوا في حوانيتها وأسواقها، فارتجَّ البلدُ لذلك، وعظُم الـخَطْبُ، واشتدَّ الكَرْبُ. ومدَّ العَبِيد ورجال صُنهاجة أيديَهم إلى خُشُب الحوانيت وسقائفها، واقتلعوها، وخربت الـعِمارةُ العظيمةُ في ساعةٍ واحدةٍ، وبات الناسُ على خوفٍ عظيم، ثمَّ أصبحوا، فعاينوا خيولَ العَرَب، فأمر السلطان ألاَّ يخرج العسكر عن[2] سور صَبْرة.

قال ابن شَرَف: أخبرني من أثِقُ به، قال: خرجتُ من القَيْرَوان وسِرْتُ ليلًا، فكنتُ أكمنُ النهار، فلم أمُرَّ بقريةٍ إلَّا وقد سُحِقَتْ وأُكِلَتْ، أهْلُها عُراةٌ أمامَ حِيطانِها، من رجل وامرأة وطفل، يبكي جميعُهم جوعًا وبردًا. وانقطع المِيرُ عن القيرَوان، وتعطَّلت الأسواق، وأمسك العَرَبُ جميعَ من أسرُوه، فلم يُطْلِقُوا أحدًا إلَّا بالفِداء مثل أُسارى الروم، وأمَّا الضُّعفاء والمساكين، فأمسكوهم لخِدْمَتِهم.

نُبَذٌ من وقعة بابِ تُونِس، أحدِ أبواب القَيْرَوَان

وذلك أنَّ العَرَبَ دَفَعتْ إلى هذا الباب، فخرج إليهم العامَّة، منهم بسلاح، ومنهم مَن بيده عصا لا يُدفع بها أضْعَفُ الكِلاب، فحَملتْ عليهم فُرسان العَرَب[3]، وتمكَّنت منهم سيوفُهم ورماحهم، فتساقطوا على وُجوهم وجُنوبهم، وسطحوهم من حدِّ أفران الآجُرّ إلى هذا الباب، ولم يَبْقَ منهم إلَّا من حَصَّنَهُ أجَلُه، ولم يتركوا

---

(١) في ر١: «الناس».

(٢) في أ، م: «على».

(٣) في ر١: «الأعراب».

على حَيٍّ ولا ميّت[1] خرقةً تُوارِيهِ. وخرج أهْلُ القَتْلى عند انصراف العَرَب، فرفعوا قَتْلاهم، فقامت النَّوائِحُ والنَّوادِبُ بكلّ جهة ومكان من أزِقَّةِ القَيْرَوان، تتصدَّع لمنظرها وسماعها الجِبالُ. وبقي خلقٌ من الغُرباء في المقتلة، وجُرح من الناس خلقٌ كثيرٌ، ورأى الناسُ ما أذهلهم من كثرة القتلى[2] وقبيح تلك الجراحات، فتفتَّتت الأكباد، وذابت القلوب والأجساد[3]، لبُنيَّاتٍ قد سَوَّدْنَ وُجوهَهُنَّ وحَلَقْنَ رؤُوسَهُنَّ على آبائهنَّ وإخوانهنَّ[4]. فكان هذا يومُ مصائبَ وأنكادٍ ونوائب[5]. ولم يَرَ الناسُ مثلَه في سائر الأمصار، فيما مضى من الأعصار. وبات[6] الناس في همٍّ وغمٍّ. تَمَّ كلام ابن شَرَف مُـخْتَصَرًا.

هزيمة صُنْهاجة أيضًا بجَبَل حَيْدَران، وهزيمة الـمُعِزّ بن بَادِيس من وَجْهٍ آخَر

قال أبو الصَّلْت: ثمَّ برز الـمُعِزُّ إلى لقاءِ العَرَب الواصلة من المشرق، وجرَّد عساكرَه، وقدَّم عليها ابنَ سَلْبُون، وزكنون بن واعلان، وزِيرِي الصُّنهاجيَّ، وعاد هو إلى القَيْرَوان. فلمّا كان عيدُ النَّحْر، انهزمتْ صُنْهاجة، وقُتل منها كثير، فخرج هو بنفسه إليهم، وانتشبت الحربُ بين العَرَب وبينه، فهزمَتْه العَرَب، وثَبَت الـمُعِزُّ في طائفة من عَبيده، ثمَّ عاد إلى المنصوريَّة، فأُحْصِيَ مَن قُتل من صُنْهاجة في هذه الوقعة، فكانوا ثلاثةَ آلاف وثلاث مئة. ثمَّ أقبلت العَرَب حتَّى نزلت على القَيْرَوان، ووقعت الحربُ هنالك، فقُتل بين رَقَّادة والمنصوريَّة خلقٌ كثيرٌ[7].

---

(١) ليست في ر١.

(٢) «كثرة القتلى و» ليست في أ، م.

(٣) في ر١: «قلوبهم وأجسادهم».

(٤) في ر١: «وإخوتهن».

(٥) «ونوائب» ليست في أ.

(٦) من هنا إلى نهاية الفقرة خلت منه ر١.

(٧) ينظر تاريخ ابن خلدون ٦/ ١٥.

وفي سنة أربع وأربعين وأربع مئة: ذهب الـمُعِزُّ بن بادِيس إلى رفع الـحَرْب بينه وبين العَرَب، وأباحَ لهم دخولَ القَيْرَوَان لما يحتاجون إليه من بيع وشراء، وبقي هو مستوطنًا المنصوريَّة مع مَن بقي من عسكره، فلمّا دخلُوها، استطالت العامّة عليهم، وأوسعَتْهم إهانةً وشَتمًا، فقتل العَرَبُ منهم خَلْقًا كثيرًا. وكان عَدَدُ العَرَب الواصلين من المشرق سبعةَ آلاف فارس وخمس مئة. وقدَّر الـمُعِزُّ أنَّ العَرَب عائدون من حيث أتَوْا، فخرج الأمرُ له بخلاف ظنِّه.

وفي هذه السنة: بنَى الـمُعِزُّ سورَ القَيْرَوَان، وسورَ زَوِيلة[1]، وجعل السورَ مـمَّا يَلي صَبْرة كالفَصِيل: حائطانِ مُتَّصِلان إلى صَبْرة، وبينهما نحو نصفِ مِيل.

وأمَّا القَيْرَوان، فهي في بسيط من الأرض، ممدودة في الـجَوْف منها نحوَ تونس، وفي الشرق نحو سُوسة والمهديَّة، وفي القِبْلة نحو سَفَاقُس، ويقرب منها البحر الشرقيُّ؛ فبينها وبين البحر مسيرةُ يوم، وسائرُ جوانبها أرضٌ طيِّبةٌ. ولا سبيل للوارد أن يدخل القَيْرَوان إلاّ بعد جوازه على صَبْرة.

وأمَّا صَبْرة، فبناها إسماعيل بن أبي القاسم بن عُبَيْد الله الشيعيّ، المتلقِّب بالمنصور، وسمَّاها المنصوريّة، واستوطنها سنة سبع وثلاثين وثلاث مئة، ثمَّ كانت منزلَ الوُلاة بالقَيْرَوَان إلى حين خرابها.

وفي سنة خمس وأربعين وأربع مئة: وَلَّى الـمُعِزُّ بن باديسَ ابنَه تَميـمًـا مدينةَ الـمَهْدِيَّة[2].

وفيها: نافق على الـمُعِزّ بن باديس أهْلُ سُوسة، وهي مدينةٌ مَنيعةٌ، حاصرها أبو يزيدَ شهورًا ثمَّ انهزم عنها، وكان عليها في ثمانين ألفًا، وفي ذلك يقول سَهْل بن إبراهيم [من الكامل]:

إنَّ الـخَوارِجَ صَدَّهَا عن سُوسةٍ ... أبدًا طِعـانُ الـسُّمْرِ والإقـدامُ

---

(١) الكامل لابن الأثير ٩/ ٥٦٩.

(٢) الكامل ٩/ ٥٦٩، وذكر ابن خلدون أن المعز ولَّى تميمًا المهدية سنة ٤٤٨.

وفي سنة ست وأربعين وأربع مئة: حاصرت العَرَبُ مدينةَ القَيْرَوان وضيَّقت عليها تضييقًا شديدًا يطولُ ذِكرُه[١].

وفيها: أخذ مُؤْنِس بن يحيى سلطانُ العَرَب مدينةَ باجة، وأطاعه أهْلُها[٢].

وفي سنة سبع وأربعين وأربع مئة: تولَّى بُلُقِّين[٣] الصُّنْهاجيُّ قَلْعَةَ حَـمَّاد.

وفيها: نافَقَ ابنُ أبي زمان على الـمُعِزِّ بن باديس.

وفيها: كانت بإفريقية مجاعةٌ عظيمةٌ وجَهْدٌ مُفْرِطٌ.

وفي سنة ثمان وأربعين وأربع مئة: وقعَ بين عَبِيد الـمُعزّ الساكنين بالمهديَّة وبين عَبِيد تَـمِيم ابْنِهِ مُنازَعةٌ أدّتْ إلى الاقتتال والمحاربة، فقامت عامَّةُ زَويلة وسائر مَن كان بها من البَحْرِيّين وغيرهم مُعَاضَدةً لعَبِيدِ تَـمِيم، فهزموهم، وأخرجوهم من المهديَّة، وقتلوا منهم عددًا كثيرًا. وسار الذين بقي منهم، يريدون اللحاق بالقَيْرَوان، فدسَّ تَـمِيمٌ خَبَرَهم إلى العَرَب، فقُتل منهم في الطريق خَلقٌ كثيرٌ، وسَبَبُ هذه المقاتلة قَتْلُ تميم عَبِيدَ أبيه بالمهديَّة، ويُقال: إنَّ الذي قُتِلَ منهم سبع مئة، وذُكِرَ أنَّ الـمُحَرِّك لقتلهم واستئصالهم قصيدةُ محمَّد بن حبيب، التي أوَّلُها [من البسيط]:

لا تُغْمِدِ السَّيْفَ حتَّى تَقْتُلَ السَّفِلاَ	السَّيْفُ يسْبِقُ قَبْلَ الـحادِث العَذلَا
فكُلُّهمْ ظَنَّ هذا الـمُلْكَ مُنْتقِلاَ	نَقِّـلْ عِـداتكَ مـن دُنْيـا لآخِـرَةٍ

وفي سنة تسع وأربعين وأربع مئة: خرج الـمُعِزُّ بن باديس من المنصوريَّة مُنْتَقِلًا إلى الـمَهْدِيَّة، لليلتَيْن بَقِيَتا من شعبان.

وفي أوَّل يوم من رمضانَ: انتهبت العَرَب مدينة القَيْرَوان وخرَّبتها[٤]، وكانت من أعظم مُدُن الدنيا، وذكر أبو عُبَيْد[٥] أنّه انتهى ما ذُبح بها من البقر خاصَّةٌ في

---

(١) الكامل لابن الأثير ٩/ ٥٦٩.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) في ر١: «بلجين»، وذكرنا غير مرة أن الكاف الأعجمية تكتب قافًا أو جيمًا.

(٤) الكامل لابن الأثير ٩/ ٥٦٩.

(٥) المغرب، ص٢٦.

اليوم الواحد سبع مئة رأس خمسين رأسًا. وقال في سنة اثنتين وخمسين: سُبِيت القَيْرَوان وأُخْلِيَتْ.

وفي سنة خمسين وأربع مئة: خَرَجَ بُلُقِّين، ومعه الأَثْبَجُ وعَدِيٌّ لحرب زَنَاتة، فكسرها وقتل منها عدَدًا كثيرًا[1].

وفي سنة إحدى وخمسين وأربع مئة: قُتِل منصور البَرْغَواطيُّ، صاحبُ سَفَاقُس، قَتَلَهُ غَدرًا حَمُّو بن ملّيلَ البَرْغَواطيُّ، ووليَ مكانَه، وذلك يومَ السبت الثاني لشوَّال.

وفي سنة اثنتين وخمسين وأربع مئة: وقعتْ بين العَرَب بالقَيْرَوَان وبين هوَّارة حربٌ كان الغَلَبُ فيها للعَرَب[2]. وقُتلتْ هوَّارة بباب الصَّوْم، أحدِ أبوابها.

وفي سنة ثلاث وخمسين وأربع مئة: قتل أَهْلُ تَقْيُوس[3] مئتين وخمسين من العَرَب. وكان سبب ذلك: أنَّ العَرَب دخلتْ إلى تَقْيُوسَ متشوِّفةً، فسمع رَجلٌ منهم رجلًا من أهل المدينة يذكر الـمُعِزَّ بخير، ويُثني عليه، فقتله العَرَبيُّ، وكان مقدَّمًا في المدينة، فقام عليهم أَهْلُ البلد، فغزَوْهم وقَتلوا من العَرَب العَدَد المذكور[4].

وفي سنة أربع وخمسين وأربع مئة: غدر الناصر بن عَلَنّاس ببُلُقِّين بن محمَّد الصُّنْهاجِيّ صاحب القَلْعة، وكان ذلك أَوَّلَ يوم من رَجَب، ووليَ مكانَه[5].

وفيها: تُوُفِّي الـمُعِزُّ بن باديس[6].

---

(١) الكامل لابن الأثير ٩/ ٥٦٩.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) ينظر عنها معجم البلدان ٢/ ٣٧.

(٤) الكامل لابن الأثير ٩/ ٥٦٩-٥٧٠.

(٥) ينظر سير أعلام النبلاء للذهبي ١٨/ ٥٩٧-٥٩٨.

(٦) تاريخ الإسلام للذهبي ١٠/ ٥٤، ولكن ابن الأثير ذكر وفاته سنة ٤٥٣ (الكامل ١٠/ ١٥)، وأشار الذهبي في تاريخ الإسلام إلى وفاته سنة ٤٥٣ (١٠/ ٤٣) ولكنه أحال إلى سنة ٤٥٤ وهو الصواب.

بعض أخبار المعِز بن باديس

كُنيتُه: أبو تَمِيم، ولَقَبُه: أوّلًا شَرَف الدولة بن أبي مَنَاد بَادِيس نَصِيرِ الدولة بن أبي الفَتْح المنْصُور عُدَّةِ العزيز بالله بن أبي الفُتوح بُلُقِّينَ سَيْفِ العزيز بالله بن زِيرِي ابن مَنَاد بن مَنْقُوش الصُّنْهاجيّ. وفي هذه الأسماء والكُنَى، يقول ابنُ شَرَف [من الخفيف]:

شَرَفُ الدَّوْلَةِ المعِزُّ بنُ بَادِيـ ـسَ النَّصِيرُ المُظَفَّرُ المِقْدَامُ

مَنْ لَهُ في العُلَى ثَلاثَةُ أبَا ءٍ: نَصِيرٌ وعُدَّةٌ وحُسَامُ

وابْنُ زِيرِي أبو الفُتوح الَّذي أعْـ ـدى أعَادِيهِ في الوَرَى الإحْجَامُ

وأبو الفَتْحِ بَعْدَ السَّيِّدُ المَنْـ ـصُورُ مَنْ صَوْبُ رَاحَتَيْهِ سِجَامُ

مولده: سنة تسع وتسعين وثلاث مئة، ووليَ المُلْكَ سنة سبع وأربع مئة: وسنُّه سبعة أعوان وشهران، وتُوُفِّي سنة خمس وخمسين[1]، وعُمُرُه ثماني وخمسون سنة؛ فكانت مملكتُه سبعًا وأربعين سنة. وفي سِنِّه وتأريخ ولايتِه، يقول ابن شَرَف [من الرجز]:

لَمَّا انقضَتْ من المِئِينَ أرْبَعُ وبَعْدَها سِتٌّ سِنِينَ تَتْبَعُ

وأوَّلُ العامِ الشريفِ السابِعُ دَارَ إليها أيْمُن طَوَالِعُ

باسم المُعِزِّ المَلِكِ المَيْمُونِ مُذِلِّ كُفْرٍ ومُعِزِّ الدِّينِ

فقُلِّد الأمرَ الشديدَ المَنْعَهْ مُنْتَهِضًا بحَمْلِهِ ابنَ سَبْعَهْ

صفته: أسْمَرُ، جميلُ الوجه، جهيرُ الصوت، حَسَن الخَلْق، بعيد الغَوْر في الأُمور، قتل الشيعةَ وقَطع دعوتَهم من إفريقية، ولعن أُمَراءَهم بني عُبَيْد على سائر مَنَابِر إفريقية، ووفَّى لكل واحد من الصحابة حقَّه، وأقام السُّنَّة، وكانت[2] متروكةً منذ مئة وأربعين سنة.

(١) هذا رأي ابن شرف.

(٢) من هنا إلى نهاية الفقرة ليس في ر١.

حكاية في ابتداءِ دولة صُنْهاجة بإفريقية(1)

لـمّا تغلَّب آلُ عُبَيْد الله على مِصْرَ، وأرادَ مَعَدُّ بن إسماعيلَ الرحيلَ إليها من إفريقية، دعا زِيرِي بنَ مَنَاد، وكان له عشرةُ أولاد؛ فقال له: ادْعُ لي بَنِيكَ، فقد عَلِمْتَ رأيي فيهم وفيك. وكان أصْغَرُهم سِنًّا بُلُقِّينَ، فدعا أولادَه ما عَدَاه، والقَدَرُ لا يُريد سِوَاهُ. وكانت عند مَعَدِّ بن إسماعيل أثارةٌ من علم الحِدْثان، قد عَرف بها بَصَائر أحواله، وأهْلَ الغَناء من أعيان رجاله، وكانت عنده لخليفته على إفريقية والمغرب، إذا صار إليه مُلْكُ مِصْرَ، علامةٌ، فنظر في وجوه بني زِيرِي، فلم يَرَها، فقال لزِيرِي: هل غَادَرْتَ من بَنِيك أحدًا؟ فقال له: غلامًا صغيرًا. فقال الـمُعِزُّ: لا أراكَ حتّى أراه، فلَسْتُ أُريد سِوَاه! فلما رآه عَرَفه، وفوَّض إليه من حينه، واستخلفه، فاستولى من وقته على الأُمور، وزاحَـمَتْ مَهَابَتُه الأهواءَ في الصُّدور، وبَعُدَتْ أسفارُه، واشتَهَرَتْ أخبارُه، وبلغ بغزواته سَبْتَة في خَبَرٍ طويل(2). ثمَّ أجاب صَوْتَ مُناديه، وخَلَعَها على أعطاف بنيه، حتّى انتهى أمْرُهم إلى الـمُعِزِّ بن بادِيسَ شَرَفِ العَشِيرة، وآخِرِ مُلوكها الشهيرة(3). ومن العَجَب أنَّهما تَوَافَقَا في الاسم والكُنية، أعْني الـمُعِزَّ أبا تَـمِيم مَعَدَّ بن إسماعيل العُبَيْديَّ صاحِبَ الـحِدْثان، والـمُعِزُّ أبا تَـمِيم هَذَا.

فأوَّل ما افتتح به شأنَه، وثَبَّت به فيما زعم سلطانَه: قَتْلُ الرَّافِضة، ومُراسلةُ أمير المؤمنين العبّاسيِّ يومئذٍ ببغداد، فكتب إليه بعهده، وجاءَتْهُ الخلعة واللَّقَب من عنده، رأْيًا اغترَّ ببادِيه، وذَهَلَ عن عَوَاقِبِه وبَوَادِيه. واتَّصل ذلك بالعُبَيْديّ بـمِصْرَ، وأمْرُهُ يومئذٍ يَدُورُ على الـجَرْجَرَائيّ، فاضْطغَنَها(4) عليه، وفَوَّقَ سِهامَ مكروهه إليه. وكانت بطونٌ من عامِرِ بن صَعْصَعة: زُغْبة، وعَدِيٌّ والأَثْبج، ورِيَاح، وغيرُهم، تنزل الصَّعِيد، لا يُسمح لها بالرحيل، ولا بإجازة النِّيل، فأجازهم الـجَرْجَرَائيُّ، وأذن لهم

(1) «بإفريقية» من ر1.

(2) «في خبر طويل» ليست في ر1، والخبر الآتي كله من الذخيرة لابن بسام 4/ 392-394.

(3) في أ، م: «المشهورة».

(4) في م: «فاصطنعها»، وهو تصحيف، وهي على الصواب في الذخيرة.

في الـمُعِزِّ أُمنيةً طالَـما تَحَلَّبت[1] إليها أطماعُهم، وعكفت عليها أبصارُهم، فغَشَاهُ منهم[2] سَيْلُ العَرِم، ورماه بدؤلول[3] ابْنَةِ الرَّقِم، فشغل الـمُعِزُّ بَعْضَهم أوَّلًا بخدمتِه، وحَمَّلهم أعباءَ نِعْمَتِه، وهم في خلال ذلك يتمرَّسون بجهاتِه، ويدبُّون إلى حماتِه، ويُطِلُّون على عَوراتِه، حتّى بانَ لهم شأْنُه، وهان عليهم سلطانُه، فجَاهَرُوه بالعداوة، حتَّى جرت بينهم تلك الحرُوب، التي تقدَّم ذكرُها مُـخْتَصَرًا[4]، فأورثَتْه[5] البَوَار، وضربَتْ عليه الحِصار.

وفي أثناء ذلك، أعطاهم الدَّنِيَّة، وناشدهم التَّقِيَّة، واشترط الـمَهْدِيَّة، وزفَّ إلى أحد زُعمائهم[6] من بناته، فأصبحوا له أصهارًا، وقاموا دونه أنصارًا. فلما استحكم بَأْسُه، وأَهَمَّتْه نَفْسُه، استجاش مَنْ قِبَلَه، واحتمل أَهْلَه[7] وثقلَه، وخلَّى الـمُلك لمن حَمَاه وحَـمَلَه، وجاءَ أصهارُه يمنعونه ممَّن عسى أن يكيدَه، حتّى بلغ المهديَّة، فأقامَ بها أَسْقَطَ من الشمس بالميزان، وأَهْوَنَ من الفقير على القِيَان[8]، ولم يكن أحد في زمانه أَشَدَّ بأْسًا في الملاحِم، ولا أَطْوَلَ يدًا بالمكارم، ولا أَعْنَى بلسان العَرَب، ولا أحنى على أهل الأدب منه[9]. ومن مشهور كرمه: أَنَّه أعطى الـمُنْتَصِرَ بن خَزْرُون في دُفْعَةٍ مئةَ ألف دينار، إلى ما وصله من مركب أثيل[10]، وزَيٍّ حَفِيل[11].

---

(١) في م: «تَـخَلَّت»، وهو تصحيف، وما هنا يعضده ما في الذخيرة. وتحلبت: سالت، وهي كناية عن التشوف إلى الأمر.

(٢) في أ، م: «منها» وما هنا من ر ١، والذخيرة التي ينقل منها المؤلف.

(٣) في أ، م: «بذلول»، وما أثبتناه هو الصواب.

(٤) «مختصرًا» ليست في ر ١.

(٥) في الذخيرة: «وأرته».

(٦) في ر ١: «عظمائهم»، وما هنا من أ ويعضده ما في الذخيرة التي ينقل منها المصنف.

(٧) في الذخيرة: «حرمه» وهي بمعنى.

(٨) في الذخيرة: «وأهون من الغفر على القَبّان».

(٩) سقطت من أ، م، وهي ثابتة في ر ١ والذخيرة.

(١٠) في الذخيرة: «ثقيل».

(١١) في الذخيرة: «نبيل»، وإلى هنا انتهى النقل من الذخيرة.

وكان مُتَوَقِّدَ الذِّهْن، حاضِرَ الخاطر، حاذقًا بطرائقِ[1] الألحان، عالـمًا بالمنثور والمنظوم من الكلام. ومَدَحَهُ كثيرٌ من الشُّعَراء، فأجزل لهم العطاء، منهم: عليُّ بن يوسُفَ التونِسيُّ[2]، ويَعْلَى بن إبراهيم الأرْكُشيُّ[3]، وأبو عليّ بن رشيق[4]، والقُرَشيُّ، وابن شَرَف، وغيرُهم مـمّا[5] يطول الكتابُ بذكرهم، لا سِيَّما لو ذكرتُ مِنْ نَظْمِهم ونَثْرهم.

وذكر أبو الحسن الخَوْلانيُّ المعروف بالـحَدّاد، قال: اشتملتُ على كثير من أيَّامه ووقائعه وصِفَةِ حاله في خروجه من القَيْرَوان، وتسليمِه للعَرَب مُعْظَم مُلكه، في قصيدة أوَّلها [من الطويل]:

سَرَتْ تَتَهادَى بَعْدَما رَحَـلَ الرَّكْـبُ ... وقد قُلِّدَتْ جِيدَ الدُّجى الأَنْجُمُ الشُّهْبُ

ومنها:

وَإنْ خَـانَنِي صَـبْري عَـلَى ثِقَتـي بِـهِ ... فَقَدْ خَان مَوْلَانَا العَشَائِرُ والـصَّحْبُ

وَلَـوْ شَـاءَ تـأْليفَ الجنـودِ وجَمْعَهـا ... لَجاءَتْهُ من أقطارِها العُجْمُ والعُـرْبُ

ولكنَّه أغـضـى[6] الـجُفونَ لعِلْمِـهِ ... بـما سَطَّرَتْ فيـه الملاحِـمُ والكُتْـبُ

ولم يمكث بالمهديَّة إلَّا نحوَ سنتَيْن، وانقضَتْ أيَّامُه، ووافاهُ حِمامُه، فتُوُفِّي يومَ السبت لخمسٍ بقين من شعبان سنة أربع وخمسين وأربع مئة. هكذا ذكر أبو الصَّلْت، وقد تقدَّم قولُ ابن شَرَف أنَّه تُوُفي في سنة خمسٍ وخمسين وأربع مئة. أولادُه: تَـمِيم، ونِزار، وعبد الله، وعلوٌّ[7]، وحَـمّـادٌ، وبُلُقِّين، وحَـامة، والمنصور.

---

(١) في م: «طرائف».

(٢) ترجمته في الوافي للصفدي ٢٢/ ٣٥٤.

(٣) نهاية الأرب للنويري ١٠/ ١٧٩.

(٤) الوافي للصفدي ١٢/ ٤٢١.

(٥) سقطت من م.

(٦) في أ، م: «أغنى»، وما هنا من ر١ وهو الأصح.

(٧) في ر١ : «عليّ».

دولة الأمير تَـمِيم ابن الـمُعِزّ ونُبَذٌ من أخباره

مولدُه بالمنصوريَّة في رجب سنة اثنتين وعشرين وأربع مئة. وأبرزَهُ والدُه للناس ابْنَ سَنَتَيْن، وركب، والعساكرُ وراءَه، وطاف مدينتَي القَيْرَوَان والمنصوريَّة. ووُلِّيَ المهديَّةَ سنة خمس وأربعين وأربع مئة، وعُمُرُه إذ ذاك ثلاث وعشرون سنة. وأقامَ بها إلى أن خرجَ والدُه من المنصوريَّة متوجِّهًا نحوَها، فلمّا دنا منها، خرجَ إليه فيمن معه، وترجَّل عند رُؤْيَتِه لَهُ، وقبَّل الأرض بين يديه، ومشَى راجلًا أمامَه، وأظهرَ من طاعته له ما أبان كَذِبَ ما نُسب إليه، وزُوِّر من النِّفاق عليه، فدعا له والدُه، وأمَرَه بالركوب، فركبَ وسار معه إلى المهديَّة، فنزل الـمُعِزُّ القَصْرَ، وأقام ابنه تَـمِيمٌ متكفِّلًا بأمر الدولة[١].

وفي سنة خمس وخمسين وأربع مئة: فتح تَـمِيمٌ مدينةَ سُوسة، وكان أهْلُها قد نافَقوا على أبيه، فعفا عنهم.

وفي سنة ست وخمسين وأربع مئة: زحف إلى المهديَّة حَمُّو بن ومِلِّيل[٢] البَرْغَوَاطيُّ الثائرُ بمدينة سَفَاقُس، بمن استعان من العَرَب، فورد خبره على تميم، فسار إليه، ومعه طائفةٌ كبيرةٌ من زُغْبة ورِيَاح. وكان مع حَـمُّو طائفةٌ من عَدِيّ والأثْبَج، فاقتتل الفريقان، ثمَّ ولّت طائفةُ حَـمُّو أدبارها، فأخذتْها السيوف، وتولَّتْها الـحُتُوفُ[٣].

وفي سنة سبع وخمسين وأربع مئة: كُسِر عَسْكَرُ الناصر بن حَـمَّاد، وكان قد خرجَ في عَدَد كثير من صُنْهاجةَ وزَنَاتة وعَدِيَّ والأثْبَج، فلقيَتْهم رِيَاحُ وزُغْبة وسُلَيْم، فانهزم الناصر، وقُتل من أصحابه خلقٌ كثيرٌ، ونُهبت أمواله ومَضَارِبُه، وقُتل أخوه القاسم بن عَلَنَّاس. كان من أعظم الأسباب في ذلك ما أبرمه تَـمِيمٌ في أمره[٤].

---

(١) الكامل لابن الأثير ١٠/ ١٦.

(٢) في ر١: «مليل»، وفي الكامل لابن الأثير ١٠/ ٢٩: «مليك»، وهو تحريف ظاهر.

(٣) جعلها ابن الأثير في حوادث سنة ٤٥٥هـ.

(٤) ذكر ابن الأثير هذا الخبر مطولًا في الكامل ١٠/ ٤٤-٤٦.

وفي سنة ثمان وخمسين وأربع مئة: جرَّد تـَمِيمٌ عسكرًا كبيرًا إلى مدينة تُونس، فأقام محاصِرًا لها، آخِذًا بمُخَنَّقها، أربعةَ عَشَر شهرًا، حتَّى وقع الاتِّفاقُ بينه وبين ابنِ خُرَاسَان صاحبها، على ما اقتضاه إقلاعُ العسكر عنها[1].

وفي سنة تسع وخمسين وأربع مئة: قام بالمغرب الأقصى محمَّدُ بن إدريس بن يحيى بن علي بن حَـمُّود الـحَسَنيُّ[2]، استُدْعيَ من مَلِيلَة، فعَبر إليها، وقام به جماعةُ بني وَرْتَدِي في مَلِيلة ونواحيها. وكان قد خُطِب له بالخلافة بمالَقة، وتسمَّى بالـمُسْتَعْلِي، فأقام بها إلى أن تَغَلَّب عليه بَادِيسُ بن حَبُوس الصُّنْهاجيُّ صاحِبُ غَرْناطة سنةَ سبع وأربعين وأربع مئة؛ فانقرضت دولةُ بني حَـمُّود يومئذٍ بالأَنْدَلُس، واختفَى بالـمَرِيَّة إلى أن اسْتُدْعِيَ.

وفي سنة ستين وأربع مئة: حاصر الناصِرُ بن عَلَنَّاس بن حَـمَّاد مدينةَ الأُرْبُس[3]، وكان معه الأَثْبَج من العَرَب، وبقيَ عليها حتَّى افتتحها، وأمَّن أهلها[4]، وقتل عامِلَها ابن مكراز[5].

وفيها: وصل الناصِرُ المذكور إلى القَيْرَوَان مع العَرَب، ودخلها.

وفيها: استبدَّ أميرُ لَـمْتُونة بالغَرْب، وطاعت له قبائلُ الـمَصَامِدَة وبلادُ دَرْعة وسِجِلْماسة، وتغلَّب على زَنَاتة المستوطنين هنالك.

وفي سنة إحدى وستين وأربع مئة: عاد الناصِر بن عَلَنَّاس بن حَمَّاد من القَيْرَوَان إلى قلعته، خَوْفًا من جموع العَرَب.

وفيها: شرع أبو بكر بن عُمر اللَّمْتُونيُّ في بناء مَرَّاكُش، على ما يأتي في موضعه.

وفي سنة خمس وستين وأربع مئة: وصلتْ إلى مدينة سَفَاقُس مراكبُ شرقيَّة فأخرج إليها السلطانُ تَـمِيم ابن الـمُعِزّ، أُسْطُولَه من المهديَّة، فأفسدها.

---

(١) الكامل لابن الأثير ١٠/ ٥٠-٥١.

(٢) ترجمته في تاريخ الإسلام ٩/ ٦٧٢.

(٣) ينظر عنها معجم البلدان ١/ ١٣٦.

(٤) الكامل لابن الأثير ١٠/ ٥٨.

(٥) في ر١: «مجراز» وهو صحيح أيضًا لأن أصل الجيم كاف أعجمية.

وفي سنة ست وستين وأربع مئة وقيل: سبع: طُرِدَتْ زُغْبَةُ من إفريقية، طَرَدَتْهُم رِيَاحُ منها[1]، وبَاعَت القَيْرَوَان من الناصِر بن عَلَنَّاس ابن[2] حَـمَّاد الصُّنْهاجِيٍّ صاحب القَلْعة.

وفي سنة ثمان وستين وأربع مئة: وصلتْ إلى إفريقية عَرَبٌ من بَرْقة، ونزلتْ حَوْلَ القَيْرَوان وما والاها.

وفي سنة تسع وستين وأربع مئة: كانت بإفريقية مجاعةٌ عظيمةٌ ووباءٌ عظيمٌ، مات فيه من الناس خَلقٌ كثيرٌ.

وفي سنة سبعين وأربع مئة: اصطلح تَـمِيمُ ابن الـمُعِزّ والناصِرُ ابن عمِّه، وزوَّجه بنته بَلَّارَة، وجهَّزها إليه من المهديَّة في عساكرَ عظيمةٍ ومالٍ[3] وأسباب[4] وذخائر.

وفي سنة أربع وسبعين وأربع مئة: حاصر تَـمِيـمٌ مدينةَ قابس[5]، وعاث عسكرُه في أجِنَّتها المعروفةِ بالغابة، وأفسدها[6]. وولَّى تَـمِيـمٌ ابنَه مُقَلَّدًا[7] مدينةَ أطْرابُلُس سنة سبعين وأربع مئة.

وفي سنة ست وسبعين وأربع مئة: حوصرت المهديَّة، نزل عليها مالِكُ بن علوي[8] في جموع عظيمة من العَرَب، فخرج إليه السلطانُ تَـمِيم ابن الـمُعز[9]، فهزمه؛ وأقلعَ عنها منهزمًا، ودخل القَيْرَوَان[10].

---

(١) الكامل لابن الأثير ١٠/ ٩٨.

(٢) من هنا إلى نهاية الفقرة ليست في ر١.

(٣) في ر١: «وأموال».

(٤) ليست في ر١.

(٥) في النسختين: «سفاقس»، وهو تحريف صوابه ما أثبتناه من كامل ابن الأثير ١٠/ ١٢١، ويعضده قوله: «وعاث عسكره في أجنتها المعروفة بالغابة»، فالغابة هذه معروفة بقابس وقد وصفها التجاني في رحلته ٨٦، وذكرها الحميري في الروض المعطار ٤٥٠.

(٦) في ر١: «فأفسدها».

(٧) ليس في ر١.

(٨) له ذكر في نهاية الأرب للنويري ٢٤/ ١٢٧.

(٩) «بن المعز» من ر١.

(١٠) الكامل لابن الأثير ١٠/ ١٣٢.

وفي سنة تسع وسبعين وأربع مئة: حاصر تَـمِيمٌ مدينةَ قَابِس وسَفَاقُس معًا في زمن واحد، مـمَّا لم يُسمع بمثله[1].

وفي سنة ثمانين وأربع مئة: كَسَفَتِ الشمسُ كسوفاً كُلِّيًّا[2]. وجرى فيها ما جرى من نزول الرُّوم على المهديَّة في ثلاث مئة مركبٍ حربيَّةٍ[3]، على ظهورها ثلاثون ألفَ مُقاتل.

ذكر دخول النصارى[4] مدينةَ المهديَّة

وسَبَبُ ذلك، مع قَدَر الله تعالى، غَيْبَةُ عسكر سُلطانها عنها، ومُفاجأةُ الروم قَبْل استقدامه إليها، وأخْذِ الأهبة للقائهم؛ وخُلُوُّ كافَّة الناس من الأسلحة والعُدَد، وقِصَرُ الأسوار وتَهَدُّمُها، وتكذيبُ تَـمِيم بخبرهم، وسُوء تدبيرِ عبدِ الله بن مَنْكُور مُتَوَلِّي أُمور الدولة في قَصْده مخالَفة قائد الأُسْطُول في الخروج إليهم لِلقَائِهم في الماء ومنعهم من النزول في[5] البَرِّ، فكان ذلك[6] كلُّه سَبَبَ تغلُّبهم على المدينتَيْن المهديَّةِ وزَوِيلة، ونَهْبِهم إيَّاهما، وقتلِهم الناسَ فيهما، وإحراقهم بالنار ما هو مشهورٌ بالمهديَّة إلى الآن[7]. وقد استوعب ذلك أبو الحسن الـحَدَّادُ في قصيدته التي أوَّلها [من المنسرح]:

أَنَّـــى يُلِـــمُّ الـــخَيَالُ أو يَقِـــفُ ... وبَـــيْن أجفَانِنـــا ثَـــوَى الـــدَّنَفُ

غَـــزَا حِـمَـــانَا العـــدوُّ في عَـــدَدٍ ... هُـمَـــا الـــدُّمَا كثـرةً أو اللَّعــفُ

عِـــشْرونَ ألفًــا ونـــصفُها ائتَلَفُــوا ... مــن كــلّ أوْبٍ ولَيْــتَ مــا ائتَلَفُــوا

جـــاؤُوا عـــلى غِـــرَّةٍ إلى نَفَـــرٍ ... قد جَهِلُـوا في الـحُروبِ مـا عَرَفُـوا

(١) الكامل ١٠/ ١٥٩.

(٢) الكامل لابن الأثير ١٠/ ١٦٢.

(٣) ليست في ر١.

(٤) في ر١: «الروم».

(٥) في ر١: «إلى».

(٦) في ر١: «هذا».

(٧) ينظر كامل ابن الأثير ١٠/ ١٦٥-١٦٦.

وهي طويلة[1].

وفي سنة إحدى وثمانين وأربع مئة: مات الناصِرُ بن عَلَّناس بن حـمَّاد الصُّنهاجيُّ، وولِيَ ابنُه المنصور[2].

وفي سنة اثنتين وثمانين وأربع مئة: غزا[3] مالِك بن علوي مدينةَ سُوسة، ودخلها في طائفة من أصحابه، ولم يتمكَّن له شيءٌ من مُراده فيها، فخرج منها منهزمًا، وقُتل جماعةٌ من رجاله، وأُسر بعضُهم[4].

وفي سنة ثلاث وثمانين وأربع مئة: غَلَت الأسعار بإفريقية، وكانت بها مجاعةٌ شديدةٌ[5].

وفي سنة أربع وثمانين وأربع مئة: صَلُحت أحوال إفريقية في الخِصْب والرَّخاء[6].

وفي سنة ست وثمانين وأربع مئة: حاصرَ عسكرُ تَـمِيم مدينةَ قَابِس، وأقام عليها حتَّى فتح رَبَضها.

وفي سنة ثمان وثمانين وأربع مئة: كان ما كان من غَدْرِ شَاه مالِك[7] الغُزِّيّ ليحيى[8] ابن السلطان تَـمِيم ابن الـمُعِزّ. وسَبَبُ ذلك: أنَّ تَـمِيمًا خاف الغُزِّيَّ وأوْحَش منه نفْسَه ونفس أصحابه لكلامٍ[9] قاله، فأضْمَرَ[10] ذلك شاه مالِك في نفسه، وكان

---

(١) «وهي طويلة» ليست في ر١.

(٢) الكامل لابن الأثير ١٠/ ١٦٦.

(٣) في ر١: «غدر».

(٤) ينظر كامل ابن الأثير ١٠/ ١٧٩.

(٥) الكامل لابن الأثير ١٠/ ١٧٩.

(٦) المصدر نفسه.

(٧) هكذا سماه، وفي المصادر المشرقية: «شاهملك»أو «شاه ملك»، وينظر الكامل لابن الأثير ١٠/ ٢٤١.

(٨) ترجمته في وفيات الأعيان ٦/ ٢١١-٢١٥، وتاريخ الإسلام ١١/ ١٣٢-١٣٣.

(٩) في ر١: «وتَوّحش منه لكلامٍ».

(١٠) في أ: «فأضر»، وهو تحريف بيّن.

داهِيَةً مَكِرًا، وخرج يحيى بنُ تَـمِيم أثناء ذلك متصيِّدًا وفي صحبته نَفَرٌ من أهل مُؤانسته ومُنادمته[1]، وكان شاه مالِك مع كثير من أصحابه، فظَفِرَ به، وقبض عليه وعلى جُملة من أصحابه. ولـمّا بلغ تَـمِيمًا ذلك، أنفذ الخيلَ في طلبِ[2] الغُزِّيّ، فوجدوه قد فات وسار إلى سَفَاقُسَ ودخلها. فركب صاحبُها[3] حَـمُّو بن ملّيل[4]، وتلقّى يحيى بنَ تميم مع الغُزِّيّ الذي قبض[5] عليه، فأقام عنده أيَّامًا، وكتب إلى السلطان[6] تَـمِيم ابن الـمُعز[7] يَلْتَمِس منه عِيَالَ الغُزِّ وأولادَهم، فأمر تميمٌ بإنفاذهم إليهم، وعاد[8] يحيى وأصحابُه إلى المهديَّة[9].

وفي سنة تسع وثمانين وأربع مئة: فتح تَـمِيمٌ مدينةَ قابِس، وأخرج منها عُمَر[10] ابن الـمُعِزِّ أخاه، وقد كان ولاَّه أهْلُها[11].

وفي سنة إحدى وتسعين وأربع مئة: كانت بإفريقية مجاعةٌ شديدةٌ[12].

وفي هذه السنة: فتح تَـمِيمٌ جزيرةَ قَرْقَنَّة[13]، ومدينةَ تونس. وخرجت عَدِيٌّ من إفريقية أمامَ رِياح.

---

(1) ليست في ر١.

(2) سقطت من أ.

(3) ليست في ر١.

(4) في ر١: «مليل».

(5) في ر١: «قبضوا».

(6) ليست في ر١.

(7) «ابن المعز» ليست في أ.

(8) في م: «ودعا»، وهو تحريف.

(9) ينظر الكامل لابن الأثير ١٠/ ٢٤١-٢٤٢.

(10) له ذكر في تاريخ ابن خلدون ٦/ ١٦٠.

(11) الكامل لابن الأثير ١٠/ ٢٥٧.

(12) ينظر الكامل لابن الأثير ١٠/ ١٧٩.

(13) في ر١: «قرقبة»، وهو تصحيف، وينظر عنها معجم البلدان ٤/ ٣٢٩، والروض المعطار ٤٦١، والكامل لابن الأثير ١٠/ ٢٧٩.

وفي سنة ثلاث وتسعين ووأربع مئة: فتح تَـمِيمٌ سَفَاقُس، وخرج منها حَـمُّو بن ومِلِّيل[1] هاربًا إلى قابِس، فقَبِلَهُ صاحبُها مَـجَّن[2] بن كامِل الدَّهْمانيُّ وآواه حتَّى مات[3].

وفي سنة ثمانٍ وتسعين وأربع مئة: مات المنصورُ ابن الناصِر بن عَلَنَّاس، صاحبُ بِجاية والقَلْعةِ وما والاهما، ووليَ ابنُه بَادِيس، وأقام قليلًا، ومات، ثمَّ وليَ أخوه العزيز بالله ابن المنصور[4].

وفيها: وصل الرُّمَانِيُّون إلى المهديَّة بأجفانٍ كثيرةً حربيةٍ، تُسَمَّى الشَّوَانِي، ومعهم ثمانيةٌ[5] وعشرون مركبًا، وكان قَصْدُهم أن يَـجِدُوا فرصةً كما وجدَها الرومُ المتقدِّم ذكرُهم، فقَصَدوا إلى باب دار الصِّناعة؛ ليمنعوا أُسطولَ المهديَّة من الخروج إليهم، فخاب ظنُّهم، وخرجت أُسطولُ المهديَّة إليهم، فهزموهم وقَتلوا كثيرًا منهم.

وفي سنة تسع وتسعين وأربع مئة: وجَّه السّلطان تَـمِيم ابن المعز[6] أبا الحسن الفِهْريَّ إلى جزيرة جَرْبة في عَدَد جمّ وأُسطول كثير، فوجد[7] أهلها قد أخذوا الأُهْبَةَ له[8]، واستعدُّوا[9]، واستمدُّوا[10]، فلم يتمَّ له شيءٌ من أمْرها[11].

---

(١) في ر١: «مليل».

(٢) ويكتب: «مكن» ولأن الكاف أعجمية، فيكتب بالجيم والكاف.

(٣) الكامل لابن الأثير ١٠/ ٢٩٨.

(٤) نهاية الأرب للنويري ٢٤/ ١٣٠.

(٥) في أ: «ثلاثة».

(٦) «ابن المعز» من ر١.

(٧) في ر١: «فوجدوا».

(٨) في ر١: «لهم».

(٩) ليست في ر١.

(١٠) في ر١: «واستمروا»، وهو تحريف.

(١١) ذكر ابن الأثير في الكامل (١٠/ ٢٧٩)، والنويري في نهاية الأرب (٢٤/ ١٣٠) أن تميمًا هذا قد فتح جَرْبة سنة ٤٩١هـ.

وفي سنة خمس مئة: غُدِرَتْ مدينةُ بَاجَة، وقُتل فيها خَلقٌ كثيرٌ.

وفيها: رحل المهديُّ[1] محمَّد بن تُومَرْت[2] القائمُ بدعوة البَرْبَر الـمُسَمَّين بالـمُوَحِّدين من جَبَل هَرْغة بأقصى الـمَغْرِب[3] إلى الـمَشْرِق في طلب العِلْم، فجاز إلى الأَنْدَلُس ووصل قُرْطُبة، وسار منها إلى الـمَرِيَّة، ومنها دخل في مركب إلى المشرق، وغاب في رحلته خمسة عشر عامًا.

وفي سنة إحدى وخمس مئة: ظهر في أُفق الـمَغْرِب كَوْكَبٌ عظيمٌ من ذوات الذَّوَائب، وأقام ليالِيَ كثيرةً[4].

وفيها: مات السلطان تَـمِيمُ ابن الـمُعِزّ[5]، فكانت[6] مُدَّتُه نحوَ سبع وأربعين سنة.

بعض أخبار تَـمِيم ابن الـمُعِزّ

كان، رحمه الله، شَهْمًا شجاعًا حازمًا عازمًا، يَستصغر صِعابَ الأُمور، ويستسهلُ عظائِم الـخُطوب، ويغلب عليه شدَّةُ البطش والـمُبادرة. وهو أَحدُ فُحول شعراءِ الملوك، وذَوِي السَّبْق والتقدُّم في معانيه وبدائعه، حَوَى فيه الجودة والكثرة. وله ديوانٌ كبيرٌ من شِعره مشهورٌ، فمن قوله [من الوافر]:

فَإمَّـــا الـــمُلْكُ في شَرَفٍ وعِـــزٍّ ... عَـــلِيَّ التَّـــاجُ في أعْـــلَى الـــسَّـرِيرِ

وإمَّـــا الـــمَوْتُ بَـيْنَ ظُبَـا العَـوَالي ... فَلَـــسْتُ بِخالِـــدٍ أَبَـــدَ الـــدُّهُورِ

---

(١) ليست في ر١.

(٢) تنظر ترجمة محمد بن تومرت في وفيات الأعيان ٧/ ١٣٦.

(٣) قوله: «بأقصى المغرب» ليست في ر١.

(٤) الكامل لابن الأثير ١٠/ ٤٥٦.

(٥) الكامل لابن الأثير ١٠/ ٤٤٩.

(٦) من هنا إلى نهاية الفقرة ليست في ر١، وقال ابن الأثير: «وكانت ولايته ستًّا وأربعين سنة وعشرة أشهر وعشرين يومًا»، وسيأتي بعد قليل مثل ذلك.

وله في غلام اسمُه مُدام، من قصيدة طويلة[1] [من المتقارب]:

مُـــدَامٌ يَطُــوفُ بِكــأسِ الــمُدَامِ ... فَلَـــــمْ أدْرِ أيُّهُمَـــــا أشْرَبُ

فهــذا الــصديقُ وهــذي الرَّحِيــقُ ... وهـــذا الهِـــلالُ وذا الكَوْكَـــبُ

وهـــذا يَـــجُودُ بألْحَاظِـــهِ[2] ... وهـــذا بألْبابنـــا يَلْعَـــبُ

ومــا البَــدْرُ والــنَّجْمُ مــن ذا وذاكَ ... ولكنَّـــه مَثَـــلٌ يُـــضْـرَبُ

وكان تَـميم ابن الـمُعِزّ[3] جَـمِيلًا، وَسِيمًا، مَدِيد القامة، دُرِّيَّ اللون، أشَمَّ، أبْلَجَ. وكان يكثر من استفراغ بَدَنه، ويَرَى أنَّ بذلك تِتِمُّ صِحَّتُه. وكان[4] يَستعمل كلَّ حارٍّ من الأغْذِيَة والأدْوِيَة، ويُكْثِر الاصْطِلاءَ بالنار، ويدخل الـحَمَّام الحارَّ، ويُكْثِر الـجِماع، ويَشرب الأدويةَ القويَّة، كالـمَحْمُودة وغيرِها، ويُجاوِز في ذلك المقدارَ، حتَّى جفَّ لَـحْمُه، وفسدَتْ حَرَكاتُه الطبيعيَّة، وأُقْعِد، ثمَّ مات في مُنْتَصِفِ رجب من سنة إحدى وخمس مئة؛ فكان عُمُرُه تسعًا وسبعين سنة، وولايتُه من يومِ وفاة أبيه ستًّا وأربعين سنة وعشرةَ أشهر ونِصْفًا. وخلّفَ من الأولاد الذُّكور ما جاوز عَدَدُهم المئة. وقيل: إنَّه كان له من الوَلَد ووَلَدِ الوَلَد نحو ثلاث مئة.

دولة يحيى بن تَـمِيم ابن الـمِعِزّ ونُـبَـذٌ من أخباره وسِيَره

مولده بالمهديَّة سنة سبع وخمسين وأربع مئة[5]، ووليَ سنة إحدى وخمس مئة، وعُمُرُه إذ ذاك ثلاث وأربعون سنة. وكان حاذقًا بتدبير دولته، ساهرًا في سياسة رعيَّته، كثيرَ الـمُطالعة لكُتُب السِّيَر والأخبار، أديبًا، شاعرًا، ذا حظٍّ صالحٍ من اللُّغة والعربيَّة. وكان حَسَن الوجه، أشْهَل العينَيْن، أجْهَر الصوت. وتُوُفِّي ثانيَ عيد النَّحْر

(١) «من قصيدة طويلة» ليست في ر١.

(٢) بعده في أ: «لي» وبوجودها يختل الوزن.

(٣) «ابن المعز» ليس في ر١.

(٤) ليست في ر١.

(٥) الكامل لابن الأثير ١٠/ ٤٥١.

من سنة تسع وخمس مئة فجاءةً مقتولًا في قصره بالمهديَّة، فكانت مُدَّة مُلْكه ثماني سنين وستَّةَ أشهر. وخلف من الأولاد ثلاثين ولدًا ذكورًا. ومـمَّا حَدَثَ في أيَّامه من الوقائع ما أذْكُرُها[١] مُلَخَّصًا، مؤرَّخةً بأوقاتها[٢].

وفي سنة اثنتين وخمس مئة: فتح يحيى بنُ تَـمِيم قلعةَ أقليبية[٣].

قال ابن القطَّان: كان لتميم ابن الـمُعِزِّ من الولد نحو[٤] ثلاث مئة، فنفى يحيى أكبرَهم إلى المشرق والمغرب والأندلس. وكانت أيام يحيى هادنةً وادعةً. وكان يطلب عَمَل الكيمِياء، وجعل لها دارًا تَرِدُها الطَّلَبة، وأجرى عليهم الإنفاق، ومكَّنهم من الآلات.

وفي سنة ثلاث وخمس مئة: جرَّد يحيى بنُ تَـمِيم من أُسْطُوله خمسةَ عشر غُرَابًا للغزو في بلاد الرُّوم، فأُصيب منها سِتَّةٌ، وعادت الباقيةُ إلى المهديَّة[٥].

وفي سنة أربع وخمس مئة: كان[٦] بالمغرب زَلَازِلُ عظيمةٌ، دامت شهرَ شوَّال كلَّه. وأميرُ إفريقية يحيى بنُ تـميم ابن الـمُعِزّ.

وفي سنة خمس وخمس مئة: وصل سِوَارٌ رسولُ صاحب مِصْرَ بهديَّة إلى أمير إفريقية يحيى بنِ تَـمِيم، فتلقَّاه بغاية الإكرام والاهتمام، وأقامَ عنده حتَّى صرفَهُ، وأصحَبُه من الذّخائر والألطاف ما لا يُـحِيطُ به الوَصْفُ.

وفي سنة سبع وخمس مئة: وصلت أُسْطُولُ المهديَّة بسَبْيٍ كثير من بلاد الرُّوم في ربيع الآخِر، فسُرَّ بذلك يحيى بنُ تـميم والمسلمون.

---

(١) في ر١: «أذكره».

(٢) قوله: «مؤرخة بأوقاتها» ليست في ر١، وينظر الكامل لابن الأثير ١٠/ ٥١٢-٥١٤.

(٣) في ر١: «أقليمة»، وفي الكامل لابن الأثير ١٠/ ٤٥١: «قُلَيْبِية» وكله تحريف والصواب ما أثبتنا من أ، وهي كذلك عند البكري ٤٥، والإدريسي ١٢٥، والروض المعطار ٥٢ وقال: «مدينة كبيرة على ساحل البحر بأقصى جزيرة شريك قبلي مدينة تونس، إلا أنها خربت ولم يبق منها الآن إلا قلعتها في قنة جبل، وبقية سورها القائم على الساحل ظاهر اليوم بينه وبين القلعة مسافة».

(٤) من ر١.

(٥) الكامل لابن الأثير ١٠/ ٤٧٨، والغراب: نوع من السفن الحربية.

(٦) في ر١: «كانت».

وفي سنة ثمان وخمس مئة: ولَّى أمير إفريقية يحيى ابنَه عَلِيًّا[1] مدينةَ سَفَاقُس، وولَّى أخاه عيسى مدينةَ سُوسة.

وفيها: هجم الرُّومُ على مَيُورَقة، هي بيد مُبَشِّر الفَتَى مَوْلَى ابنِ مُجاهِد، ودخلوها عَنْوةً، وقتلوا رجالَها، وسبَوْا ذراريَها ونساءَها، وذلك بعد حصار شديد؛ ثمَّ استرجعها عليُّ بن يوسفَ صاحب الغرب والأندلس[2] من أيدي الروم وملكها[3].

وفي سنة تسع وخمس مئة: وصل إلى المهديَّة رَجُلانِ أو ثلاثة، ذكروا أنَّهم من طَلَبة الـمَصَامِدة، عارفين بصناعة الكيمياء، فأُبيح لهما الدخولُ إلى دار العَمَل، فلـمّا أحكما ما أرادا، استأذنا على السلطان يحيى بنِ تَـمِيم، فقال لهما: أوْقِفاني على الطَّرْح وحقيقة السِّرِّ، فقالا: على أن لا يحضر[4] إلَّا أنت ووزيرُك فحضر هو ووزيرُه وعبدُه أبو خنوس، فصنعا البُوط وألقيا الرَّصاص، وأحميا عليه، وجعلا كأنَّهما يُـخرِجان الإكْسِير، فأخرجا خَنَاجيرَهما وقتلا الوزيرَ وأبا خنوس، وأكثرا في السلطان الجراحات[5]، فبقي يُعاني جراحه[6] حتَّى مات. وقالا له حين جرحاه: أيُّها الكَلْب! نَحْنُ أخَوَاكَ فُلان وفُلان! نَفَيْتَنا وبَقِيتَ في الـمُلْك! وثارت الصيحةُ إذ ذاك، فدخل العَبِيدُ وقُتِلَ الرجلان في الحين[7].

ومات يحيى يومَ عيد الأضحى من سنة تسع وخمس مئة. وكان الأميرُ يحيى، مدَّةَ مرضِه[8] إثر هذه النوبة والغدر، نفى ابنَه (أبا)[9] الفُتوح إلى قصر زِيَاد، وأظهر

---

(١) ترجمته في تاريخ الإسلام للذهبي، في وفيات سنة ٥١٥هـ (١١/ ٢٤٣).

(٢) «صاحب الغرب والأندلس» من ر١.

(٣) ليست في أ.

(٤) في ر١: «يحضره».

(٥) في ر١: «الجراحة».

(٦) في ر١: «يعانيها».

(٧) في أ، م: «وقتلا الرجلان للحين»، وما أثبتناه من ر١.

(٨) «مدة مرضه» ليست في ر١.

(٩) زيادة يقتضيها صحة الاسم، وينظر كامل ابن الأثير ١٠/ ٤٧٣، وتاريخ ابن خلدون ٦/ ١٧٥ وغيرهما.

اتِّهامَه في القضيَّة، فأقام[1] هناك إلى حين وفاة أبيه وولاية عليٍّ أخيه، ثمَّ نفاه أخوه[2] عليٌّ أيضًا إلى المشرق، فتُوُفِّي هنالك[3].

وفي هذه السنة: عقد الأميرُ يحيى نكاحَ العَزِيز بالله ابنِ المنصور، صاحبِ القلعة وبِجَاية، على بنته بَدْرِ الدُّجى، وجهَّزها إليه.

دولة الأمير عليِّ بن يحيى بن تَـمِيم ابن الـمُعِزِّ بالمهديَّة وبعض بلاد إفريقية[4]

لـمّا تُوُفِّي الأميرُ يحيى، اجتمع أهلُ الدولة على إنفاذ[5] كتابٍ إلى عليّ على لسان أبيه؛ وكان عليٌّ[6] يلي سَفَاقُس؛ فكتبه الكاتب، وكتب عَلَامة يحيى[7] وكانت: «الحمد لله وحده»، فوصل الخبرُ إلى عليٍّ ليلًا، فخرج لوقتِهِ، فوصل إلى المهديَّة ثالثَ عيد النحر، فدَفن أباه في القصر، ودخل الناسُ إليه مُعَزِّين ومُهَنِّئين، وعمرُه ثلاثون سنةً، فاسْتَتْبَتَ[8] له الأمر، واستوسقَ له الـمُلك. وكان كريمًا جوادًا، يركنُ إلى الراحة واللَّذَّات، واتَّكل على قومٍ فوَّض إليهم تدبيرَ دولته، فعاجلَتْه منيَّتُه في ربيع الآخر من سنة خمس عشرة وخمس مئة[9]، فكانت دولته[10] خمسَ سنين وأربعةَ أشهر واثني عشر يومًا. وخلَّف من الولد الذكور أربعةً: الحسن، والعزيز، وباديس، وأُله.

---

(١) في ر١: «فبقي».

(٢) ليست في أ.

(٣) هذه الأخبار في مقتل يحيى بن تميم وما جرى بعدها ذكرها ابن الأثير في سياق مشابه، ولكن في سنة ٥٠٢هـ (الكامل ١٠/ ٤٧٢-٤٧٣).

(٤) جاء العنوان في ر١: «دولة الأمير علي بن يحيى بن تميم وبعض أخباره».

(٥) في م: «نفاذ».

(٦) ليس في ر١.

(٧) في ر١: «فكتب إليه كاتب أبيه بعلامته».

(٨) في ر١: «فاستتب» وكلاهما بمعنى.

(٩) الكامل لابن الأثير ١٠/ ٥٨٨.

(١٠) في ر١: «مدته».

وفي سنة عشر وخمس مئة: أمر بعِمارة الأُسْطُول إلى جَرْبة، فحاصروها إلى أن أقَرَّ أهْلُها بالطاعة له[1]، ونزلوا على حُكْمِه[2].

وفي سنة إحدى عشرة وخمس مئة: أرجف العوامُّ بأنه سيكون في رمضانَ حادِثٌ كبيرٌ، وأنَّ السلطانَ يموت فيه، وفَشَا القولُ بذلك، وانتشر، فأكْذَبَ اللهُ أحاديثَهم. وقال الشعراء في ذلك كثيرًا، فمِنْهُ [من الطويل]:

أشَاعُوا أباطِيلًا وبَثُّوا زَخارِفًا ... دَعَتْهم لَهَا آمالُهُمْ والمَطَامِعُ

فَلَوْ يَسْتَطِيعُ الناسُ من فرطِ حُبِّهم ... لضَمَّتْك أحْشَاءٌ لهم وأضَالِعُ

ومنه [من الطويل]:

وأصْبَحَ قَوْلُ المُبْطِلين مُكَذَّبًا ... ومَدَّ لك الرحمن في أمَدِ العُمْرِ

فأينَ الذي حَدَّ المُنَجِّمُ كَوْنَهُ ... إذا مَرَّ[3] لِلصُّوَّامِ عَشْرٌ من الشَّهْرِ

وفيها[4]: وصل رسولُ صاحب مِصْر بهديَّة إلى المهدية.

وفيها: حاصَرَ عليُّ بن يحيى مدينةَ قابِس، ودوَّن بعض قبائل العَرَب، فلمّا بلغ ذلك رافعًا صاحِبَها، خرج مُتَطَارِحًا على وجوه الجيش، راغبًا في الصُّلْح، فلم يجِبْهُ عليٌّ إلى ذلك، وفي أثناء ذلك، نزل على المهديَّة ببيوته، ومَن ساعده من عشيرته، فخرج مَن كان بالمهديَّة، فهَجموا على بيوته، فتصايَحْنَ نساءُ العَرَبِ، فغارَت العَرَبُ لذلك، ووقعت الحربُ بين الفريقَيْن، والأميرُ على باب زَوِيلة. ثمَّ إنَّ عليًّا دوَّن على رافع ثلاثة أخماس العَرَب من جيشه، فصمد رافعٌ نحوهم، والتقى الجمعان، ثمَّ ولَّى[5] رافِعٌ قاصدًا إلى القَيْرَوان. واجتمعتْ شيوخُ دَهْمان، واقتَسمُوا البلادَ بينهم،

---

(١) في ر ١: «حتى أذعن أهلها إلى الطاعة له».

(٢) الكامل لابن الأثير ١٠/ ٥١٣-٥١٤.

(٣) في ر ١: «عُدّ».

(٤) في ر ١: «وفي سنة إحدى عشرة المذكورة».

(٥) في ر ١: «فولّى».

فأعطوا رافعًا مدينةَ القَيْرَوان. ووصلت العَرَبُ المدوَّنةُ إلى الأمير عليِّ بن يحيى، فوهبها أموالًا جـمَّةً، وأمَرها بالمسير إلى القَيْرَوان، فوقع بينهم وبين رافِع قتالٌ شديد، كان الظهور فيه لحزب عليِّ بن يحيى، في خبرٍ طويلٍ.

وفي سنة اثنتي عشرة وخمس مئة: وصل إلى الأمير عليّ بن يحيى، من قِبَل صاحِب صِقِلِّـيَّة رُجَّار[1]، رَسُولٌ منه يَلْتَمِس تجديدَ العُقود، وتأكيدَ العهود، ويطلب أموالًا كانت له مُوَقَّفَةً بالمهديَّة، وذلك بعُنْف وغِلْظة، فردَّ عليٌّ رسولَه دون جواب، وجَبَهه بالقول؛ فتزايدت الوحشةُ بينه وبين رُجَّار، فأوسع شرًّا، وحاوَلَ بعد ذلك مَكْرًا[2].

قال ابن القَطَّان: وكان في هذه السنة غلاءٌ عظيمٌ، ووباءٌ، وبلغ رُبْعُ الدقيق بتِلِمْسَان عشرين درهمًا.

وفي سنة ثلاث عشرة وخمس مئة: أغزى إبراهيمُ بن يوسف أخو عليٍّ[3] بن يوسف بن تاشَفين، مَلِكِ الغَرْب، قُورِيَةَ[4] بالأَنْدَلُس، ففتحها اللهُ عليه. وأميرُ إفريقية عليُّ بن يحيى بنِ تَـمِيم.

وفي سنة أربع عشرة وخمس مئة: كانت وقعةٌ بالأَنْدَلُس، انهزم فيها المسلمون، وهي وقعة قُتُنْدَة[5]، قال ابن القَطّان: مات فيها نحوُ عشرين ألفًا[6].

وفيها: كان حلولُ محمد[7] بن تُومَرْت الـمُتَلَقَّب بالمهديّ بأغْمات، مُـحَرِّضًا على الخروج على السلطان، وتفريق الكَلِمـة الـمُنْتَظِمَة.

---

(١) له ترجمة جيّدة في الوافي للصفدي ١٤/ ١٠٥ فما بعد، والضبط منه ومن ر١.

(٢) في ر١: «غدرًا».

(٣) ترجمة علي في وفيات سنة ٥٣٧ من تاريخ الإسلام ١١/ ٦٣٧.

(٤) ينظر عنها معجم البلدان ٤/ ٤١٢.

(٥) الكامل لابن الأثير ١٠/ ٥٨٦.

(٦) ممن استشهد فيها من العلماء المحدث المشهور القاضي أبي علي الصدفي الذي أَلَّف ابن الأبار «المعجم» في أصحابه، وكان من العلماء العاملين المجاهدين.

(٧) من ر١.

وفي سنة خمس عشرة وخمس مئة: خرج عليُّ بن يوسفَ من مَرّاكُش إلى الأنْدَلُس، فوصلها في ربيع الأوَّل، وأخَّرَ ابنَ رُشْد عن القضاء، وولَّى أبا القاسم بنَ حَـمْدِين، ثمَّ رجع إلى مَرَّاكُش.

وفيها: تُوُفِّي أميرُ إفريقية عليُّ بن يحيى بن تَـمِيم ابن المعز[١].

دولة الأمير الـحَسَن بن عليّ بن يحيى بن تـمِيم ابن الـمُعِزّ بإفريقية[٢]

كان أبوه فوَّض إليه الأمرَ في حياته، وعُمره اثنتا عشرة سنة وتسعة أشهر، ومولدُه بمدينة سُوسةَ في رجب سنة اثنتين وخمس مئة. فلـمّا مات أبوه، دخل الناس إليه مُهَنِّئين بالـمُلك ومُعزِّين بالوفاة[٣]، وأنشدَتْه الشعراءُ، وتكفَّل بأمر دولته صنْدَلٌ الخادِمُ، لا لمعرفةٍ ولا سياسةٍ.

وفي سنة ست عشرة وخمس مئة: غزا أبو عبد الله بن مَيْمون، قائدُ عليِّ بن يوسف، مَلِكِ البَرَّيْن[٤]، جزيرةَ صِقِلِّية، فافتتح بها مدينةَ سقوطره[٥] من عمل رُجَّار صاحِبِ صِقِلِّيَّة[٦]، وسبى نساءَها وأطفالَها، وقتل رجالَها[٧]، وسلب جميعَ ما وجده[٨] فيها، فلم يشكَّ صاحبُ صِقِلِّيَّة أنَّ الـمُحَرِّكَ لذلك والـمُسَبِّبَ له هو أميرُ إفريقية الحسنُ بن عليّ؛ لما تقدَّم بينه وبين أبيه من الوحشة العظيمة، فاستنفر أهل[٩] بلاد الرُّوم قاطبةً، فالتأم له ما لم يُعهد مثلُه كثرةً. فعَلم بذلك الحسنُ بن عليّ[١٠]، فأمر بتشييد الأسوار،

---

(١) «ابن المعز» من ر١.

(٢) جاء في العنوان في ر١: «دولة الأمير الحسن بن علي بن يحيى وبعض أخباره».

(٣) في أ، م: «مهنّئين ومعزين بالملك والوفاة»، وما أثبتناه من ر١ وهو أجود.

(٤) «ملك البرين» ليست في ر١.

(٥) في أ: «سقطرة»، وفي م: «نقطرة».

(٦) «من عمل رجار صاحب صقلية» ليست في ر١.

(٧) في أ: «شيوخها».

(٨) في ر١: «وجد».

(٩) ليست في ر١.

(١٠) «بن علي» ليست في ر١.

واتِّخاذ الأسلحة، وحَشْد القبائل، واستقدام[1] العَرَب، فجاءت الحشودُ من كلِّ جهة ومكان، والناسُ مُتأهِّبُونَ لما يَطرقُهم منهم[2].

وفي سنة سبع عشرة وخمس مئة: في أواخر جُمادى الأولى، وصلتْ أُسطولُ الروم[3] إلى جزيرة الأحَاسِي[4]، وخرج منهم إلى البرّ خلقٌ كثيرٌ، وانبسطوا حتَّى بَعُدوا عن البحر أميالًا. وفي اليوم الثاني، جاء إلى المهديَّة ثلاثةٌ وعشرون شِينِيًّا، فعايَنُوا العساكرَ والحشود، ثمَّ انصرفوا إلى الجزيرة، فوَجدوا العَرَبَ قد كشفوا مَن كان بها من الرُّوم عن مواضعهم، ومزَّقوا مَضارِبَهم، فقَويتْ نفوسُ المسلمين بذلك. وكان رُجّار قد أمر أُسطولَه أن يَدخل[5] تلك الجزيرة، ويأْخذ[6] قَصْر الدِّيماس، وأن يسيرَ الخَيْلُ والرَّجْلُ من هناك على تعبئَة في البَرّ[7] إلى المهديَّة، فدخلوا القَصْر للَيْلَتَيْن خَلَتَا من جُمادى الأُولى، وفي آخر ليلةٍ منه، كَبَّر المسلمون، ودخلوا الجزيرةَ، فانهزم الرُّومُ إلى أجفانهم، بعدما قَتلوا بأيديهم كثيرًا من خيولهم. وأخذ المسلمون فيما يحتاجون إليه نحو أربع مئة فرس، وآلات كثيرة، وأسلحة. وأحاطت العساكرُ بقَصْر الدِّيمَاس، تُقاتِلُه، وأهْلُ الأُسطول في البحر يعاينون ذلك، إلى أن طَلَب الرُّومُ الأمانَ من السلطان الحسنِ بن عليّ بن يحيى بن تَمِيم، فلم تُساعِد العَرَبُ على ذلك، وخرجوا في مُنْتَصَف جُمادى الآخرة، فأخذتهم السيوفُ، وقُتلوا عن آخرهم. وكان عَدَدُ الأجفان نحوَ ثلاث مئة، وعَدَدُ الخيل فيها نحوَ ألفِ فرس[8].

---

(١) في ر١: «وسَوْق».

(٢) الكامل لابن الأثير ١٠/ ٦١١-٦١٢.

(٣) في أ، م: «الإفرنج».

(٤) ينظر عنها الروض المعطار ١٤.

(٥) في ر١: «بدخول».

(٦) في ر١: «وأخذ».

(٧) «في البر» ليست في ر١.

(٨) في أ، م: «فارس».

أخبر أبو الصَّلْت، قال: أخبرني عبدُ الرحمن بن عبد العزيز، قال: رأيتُ على باب رُجّار بصقِلِّـيَّة رجلًا من الإفْرَنْج، طويلَ اللحية، يتناول طَرَفَ لحيته بيده، ويُقْسِمُ بالإنْجِيل أنَّه لا يأْخذ منها شعرةً حتَّى يأخذَ ثأْره من أهل المهديَّة. فسألتُ عنه، فقيل لي: إنّه، لـمّا انهزم، جُذِبَ بها حتَّى أدْمَأتْهُ. إلى هنا انتهى كلامُ أبي الصَّلْت في أخبار المهديَّةِ وأميرِها الحسنِ بن عليّ بن يحيى بن تَـمِيم إلى سنة سبع عشرة وخمس مئة.

وبقي الحسن بن عليّ مالكًا للمهديَّة وبلاد تلك الجهات إلى سنة ثلاث وأربعين وخمس مئة، ثمَّ خرج باستيلاء صاحبِ صِقِلِّـيَّة عليها.

وفي سنة ثمان عشرة وخمس مئة: استفحل أمرُ المهديّ والـمُوَحِّدِين بالغَرْب، وأميرُ إفريقية الحسنُ بن عليّ بن يحيى.

ومات في هذه السنة العزيزُ بالله، صاحبُ بِجَاية، ووَلِيَ ابنُه يحيى[1]. وكان لبني الناصرِ بن عَلَنَّاس بن حـمّاد بِبِجَايةَ والقَلْعةِ وتلك البلادِ وُزَرَاءُ يُعْرَفون ببني حَـمْدُون، توارثوا وِزَارتَهم، منهم مَـيْمُون بن حَـمْدُون عند يحيى هذا، فنشأ ليحيى ولدٌ ولاَّه الأمرَ بعده وفوَّض الأُمورَ إليه في حياته، فجعل الولدُ يستنقص[2] الوزير مَيْمونًا، ويُقبِّح أفعالَه، ويُسَمِّيه الشيخَ الكذَّابَ، فخَافَ منه مَيْمونٌ على نفسه، وخاطَبَ أبا محمَّد عبد المؤْمِن.

وفي سنة تسع عشرة وخمس مئة: كان أميرُ إفريقية الحسنُ بن عليّ على حاله. وخرج الطاغيةُ ابن رُذْمِير إلى بلاد المسلمين بالأندلُس[3]، فدوَّخها بلدًا بلدًا، وضيَّق عليها.

وفي سنة عشرين وخمس مئة: اجتمعتْ عساكرُ المسلمين بالأَنْدَلُس، فتلاقَوْا مع عدوِّ الله ابن رُذْمِير، وكان قد أذاق الـمُسلمين شرًّا[4] مُذْ سِنين، فدارت بين الفريقَيْن حربٌ عظيمةٌ، كان الظفرُ فيها للمسلمين. ثمَّ أُخبر الناسُ أنَّ تميمًا رجع فارًّا بنفسه، فانهزم المسلمون، وركبهُم النصارى بالقَتْل، واحتووا على المحلَّة بما فيها. وسار تَـمِيمٌ إلى

---

(١) ينظر نهاية الأرب للنويري ٢٤/ ١٣٩.

(٢) في ر١: «يستنغص»، ولها وجه.

(٣) ليست في أ، م.

(٤) في ر١: «أضَرّ بالمسلمين».

غَرْناطة، وانبسطت خيلُ النصارى على الـمُسلمين، يقتلونَهم كيف شاؤُوا. وتفرَّق الناسُ أيْدي سَبَا، ولـجُّوا إلى المعاقلِ، وكانت قريبًا منهم، فوقاهم الله شرَّهُم[1].

وفي سنة إحدى وعشرين وخمس مئة، وقيل: في عشرين: نهض أبو الوليد بن رُشْد إلى مَرَّاكُش للاجتماع بعليّ بن يوسف في المصالح وعزل تميمٍ عن غَرْناطة.

وفي سنة اثنتين وعشرين وخمس مئة: أشار ابنُ رُشْد ببناء سُور مَرَّاكُش، فبناه عليُّ بن يوسف، وأنفق فيه سبعين ألف دينار.

وفيها: بعث العزيزُ بالله ابن المنصور صاحبُ بِجَاية عسكرًا إلى المهديَّة، قوَّدَ عليه ابنَ الـمُهَلَّب، فنزل عليها، ثمَّ انصرف ناكِصًا على عقبيه.

وفيها: وصل مُطَرِّف بن عليّ بن خَزْرُون الزَّناتيُّ إلى تُونِس، وأخرج منها أحمدَ بن عبد العزيز بن عبد الحقّ بن خُرَاسان، وقَفَلَ إلى الـحِجاز، وبها ماتَ على ما يأتي. ووليَ تُونِسَ في هذه السنة كرامةُ ابن المنصور الصُّنْهاجيّ من قِبَل صاحب بِجَاية.

وفي سنة ثلاث وعشرين وخمس مئة: كان الأميرُ بإفريقية حَسَن بن عليّ، على ما كان عليه في السنة قبلها، وصاحبُ بِجَاية يحيى ابن العزيز بالله، ووزيرُه مَيْمُون بن حَـمْدُون.

وفي سنة أربع وعشرين وخمس مئة: قُتل أميرُ مِصْرَ الـمُلَقَّب بالآمِر، وكان جبَّارًا عنيدًا، قتله الغلامُ الذي اسمُه حِرْز الـمُلُوك، وكان استبدَّ بالوزارة له. وكان الآمِرُ وَلَّى عَهْدَه عبدَ المجيد[2].

وفي سنة سبع وعشرين وخمس مئة: قال الوَرَّاق في «مِقْبَاسه»: بعث اللهُ قومًا تحالفوا على قتل الجبَّار العنيد بـمِصْر الملقَّب بالآمِر. قيل: إنَّهم قصدوا إليه من بلاد الشام، احتسابًا، وكانوا عشرة أُناس، فأقاموا بمِصْرَ، وعَلِموا بيوم ركوبه، وكان، إذا ركبَ، سُدَّت الحوانيت والديار في مَـمَرِّه، ولا يمرُّ في طريقه أحَدٌ سواه، ويجعل نِصْفَ عسكره أمامه، ونِصْفَه وراءَه، وفي وسط تلك المسافتَيْن التي أمامه وخلفه فارِسانِ،

---

(١) في ر١: «فسلموا» بدلًا من عبارة: «فوقاهم الله شرهم»، وينظر كامل ابن الأثير ١٠/ ٦٣١.

(٢) ينظر الكامل لابن الأثير ١٠/ ٦٦٤-٦٦٥.

بينهما وبينه ما بينهما وبين العسكر، وحَوْلَه أربعةٌ من عَبيده. فقصد هؤُلاء القوم إلى طريقه، وفيه فُرْن، فقصدوا إلى الفَرَّان، ومعهم دقيقٌ، وقالوا له: نريد منك أن تَخْبِز لنا هذا الدقيق، فإنَّا قومٌ غُرَبَاءُ مسافِرون. فاعتذر لهم بالسلطان، فرغَّبوه، وشرط عليهم العجلة، ثمَّ أشغلوه بالحديث إلى أن مرَّ عليه مقدَّم العسكر الأوَّل، فأعنف عليهم في الخروج، فلما رأوا ذلك، أدخلوه داخِلَ الفُرْن وسدُّوا فمه بغطائه، وغلقوا باب الفُرْن عليهم، إلى أن سمعوا حوافِرَ فرسه، فأوَّلُ مَن خرج من الفُرْن كهلٌ منهم، فجعل يسجد إلى الأرض، وينادي[1]: «أنا بالله وبعدل مولانا!» ويسجد مرَّةً بعد أُخرى إلى أن ألقى بيده في شكائم الفرس، وأخرج سِكِّينًا، وضرب بها بطن الفرس، فسقط إلى الأرض، وخرج أصحابه من الفُرْن مُبادرين، فضربوه بسكاكينهم إلى أن فرغوا من قتله، وقُتِلوا في الحين أجمعين. وأراحَ اللهُ من الفاجرِ الطاغِي، وهو الذي كَثُر[2] في زمانه دَعْوَى الباطلِ ونصر الظالم[3]، وعمل جَهَنَّم يعذِّب فيها الناس، وأباح المحظورات جهارًا في النزاهات، وغير ذلك من قبائحهم ـ لعنهم الله، أعني الشيعةَ العُبَيْديَّة.

وفي سنة ثمان وعشرين وخمس مئة: كان وُلاةُ إفريقية على ما كانوا عليه في السنة قَبْلها.

وفي سنة تسع وعشرين وخمس مئة: صرخ الـمُوَحِّدون بموت الـمَهْديّ، وسمَّوا عبدَ المؤْمن بأمير المؤمنين.

وفيها: وَلِيَ قضاءَ فاسَ عبدُ الحقِّ بن عبد الله بن مَعِيشة، فأراق الخمرَ، وكسر الدِّنان، وشدَّد على أهلها، وزاد في الجامع الكبير، فكان البناءُ فيه في آخر هذه السنة.

وفي سنة ثلاثين وخمس مئة: نزل عليُّ بن حَـمُّود على المهديَّة، بعسكرٍ من قِبَل صاحِب بِجَاية العزيزِ ابن المنصور، ومالٍ برَسْم العَرَب. فنزل بظاهر زَوِيلة، وناشبَ القتالَ برًّا وبحرًا؛ فأخرج إليهم صاحِبُ المهديَّة أُسْطُوله، فأخذوا من أُسطول بِجَاية غُرابَيْن، وأمر بسجن قائدِهما، فأمَّا الواحد، فمات من سَهْمٍ أصابه. ثمَّ وصلت العَرَبُ

---

(١) سقطت من ر١.

(٢) في م: «أكثر».

(٣) من هنا إلى ثلاث صفحات قادمة سقط من ر١، وسأشير هناك إلى نهاية السقط.

لنصرة المهديَّة، فرحل عسكرُ بِجَاية عن المهديَّة بعد إقامته سبعين يومًا. وأمر الحسنُ بن عليّ قائدَه بقتل القائدَين، فقُتل أحدُهما بين يديه، ووُجدَ الآخر قد مات من سَهْمٍ كان أصابه.

وفيها: جهَّز رُجَّار صاحبُ صِقِلِّيَّة أُسطُولًا، فقصدوا جزيرةَ جَرْبَة، واستولَوْا عليها، وسبَوْا أهلها.

وفي سنة اثنتين وثلاثين وخمس مئة: كان موتُ عبد الـمَجيد صاحبِ مِصْر[1]. وكان للشيعة في تولية خليفةٍ عليهم خبرٌ طريفٌ، يُذْكَرُ في موضعه.

وفي سنة ست وثلاثين وخمس مئة: توفّي أبو عبد الله المازِرِيُّ، وأبو الصَّلْت.

وفيها: أخذ صاحب الـمَهْدِيَّة المركبَ الذي أنشأهُ صاحبُ بِجَاية، وبعثه بهديَّة إلى صاحب مِصْرَ؛ وسببُ ذلك: أنَّه كان في الإسْكَنْدَرِيَّة مركبٌ للحَسَن صاحبِ المهديَّة، عطَّله عن السفر صاحبُ الدِّيوان؛ لأنَّه سعَى في الشَّتات بين الحَسن وبين صاحبِ مِصْر، وقصد المواصلةَ بين صاحب مِصْر وصاحب بِجَاية، فأقلعت المراكب، وبقي هو محبوسًا. وأقلع في جملتها المركبُ البِجائيُّ ببضائعَ عظيمةٍ لها شأْنٌ، وأثمانٍ للتجار، وهديَّةٍ إلى صاحب بجاية، فعمل عليه الحسنُ، وأخذَه، وأمَرَ بتفريغه، وبقي المركبُ فارغًا حتَّى جاءت صدمةُ أُكتُوبر، فانكسر.

وفي هذه السنة: خرج جُرْجي من صِقِلِّيَّة في خمسةٍ وعشرين غُرابًا، وضرب على مَرْسى المهديَّة، فأخذ جميعَ ما كان فيه من المراكب، فيه مركبٌ جديدٌ أنشأه الحسنُ من خشب المركب الذي انكسر لصاحب مِصْرَ.

وفي سنة سبع وثلاثين وخمس مئة: خرج أُسْطُول صاحب صِقِلِّيَّة، فضرب على مدينة أطْرَابُلُس، فخيَّبه الله[2].

وفي سنة ثمان وثلاثين وخمس مئة: دَخَلَ مدينة سَفَاقُس، ودخلت في عمل رُجَّار صاحِبِ صِقِلِّيَّة.

---

(١) هكذا قال، وعبد المجيد هو الحافظ، وكانت وفاته سنة ٥٤٤هـ كما هو مشهور (الكامل لابن الأثير ١١/ ١٤١، واتعاظ الحنفا ٣/ ١٨٩، وغيرهما).

(٢) ينظر الكامل لابن الأثير ١١/ ٩١.

وفي سنة ثلاث وأربعين وخمس مئة: كان تغلُّبُ الرُّوم على مدينة المهديَّة، وخرج منها صاحبُها الحسنُ بن عليّ بن يحيى بن تَـمِيم ابن الـمُعِزّ بن باديس ابن المنصور بن بُلُجِّين بن زِيري بن مَنَاد بن مَنْقوش الصُّنهاجيُّ بجُملته وحاشيته، وتَبِعَه أهْلُ البلد فارِّين بأهليهم. وكان قائدُ رُجَّار صاحِبِ صِقِلِّيَّة جُرْجي[1] بن مِيخايِل الأنْطاكيِّ، وكان أبوه عِلْجًا من عُلُوج أبيه تَـمِيم، فكان هذا اللعينُ عارفًا بعورات المسلمين بالمهديَّة وغيرِها، فلم يزل رُجَّار وقائدُه جُرْجِي يُحيلان على المهديَّة بِحِيَلِهما، إلى أن استولَوْا عليها في هذه السنة. وتُعرف هذه الكائنةُ الشنعاء بكائنةِ يوم الاثنَيْن، وبَقِيَتْ بأيدي الرُّوم حتَّى افتتحها الـمُوَحِّدون، على ما أذكر في دولتهم. ولـمّا استولى صاحبُ صِقِلِّيَّة على هذه المدينة، كانت بإفريقية مجاعةٌ عظيمةٌ، فخاف أهْلُ تُونس من أهل هذه السواحلِ من النصارى. وكان صاحبُ صِقِلِّيَّة افتتح سَفَاقُس، ودخل بُونَة، وسَبَى أهلَها، فأخذ أهْلُ تُونس في الاستعداد والأُهبة والوقوف بجماعاتهم وقتًا بعد وقتٍ عند باب البحر، بمحضرِ واليهم مَعَدِّ ابن المنصور، وهو في الديوان الذي على الباب، فخرجوا يومًا من أيَّام عَرْضهم، فوجدوا قاربًا يوسق زرعًا، فأبكرت العامَّةُ خروجَ الزرع من بلدهم في تلك الشدَّة إلى موضع تحت مملكة الرُّوم، واجتمعوا على مَنْعه، وضجَّت العامَّة، وارتفع صياحُهم، فتعرَّض لهم رجالُ مَعَدِّ ابن المنصور، فوضعوا السلاحَ فيهم وفي عَبِيد مَعَدٍّ واليهم، وقتلوهم قتلةً شنيعةً، وأطلقوا النارَ تحت بُرْج الديوان، فنزل مَعَدّ عنه، واستسلم للعامَّة، فوقفوا عنه، فكانوا يأخذون رجالَه وعَبيده من تحت رِكابه، ويَقتلونهم. وبقي مَعَدٌّ بعد ذلك بتُونِسَ على حال قهرٍ من العامَّة، وكتب إلى بِجَاية، فجاءَه غُرابٌ منها، فطلع فيه مع بَنيه، وسار إلى بِجَاية. ورجع النظر في تونِس لقائدٍ من قُوَّاد صُنْهاجة مدَّةً يسيرةً، ثمَّ انصرف، وبقي البلدُ في حُكم العامَّة، فكانت الفتنة المشهورة فيهم، والقتال بين أهل باب السُّوَيْقة وأهل باب الـجَزيرة، ومُدَبِّرُهم في تلك المدَّة قاضِيهم أبو محمَّد عبدُ الـمُنْعِم ابن الإمام أبي الحسن، رحمه الله.

ولـمّا اشتدَّ خوفُ أهل تُونِس من صاحِب صِقِلِّيَّة ومـمَّا سمعوه من غضبِ صاحب بِجَايةَ واستعدادِه لهم، أخذوا في تمليك محمَّدِ بن زِيَاد العَرَبيّ بإرادة قاضيهم،

---

(١) له ذكر في اتعاظ الحنفا ٣/ ١٨٨.

فلمّا عزموا على ذلك، ووصل ابنُ زِياد إلى تُونِس، وخرج القاضِي والأشياخُ إلى لقائه، صاح رجلٌ من العامَّة: «لا طاعةَ لعَربيٍّ ولا غُزِّيّ!» وقامت الفتنة، فرجع ابنُ زِيَاد إلى القَلْعة، وأراد القاضي الرجوعَ إلى المدينة، فمنعَتْه العامَّة وأخرجَتْه، فسار مع ابن زِيَاد إلى القَلْعة، وأقام بها مدَّةً طويلةً، إلى أن مات، رحمه الله، فيُقال: إنَّه كان راقدًا في الصيف في طاقِ عُلُوٍّ، فوقع منها ومات، ويُقال: إنَّه رُمِيَ منها.

ثمَّ إنَّ العامَّة وجَّهوا إلى أبي بكر بن إسماعيل بن عبد الحقِّ بن خُرَاسَان، فوصل إلى تُونِس بالليل[١]، فرُفِعَ في قُفَّةٍ من السُّور ووُلِّيَ تونِس، فأقام عليها نحو سبعة أشهر، ثمَّ غدرَ به عبدُ الله ابنُ أخيه عبد العزيز، على ما يأتي. وإذ قد وقع ذِكْرُ بني خُرَاسَان، فأذْكُرُ وِلايَتَهم مدينةَ[٢] تُونِسَ على النسق، ومن وليها من غيرهم، إلى دخول الـمُوَحِّدِين إليها، بحول الله تعالى[٣].

ذكر مَن وَلِـيَ تُونِسَ من الأُمراءِ
من بعد زوال مُلْك الـمِعزّ بن بادِيس منها

لـمّا انتقلَ الـمُعِزُّ بن بادِيس[٤] من القَيْرَوان والمنصوريَّة إلى مدينة المهديَّة، وأسلمها إلى العَرَب[٥]، واختلَّ مُلْكُه بفتنة العَرَب الواصِلين من الـمَشْرِق، كما تقدَّم، واستحوذوا على كثيرٍ من حواضِرِ إفريقية، وكانَ منهم في حصار تُونِس وما يَلِيها من البُلْدان ما كان، مثل بَاجَة والأُرْبُس وما يَلِيهما، وكان بنو حَـمّاد قد طمعوا في مُلْك إفريقية، وصارت عمالةُ القَيْرَوان في أيديهم مُدَّةً بمُداخلتهم العَرَب وإحسانهم إليهم، وانقطعَ مُلْك الـمُعِزّ عن تُونِس وغيرها، وضعفتْ دولتُهم بالمهديَّة عن حمايتها، مَشَى[٦]

(١) إلى هنا انتهى السقط من ر١.

(٢) من ر١.

(٣) خبر تغلب الروم على المهدية في كامل ابن الأثير ١١/ ١٢٥-١٥٩ باختلاف ملحوظ.

(٤) ليست في أ، م.

(٥) في ر١: «وأسلم ذلك للعرب».

(٦) في أ، م: «فمشى».

أشياخٌ من أهلها إلى الناصِر بن عَلَنَّاس، وهو إذ ذاك في القَلْعة دارِ مُلْكهم، وناظِمةِ سلكهم، فاستدعَوْا منه النظر إلى مدينتهم وتقديم والٍ من قِبَلِهِ عليهم، فأمَرهم أن يختاروا شيخًا منهم، يقومُ بأمرهم خلالَ ما ينظر إليهم. فيقال: إنَّهم راموا تقديمَ كبيرٍ منهم، فاستعفَى وتوقَّف. فوليها من قِبَل الناصِر عبدُ الحق بن عبد العزيز بن خُرَاسَان، فأقام بها واليًا إلى أن مات سنة ثمانٍ وثمانين وأربع مئة، ثمَّ وليها بعده ولدُه عبد العزيز بن عبد الحقِّ، فأقامَ بها إلى أن مات في[1] سنة خمس مئة، ثمَّ وليها ولدُه أحمد بن عبد العزيز بن عبد الحقِّ، فبقي واليًا عليها اثنتين وعشرين سنة، حتى أخرجه عنها[2] مُطَرِّف بن عليّ بن حَـمْدُون إلى بِجَاية، وكان قد بنى قصرًا بتُونِس، سُمِّيَ قصرَ بني خُرَاسَان، وطالت مدَّتُه كما ذكرنا، فاشتدَّت وطأتُهُ، وخرج عن سيرة الأشياخ إلى آثار جَبَابِرة الـمُلوك، وقتل عَمَّه إسماعيل بن عبد الحقّ، وكان أحقَّ منه بالإمرة. وفرَّ ولدُه أبو بكر بن إسماعيل إلى بَنْزَرْت[3]، فأقام بها خوفًا منه، وأخرج جماعةً من أهل تُونِس وأشياخها[4]، ونفاهم إلى المهديَّة وغيرها، واستبدَّ برأيه في أُمور تُونس، إلى أن وصلت أخبارُه إلى المنصور صاحبِ بِجَاية، فجهَّز إليه عسكرًا قدَّم عليه مُطَرِّفَ بن علي بن حَـمْدُون، فوصل إلى تُونِس عام اثنين وعشرين وخمس مئة، فخرجَ أحمد إليه، واستسلم في يَدَيْه، فنقله إلى بِجَاية، وولّى تُونِسَ كَرَامةَ ابن المنصور، من بني حـمَّاد، إلى أن مات في[5] سنة كذا وخمس مئة. ثمَّ وليها بعده أخوه أبو الفُتوح ابن المنصور، إلى أن مات، ثمَّ وليها بعده محمَّد بن أبي الفُتوح، فلم تُستحسن سيرتُه، فأُخرج عنها، ووليها مَعَدُّ بن المنصور، وكان آخِرَهم، فأقام عليها إلى سنة ثلاث وأربعين وخمس مئة، حين استيلاءِ الرُّوم على المهديَّة، فخاف أهْلُ تُونِس من الروم[6]،

(١) ليست في ر١.

(٢) في ر١: «منها».

(٣) انظر عنها معجم البلدان ١/ ٤٩٩.

(٤) في ر١: «وأشياخهم».

(٥) ليست في ر١.

(٦) في أ، م: «منهم».

وثاروا على أميرهم مَعَدّ، كما تقدَّم، وثارت العامَّة بها، وكانت الفتنة المشهورة فيها. ثمَّ إنَّهم وجَّهوا إلى بَنْزَرْت، وقدَّموا أبا بكر بن إسماعيل بن عبد الحقّ، ثمَّ غدرَهُ عبدُ الله ابن أخيه عبدِ العزيز بعد إقامته في ولايته سبعةَ أشهر، وأخرجَهُ في قارب في البحر، فرماه البحرُ ميِّتًا عند قَلْعة ابن غَبُوش. فيُقال: غَرِقَ، ويقال: غُرِّقَ. فوليها عبد الله المذكور نحو عشر سنين، وهو الذي قتل القاضي أبا الفَضْل جَعْفَر بن حُلْوَان، وقتل معه ولدَه وولد أُخته ابن البَنَّاد؛ لَـمّا خَشِيَ أن يجمعوا عليه العَرَب.

وفي أيَّامه، وجَّه عبد المؤمن عَبْدَ الله بن سُليمان في قِطَع من أُسْطُول سَبْتة، وأمَرَه بالكشف عن تُونِس وقوَّتها والمجاورين لها من الأعراب، وبعد ذلك بعام، وصل السيِّد أبو محمَّد عبدُ الله بن عبد المؤمن إلى تُونِس، ونازَلَها وحاصَرَ عبدَ الله بن خُرَاسَان فيها مدَّةً، ثمَّ أقلع عنها إلى بِجَاية، وذلك في[1] سنة ثلاث وخمسين وخمس مئة.

وفي سنة إحدى وخمسين وخمس مئة في شوَّال: كان القيام على النصارى بالمهديَّة وحصارُهم فيها.

وفي سنة اثنتين وخمسين وخمس مئة: استولت الرُّوم على زَوِيلة.

وفي سنة أربع وخمسين وخمس مئة: دخل عبد المؤْمن إفريقية، المرَّةَ الثانية، ونازَلَ تُونِس، ثمَّ أقلع عنها وحاصر النصارى بالمهديَّة[2].

وفي سنة خمس وخمسين وخمس مئة: دخل أبو محمَّد عبدُ المؤمن مدينةَ المهديَّة صُلْحًا، واستولى الـمُوَحِّدون عليها في العاشر من شهر محرَّم[3].

وفي سنة ثمان وخمسين وخمس مئة: كانت كائنةٌ يومَ السَّبْت بنزول الرُّوم على المهديَّة، وأخذوا مدينة سُوسة، ثمَّ خرجوا عنها.

وفي سنة ثلاث وسبعين وخمس مئة: كانت كائنةٌ يومَ الجمعة بنزول النصارى على المهديَّةِ ثمَّ غَدَرَها ابنُ عبد الكريم في ربيع الآخر منها، ودخلها يحيى بن غانِيَة

---

(١) ليست في ر١.

(٢) الكامل لابن الأثير ١١/ ٢٤١.

(٣) الكامل لابن الأثير ١١/ ٢٤٥.

الـمَيُورقيُّ في شعبان من سنة ثمان وسبعين وخمس مئة، فلم يزل بها هو وأصحابه لَـمْتُونة ومَسُّوفَة، يُغِيرون منها على إفريقية، حتَّى تملَّكوا بعضَ بلادها، إلى أن دخلها أبو عبد الله الناصرُ مع الـمُوَحِّدين، في جُمادى الأولى من عام اثنين وست مئة.

ذكر الأُمراءِ والوُلاة بإفريقية لـخُلَفاءِ بني أُمَيَّة

عُقْبة بن نافِع. ثم أبو الـمُهَاجِر. ثمَّ عُقْبة ثانيةً. ثمَّ زُهَيْر بن قَيْس[1]. ثمَّ حسَّان بن النُّعْمان الغَسَّانيُّ. ثمَّ موسى بن نُصَيْر. ثمَّ محمَّد بن يزيد. ثمَّ إسماعيل بن عبد الله. ثمَّ يزيد بن أبي مُسْلِم الثَّقَفيُّ. ثمَّ محمَّد بن أوْس الأنصاريُّ. ثمَّ بِشْرُ بن صَفْوان. ثمَّ عُبيدةُ بن عبد الرحمن السُّلَميُّ. ثمَّ عبد الله بن[2] الـحَبْحاب. ثمَّ كُلْثُوم بن عِيَاض. ثمَّ حَنْظَلة بن صفْوان. ثمَّ عبد الرحمن بن حَبِيب القُرَشيُّ. ثمَّ الْيَاس بن حَبِيب. ثمَّ حَبيب بن عبد الرحمن. فهؤُلاء الثمانية عشر هم الوُلاة عليها من بني أُمَيَّة، رحمهم الله!

ووَلِيَها للصُّفْرِيَّة:

عاصَم الوَرْفَجُوميُّ، وعبدُ الـمَلِك بن أبي الـجَعْد. وكانت مدتها[3] سنةً واحدةً وشهرَيْن.

ووَلِيَها للإبَاضِيَّة[4]:

أبو الـخطَّاب عبدُ الأعلى بن السَّمْح، مولى الـمَعَافَر، وكانت مُدَّتُهُ سنتَيْن اثنتين.

ووَلِيَها لِبَني العَبَّاس:

محمَّد بن الأشْعَث الـخُزاعيّ. ثمَّ عيسى بن يوسف القَيْسيُّ. ثمَّ الأغلب بن سالِم[5] الـتَّمِيميّ. ثمَّ الحسن بن حَرْب الكِنْديّ. ثمَّ الأغْلَب. ثمَّ سالم ثانيةً. ثمَّ عُمَر بن حَفْص الـمُهَلَّبِيُّ. ثمَّ يَزِيدُ بن حَاتِم السُّلَمِيُّ. ثمّ داوودُ بن يزيد. ثمَّ رَوْح بن حاتِم.

(١) هذا الاسم ليس في ر١.

(٢) سقطت من م.

(٣) في أ، م: «مدتهم».

(٤) في ر١: «للإباضية»، من غير «ووليها».

(٥) من هنا إلى قوله: «سالم ثانية» سقط من ر١.

ثمَّ الفضل بن رَوْح بن حاتِم. ثمَّ هَرْثَمـة بن أعْيَن. ثمَّ محمَّد بن مُقَاتِل العَكِّيُّ. ثمَّ تَـمَّام بن تَـمِيم الـتَّمِيميُّ. ثمَّ محمَّد بن مُقاتِل ثانيةً.

ووَلِيَها من بني الأغْلَب:

إبراهيم بن الأغْلَب، وعبد الله بن إبراهيم بن الأغْلَب، والأغْلَب بن إبراهيم بن الأغْلَب، ومحمَّد بن الأغْلَب بن إبراهيم، وأحمد بن محمَّد بن الأغْلَب بن إبراهيم، وزيادة الله بن محمَّد بن الأغْلَب بن إبراهيم، ومحمَّد بن محمَّد بن الأغْلَب بن إبراهيم، وإبراهيم بن أحمد بن محمَّد بن الأغْلَب بن إبراهيم، وعبدُ الله بن إبراهيم بن أحمد بن محمَّد بن الأغْلَب، وزيادةُ الله بن عبد الله بن إبراهيم بن أحمد بن محمَّد بن الأغْلَب بن إبراهيم بن الأغْلَب، وهو آخِرُ بني الأغْلَب بإفريقية. وكان انقراضُ دولتهم سنة ست وتسعين ومئتين.

ومن الشِّيَعة العُبَيْدِيَّة[1]:

أبو عبد الله الداعي. ثمَّ عُبَيْد الله المهديِّ، وإليه تنسب العُبَيْدِيَّة بمِصْرَ. ثم ابنه أبو[2] القاسمُ بن عُبيد الله[3]. ثمَّ ابنه إسماعيل بن أبي القاسم، وهو الذي ملك مِصْرَ، ورحل إليها في آخر أيَّامه.

ومن[4] صُنْهَاجَة القائمين بدعوة العُبَيْدِيَّة ومن ولايتهم:

بُلُجِّين بن زِيرِي، والمنصور بن بُلُجِّين، وبَادِيس بن المنصور، والـمُعِزُّ ابن بادِيس، وتَـمِيم ابن الـمُعِزِّ. ثمَّ يحيى بن تَـمِيم. ثمَّ عليُّ بن يحيى. ثمَّ الـحَسَن بن عليٍّ، وعليه دخلها الرُّوم.

تَمَّ الـجُزْءُ الأوَّلُ من البَيَانِ الـمُغْرِبِ،
في أخْبَار الـمَغرِب، والـحَمْدُ لله

---

(١) في ر١: «ووليها من الشيعة بني عُبيد».

(٢) سقط من م.

(٣) في م: «عبد الله»، خطأ.

(٤) في ر١: «ووليها من».

المحتويات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة



دار الغرب الإسلامي
تـونـس
لصاحبها: الحبيب اللمسي
6 نهج الدالية بالفي - تونس - فاكس: 0021671396545 - خليوي: 216-96-346567
DAR AL-GHARB AL-ISLAMI - B.P.: 677 - R.P. 1035 TUNIS

الرقم: 537/ 1000-10- 2013 تونس
التنضيد: المؤلف
الطباعة: برنت شوب - بيروت

AL-BAYAN AL-MUGHRIB

By

Abu Al-Abbas Ibn Athari

(Died after 712 AH)

Vol. 1

Edited with a Critical Introduction

By

Prof. Bashar A.Marouf & Mahmoud B.Awad



DAR AL-GHARB AL-ISLAMI
TUNIS